الكاتبة الفائزة بجائزة المان بوكر الآسيوية ٢٠١١

سأكون هناك

كيونج سُوك شين

الترجمة عن الكورية: محمد نجيب

أدب كوري معاصر

رواية



المحروسة


أهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

سَأكونُ هُناكَ



mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٠٤٣٧/ ٢٠٢١

الترقيم الدولي: 978-977-313-845-5

"This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)"

سَأكونُ هُناكَ

كِيونج سُوك شين

ترجمة

محمد نجيب

رواية

الطبعة الأولى 2021

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كيونج، سوك شين .

سَأكونُ هُناكَ: رواية/ كِيونج سُوك شين؛ ترجمة: محمد نجيب.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021

369 ص؛ 14.5×21.5 سم

تدمك 978-977-313-845-5

1 - القصص الكورية

أ-نجيب، محمد (مترجم)

ب- العنوان

895.73

رقم الإيداع 2021/10437

مَن ذاك الباكي هناك
إن لم تكُن الرِّياح؟

مَن ذاك الباكي هناك
في هذا الزمن الوحيد
الذي يلمع بألماس برّاق؟

مَن ذاك الباكي قريبًا جدًّا مني،
أنا التي على وَشكِ البكاء؟

بول ڤاليري[1]
(بارِكْ الشَّابَّة)



(1) بول ڤاليري (1871 - 1945): شاعر وكاتب مقالات وفيلسوف فرنسي. من دواوينه الشهيرة: سهرة مع السيدة تيست، وبارِكْ الشَّابَّة، وفاوست.



استهلال

أَيمكِنُني القُدومَ إليكِ؟

كانت أول مكالمة أتلقَّاها منه منذ ثماني سنوات. تعرَّفَت على صوته في الحال. بمجرَّد أن قال "مرحبًا"، سألَته "أين أنتَ؟" لم يَقُل أي شيء. ثماني سنوات فترة زمنية ليست بالقصيرة. حين تحسبها بالساعات، سيكون الرقم كبيرًا جدًّا، بحيث يصعُب تصوُّره. أقول، لقد مضت ثماني سنوات، لكن في الحقيقة أننا قد توقَّفنا عن الحديث قبل ذلك حتى. ذات مرة خلال تجمُّعٍ مع الأصدقاء، تجنَّب كلٌّ مِنَّا النظر في عيني الآخر طيلة الوقت، وفقط عندما استعدَّ الجميع للرحيل، صافحنا بعضنا البعض باقتضاب من دون أن يلاحظ الآخرون ذلك، وهذا كل شيء.

لا أتذكَّر أين كُنَّا. أتذكر فقط أن الوقت قد تجاوز منتصف ليلة صيفية، وأننا كُنَّا نقف أمام درجات سُلَّمٍ مُنحدر في ركن خفي من

المدينـة. لا بُـدَّ أنـه كان يوجـد كشـك فاكهـة في الجـوار. تفـوح رائحـة في الهـواء الرطـب ذكَّرتنـي بالتهـام ثمـرة برقـوق. إمسـاكي بيـده ثـم تركهـا كانـت طريقتـي لقـول "وداعًـا". لم أعـرف فيـما كان يفكـر، لكـن بالنسـبة إليَّ تَجمَّعَـت كل الكلـمات التـي أَردتُ أن أقولهـا لـه داخـلي مثـل حبّـات لؤلـؤ. لم أسـتطع حمـل نفسـي عـلى قـول "وداعًـا" أو "أراكَ لاحقًـا." لـو فتحـت فمـي لأنطـق بكلمـة واحـدة، فسـوف تتبعهـا كل الكلـمات الميتـة بداخـلي وتنسـكب عـلى الأرض كـما لـو كان الخيـط الـذي يمسـكها جميعًـا معًـا قـد انقطـع. لأنني لا أزال أتشبث بذكـرى كيف أننـا قد كبرنـا ونضجنا معًـا، فقـد أزعجتنـي فكـرة أننـي لـن أتمكَّـنَ مـن التحكُّـم بمشـاعري بمجـرَّد أن أُحرِّرهـا. لكـن خارجيًّـا، تظاهَـرتُ برباطـة الجـأش. مـا رغبـت أن أفسـد الذكريـات التـي اعتدنـا فيهـا أن يعتمـد كلٌّ مِنّـا عـلى الآخـر.

الزمـن ليـس عـادلًا ولا سـهلًا مـع أي أحـد- لا الآن ولا قبل ثماني سـنوات. عندمـا سـألته بهـدوء، أيـن هـو، رغـم أننـي لا أعـرف أي شيء عنـه خـلال كل ذلـك الوقـت، أدركـت أن الكلـمات التـي لم أسـتطع قولهـا لـه حينهـا، لم تَعُـد مكبوتـةً بداخـلي، وأننـي لم أعـد أحتـاج إلى التظاهُـر أننـي عـلى مـا يُـرام كي أخفـي أي مشـاعر عاصفـة بداخـلي. أعنـي الأمـر حقًّـا حـين أقـول إننـي سـألته ذلـك السـؤال بهـدوء. مـا مصـير تلـك الكلـمات التـي دفعتنـي يومًـا إلى أن أتجـوَّل بـلا هـدف، وذهنـي يعجُّ بالشـك والحـزن؟ تلـك المشـاعر المريـرة؟ تلـك الأوجـاع التـي كانـت تطعـن قلبـي كلـما كنـتُ وحيـدة؟ أيـن انجرفـت بعيـدًا تلـك المشـاعر التـي كان يفـترض أن أتشبَّث بهـا جيـدًا الآن؟ هـل هـذه هـي الحيـاة؟ أهـذا هـو سـبب أن حقيقـة أن الزمـن يمـضي سريعًـا ومـن دون شـفقة، مُؤسِـفَةٌ ورحيمـة في الوقـت نفسـه؟ في المـاضي عندمـا كنـتُ عالِقَـةً في دوَّامـة، لا أسـتطيع أن أسـبح خارجـة منهـا، أخـبرني أحدهـم (قـد نسـيته): "سـوف يمـرُّ هـذا أيضًـا كـما يمـرُّ كُلُّ شيء". أعتقـد أن هـذا كان برهانًـا عـلى صـدق مـا أخـبرني بـه. تنطبـق تلـك

النصيحة على مَن يعاني، ومَن ينعم بحياة مليئة بالرفاهية، فهي تمنح للأول القوة للتحمُّل، والأخير القوَّةَ ليكون متواضعًا.

طال الصمت بيننا. فات الأوان، أدركت أن الأمور قد خرجت عن السيطرة. كان ينبغي أن أقول له "مرحبًا" أوَّلاً. كان غريبًا. شعرت أن قول أشياء مثل " لقد مضى وقت طويل من دون أن نتحدَّث" أو " ما الجديد في حياتك؟" سيكون مُربكًا جدًّا. خمَّنتُ أنه ربما تَفاجَأ من الطريقة التي سألته بها مباشرة أين هو. لم أكن مرتاحة بالقدر الكافي بعدُ لأسأله كيف حاله. أن تسأل أحدهم أين هو في اللحظة التي تجيب فيها على الهاتف ليس منطقيًا إلا إذا كنتما تقضيان الكثير من الوقت سويًّا. لكن ها نحن، هو على إحدى طرفي الخَطّ وأنا على الطرف الآخر، لأوَّل مرَّةٍ منذ ثماني سنوات.

الزمن يباغتنا دائمًا. مع هذا هل كانت الأشياء لتكون مختلفة، لو فهمت في شبابي أننا لا نستطيع أن نعيش نفس اللحظة مرَّتَيْن؟ هل لو فهمتُ ذلك، ما كنتُ لأقول وداعًا لأي شخص، ولربما ظلَّ شخصٌ آخر على قيد الحياة؟ لو عرفت فقط أنه في اللحظة التي أعتقد فيها أن كل شيء انتهى، يبدأ شيء جديد. التفت لأنظر خارج النافذة.

بينما يتواصل الصمت بيننا، ينتشر ضوء صباح شتوي ببطء عبر النافذة. ذكَرَت النشرة الجوية بالأمس أن الثلج سيهطل اليوم، لكن لا أعتقد ذلك. لا يزال الوقت مبكِّرًا، ولا يزال ضوء الفجر عالقًا في الأجواء. الفجر، ذلك الوقت من اليوم الذي تتردَّد فيه عادة قبل أن تتَّصِل بشخصٍ ما ليس فردًا من عائلتك، ولا مُقرَّبًا جدًّا منكَ. المكالمات الهاتفية في مثل هذا الوقت عاجلة أو تحمل أخبارًا سيئة.

"الأستاذ في المستشفى" قال أخيرًا.

"الأستاذ يون؟".

"اعتقدتُ أنني يجب أن أخبِرَكِ".

طَرَفتُ بعيني وأَشَحتُ ببصري بعيدًا عن النافذة. كلماته -اعتقدتُ أنني يجب أن أخبرك- حامت أمام عينيَّ كنُدَفِ الثلج. ركَّزتُ في صوته، كما لو كنتُ أتشبَّثُ به، وضيَّقتُ عينيَّ المشوَّشَتيْن. لدهشتي، كانت نُدَفُ الثلج تلقي بظلالها على الستائر.

"إنه في المستشفى منذ ثلاثة أشهر الآن".

لم أكن أمتلك أدنى فكرة.

" لا أعتقد أن أمامه الكثير من الوقت".

ثلاثة شهور؟ تنهَّدتُ بعُمقٍ. تراكم إحساسي بالضغينة تجاه الأستاذ يون بداخلي، ثم انحسر. لم أره منذ ثلاث سنوات. بينما تتدهور صِحَّتُه، أصرَّ الأستاذ يون على أن يبقى وحيدًا ورفض أي زيارة- تمامًا كما فعلت أمي. كان كيانًا وحيدًا في حجرة لا يمكن الوصول إليها إلَّا من خلال عبور عددٍ لا يُحصَى من الأبواب المغلقة. أراد أن يكون وحيدًا بشكل صادق وصارم في مواجهة الموت.

في وقت مُبكِّر من صباح شتوي قبل ثلاث سنوات، انطلقتُ لزيارة الأستاذ يون لكن لم أنجح في ذلك. لم أحاول زيارته بعدها ثانية. في ذلك الصباح، في أول أيام السنة الجديدة، شعرت برغبة في زيارته خلال العطلة. على الرغم من علمي بأنه يعاني من مشاكل في التنفُّس، ولا يمكنه الجلوس لفترات طويلة، أردتُ أن أقابله وجهًا لوجه، حتى لو كان لقاءً مقتضبًا. كانت السماء داكِنةً ذلك الصباح حيث أخَذَت نُدَفُ ثَلجٍ ضخمة في التساقط. لم أكُن ماهِرةً في قيادة السيارة. أفترض عادَةً أنه خطئي كلَّما حدَثَت مشكلة في السيارة. أضحى هطول الثلج كثيفًا وكانت الرياح تهب من الشمال. بدأت السيارة تنزلق قبل أن تنغرس في ربوة جليدية. لم يكن بيت الأستاذ يون بعيدًا؛ لذا تَرَكتُ السيارة في مكانها وقَطَعتُ باقي الطريق مشيًا. تجمَّد خَدَّاي من البرد، وتدلَّت كُتَلٌ ثلجية صغيرة من حاشية بنطلوني. بينما أمشي، التفتُّ إلى الوراء

ووقَعَت عيناي على سفوح الجبال وقد تغطَّت بالأبيض. كانت الرياح تقذف أكوام الثلج في الهواء ثم تدفعها إلى أسفل في داخل ثنايا الجبال. تزداد الرؤية صعوبة. أخبرت نفسي أن أواصل التَّقدُّم لكن تَسلَّلَ الخوفُ إليَّ. في كل مرة أسمع صوت انكسار فرع شجرة مُثقَلٍ بالثَّلج، تغوص مَعِدَتي في مكانها. أخيرًا، عندما لم تستطع شجرة عتيقة ضخمة أن تتحمَّل ثِقَلَ الثلج فانهارت بدويٍّ صاخب، التفتُّ إلى الوراء بقلب مُنهزم.

ما الذي أوقفني عن الوصول إلى بيته؟ ما كانت العودة أسهل.

بعد أن استسلمت في تلك الليلة، لم أمتلك الشجاعة أبدًا كي أحاول ثانية. كلما فكَّرتُ فيه، غَزَت رأسي فكرةُ أنني لن أتمكَّن من التواصل معه ثانية كظلٍّ مُقيم. بدا أنني لست الوحيدة التي لا تستطيع ذلك. أخبرني صديق لي أنه قاد سيارته إلى منزل الأستاذ يون في منتصف الليل، لكن بينما يقترب منه، لم يَقوَ على حمل نفسه على متابعة الطريق وقاد إلى أعلى التل بدلًا من ذلك، حيث نظر إلى أسفل نحو أنوار المنزل قبل أن يعود إلى بيته. قال إنه دار حول البيت عدة مرات قبل أن يغادر وهو يعضُّ على شفتيه طيلة الطريق. لماذا لم نَستَطِع أن ندخل إلى بيت الأستاذ يون بلا دعوة كما كُنَّا نفعل في الأيام الخوالي؟

لا تزال سمَّاعةُ الهاتف في يدي. أنهض من على المكتب وأتَّجِه إلى النافذة. أزيح الستائر.

تندفع النُّدَف البيضاء إلى أسفل في الخارج.

لم أندهش لسماع أنه يحتضر. لقد كنتُ أتوقَّع بعصبيَّةٍ أن أتلقَّى ذلك الخبر في أي يوم. لكن لم أكن أعرف فقط أنه اليوم. كان هطول الثلج في البداية خفيفًا جدًّا لدرجة أنني كنت أستطيع عدَّ ندف الثلج، لكن سرعان ما بات كثيفًا بينما أقف عند النافذة. في باحة المنزل المقابل لمنزلي، اكتست شجرة أرز هيمالايا ظلَّت خضراء مورِقَة

حتى في الشتاء، بالأبيض الآن. لا أحد في الخارج. تشقُّ حافلة الحي المحلية التي لم أركبها ولو مرَّةً واحدة خلال السنوات الأربع التي عشتها هنا، طريقها عبر الشوارع الجانبية، تنزلق بحَذَرٍ على امتداد الطُّرُق الجليدية.

على الرغم من أنني أنزع إلى الخلط بين الأشياء التي حدثت بالأمس، والأشياء التي حدثت منذ عشر سنوات، وأنني كثيرًا ما أقف أمام الثلاجة المفتوحة، أحاول تَذَكُّرَ ما أبحث عنه، فقط كي أغلق بابها بارتباك بعد أن يلفَّني هواؤها البارد، إلا أنني لا يزال بوسعي تذكُّرُ لقائي الأول بالأستاذ يون بعد كل تلك السنين كأنه الأمس. كنتُ حينها في العشرين. في ذلك الوقت كنت أستطيع النظر إلى عنوان كتاب فيخطر ببالي عشرة كتب أخرى لها علاقة به. في أول أيام الجامعة، كانت أشِعَّةُ شمس مارس تتدفَّق داخل قاعة المحاضرة عندما خطا الأستاذ يون إلى الداخل. كنت أضع رأسي على منضدة الدراسة عندما تجاوَزَني. لمحَت عيناي حذاءه. كان حذاؤه ضخمًا جدًّا، لدرجة أن كعبيه كانا ينزلقان خارج مؤخِّرَة حذائه مع كل خطوة. بدا كأنه يرتدي حذاء شخصٍ آخر. تملَّكَني الفضول، فرفعت رأسي وشعرت بالخجل في الحال. كيف يمكن أن يكون أحدهم هزيلًا هكذا؟ لم تكن المشكلة في الحذاء، فما كان لأي حذاء في العالم أن يناسبه. بدا كهيكلٍ عظميٍّ من الجبس.

نظَرتُ إلى أعلى نحو عينيه. كانتا تلمعان بقوَّةٍ من وراء نظَّاراتِه. التفت لينظر إلى خارج النافذة. هتاف الطلبة المتظاهِرين في الخارج كان يُفسِدُ صَفوَ المحاضرات. اندفعت قنبلة غازٍ مُسيل للدموع إلى داخل الحجرة، تحملها رياح مارس التي لا تزال باردة. قبل أن تبدأ المحاضرة، وقف الأستاذ يون أمام النافذة لبرهة طويلة، يراقب المتظاهرين، بينما يبذل أحدهم قصارى جهده ليغلق مصراعَيْ النافذة. لم يتحرَّك من مكانه فانضممنا إليه تدريجيًّا عند النافذة. كان رجال

شرطة مكافحة الشغب يطاردون مجموعة من الطلبة. عبَرَت غيومٌ بيضاء فوق رؤوسهم في الهواء الفاتر. لم يَقُل الأستاذ يون لنا في ذلك اليوم سوى شيءٍ واحدٍ: ما فائدة الفن في يوم وعصر كهذا؟ لم أستطع أن أُحدِّد إذا كان يوجِّه سؤاله إلينا أم إلى نفسه، لكن رأيت عينيه المتوقِّدَتَيْن تتلوّيان من الألم. في تلك اللحظة التي بدأت أركِّز في عينيه، وخز قلبي أَلَمٌ حادٌّ غير مألوف. وقتها، كيف كان بإمكاني أن أعرف ما يُخبِّئه القدر لنا؟ أو أن تلك الوخزة الغريبة التي شعرت بها ذلك اليوم ستلازمني حتى بعد كل تلك السنين؟ قد تكون ذكرياتي عن تلك الفترة قد بهَتَت وفقدت بريقها، إلَّا أن عينيه لا تزالان تطاردانني. في كل مرة أتصوَّرهما، يعاودني الألم ذاته. يخترق الألم قلبي في ألف موضع، وينفجر عبر جلدي، ويمطرني بالسؤال نفسه: "ماذا تفعلين بحياتكِ؟".

عندما كنتُ في العشرين، في كل مرة كنت أطرح فيها هذا السؤال على نفسي، كنت أغادر حرم الجامعة وأمشي لساعات حول المدينة، عيناي تدمعان من لسعة الغاز المسيل للدموع العالق في الجو. هل تَغيَّر أي شيء منذ ذلك الوقت؟ الآن حتى، كلَّما أتصوَّر عينيه: أضطرُّ إلى مغادرة البيت والمشي- أختار أي طريق وأسير فيه حتى نهايته. لا أنا ولا المجتمع قد تغيَّرنا إلى الأحسن. أصبحنا غير مثاليِّين بشكل أكبر وبطُرُقٍ مختلفة. حين انهار الجسر الممتدُّ فوق النهر والذي يشقُّ المدينة، وغاصت حافِلَةٌ كانت تُقِلُّ الفتيات إلى المدرسة داخل مياهه، حين شاهدت طائرة تصطدم بناطحة سحاب شاهقة، حين جلستُ أمام التلفاز في اليوم الأول من السنة الجديدة، وشاهَدتُ غيرَ مُصدِّقَةٍ لساعات، بينما تلتهم النيران بوابة سُنجنيمُن، سألتُ نفسي السؤال نفسه: ماذا تفعلين بحياتكِ؟ قُدتُ سيارتي في دوائر حول ما تبقَّى من بوابة المدينة المُحترقة في منتصف الليل، حتى شعرت بقدرتي على العودة إلى البيت ثانية. الآن لا يختلف كثيراً عن ذلك الوقت. كلَّما شعرت بأنني سأستسلم، أمشي في أرجاء المدينة. تطفو الفكرة نفسها

مـن جديـد عـبر الاكتئـاب والوحـدة، لـو كان فقـط هنـا... مَـن مِنَّـا الـذي بـدأ بالتخـلِّي أوَّلًا؟

عنـد نقطـةٍ مـا، أدركـت أن عـليَّ الحيـاة مـن دونـه. كنـتُ مُتوتِّـرَةً وخائفـة، لكـن الوقـت قـد حـان بالنسـبة إليَّ كي أمـضي في الحياة بمفـردي. لكـن حتـى بعـد ذلـك، تشـبَّثَت صُـوَرُه بذاكـرتي ورفَضَـت أن تتركنـي. مثـل تلـك الليلـة التـي قضيناهـا في قريـةٍ مُلاصِقَـةٍ للبحـر عـلى جزيـرة نائيـة. كيـف تَمَكَّنَّـا مـن المـشي معًـا طـوال الليـل وسـط وابـل مـن المطـر؟ ركبنـا عبَّـارة مـن إنشـيون عميقًـا داخـل البحـر، ومـع هـذا فقـد نسـيتُ تمامًـا اسـمَ القريـة. لم نُخطِّـط للذهـاب إلى هنـاك. وجدنـا أنفسـنا نقفـز فقـط في قطـار خـطِّ الأنفـاق الأول في محطـة سـول لسـببٍ مـا. كونـه كان الخَـطُّ الأول لم يكـن لـه أي معنـى. لكننـي أفـترض أننـا ذهبنـا إلى هنـاك عـلى مـتن قطـار الأنفـاق لأننـي أتذكَّـر تَوَقُّفَنـا في محطـة بتشـون. ارتـدى قميصًـا أبيـضَ بأكـمام قصيرة؛ ممَّـا يعنـي أننـا ربمـا كُنَّـا في منتصـف الصيـف. كان قطـار الأنفـاق مزدحـمًا جـدًّا لدرجـة أنـه كان مـن الصعـب الوقـوف ثابتًـا في مكانـك. كنـتُ مُتعَبـةً، ولا بُـدَّ أنـه كان أحـد تلـك الأيـام التـي لم أكـن في مـزاج يسـمح لي بالـكلام. في كل مـرة يتوقَّـف القطـار، يندفـع حشـدٌ جديـد مـن البـشر إلى الداخـل، ليمـلأ العربـة برائحـة العـرق. بينـما يقـف هنـاك مُترنِّحًـا، وقـد قطَّـب جبينـه، قـال لي، "دعينـا نذهـب إلى مـكانٍ مـا بعيـد". عـلى الأقـل كانـت فكرتـه كـما أتذكَّـر. هبطنـا مـن قطـار الأنفـاق في إنشـيون، واسـتقللنا الحافلـة إلى موقـف العَبَّـارات. لم نهتـم بوجهـة العَبَّـارة طالمـا كانـت أبعـدَ مـا يمكـن عـن المرفـأ. حملتنـا العَبَّـارةُ عـبر البحـر. بينـما نقـف عنـد حافـة المركـب ونستنشـق نسـيم الليـل، مهـما كان ذلـك الـشيء الـذي كان يسـتهلكني مـن الداخـل، فقـد بـدا غـير مهـمٍّ في تلـك اللحظـة. تأمَّلنـا البحـر. لم أذهـب بعيـدًا هكـذا عـن السـاحل مـن قبـل. لأنـه ترعـرع في بلـدة شـاطئية؛ فرُبَّمـا كانـت التجربـة بالنسـبة إليـه مُختَلِفَـةً عنـي. اسـتغرقت رحلـة العبَّـارة سـاعتين، وعندمـا بلغنـا الجزيـرة، كان المـد آتيًـا

إلى عمق البحر؛ مما جعل من المستحيل أن نشقَّ طريقنا إلى الشاطئ. أحضر أحدهم زورقًا آليًا صغيرًا من مرسى القرية إلينا في الخارج. بعد أن نزل الجميع، ركبنا الزورق حتى الجزيرة. شاهدت أطفالًا يصطادون السمك عميقًا في الماء. تجهَّمتُ قَلِقَةً من أن يجرفهم الماء بعيدًا في أي لحظة، لكن أخبرني أحدهم أنهم يقفون فوق سَدٍّ ولم يكونوا في الماء فعليًا، وأنني سأستطيع رؤية السد بمجرَّد أن ينحسر المدُّ. نزلنا فوق سدٍّ آخر مغمور تحت الماء. رفعت تَنُّورتي لأعلى وشَمَّر هو بنطلونه حتى ركبتيه، وخضنا في الماء بطول السد حتى سطح الجزيرة.

في تلك الليلة مشينا في أرجاء الجزيرة إلى أبعد مسافة يمكننا المشي إليها. لا بُدَّ أنه كان موسمَ المطر؛ فقد كان عدد الناس الجالسين على الشاطئ يفوق هؤلاء الذين يسبحون في الماء، وكلما ابتعدنا عن المرسى، قلَّ عَدَدُ الناس الذين نصادفهم في الطريق. أمكننا شمُّ رائحة الملح في الهواء، واهتزَّ صَفٌّ من الشجر بجوار الشاطئ بعنف في قلب الرياح. وقفنا على الشاطئ وقد وضع كلٌّ مِنَّا ذراعه حول الآخر، بينما تنزلق شمس الغروب إلى داخل البحر. في لمح البصر، اختفى القرص القرمزي للشمس وراء الأفق. بعد ذلك، أصبح مزاجيًا. على الرغم من أنه لم يتوقَّف عن محاولته لإبهاجي بينما أشعر بالاكتئاب، أضحى هو الآن من لا يتفوَّه بكلمة. سَكَتُّ بدوري. بينما نمشي معًا في صمت، صادفنا نورسًا ميِّتًا حمله الجَزرُ إلى الشاطئ.

"طائر!" تَمتَمتُ. شرع في حفر حفرة في الرمل ليدفنه.

"ما جدوى ذلك" سألتُه "سوف يجرفه المدُّ معه على أيَّة حال".

"لا فَرقَ!".

حين أفكِّر في الطريقة التي قال بها ذلك، لا أستطيع منع نفسي من الابتسامة. ذلك التعبير يُذكِّرني به. مهما كان الموقف، كان يقول:

"لا فَرقَ، مع ذلك، الأمر أفضل على هذا النحو!" ليُعبِّر عن إصراره على قراره من دون أن يبدي اعتراضه على كلامي. يخرج مفكِّرَةً من حقيبته ويُمزِّق ورقة منها ويكتب، "عزيزي الطائر، انهَضْ من جديد" ثم يلفُّ الورقة حول عصا ويغرسها أمام قبر الطائر.

هل أكلنا أي شيء تلك الليلة؟ لا أتذكَّر تناولنا أي شيء ولا أتذكَّر أننا كُنَّا جائعين. مشينا تلك الليلة حتى عَمَّ الظلامُ الجزيرةَ بِرُمَّتِها كما لو كُنَّا نحاول أن نكتشف أين ستنتهي المياه. ربما كانت تلك هي أول مرة أشاهد فيها البحر يَسْوَدُّ مع انسدال الظلام. زحَفَت المياه السوداء شيئًا فشيئًا حتى وصلت إلى أقدامنا قبل أن تتقهقر.

" جونج يون!" كُلَّما ناداني باسمي الكامل، فإن ذلك يعني أن ثَمَّةَ شيئًا ما يختمر في رأسه.

"ما الأمر؟".

"دعينا نتذكَّر هذا اليوم إلى الأبد".

"هذا كل ما أردت قوله؟" تَمتَمتُ بصوت منخفض، غيرَ مُتأثِّرَةٍ بما قاله، لو أَرَدتَ أن تتذكَّر شيئًا، فيجب عليك أن تمتلك تذكارًا يُذكِّرك به. سمعت خشخشة في الظلام. أخرَجَ مُفكِّرَةَ يوميَّاته من حقيبته ثم وضعها بين يدي.

"أسمِّيها المفكرة البُنِّيَّة. اعتدت أن أُدوِّن فيها أفكاري. أريدكِ أن تحصلي عليها".

يضع يده حول خصري ويجذبني نحوه. أَدَعُه يضع ذراعيه حولي. سحب يدي ووضعها فوق عُضوِه، وقال: "يُمكِنُكِ أن تحصلي على هذا، أيضًا".

بدا جادًّا جدًّا، لكن لم أستطع إلَّا الضحك. شعرتُ -ويدي فوق مُفكِّرَتِه، والأخرى فوق عضوه- بحُزنٍ غريب يغمرني. همَستُ في أذنه،

"أَيُمكِنُنا الذهاب إلى مكان أبعد؟" لكنني كنتُ أعرف ألّا مكان أبعد من هذا.

مَن يمكنه التنبؤ بأيام لم تأتِ بعدُ؟ يتسارع المستقبل ولا نملك سوى صنع الذكريات والتقدُّم إلى الأمام حاملين تلك الذكريات معنا. لكن الذاكرة تحتفظ فقط بما تريده. تتناثر صُوَرٌ من الذكريات على مدار حياتنا، لكن لا يعني ذلك أن ذكرياتنا أو ذكريات الآخرين هي الواقع الذي حدث حقًّا. عندما يُصرُّ أحدهم على أنه قد رأى شيئًا بأُمِّ عينيه، فإنني أتلقى كلماته بتحفُّظٍ حكيم، على اعتبار أنه ما يريد أن يؤمن به لا الحقيقة المؤكدة. على الرغم من أن الذكريات شيءٌ غير كامل؛ لا يخلو من الثَّغرات فإنني كُلَّما واجَهتُ ذكرى، لا أستطيع منع نفسي من الاستغراق في التفكير. خاصَّةً حين تُذكِّرني الذكرى بشعور أن أكون تائهة، ومتأخِّرَةً بخطوة دائمًا. لماذا كان من الصعب جدًّا عليَّ أن أفتح عينيَّ كُلّ صباح؟ لماذا كنتُ أرتعد خوفًا من بناء علاقة مع أي أحد، ولماذا بالرغم من كل ذلك، كنتُ قادِرَةً على هدم الجدران التي أَحَطتُ بها نفسي، والعثور عليه؟

في عامي الأول في الجامعة، اعتَدتُ على التحديق نحو بوَّابة الجامعة الأمامية كل صباح، والتساؤل إذا كان يجب عليَّ الدخول إلى الجامعة أم لا. كثيرًا ما كنتُ ألتفت، وأمشي هابِطَةً التل الذي صعدته منذ قليل. حتى الآن لا يمكنني أن أقول ماذا كان خَطبي حينها. لثلاثة شهور في نهاية عمر التاسعة عشرة وبداية العشرين، أبقَيتُ نافذة الحجرة الصغيرة في الشقَّة التي عِشتُ فيها مع ابنة عمِّي الكبرى المتزوِّجة حديثًا، مُغطَّاةً بورق مُقوًّى أسود. كانت مجرَّدَ ورقة واحدة فقط، لكنها جعَلَت حجرتي مُظلِمَةً كالليل. في ذلك الظلام، ترَكتُ نور الحجرة مُضاء، وقطَعتُ الوقت في القراءة. لم يكن لديَّ سَببٌ مُحدَّد للقراءة. لم أكن أمتلك فقط شيئًا آخر لأفعله، ولم أرغب في فعل أي شيء. قرَأتُ مجموعة أدبيَّة (أنطولوجيا) مُكوَّنَة من ستين

مجلَّدًا بالكامل، يحتوي كل مُجلَّد منها على أكثر من عشرين قصة قصيرة مطبوعة بحروف أصغر حجمًا من بذور السمسم. عندما انتَهَيتُ منها، نظرت خارج النافذة لأكتَشِفَ أننا في شهر مارس. عندما أفكِّر في الأمر الآن، يبدو كأنَّ زمنًا طويلًا جدًّا قد مضى على ذلك. أفكر أن وجود حجرة مظلمة كالليل في بيت عريسين جديدين لا بُدَّ كان أمرًا غريبًا! عندما خرجت أخيرًا من تلك الحجرة، كان ذلك من أجل حضور احتفال استقبال الطلبة الجُدُد في الجامعة. الجامعة التي كانت أكثرَ مكان تحرُّرًا أرتاده في هذه المدينة.

الآن الأستاذ يون في المستشفى، وميونجسو يعيش حياةً لا علاقة لها على الإطلاق بي، وهناك ثالِثٌ لن أراه ثانيةً أبدًا. لكن لو لم ألتقِ أولئك الأشخاص في ذلك المكان والزمان، كيف كنتُ لأتمكَّن من تجاوُز تلك الأيام؟

شاهَدتُ نُدَف الثلج تزداد كثافَةً، بينما أجمع أفكاري في رأسي. ذكَّرتُ نفسي أن السبب الوحيد لاتِّصاله بي بعد ثمانية أعوام هو إخباري بأن الأستاذ يون يحتضر. تَمتَمتُ إلى نفسي ألّا أتناسى تلك الحقيقة. أحتاج أولًا وقبل كل شيء إلى الذهاب إلى المستشفى. ثمَّة أشخاص يتقاطع طريقنا معهم في الحياة باستمرار، سواء أدركنا ذلك أم لم نُدرِكه. استمرّت ذكريات منسية في الظهور على نحوٍ غير مُتوقَّع، ومفاجأتي مثل سحب عود هزيل من البطاطا يبرز على السطح بعد المطر لتكتشف عناقيد عديدة من حبَّات البطاطا تَبرُزُ خارِجَةً من أعماق التربة. حتى لو لم أُفكِّر فيه أو أسمع عنه ثانية، فإن حقيقة أننا كُنَّا في علاقة -مهما كانت مُقتَضَبَة- لا تزال تُحزِنني.

قطع الصَّمت. أمسَكتُ بالسَّمّاعة غيرَ قادِرةٍ على التَّفوُّه بكلمة بينما يخبرني عن الأستاذ يون. ثم سألني، "أيُمكِنُني القدوم إليكِ؟".

في هـذه السـاعة؟ ظَنَنـتُ أن الأمـور بيننـا قـد انتهـت، لكنـه يسـألني هكـذا بشـكل عـرضيٍّ، "أيمكننـي القـدوم إليـكِ؟" كـم مـضى مـن الوقـت منـذ آخـر مـرة سـمعت فيهـا تلـك الكلـمات؟ في المـاضي حـين كُنَّـا في علاقـة، كان يقـول لي تلـك الكلـمات عـبر الهاتـف طـوال الوقـت. أيمكننـي القـدوم إليـكِ؟ كان حتـى يُهاتفنـي مـن كابينـة الهاتـف ليقـول لي: "أنـا في طريقـي إليـك". كانـت تلـك الكلـمات تَـتردَّد بيننـا في كلِّ يـوم مـن علاقتنـا، سـواء كان يومًـا مطـيرًا أو عاصفًـا أو غائمًـا. حينهـا، كان كلٌّ مِنَّـا ينتظـر الآخـر دائمًـا. لم يكـن الوقـت متأخِّـرًا أبـدًا في الليـل بالنسـبة إليـه كي يـأتي لرؤيتـي، ومـا كان هنالـك حـدودٌ لمتـى يمكننـي أن أراه. كان كُلٌّ مِنَّـا يخـبر الآخـر أنـه قـادِمٌ في أي وقـت، نهـارًا كان أم مسـاءً.

يُمنـح كُلٌّ مِنَّـا حيـاة واحـدة، حياتـه. نصـارع خلالهـا، كلٌّ مِنَّـا بطريقتـه الخاصـة؛ كي نمـضي قُدُمًـا، كي نعشـق، كي نحـزن، كي نخـسر أحبَّتَنـا لحسـاب المـوت. لا اسـتثناءات لأي أحـدٍ: لا لي، ولا للرَّجُـل الـذي هاتَفَنـي، ولا للأسـتاذ يـون. فقـط حيـاة واحـدة.. فقـط فرصـة واحـدة، وهـذا كل شيء. لـو كان الشـباب شـيئًا يمكننـا أن نعيشـه مـن جديـد، لَـمَا كنـتُ أقـف هنـا اليـوم، أجيـب عـلى هاتفـي، وأسـتمع إلى صوتـه لأوَّلِ مَـرَّة خـلال ثمـاني سـنوات.

تـردَّدتُ للحظـة ثـم قُلـتُ، "لا، سأكتشـف الأمـر بنفسـي". تنهَّـدَ، ثـم أغلـق الخـطَّ.

أشـعرتني كلـماتي الأخـيرة إليـه بالوحـدة. بَـدَت كلـماتي مـع هـذا غريبـةً بالنسـبة إليَّ. كان يجـب عـليَّ أن أُخـبِرَه أننـي سـأقابله في المستشـفى. كان مـا قُلتُـه قاسـيًا. قـال لي الكلـمات نفسـها ذات مـرَّة قبـل عـدَّة سـنوات. وقتهـا كُنَّـا قـد تَخطَّينـا المرحلـة التـي كُنَّـا نعـرف فيهـا دائمًـا أيـن يتواجـد الآخـر ومـاذا يفعـل. كنـتُ قـد سـألته مـاذا يخطـط لأن يفعـل بشـأن شيء مـا فثـار في وجهـي قائِـلًا: "سأكتشـف الأمـر بنفسـي". يبـدو أن الذاكـرة -سـواء كنَّـا نعـي ذلـك أم لا- تحمـل خنجـرًا بـين طيَّاتهـا. لم أركـز في كلماتـه

طوال ذلك الوقت، وقد مضى وقت أكثر من كافٍ كي أنسى ما قاله تمامًا، لكن في لحظة، استعاد عقلي الباطن كلماته واستخدمها ضدَّه. لم تكن من طبيعتي أن أصدَّ صديقًا بتلك الطريقة. ولو تحدَّث شخصٌ كُنتُ أعتقد أنه مُقرَّبٌ إليَّ، معي بتلك الطريقة، فسأبدأ غالبًا بإبعاد نفسي عنه. ظلَّت الكلمات تحوم بداخلي طوال ذلك الوقت، مثل قطع أحجية مفقودة قبل أن تجد طريقها عائدةً إليَّ. عُدتُ إلى مكتبي وقضَيتُ اليوم مُتَسمِّرةً في مقعدي. بعد أن انحسرت الذكريات المؤلمة أخيرًا، بدأتُ أشعر بنسمة باردة.

هل كان ذلك في أغسطس أم سبتمبر؟ كنَّا نملأ سلَّةً بتفَّاح مستأنس من شجرة تنمو في فناء منزل الأستاذ يون، عندما هبَّت علينا نسمة باردة. ضحكنا. كانت الشجرة الضئيلةُ -بالكاد طويلة بالقدر الكافي كي تلقي نظرة من فوق الجدار- مُثقَلَةً بِثِمارِ التُّفَّاح. راقَبَنا الأستاذ يون من حجرة المعيشة بينما نملأ السلة. نسيت لماذا تجمَّعَت وزملاء الجامعة لقطف التفاح، لكن لا بُدَّ أننا كُنَّا نشعر بالسعادة والسلام حينها، حين أفكر في الطريقة التي انفجرنا بها ضاحكين.

" هل ستعود هذه الأيام ثانية؟".

قالها صديقي بشكلٍ ارتجاليٍّ، لكن تعليقه لمس وترًا حسَّاسًا.

" لن تعود نفس الأيام" قال أحدهم بحزن.

انقطع ضحكنا الذي انفجر بسهولة قبل لحظات قليلة، والتفتنا إلى الأستاذ يون الذي يُحدِّق خارج النافذة نحونا كي نتجنَّب النظر إلى بعضنا البعض وقد استغرق كلٌّ مِنَّا في أفكاره الخاصة. ربما كُنَّا بالفعل قد تنبَّأنا بالمستقبل. بعد أن فرغنا من قطف الفاكهة، عُدنا إلى حجرة المعيشة وجلسنا في حلقة. كان الأستاذ يون قد استغرق في النوم، وكتاب فوق ركبته. وضع أحدنا الكتاب فوق المائدة بحرص. انتابني الفضول لأعرف ما كان يقرؤه، فالتقطت الكتاب. كان كتاب

"عـالم الصمـت". بـدا عتيقًـا؛ الصفحـات مُصفـرَّة ومَثنيَّـة. حدَّقـتُ إلى جـوارب الأسـتاذ يـون المتدلِّيـة بـتراخٍ فـوق قدمـه شـديدة النحـول، بينـما لا تـزال يـدي فـوق الكتـاب.

عـلى الرغـم مـن أننـي كنـت أعـرف أن عـليَّ الذهـاب إلى المستشـفى، لم أسـتطع حمـل نفسـي عـلى مغـادرة المقعـد. شـعرتُ كأنـنـي أطفـو. غلَبَنـي النعـاس عـدَّةَ مَـرَّاتٍ. عندمـا اسـتطعت الجلـوس باعتـدال فـوق الكـرسي أخـيرًا وتفحَّصـتُ مكتبـي، كان الوقـت ظهـرًا بالفعـل. تبَعـثَرَت الكتـب التـي كنـتُ أقرؤهـا فـوق المكتـب، ورقـد دفـتر مذكِّـراتٍ مقلوبًـا تحـت بعـض الأوراق التـي كنـت أُنقِّحهـا. يقبـع قلَـم رصـاص عـلى نحـو مائـل داخـل مَقْلمَـة اشـتريتها مـن مُتحَـف بيكاسـو في الحـي القوطـي في برشـلونة. تأمَّلـتُ الحمامـة التـي تحمـل ورقـةً في منقارهـا، المنقوشـة عـلى جانـب المَقلَمَـة قبـل أن أشرع بتوضيـب المكتـب. أغلقـت كُتُـبَ الشِّـعر التـي كانـت مفتوحـة، وأعَـدتُ الأقـلام المبعـثرة إلى المقلمـة. جعَّـدتُ الأوراق المسـتعملة المليئـة بخطـوط التحديـد، وألقيتهـا في سـلَّة المهمـلات، ثـم أزَلـتُ ثَقَّالَـة الـورق مـن فـوق الكتـب السـميكة التـي نَحَّيتُهـا جانبًـا أثنـاء القـراءة، ثـم أرجعـت الكتـب إلى رفوفهـا.

يُذكِّـرني توضيـب المكتـب بالمـوت دائمًـا لسـببٍ مـا. بمجـرَّد أن فرغـت مـن التوضيـب، وكنـتُ أهـمُّ بمغـادرة الحجـرة، وجـدت نفسـي ألتَفِـتُ وألقـي نظـرة عـلى المكتـب المرتَّـب. داهمنـي خـوفٌ مفاجـئ؛ فعُـدتُ وبَعـثَرتُ الأشـياء فـوق المكتـب مـن جديـد.

التقـدُّم في العمـر لا يجعلنـا أفضـل -بـأي شـكل كان- في حـبِّ الآخـر أو فهـم معنـى الحيـاة أو المـوت، ولا تـأتي المعرفـة مـع مـرور الوقـت. حـين أقـارن ذاتي الآن بـذاتي حـين كنـتُ صغـيرةً، أجـد أننـي الآن أسـوأ في حُـبِّ شـخص آخـر، ولا تـزال أخبـار المـوت غـير المتوقَّـع لشـخصٍ تفاجِئنـي وتصدمنـي في كل مـرة. مـع هـذا، أتمنَّـى حـين يأتينـي المـوت، أن أكـون

مُستَغرِقَةً في الكتابة أو قراءة كتاب على مكتبي في وقتٍ متأخِّر من ليلَةٍ يهطل فيها الثلج، وأن أضع رأسي ببساطة على المكتب وأغلق عينيَّ إلى الأبد. أريد أن يكون ذلك هو آخر صورة لي على هذه الأرض. نفضت آثار الموت التي تَعلَقُ في أطراف أصابعي في كل مرة أضع فيها كتابًا على الرَّفِّ وأنتهي من التوضيب. أستَعِدُّ للذهاب إلى المستشفى. أدعَكُ يدي بالصابون وأغسل وجهي وأرتدي ثيابًا نظيفة، وأتفقَّد انعكاسي في المرآة. عند خروجي من الباب، أتوقَّف بشكل غير إراديٍّ وألقي نظرة سريعة على المكتب.

كما لو كان ينتظرني، يَرِنُّ الهاتف مُجدَّدًا.

1

فِراق

عندما بلغتُ العشرين، عدتُ إلى المدينة ثانية، ووَعدتُ نفسي بخمسة أشياء:

ابدئي القراءة من جديد.

اكتبي الكلمات الجديدة التي تُصادِفُكِ، ومعناها.

احفظي قصيدة شعرية في الأسبوع.

لا تذهبي إلى قبر أمكِ قبل إجازة التشوسوك.

امشي في أرجاء المدينة لمدَّة ساعتين على الأقل كل يوم.

تُوفِّيت أمي قبل نهاية الفصل الدراسي الأول في الجامعة.

أول شيء فعَلَتـه بعـد أن اكتشـفت مرضهـا هـو إرسـالي كي أعيـش مـع ابنـة عمـي الكـبرى في المدينـة. كنـتُ في المدرسـة الإعداديـة وقتهـا. كان إرسـالي بعيـدًا -في نظـر أمّـي- طريقَتَهـا الخاصـة لحُبِّـي. قالـت إننـي صغـيرة جـدًّا كي أُقَيَّـد بجانـب أمٍّ مريضـة، وأن لـديَّ الكثـير جـدًّا كي أعيـش مـن أجلـه. أن عـلى الجميـع أن يقـول وداعًـا في النهايـة، أخبرتنـي؛ لـذا ربمـا عـليَّ البـدء في الاسـتعداد لوداعهـا وتَقبُّـل حيـاة مـن دونهـا. لا أسـتطيع القـول إنهـا كانـت مُحِقَّـة. أعتقـد أنـه إذا كان علينـا جميعًـا أن نقـول وداعًـا في النهايـة، فـإن أفضـل شيء يمكننـا فعلـه هـو أن نحـاول البقـاء معًـا لأطـول وقـت ممكـن. لكـن لم يكـن إحدانـا مُحِقًّـا والآخـر مُخطِئًـا. الأمـر فقـط أنَّنـا كُنَّـا نـرى الأشـياء بشـكل مختلـف.

قبـل أن يتفاقـم مرضهـا، اعتَـدتُ عـلى أن أسـتلم دواءهـا مـن أجلهـا مـن مستشـفى كـبرى في المدينـة، حيـث أقامـت لفـترة هنـاك ذات مـرة. كل يـوم أربعـاء، كنـت أقـدِّم الروشـتة في الصيدليـة، وأجلـس في حجـرة الانتظـار، وأترقَّـب ظهـور الرقـم المكتـوب عـلى قصاصـة الـورق التـي أعطـوني إياهـا، عـلى الشاشـة الإلكترونيـة. عندمـا يظهـر رقمـي عـلى الشاشـة مصحوبًـا برنـين، أدفـع قصاصـة الـورق عـبر النافـذة، ثـم بعـد انتظـار قصـير، تُدفـع نحـوي سـلَّة صغـيرة بهـا مـا يكفـي أسـبوعًا مـن عـلاج أمـي. كـرَّرتُ الرحلـة إلى الصيدليـة كل يـوم أربعـاء لأصرف دواء أمـي وأرسـله إليهـا بالبريـد. في كل مـرة أُهاتِفُهـا لأخبرهـا أن الـدواء في طريقـه إليهـا بالبريـد، كانـت تقـول، "تلـك هـي ابنتـي!" دائمًـا بنـبرة الصـوت نفسـها التـي لا تتغـيَّر أبـدًا، "أحسـنت يـا ابنتـي! شـكرًا يـا ابنتـي!".

قبـل موتهـا بأربعـة أيـام، أرسـلت أمـي إليَّ حزمَـةً. كانـت تحـوي خاتمًـا كانـت ترتديـه دائمًـا وبعـض كيمتـشي أوراق البيريـلا.

"كيمتشي أوراق البيريلا هو المفضَّل لديك" بَدَت مبتَهِجَةً عبر الهاتف. "كنتُ أتطلَّع دومًا لأن أترك لكِ ذلك الخاتم!".

لم أعرف أنها ستموت قريبًا جدًّا.

كلَّما فكَّرتُ في حقيقة أنها حزمت كيمتشي أوراق البيريلا من أجلي ثم خلعت خاتمها ولفَّته في ورقة وأرسلته إليَّ قبل موتها، أدعَكُ عيني بقوة كما لو كنتُ أرغب في انتزاعهما من محجريهما. ما عاد يوجد دواء كي أذهب لجلبه من صيدلية المستشفى كل أربعاء، مع هذا في كل صباح أربعاء، كنتُ أجد نفسي جالِسَةً في حجرة انتظار تلك المستشفى، كان جزءًا من روتين يوم الأربعاء. ما عدتُ أملك رقمًا لأنتظر ظهوره، لكن في كل مرة يرنُّ جهاز الاستدعاء، أرفع عيني وأشاهد الرقم على شاشة العرض يتغيَّر. بعد فترة من الانتظار، أخبر نفسي أن الوقت قد حان كي أذهب إلى المحاضرة فأغادر حجرة الانتظار. لكن قبل أن أدرك ما فَعَلتُه، أجد نفسي أتوجَّه إلى محطة القطار عوضًا عن الجامعة، وأصعد على متن قطار. في بعض الصباحات، أصل حتى الطريق المنحدر الذي يقود إلى الجامعة فقط كي ألتفت وأتَّجه إلى محطة القطار. هناك أشتري تذكرة على متن أول قطار مغادر.

كان هناك دائمًا مقاعد خالية في القطار في منتصف اليوم. يمكنني الجلوس أينما شِئتُ بِغَضِّ النظر عن رقم المقعد المطبوع على تذكرتي. في بعض الأيام كنتُ الشَّخصَ الوحيد داخل عربة القطار بأكملها. كنتُ أشخص ببصري خارج النافذة حتى يعلن مُحصِّل التذاكر وصول القطار إلى المحطة في البلدة الصغيرة حيث وُلِدتُ. حين يظهر النهر من نافذة القطار المنطلق، ألتفت برأسي وأحدِّق إليه حتى لا يمكنني رؤيته بعد الآن، وتتسلَّل الجبال البعيدة إلى مجال رؤيتي، فأنحني إلى الوراء في مقعدي. ذات مرة، ظهر سِربٌ من الطيور من العدم، وحلَّق عبر حقل. راقَبتُها حتى دخل القطار إلى نفق. حينها أغلَقتُ عينيَّ

بإحكامٍ رغم عدم وجود أي شيء كي أراه بعد الآن في عتمة النفق. كنت أتضوَّر جوعًا دائمًا عندما يتوقَّف القطار أخيرًا. أتناول صحن حساء شعيرية في متجرٍ أمام المحطة. في تلك اللحظة أدرك أين أنا، وأتمتم إلى نفسي، " لقد عدتُ يا ماما".

ما كان موت أمي السَّببَ الوحيد لقراري بأن آخذ عُطلَةً من الجامعة. كنت أدرس في جامعة للفنون. كان يسود حرمَ الجامعة أجواءٌ مُتحرِّرة، مميِّزة لكليات الفنون. بعض الناس ينسجمون معها، بينما يُنبَذُ غير المتأقلمين. كنت أنتمي إلى المجموعة الأخيرة. أشكُّ أن أي أحد هناك كان يعرف كيف يبدو صوتي. كان الطلبة الذكور مهتمِّين بالاحتجاج وشرب الكحول أكثر من حضور المحاضرات، والطالبات كُنَّ مشغولات بالتأنُّق أو الدخول في نوبات اكتئاب حادَّة. كانت الجامعة ذلك المكان الذي يمكنك أن تذكر فيه إذ فجأة في خِضَمِّ محادثة عادية مقولة لهاملت أو أوفيليا، ولن يجد أي أحدٍ الأمرَ شاذًّا. هناك كان يعتبر الغناء من دون انقطاع أو الجلوس في بقعة ما والتحديق إلى شخص من دون أن تطرف عيناك علامةً على التميز. حتى لو لم تكن تحاول بشكل خاصٍّ أن تلتقط بعينيك شخصًا يفعل شيئًا غير عادي، فسوف يلفت انتباهك أحدُهم في نهاية المطاف. بمظهري العادي، شعرتُ كما لو أنني وحيدة دائمًا. كل شيء يقولونه بَدَا لي أشبه بِلُغةٍ أجنبية من بلاد بعيدة جدًّا. لكن لم يكن ذلك هو دافعي الوحيد كي أقرِّر أخذَ أذن بالتغيُّب عن الجامعة. حينها، كنتُ دائمًا الغريبة الأطوار أينما تواجَدتُ.

ذات يوم اختفى أحدُ زملاء فصلنا الذكور. كان شخصًا ودودًا يدعوه الجميع بـ "دوَّاسة"؛ لأنه يمشي بنشاطٍ جعله يبدو دائمًا كأنه يُركِّب دواسة في ساقيه. في آخر يوم قبل انقطاعه عن القدوم إلى الجامعة، أتى إليَّ مهرولًا حيث أجلس على مقعد خشبي. أخبرني أن أخاه الأصغر في المدينة وأنه يحتاج إلى إرسال المال معه إلى القرية على الفور.

تمكَّـن مـن إقناعـي بـأن أمنحـه كل النقـود التـي كنـتُ أحملهـا معـي ذلـك اليـوم. أخـذ منـي حتَّـى كتـاب قصائـد -مجموعـة قصائـد إيميـلي ديكنسـون[1]- أهـداه إليَّ داهِـن، صديـق طفولتـي، عندمـا غـادَرتُ بلـدتي. لاحقًـا اكتشـفتُ أن "دواسـة" قـد اقـترض المـال وقلـم حـبر وكُتبًـا ومُفكِّـراتٍ مـن أكـثر مـن عـشر فتيـات أخريـات في اليـوم نفسـه، ثـم اختفـى مـن دون أثـر. اكتشـفنا بعـد فـوات الأوان أنـه لم يكـن حتـى طالبًـا مُسـجَّلًا في الجامعـة. بينـما ينفجـر زمـلائي في الفصـل غضبًـا، قائلـين إنـه لا يمكـن تصديـق أنـه كان يحـضر المحـاضرات معنـا لعـدَّة شـهور وهـو غـير مُقيَّـد في الجامعـة، وأنـه ينبغـي عليهـم فعـل شيء حيـال الأمـر، غـادرتُ لأقـدِّم عـلى إجـازة غيـاب.

في الليلـة التـي أهـداني فيهـا داهِـن كِتـابَ القصائـد، ظهـر أمـام بوابـة منزلنـا الأماميـة ونـادى عـلى اسـمي. تسـلَّلنا عـبر الأزِقَّـة المعتمـة لبلدتنـا حيـث تركنـا مئـات الآلاف مـن آثـار أقدامنـا في الوحـل، ومشـينا إلى حقـلٍ مفتـوح عـلى حافـة البلـدة. جلسـنا بجـوار بعضنـا البعـض إلى جانـب قضبـان السـكة الحديديـة. قَرقَـرَ مُحـرِّكُ قطـار اندفـع ليتجاوزنـا. وَمَـضَ الضـوء المنبعـث مـن كل عربـة مـن عربـات القطـار. لـولا قرقـرة المحـرك، لظَنَنَّـا أنهـا مجـرد نوافـذ مضيئـة تتسـابق في الظـلام. "يجـب علينـا أن نذهـب إلى الجامعـة" بـدا داهِـن كأنـه يقطـع عهـدًا عـلى نفسـه.

كنتُ مُتفاجِئةً للغاية كي أردَّ عليه.

"سـوف أصبـح فنَّانًـا" قـال. شـعرت أننـي سـأنفجر. هَـبَّ نسـيم الليـل تجاهنـا فـوق الحقـل، وبـدا أنـه يحمـل أمانينـا معـه، ويرحـل أمـام أعيننـا إلى زمـن بعيـد. عندمـا افترقنـا تلـك الليلـة، ناولنـي كتـاب قصائـد بغـلاف

(1) إيميـلي ديكنسـون (1830- 1886): شـاعرة أمريكيـة لم تتلـقَّ أي تقديـر أدبيٍّ خـلال حياتهـا، لكنهـا حظيـت بشُـهرَةٍ طاغيـة بعـد مَماتهـا. تُعتَـبُر أهـم شـاعرة أمريكيـة في القـرن التاسـع عشر.

ورقـيٌّ. قـال إنـه انتهـى للتـو مـن قراءتـه وأنـه يهديـه إليَّ. كان الظـلام شـديدًا لأتمكَّـن مـن قـراءة العنـوان.

"قالـوا إنهـا عندمـا ماتـت، تركـت أكـثر مـن سـبعمائة قصيـدة مُخبَّـأة في درج" قـال. "نُـشِرَت أول مجموعـة قصائـد لهـا بعـد أربـع سـنوات مـن موتهـا".

"مَن هي؟".

"إيميلي ديكنسون".

" إي-مـي-لي دي-كن-سـون". حتـى بعـد أن نطـق مقاطـع اسـمها كلًّا عـلى حِـدَة، لم أتعـرَّف عـلى اسـمها أيضًـا. عـرف داهِـن دائمًـا منـذ عمـر صغـير مـا أراد فِعلَـه. كان يفكـر بعمـق في الأشـياء، ويتـصرَّف بشـكل مختلـف عـن أقرانـه. كان يقـرأ كتبًـا مختلفـة ويمتلـك أشـياء مختلفـة ولديـه طريقـة مختلفـة في الحديـث.

"تبدو كأنها ترى أشياء ليست من هذا العالم" قال داهِن.

"ليست من هذا العالم؟".

"أشياء لا يمكننا رؤيتها. مثل الموت مثلًا... وغيره".

كانـت أول مـرة أسـمع فيهـا أحدهـم في مثـل سِـنِّي يتحـدَّث عـن الموت أو أشـياء "ليسـت مـن هـذا العـالم". ربمَّـا لهـذا بـدا داهِـن دائمًـا كأنـه أكـبر مـن عمـره الحقيقـي بعـدَّة سـنوات. عندمـا أعـود إلى البيـت وأفتـح أول صفحـة مـن الكتـاب، كان أول مـا رأيتـه هـو كتابـة بخـطِّ يَـدِ داهِـن.

بَـدأتُ في المـشي بنعومَـةٍ.. البـشر المسـاكين لا يجـب أن يُزعَجـوا عندمـا يسـتغرقون في التفكـير.

رينيه ماريا ريلكه (مُفكِّرات لوريدس بريجي)[1]

(1) مذكَّـرات مالتـي لوريـدس بريجـي: مـن أهـم الأعـمال النثريـة للشـاعر الألمـاني رينيـه ماريـا

أعجبتُ بخَطِّ يد داهِن. بدا أشبهَ بالخربشة، لكن طريقته في الكتابة مُفعَمَة بالنشاط، لدرجة ذكَّرتني بحوافر حصان سباق عدو. تأمَّلتُ المقولة وأدرَكتُ أنها وداع. وضعت الكتاب في قاع حقيبتي.

لأنني لم أستطع التوقُّف من أجل الموت،
توقَّفَ الموتُ من أجلي بلُطفٍ.
وهكذا لم تحمل العَرَبةُ سوانا والخلود.

عندما أقرأ شِعرَ ديكنسون؛ أتصوَّر وجه أمي. أردت أن أتذوَّق القصائد؛ لذا رُحتُ أقرؤها ببطء، وأعيد قراءة كل قصيدة عدَّةَ مرَّات. عندما فرغت من الكتاب، ركبت على متن أول قطار أنفاق إلى متجر كُتُبٍ ضخم في شارع جونجنو، متشبِّثة بالطَّوق طوال الوقت كيلا أتمايل. أول كتاب أشتريه في هذه المدينة كان مذكَّرات لوريدس بريجي من دون أن أمتلك أدنى فكرة عن محتواه. اخترته لأنه كان العنوانَ الذي كتبه داهِن بخط يده في الكتاب. على متن قطار العودة، فتحت الصفحة الأولى.

هنا، إذًا، حيث أتى الناس ليعيشوا.

بينما أحدِّق ببلاهة إلى العبارة الأولى، انحدَرَت دَمعَةٌ يتيمة من عيني، دمعة أبَت أن تخرج من عيني حتى حين غادرت المنزل إلى

ريلكه، وتُعَدُّ الرواية الوحيدة التي كتبها ريلكه، عام 1910، أثناء تواجُدِه في باريس، وهي تُعتَبَرُ سيرة شِبه ذاتيّة.

المدينـة. هـل أنـا أيضًـا أحـد هـؤلاء الذيـن أتـوا ليعيشـوا؟ هـذه المدينـة لم تكـن رحيمـةً معـي. بهـا مبـانٍ شـاهِقَةٌ، وبيـوت عديـدة، وعـددٌ لا حـصر لـه مـن النـاس، لكـن لا أحـد يُحيِّينـي بامتنـان أو يمسـك بيـدي. الكثير جدًّا مـن الشـوارع الواسـعة والضيقـة، والتـي كانـت تجعلنـي أضـلُّ طريقـي عـلى نحـوٍ مُتكـرِّر. ولم يكـن لـديَّ بـدوري أي نيَّـة للتَّعـرُّف عـلى النـاس في هـذه المدينـة. تعـوَّدت عـلى عـدم إلقـاء التحيـة عـلى النـاس حـين أقابلهـم. كنـت أتـصرَّف كمُغتَرِبَـة شـابَّة.

كانـت ابنـة عمـي التـي عِشـتُ معهـا في المدينـة وصيَّتـي القانونيـة حتـى انتهـائي مـن المدرسـة الثانويـة. تزوَّجَـت قُـربَ الوقـت الـذي بَـدَأتُ فيـه الجامعـة. عنـد زواجهـا، كان مـن المنطقـي أن أنتقـل للعيـش خـارج بيتهـا، لكـن مـا كان لـديَّ مـكانٌ آخـر للذهـاب إليـه. عـلى الرغـم مـن أن أمـي أرسـلتني بعيـدًا عنهـا، لكنهـا لم تُـرِدْ أن أعيـش بمفـردي. مكَثـتُ مـع ابنـة عمـي كي أُطَمـئِنَ أمِّـي التـي كانـت لا تـزال تصـارع مرضهـا. لكـن بمجـرد أن ماتـت، أضحـى مكـوثي هنـاك أصعـب بالنسـبة إليَّ. كان زوجهـا طيَّـارًا، وهـو مـا عنـى أنـه كان غائبًـا عـادة في رحـلات طويلـة إلى أماكـن مثـل باريـس ولنـدن، لكـن لم يكـن غائبًـا طـوال الوقـت، ولم أرغـب في أن أكـون دخيلـةً. كنـت لأفضِّـل البقـاء مـع أمـي حتـى لـو لفـترة قصـيرة قبـل بدايـة الجامعـة، لكنهـا رفضـت السـماح لي بذلـك. في ذلـك الوقـت لم تتبـقَّ خُصلَـةُ شَـعرٍ واحـدة في رأس أمـي.

السَّـطر الثـاني في مذكَّـرات لوريـدس بريجـي "لكنِّـي فكَّـرتُ فيـه أكـثر كمـكانٍ أمـوت فيـه". كان يـتردَّد في رأسي عندمـا قدَّمـت عـلى إجـازة التَّغيُّـب مـن الجامعـة، ولم يكـن قـد انتهـى الفصـل الـدراسي الأول بعـد. لم أكـن أمتلـك أصدقـاء؛ لـذا لم يكـن هنالـك أحـدٌ لأودِّعـه قبـل أن أعـود إلى بيـت والِـدَيَّ في الريـف. عندمـا انتقلـتُ مـن شـقة ابنـة عمـي، حَدَجتنـي بنظـرةٍ أسَـفٍ، وسـألتني إذا كان يجـب عـليَّ حقًّـا أن أرحـل.

"آسفة،" قُلتُ. لم تكن الطريقة المُثلَى للإجابة على سؤالها.

"آسفة؟ آسفة على ماذا؟".

" كل شيء". عَنَيتُ ما قُلتُه. شعرت بالأسف بشكل خاصٍّ تجاه ابنة عمي. كنتُ آسِفَةً لأنني لم أبتسم أكثر، لأنني لصقت ورقًا أسود فوق نافذة في بيت عروسين جديدين، لأنني لم أكن أكثرَ لُطفًا. كنتُ آسِفَةً لأنني أجبرتها على الاعتناء بي بعد موت أمي. كنتُ ألاحظ الشفقة التي تُومض في عينيها كلَّما نَظَرَت إليَّ. عشنا معًا أكثر من أربع سنوات. ألَحَّت عليَّ أن أبقى، وأخبرتني أن أعيد التفكير في الأمر. أخبرتها أنني قد حَسَمتُ قراري بالفعل. سألَتني ثانيةً إذا كان ثَمَّة احتمالٌ أن أُغيِّر رأيي فهَزَزتُ رأسي بـ "لا". عانَقَتني عناقًا طويلًا، وقد اعترت وجهها نظرةُ حزن.

" عودي في أي وقت إذا باتت الأمور صعبة".

فاحت من جسد ابنة عمي رائحة طازجة لعروس جديدة. رائحتها أشبه برائحة فراولة أو أوراق شجر أو خوخ. عندما التقطت أنفي تلك الرائحة الحلوة، عرفتُ أنني قد اتَّخذتُ القرار الصحيح، فعلى الرغم أنني قد شَغَلتُ فقط حُجرةً واحدة صغيرة داخل الشقة، كان لا يزال مَنزِلَ عروسَيْن جديدين. التفكير في تغطية نوافذ الحجرة بالأسود، وإرغامي لهما على التفكير قبل أن يَضحَكَا أو يبتسما من حولي. التفكير أن ابنة عمي لم تعبس في وجهي أبدًا ولو مرَّةً واحدة؛ كل ذلك كان يؤكِّد لي أن وقت رحيلي قد أزف. ذات مرة سألني زوجها "أليست الحجرة مُظلِمَة جدًّا؟"، فقُلتُ له إنها تُناسِبُني هكذا. لم يذكر الأمر ثانية.

كان العام الذي قضيته في منزل العائلة بالريف باهتًا ومُمِلًّا. كان داهِن قد غادر بدوره إلى الجامعة، وكان يعيش في مدينة أخرى، ولم يتغيَّر روتين أبي اليومي، سواء كنتُ هناك أم لا. تَبَدَّلَت الفصول:

تفتَّحَت براعم جديدة، وعبرت أعاصير، واكتَنَزَت ثمار الكاكي، وسقطت أمطار غزيرة. في خلال سنة، أصبح ظَهرُ أبي أكثرَ انحناء، وتحوَّل إلى رجُلٍ مُسنٍّ. كان قد تعوَّد على الاعتناء بنفسه أثناء مرض أمي الطويل؛ لذا لم تكن الأمور أصعب عليه بعد رحيل أمي. مع هذا، شاخ بسرعة وبات كتومًا قليل الكلام. تساءَلتُ أحيانًا إذا كان وجودي يُشعره بعدم الارتياح. كنت أخلُدُ إلى النوم متأخِّرةً، وأجد صعوبة في الاستيقاظ في اليوم التالي. في أثناء ذلك، كان أول شيء يفعله كل صباح هو زيارة قبر أمي. كان يضع طبقةً جديدة من التربة فوق قبرها. استخرج حتى شجرة تمر حنَّة المفضَّلة إلى أمي التي كانت تنمو في فناء بيتنا، وأعاد زراعتها قرب قبرها. رافَقتُه مرَّاتٍ قليلة، لكن كنت أتجنَّب الذهاب معه عادةً.

بينما أسير وراء أبي في الطريق إلى ضريح أمي، كان يبدو كبيتٍ مُتداعٍ؛ لهذا رتَّبتُ أن تكون زياراتي إلى قبر أمي في منتصف اليوم أو عند غروب الشمس. بتلك الطريقة، لم يكن هنالك أي فرصة لأن أُصادِفَه. لم تكن أمي خائِفةً من أن تموت، بل كانت آسِفةً.

أمطرت بشكلٍ متواصل لعدَّة أيام، ثم توقَّف المطر. عند توقُّفه، حدث شيئان.

عاد أبي من البلدة ذات يوم، وخلع قميصه وقذفه فوق الشرفة، ثم بينما لا يرتدي سوى قميصٍ تحتيٍّ بلا أكمام، التقط جاروفًا وغادر ثانية عبر البوابة الأمامية. كانت قد سقطت من القميص الذي ألقاه أبي، علبة سجائر. أمسكت بالسجائر وعثرت على قدَّاحَةٍ، وذهبت خلف البيت. انتشرت أوراق القلقاس، واليقطين في الباحة الخلفية. جلست القرفصاء وتأمَّلتُ أوراق القلقاس الخضراء التي باتت مفرودةً بعد المطر. أخرجت سيجارة من العلبة ووضعتها في فمي. أشعلت القدَّاحة ورفعتها نحو السيجارة. استمررت في الالتفات حولي بعصبية

خشيةَ أن يلمحني أحدُهم، لكن ظهر أبي إذ فجأةً من خلفي. لم يكن هنالك وقتٌ لإخفاء ما كنتُ أفعله. التقت عينا أبي بعينيَّ تمامًا كما لامس اللهب السيجارة. تسمَّر في مكانه ورمقني بنظراته للحظة ثم التفت ومشى بعيدًا من دون أن ينطق بكلمة. جهَّزتُ نفسي لتوبيخ لاذع. فكَّرتُ حتى أننا لو تجادلنا، فقد يكسر ذلك الصمت والعُزلة اللذين شَيَّدا حاجزًا ثقيلًا بين أب وابنته. لكن لدهشتي، لم يَقُل أبي أي كلمة على مائدة العشاء. فكَّرتُ أن رؤيته لي أشعل سيجارة كان أمرًا مؤلمًا وأنه اختار أن يتظاهر بأنه لم يَرَ أيَّ شيء بدلًا من مواجهتي. تنامى غضب غريب بداخلي. أردت منه أن يوبِّخني. بتلك الطريقة، يمكنني أن أدخِّن من دون الشعور بالندم. بدأت أنظف المائدة بعد العشاء لكنه سألني -إذ فجأةً- إذا كنتُ أرغب في طلاء أظافري.

"طلاء أظافري؟".

"لا أعلم إذا كنتِ تتذكَّرين ذلك، لكن ذات مرَّة -حين كنتِ صغيرةً- طَلَيتُ أظافِركِ بزهور البلسم".

هل فعَلَ ذلك؟ نظَرتُ إلى أسفل نحو يديَّ اللَّتَيْن تُمسكان بصينية العشاء.

"عندما اكتَشَفتِ الطلاء البرتقالي على أصابعكِ في الصباح، صرختِ، (أظافري تنزف!)، ثم رَكَضتِ إلى البئر ووَضَعتِ يديكِ في المياه الباردة. كنتِ صغيرة جدًّا...".

في ليالي الصيف، حين كانت أمي مريضة، كان أبي يسحق بتلات البلسم ويضعها على أظافرها، ثم يلفُّها بالمشمع ويُثبِّته بخيط. طلبت أمي منه أن يفعل ذلك من أجلها. قال إنه تساءل إذا كان البلسم هو السبب أن المخدِّر لم يعمل بشكل جيِّد خلال جراحتها. بعد أن نظَّفتُ مائدة العشاء، راقَبتُه وهو يضع أزهار البلسم المسحوقة

فـوق أظافـري. سـألته بصـوت خافـت "هـل طـلاء الأظافـر بالبلسـم يمنـع التخديـر مـن العمـل حقًّـا يـا بابـا؟".

غمغم "لست متأكِّدًا".

عندمـا تذكَّـرتُ أمـي، فكَّـرتُ، أنـا آسـفة يـا ماما، لـن أُدخِّـن ثانيـة يـا ماما.

في تلـك الليلـة ربطـت خيطًـا حـول أظافـر أصابعـي، وذهبـت مـع داهِـن إلى الحقـل عنـد حـدود البلـدة. عـاد داهِـن إلى القريـة في زيـارة مـن المدينـة الجنوبيـة حيـث جامعتـه. مَشَـينا فـوق قضبـان السـكة الحديديـة في الظـلام.

منـذ انتقالـه جنوبًـا مـن أجـل الجامعـة، أضحـى داهِـن كتومًـا مثـل أبي، وبـدت جبهتـه مقطَّبَـةٌ طـوال الوقـت. ذقنـه غـير حليقـة، ويرفـض أن يبتسـم كـما لـو كان قـد اتَّخـذ قـرارًا ألَّا يكـون لطيفًـا مـع أي أحـد. ولا حتـى أنـا.

"داهِـن" قلـتُ وأنـا أديـر كتفـه ليواجهنـي في الظـلام. كان يفصـل بيننا عَـددٌ لا نهـائي مـن قضبـان السـكة الحديـد السـوداء. "أترغـب في رؤيـة قـبر أمـي؟".

لم أعتقـد أنـه سـيوافق ببسـاطة هكـذا. أومـأ برأسـه في الحـال، وقـال إنـه سـيَمرُّ عـلى بيتـه أولًا ليُحـضِرَ كشَّـاف الـرأس الخـاص بـه.

"كشاف الرأس؟".

"أستَخدِمُه أثنـاء التمشـية ليـلًا أو في أي وقـت أخـرج فيـه للمـشي في وقـت متأخِّـر مـن الليـل".

"تعني ذلك الشيء الذي يستخدمه عُمَّالُ المناجم؟".

"تلـك خـوذة حقًّـا. كشـافي أصغـر حجـمًا. أجـد صعوبـة في النـوم؛ لـذا اسـتخدمه في مَهجَـعِ الطَّلَبَـة لأرسـم. لـو تركـت مصبـاح الحجـرة مُضـاءً،

فلـن يسـتطيع شريـكي في الحجـرة النـوم. أُبقـي الكشّـافَ في حقيبتـي دومًـا، وأسـتخدمه في الخـارج أيضًـا كـما ذكَـرتُ".

هــل قــال حقًّــا للتّــوّ أنــه يرتــدي كشــافَ رَأسٍ في منتصــف الليــل كي يرسـم؟ بـدا داهِـن الـذي يتحـدّث عـن الرسـم عـلى ضـوء كشـاف الـرأس لأنـه يعجـز عـن النـوم- شـخصًا غريبًـا بالنسـبة إليَّ. غادرنـا قضبـان السـكة الحديديـة ومشـينا إلى منزلـه في صمـت. تقاطـع ظِلّانـا عـلى الجـدار. انسـلَّ داهِـن إلى داخـل منزلـه وعـاد يحمـل كشـاف الـرأس. حـاول أن يثبتـه عـلى رأسي.

"لا، ارتَدِه أنتَ" قلتُ. "امشِ أمامي".

أشـعل داهِـن ضـوء الكشـاف. عندمـا ومـض الضـوء فـوق جبهتـه، بـدا شـخصًا مختلفًـا. شَـقَقنا طريقنـا عـبر حقـل قبـل أن نتوجَّـه إلى الجبـل حيـث دُفِنَـت أمـي.

"لقد أَحسَنتِ التَّعامُلَ مع الأمر".

"أي أمر؟".

"موت أُمِّكِ".

شـعرت بوخـزة مفاجئـة في صـدري فلَفَفـتُ إحـدى أصابعـي التـي لا تـزال مُحاطَـةً بخيـوط القطـن، حـول خنـصر داهِـن. بعـد مـوت أمـي، انقطعــت عــن القــراءة. اتّصلــت بي ابنــة عمــي وحاولــت أن تقنعنــي بالذهـاب إلى الكنيسـة، لكـن لم أرغـب في الاسـتماع إلى أي أحـد. لم أفعـل أي شيء طيلـة العـام. في الأيـام التـي كان المطـر ينهمـر فيهـا أو حـين أشـعر أننـي أشـبه بثمـرة بطاطـا قـد قُطِفـت مـن تعريشـتها، أذهـب إلى وسـط المدينـة وأنسـلُّ إلى داخـل قاعـة سـينما تعـرض فيلمـين متعاقِبَيْن، أغـوص في مقعـدي وأعـود إلى البيـت مبـاشرةً بعـد انتهـاء العـرض. أبقَيـتُ خاتـم أمـي -الـذي يتّخـذ شـكل لؤلـؤة أشـبه بدمعـة- في جيبـي طـوال الوقـت.

كنتُ أستيقظ مفزوعةً في منتصف قيلولة، وأدسُّ يدي بعُجالَةٍ داخل جيبي بحثًا عن الخاتم. أسترخي بمجرَّد أن تُلامِس إصبعي اللؤلؤة، لكن يشعرني ذلك أيضًا بالندم على الطريقة التي عامَلتُ بها أمي. ذات مرَّة بعد أن مرضت، دخلنا في مجادَلَةٍ، ورَفعتُ صوتي في وجهها. كنت أشعر بغضب ومرارة شديدين نحوها لدرجة أنني تخيَّلتُ أنني ميِّتة، وتصوَّرتُها تنظر إلى جُثَّتي بحزن لا يمكن مواساته. ذكَّرني الخاتم بذلك. لن أستطيع أن أتراجع عمَّا بدر مني في تلك اللحظة. شعرت بالحزن وكرهت نفسي لأنني تمنَّيتُ لها الألم ولو للحظة. لكن لم أستطع حمل نفسي على ارتداء الخاتم. بدا ارتداؤه اعترافًا بأنها ميتة، وكنتُ خائفة من الاعتراف بذلك.

عندما بَلَغنا قَدَمَ الجبل، انكمش داهِن إلى الوراء.

"ماذا هناك؟" سألته.

"عناكب".

كي نصل إلى القبر، علينا أن نسلك معبرًا جبليًّا، وبطول ذلك المعبَر المُظلِم، تبني العناكب شباكها في الهواء أو تنتظر حابِسَةً أنفاسها على الأرض تحت الأقدام أو زاحفة فوق الصخور.

"تخاف من العناكب؟".

اهتزَّ ضوء كشَّاف رأس داهِن لأعلى وأسفل في الظلام.

"تخيفني العناكب أكثر من شرطة مكافحة الشغب!".

لم أتمالك نفسي وقهقهت. رجلٌ بالغٌ يخاف من العناكب.

"لا تضحكي. تستخفِّين بها الآن لكن سوف تندمين. ألم تسمعي عن العناكب العملاقة آكِلَة الطيور التي هاجَمَت قرية في أستراليا؟".

"لا".



لم أسمع عن ذلك حقًّا. لكن منذ أن قرأت عن العناكب الصغيرة التي تتغذّى على جسم أمها بينما تكبر، أصبَحتُ عاجِزةً عن حب العناكب. كان الاستماع إلى أسماء العناكب التي تخرج من بين شفتي داهِن مدهشًا وغريبًا: العنكبوت الذئب، عنكبوت الرُّتَيلاء، عنكبوت السَّلطعون، عنكبوت الناسِك البُنِّيّ، عنكبوت سيدني قُمعيُّ الشَّبكَة.

"العناكب قمعية الشبكة هي الأقوى".

بمجرد أن يبدأ الحديث عن العناكب، لا يتوقَّف. أخبرني أن العناكب انحدَرَت من سلالة المفصليات ثلاثية الفصوص التي عاشت في العصر الكابري في الحقبة الياليوزية (حقبة الحياة القديمة)، وأن العناكب عاشت تحت الأرض لفترة طويلة جدًّا قبل أن تصعد فوق الأرض بدءًا من حقبة الحياة الوسطى حتى حقبة الحياة الحديثة. أضاف أن عدد سلالات العناكب قد ازداد باطِّرادٍ خلال تلك الفترة، والآن بات من الصعب استيعاب عدد سلالات العناكب الموجودة.

هل يتشارك الخوف والحبُّ الجذورَ نفسها؟ تساءَلتُ إذا كان داهِن يخاف حقًّا من العناكب. عرف داهِن كل شيء يمكن معرفته عن العناكب، بنفس الطريقة التي يهتم بها شخصٌ بشيء ما بعُمقٍ لأنه يحبه كثيرًا جدًّا.

"متى بدأتَ تخاف من العناكب؟" سألته.

"منذ وقت طويل".

"لكن كيف لم أعلم بذلك؟".

"ما كنتِ لتستطيعي معرفة ذلك".

"لماذا؟ هل كان سرًّا عظيمًا تحاول إخفاءه؟".

"لأنَّكِ لا تحبينني... لهذا لم تعرفي".

حدَّقتُ إليه بينما يمشي أمامي في الظلام رغم ذعره من مصادفة عنكبوت.

اصطَدمت بي كُلُّ كلمة تَفوَّه بها- لأنك لا تحبينني، كما تتساقط قطرات المطر من على أوراق الشجر.

"هل حدث شيء سيِّئ جعلك تخاف العناكب؟".

"لا، ليس حسب ما أتذكَّر".

"إذًا ما الأمر؟ لماذا العناكب من بين كل الأشياء؟".

"لماذا؟" أضَفتِ، "من بين كل الأشياء؛ بَعدُ العناكب؟". "هل سيكون الأمر مختلفًا لو قلتُ لك إنني أخاف من البوم أو السناجب؟".

يبدو أن حديثي عن العناكب قد أثار توتُّر داهِن، لكن كان لديه وجهة نظر.

"يجب أن تحاول التحديق إلى عنكبوت مباشرة وعيناك مفتوحتان عن آخرهما... ربما سوف تتغلَّب على خوفك".

"لقد جَرَّبتُ ذلك. أخبرني أحدهم أن كل ذلك كان في رأسي فقط، وأن عليَّ الذهاب إلى مُتحَف عناكب في نامیانججو، ومواجهة بعض العناكب الضَّخمة، وأن أنظر إليها مباشرة. لكن رؤية العناكب المُحنَّطَة فقط جعلني أشعر بحكَّةٍ تسري في جسدي كله، حتى الجلد تحت أظافر أصابع أقدامي. شعرت أن دمي يتدفَّق إلى الوراء، وأن جسدي كله يتورَّم كبثرةٍ كبيرة.

"الأمر بذلك السوء؟".

"إنه كذلك حقًّا".

حرَّرتُ إصبعي من إصبع داهِن ونظرت في عينيه مباشرة.

وقف ساكنًا في مكانه كرجُلٍ ينتظر حُكمًا ضدَّه. فتحت ذراعيَّ وعانَقتُه.

"لا تَخَفْ". كنت أقول تلك الكلمات لي أيضًا. "سنكون بخير. سنكون على ما يرام".

سقط ضوء كشّاف رأس داهِن الذي كان يمسح الأرض بحثًا عن العناكب، على وجهي.

"أيمكنني أن أقبّلَكِ؟".

لم أَقُل أي شيء. لامَسَت شفتا داهِن خدّي بِتَردُّد، ثم جبهتي. بعد لحظة، أدنا شفتيه من شفتيّ. كانتا دافئتَيْن وجميلتين.

"لم أفكر أنك ستكونين قُبلَتي الأولى" قال داهِن. لم أستطع منع نفسي من أن أضحك ضحكة قصيرة. كما لو أنني كان بإمكاني أن أعرف أيضًا أنه سيكون قُبلَتي الأولى، وأن قُبلتي الأولى ستكون في أجواء غير مثيرة للغاية. في مقابل سماء الليل، بدا هيكل الجبل أشبه بحيوان ضارٍ. ظِلُّه الأسود الذي يشبه وحشًا أسودَ ضخمًا يرقد على بطنه، وفمه مفتوح، يبتعد أكثر فأكثر. بينما نقترب من الجبل، بدأ الخوف يتسلّل إليّ. اقترَحتُ أن نعود من حيث أتينا. لكن على الرغم من ارتجافه خوفًا من العناكب التي ما كان ليعرف مكانها من دون كشّاف الرأس، كان مُصمِّمًا على أن نتابع طريقنا إلى قبر أمي. حلَّقت الطيور الليلية مُتنقِّلَةً من شجرة إلى أخرى، كما لو كان صوت جدالنا بين أن نعود أدراجنا وأن نمضي قُدُمًا قد أفزعها. كان داهِن منشغلًا جدًّا بتوجيه ضوء الكشاف صوب المَعبَر وفي الهواء ليتفقَّد العناكب، لدرجة أنه كان يجد صعوبة في تحريك قدميه. ظل يمشي إلى الأمام بينما يَصِفُ لي كيف تنهار ركبتاه لمرأى عنكبوتٍ، وكيف تسري بجسده رعشات باردة لمجرد مشاهدة عنكبوت في وَضَح النهار، حتى لو من على مبعدة. فكَّرتُ إذا كان خائفًا، فإن بإمكانه أن يتجنَّب النظر إليها فحسب. لماذا هذه الرغبة التي لا تُقهر في أن يطارد العناكب بكشاف رأسه؟ ماذا لو رأى واحدًا بالفعل؟ ربما كان

البحث عنها بأم عينيه هو طريقته للتعامُل مع خوفه. إذًا هذا هو الشخص الذي أتحوَّل إليه الآن، فكَّرتُ وقد عرفت شيئًا جديدًا عن داهِن. أخيرًا أرشدني داهِن عبر الظلام إلى قبر أمي، مُحارِبًا العناكب المُخيفة بطول الطريق.

"لقد وصلنا".

بمجرَّد أن وصلنا إلى القبر، أطلق داهِن تنهيدة عميقة. كانت تنهيدةَ بَهجَةِ شَخصٍ قد قهر خوفه.

"فَلنَنحَنِ" قال.

"في هذا الوقت من الليل؟".

"ألم نأتِ لِفِعل ذلك؟".

"لا" قلت.

أخبرته ألَّا يفعل، لكن داهِن انحنى على أية حال، وكشاف رأسه لا يزال في مكانه. عندما انتهى من ذلك، وجَّه ضوء الكشاف على شجرة التمر حنَّة وغمغم "إذًا هذا هو المكان حيث نقل والدِك الشجرة".

ذهب إلى الشجرة، وأخرج سيجارَةً وأشعلها. في أثناء ذلك انفكَّ الخيط الذي ربطتُه حول إصبعي. تساقط معجون زهور البلسم المسحوقة أمام القبر مرتطمًا بدويٍّ مكتوم. ومضت سيجارة داهِن في الظلام. لا بُدَّ أنه كان يَدعَكُ وجهه بيده والسيجارة لا تزال بين أصابعه؛ لأن جذوة السيجارة كانت تتراقص في العتمة كيرَاعَة. قبضت على حفنة من التُّربة أمام قبر أمي واعتصَرتُها في يدي ككُرَةٍ من الأرز ووضعتها في جيبي. ربما تلامس التربة الآن خاتمَ أمِّي في جيبي. اجتاحني إحساس بالفراغ جعلني أرغب في التشبُّث بأي شيء، فنظرت إلى داهِن حيث كان يتململ أسفل شجرة التمر حنَّة، والكشَّاف على رأسه والسيجارة في فمه، عاجزًا عن وضع قدمه في أي مكان بارتياح

خشية أن يكون هنالك عنكبوت أسفل الشجرة أيضًا. كِدتُ أن أسأله "هل تحبني؟ لو كنت قد سألته، فربما كنّا لنفترق عن بعضنا فراقًا لا رَجعةَ فيه. ابتلَعتُ كلماتي وحدّقتُ إلى قبر أمي. في تلك اللحظة أمام قبر أمي، قرّرتُ أن الوقت قد حان كي أعود إلى المدينة.

"يتظاهر الطلبة في جامعتي كلّ يوم" قال داهِن.

كوّرتُ المزيد من تربة قبر أمي في يدي ودَسَستُها داخل جيبي.

"لقد أبرحت أحدَ أصدقائي ضربًا" قال.

"فَعلتَ ذلك؟".

"كان شخصًا التقيته في سنتي الأولى في الجامعة. كان يحب الأكل. كان يمتلك تلك القدرة على جعل أي شيء يأكله حتى لو لم يكن طعامًا مميّزًا، يبدو كأنه أفضل طعام يتذوّقه في حياته كلها. مجرّد مشاهدته تجعلك تجوعين بدورك. أقمنا حفلة وداع من أجله لأنه قال إنه سينضم إلى الجيش، لكن انتهى به الحال ملتحقًا بقوات مكافحة الشغب. أرسلوه إلى جامعتنا لقمع مظاهرة. صُدفَة عجيبة، أليس كذلك؟ أن يُرسَلَ إلى جامعته من بين كل الأماكن... كلما مشيت أمام حرس مكافحة الشغب، رأيته يقف هناك، يتصبّب عرقًا في الشمس الحارقة. رأيته عدّةَ مَرّات يجلس على الأرض بجوار حافلة الشرطة، حافلة بنوافذ مُسَيَّجَة بأسلاك شائكة، بينما يحشو كمية كبيرة من الأرز داخل فمه. في كل مرّةٍ أفكر فيها في الطريقة التي يتناول بها الطعام بِنَهَمٍ شديد، يتنامى بداخلي شعور ما. ثم ذات يوم، كان ورفقاؤه يطاردون بعض الطلاب حين سقطَ على الأرض. كنتُ أنا وهو فقط. لا أعرف لماذا فعلتُ ذلك. حين رأيته يسقط ويتخلّف عن رفقائه، لحقتُ به. دار ليواجهني. تعرّفَ عَليّ. لم يبتسم أيٌّ منّا. تَصارَعنا- لا أعرف مَن بادر بذلك، وبدأنا تبادُل اللكمات، في البطن والأطراف بشكل أعمى... حاول الركض عائدًا لمجموعته، لكني لحقت

بـه وجَثَـوتُ فوقـه، ومنعتـه مـن الذهـاب إلى أي مـكان، وأوسـعته ضربًـا ثانيـة".

"لماذا فعلتَ شيئًا كهذا؟".

"لا أعرف. شعرتُ أنني قد جُنِنتُ. لم أستطع تَحمُّلَ الأمر".

"تحمل ماذا؟".

" نفسي.. نحن.. موقفي.. أعني موقفنا".

استَمعتُ إليه بهدوء.

"فقـط لأننـي مَـن هاجمـه، لا يعنـي أننـي كنـتُ الوحيـد الـذي يكيـل الضربـات. ضُرِبـتُ بـدَوري. لكمنـي في رأسي، وتسـبَّبَ في اسـوداد عينـي. حـاول دفعـي بعيـدًا عنـه لكننـي لم أسـمح لـه بالفـرار. طاردتـه ثـم طاردني هـو ثـم طاردتـه أنـا ثانيـة. كان كل شيء ضبابيًّـا. كل مـا تبقَّـى بداخـلي هـو رغبـة في التدمـير. كل مـرة حـاول فيهـا الفـرار، كنـتُ ألحـق بـه كي أضربـه مُجـدَّدًا. لم أسـتطع التوقُّـفَ. عندمـا عُـدتُ إلى رشـدي، كنـتُ أرقـد في حجـرة مَهجَـعِ الجامعـة. لا بُـدَّ أن شـخصًا مـا قـد حملنـي إلى هنـاك ".

أرَدتُ أن أقول له شيئًا لكن لم أستطع التفكير في أي شيء كي أقوله.

"لا أسـتطيع النـوم. لا أسـتطيع فِعـلَ أي شيء". بـات صوتـه خفيضًـا جـدًّا، بالـكاد أسـتطيع سـماعه.

"كُنتُ أفكِّر في ترك الجامعة والالتحاق بالجيش".

لم يكـن هنالـك أي شيء يمكننـي فعلـه كي أجعلـه يشـعر شـعورًا أفضـل. لا شيء سـوى الذهـاب إليـه وإمسـاك يـده، ومَرجَحَتهـا في الظـلام إلى الأمـام والخلف.

***

عندمـا أخـبرت أبي أنني سـوف أعـود إلى الجامعـة، أعطـاني دفترَيْـن بنكيَّيْن تَرَكَتهُـما أمِّـي مـن أجـلي. أحدهـما يحـوي مـالَ بوليصَـةِ تأمـينِ أُمِّـي عـلى حياتهـا، والآخـر كان لحسـابٍ بنـكيٍّ كانـت تحتفـظ بـه أمـي قبـل مرضهـا. أخـبرني أن أعـثر عـلى مـكان خـاص بي لأعيـش فيـه في المدينـة. كان اسـمي مطبوعًـا داخـل دفـتري البنـك. فتحـت الدفـتر البنـكي الثـاني. بداخلـه قائمـة بالمـال الـذي ادَّخَرَتـه أمـي قبـل أن تمـرض. كانـت تُـودِعُ مبلغًـا ضئيلًا مـن المـال كل يـوم دون انقطـاع. كيـف لم يـصرف أبي أي شيء مـن ذلـك المـال؟ حاوَلـتُ أن أعيـد إليـه مـال بوليصـة التأمـين عـلى الحيـاة لكنـه أصرَّ أن أمـي أرادت أن أحصـل أنـا عليـه. قـال: "أنـتِ بالغـة الآن؛ لـذا عليـكِ أن تعتنـي بنفسـكِ". بينـما أحـزم أغـراضي للعـودة إلى المدينـة، وضعـت دفـتَرَيْ البنـك في قـاع حقيبتـي. أخرَجتُهـا عـدَّةَ مَـرَّاتٍ عـلى مـتن القطـار، وحاولـت أن أحسـب مقـدار المـال الـذي كانـت تُودِعُـه كُلَّ يـوم. في بعـض الأيـام، كانـت تـودع عـشرة آلاف وون، وفي أيـام أخـرى ثلاثـين ألـف وون، وأحيانًـا ثمانـين ألـف وون... ثـم ذات يـوم، لا بُـدَّ أن شـيئًا قـد حـدث؛ فقـد أودَعَـت مائتـي ألـف وون دفعـة واحـدة.

سَـحَبتُ بعـض النقـود، واسـتأجرت حجـرة اسـتوديو -كوخًـا بالأحـرى- فـوق سـطح بنايـة، في ضاحيـة فـوق تَـلٍّ قُـربَ شـقَّة ابنـة عمـي. أول شيء أخرجتـه مـن الحقيبـة كانـت التربـة التـي أخذتهـا مـن قـبر أمـي، لا تـزال مُتماسِـكَةً معًـا ككُـرَةِ أُرز. ارتديـت حـذاء رياضيًـا ومشـيت إلى متجـر الكتـب في شـارع جونجنـو لأشـتري نسـخة مـن شِـعرِ إميـلي ديكنسـون، وأطلـس يحـوي خرائـط مفصَّلَـةً للمدينـة، في طريـق عـودتي، مَـرَرتُ عـلى دكَّان زهـور، واشـتريتُ أصيـصَ زهـور. وَضَعـتُ التُّربَـة مـن قـبر أمـي في الأصيـص وفتحـت الأطلـس.

بعد عودتي إلى هذه المدينة بعد مرور سنة، قرّرتُ أن الوقت قد حان كي أتعرّف عليها. كي أفعل ذلك؛ قرّرتُ أن استكشف كل ركن فيها على قدميّ.

***

مُذكّرات ميونجسو

المُفكّرة البُنّيّة "1"

-1-

لم أذهب إلى الجامعة منذ أيام. سجّلتُ اسمي في عدّة فصول، لكن لم أشعر برغبة في الذهاب إلا إلى محاضرة الأستاذ يون. لا تزال الجامعة مسرحَ شَغبٍ. وصلتُ هناك مبكّرًا نصف ساعة كي أتمكّن من المرور على متجر الكتب. لم أمُرَّ عليه منذ مدة طويلة. بدا الرجل الذي يعمل هناك سعيدًا لرؤيتي، "لا تزال أعزبَ، أليس كذلك؟". أيظهر عليَّ حقًّا أنني لا أمتلك حبيبة؟ سألته كيف يمكنه معرفة إذا كنتُ أُواعِدُ أحدهم أم لا.

"وَجهُكَ يَفضَحُكَ!" قال.

"اعذُرْني؟!".

"يمكنني أن أعرف بمجرّد النظر إلى وجهِكَ أنه قد مضى وقت طويل على آخر قُبلَة لك".

صفعني على ظهري برقّة. طُفتُ ببصري عبر أكوام الكتب الدراسية، والمجلات والكتب الجديدة، لكن انتهى بي الأمر أشتري مفكّرَةَ اليوميّات البُنّيّة الصغيرة ذات الغلاف الجلدي التي أكتب فيها الآن. أحب لونها وملمسها في يدي. سوف استخدمها لأدوّن أفكاري وأحداث يومي. أفكر أنها ستضيع مني في النهاية. لقد نسيت حقيبتي في قطار الأنفاق من قبل. في مرّةٍ أخرى، خَلَعتُ حذائي الرياضي في حانة ونسيته هناك تحت المائدة. لقد فقَدت كلّ المذكرات التي ملأتها بالخرابيش في المدرسة الثانوية. بدا كأن كل أفكاري ومشاعري التي دوّنتها قد ضاعت مع المذكّرات التي احتوتها. لكنّني جمعت شتات نفسي وقررت أن أشرع في الكتابة ثانية. أردت أن أمنح يومياتي عنوانًا لأخلد هذا الحدث. فكّرتُ في تسميتها "مذكّرات سا". "سا" تعني "جديد"، ويمكن أن تعني "بين" وكذلك "طائر". طائر يُحلّق بحرية في الجنة... مذكرات طائر؟ يبدو الاسم غريبًا. "مذكّرات الرياح؟". "مذكّرات الربيع؟". "برهان الوجود؟". قضيت ساعتين أفكّر مَليًّا في أسماء مختلفة قبل أن أستقرَّ على اسم. "المُفكّرَة البُنّيّة" لأن الغلاف بُنّيٌّ. أعرف أنه اختيار مُمِلٌّ. لماذا أكتب هذا حتى؟ لا أمتلك أي فكرة. لكن أتمنّى فقط أن ما سأكتبه هنا، مُقارَنَةً بيوميّاتي السابقة، سيكون دليلًا على نُضجي ونُموّي الفكري.

***

-2-

أخـذت حصصًـا خاصَّـةً في التصويـر الفوتوغـرافي في المدرسـة الثانويـة. عـثرت ذات يـوم عـلى كتـاب لـرولان بـارت[1]، كتـب فيـه:

"الكتابة تتطوَّر مثل بذرة".

كان الأمـرُ أشـبَهَ بمصادفـة نافـذة مفتوحـة عـلى عـالم جديـد. لاحقًـا، اكتَشَـفتُ أن بـارت قـد كتـب عـن التصويـر الفوتوغـرافي أيضًـا. قـرَأتُ كتابـه" الغُرفَـة المضيئـة، تأمُّـلات في الفوتوغرافيـا"؛ وهـو مـا جعلنـي أرغـب في البـدء بالتقـاط الصـور. امتلـك أبي كامـيرا، لكـن لم أره يسـتخدمها يومًـا. كان يُخرجهـا مـرَّةً كُلَّ فـترة ويلمسـها بيـده ويتحـدَّث كيـف أنـه لـو لم يـترك جَـدِّي الحـمامَ العمومـي لـه ليديـره، لـكان قـد صـار مُصـوِّرًا وطـاف العـالم. أرَدتُ أن أُجـرِّب كامـيرا أبي بنفـسي. لكـن عندمـا التحقـت بفصـل التصويـر، لم يكـن هنالـك شيء لأتعلَّمـه. لم يكـن أيُّ أحـدٍ هنـاك قـد سـمع بالسـتوديوم أو البونكتـوم[2]، وهـما مصطلحـان قـد التقطتهـما مـن قـراءة بـارت. لم يسـمعوا حتـى باسـم بـارت مـن قبـل. مَلَلـتُ مـن نـادي التصويـر. ذات يـوم، كان المعلِّـم يـشرح كيفيـة التقـاط البوتريهـات. كنـتُ عَصبيًـا، ولم أسـتطع تَحَمُّـلَ الأمـر أكـثر مـن هـذا. حاوَلـتُ أن أتسـلَّل خـارج الفصـل مـن دون أن يلاحظنـي أحـدٌ، لكـنَّ المعلِّـم صرخ باسـمي وأوقَفَنـي.

"لي ميونجسـو! أين تظنُّ أنك ذاهب؟".

---

(1) رولان بـارت (1915- 1980): فيلسـوفٌ وناقـد أدبي ومُنَظِّـرٌ اجتماعـيٌ فرنـسي ينتمـي لتيَّـار مـا بعـد الحداثـة.

(2) السـتوديوم: هـو الاسـتقبالُ والتأويـل اللغـوي والمعـرفي للصـورة، بينـما البونكتـوم هـو الاسـتقبال والتأثُّـر الشـخصي بالصـورة (صـدرت ترجمـة عربيـة لكتـاب الغُرفَـة المضيئـة- تأمُّـلات في الفوتوغرافيـا، عـن المركـز القومـي للترجمـة، سـنة 2010، بترجمـة هالـة النمـر).

أخبرتُه أنني يجب أن أذهب إلى الطبيب.

قال: "ما الخطب؟".

لم أكـن مريضًـا حقًّـا، ولم يكـن عـليَّ الذهـاب فعـلًا. رغبـت فقـط في مغـادرة المـكان.

"قلتُ ما الخطب؟" صاح المعلِّمُ من جديد.

لم أعرف ماذا أقول. تردَّدتُ، ثُمَّ اندفعت قائلًا، "قلبي مُحطَّم".

حتـى أنـا صُدِمـتُ كيـف بَـدَوتُ فَجًّـا. فكَّـرتُ أننـي سـأصبح الآن أضحوكـة. سـوف يجعلنـي أركـض حـول مضـمار السـباق عـشر أو ربمـا عشريـن مـرَّة كعقـاب. يـدرِّس مُعلِّـم التصويـر الفوتوغـرافي مـادة العلـوم أيضًـا. كلـما عصـاه طالـبٌ في الفصـل، يجعلـه يزحـف عـلى بطنـه أو يضربه بالعـصى أو يجعلـه يركـض حـول مضـمار السـباق في الشـمس الحارقـة حتـى يسـقط مـن الإنهـاك. استَسـلَمتُ لحقيقـة أننـي سـأُعاقب، لكـن رِدَّة فعـل المعلـم فاجأتنـي.

" قَلبُـكَ مُحطَّـم؟" حَـدَّق إليَّ بذهـولٍ مـن خـلال نظَّاراتـه. "مـن الأفضـل أن تُـسرِعَ إذًا. ولا تتأخَّـرْ عـلى الحصـة القادمـة".

***

-3-

غـادَرتُ حـرم المدرسـة وتسـلَّقتُ التـل خلفهـا. هنـاك، رقـدت فـوق قـبرٍ بـدا ألَّا مالِـكَ لـه، وحدَّقـتُ إلى سـحابة بيضـاء رقيقـة تطفـو في السـماء مثـل جزيـرة قبـل أن أتوجَّـه في النهايـة عائـدًا إلى حصـة الفوتوغرافيـا. بعـد ذلـك اليـوم، لم أفـوِّت حصَّـةً واحـدة. أصبَحـتُ حتـى مهتـمًّا أكـثر بمـادَّة العلـوم التـي لم أُؤَدِّ فيهـا جيـدًا مـن قبـل أبـدًا. إذا لم أصعـد إلى القـبر فـوق

التـل خلـف المدرسـة وتأمَّلـتُ السـحابة ترتحـل في السـماء، فربمـا كنـتُ لأعيـد الكامـيرا إلى أبي وأتوقَّـف عـن تَعَلُّـم التصويـر.

***

-4-

مظاهرات عارِمة اليوم.

ذهَبـتُ هـذا الصبـاح لألقـي الجريـدة في الخـارج، لكـن لفَتَـت انتباهـي صـورة بعـض الـكلاب ففتحـت الجريـدة ثانيـة. كانـت قصـة عـن كلبـين منبوذَيْـن. أحـد الكلبـين أعمـى. أينـما ذهبـا، كان الكلـب سـليم النظـر يقبـع بجانـب الكلـب الأعمـى مبـاشرة ليحميـه. عندمـا يعـبران شـارعًا أو يتوقَّفـان لـشرب المـاء، يقـف الكلـب البصـير يراقـب، بينـما يـشرع الكلـب الأعمـى في العبـور أو الـشرب. تذكُـرُ المقالـة أن الكلبـين قـد شـوهِدا حتـى وكلٌّ منهـما يسـتند برأسـه إلى رأس الآخـر أو بطنـه عندمـا يعتريهـما التعب. حـين يتوقَّـف الكلـب الأعمـى عـن السـير، يتوقَّـف الكلـب البصـير أيضًـا.

أكان ذلك نتاج تدريب أم محض غريزة؟

علميًّا لا يمكـن لكلـب أن يرشـد بمَحـضِ إرادتـه كلبًـا آخـر أعمـى، مـع ذلـك مثـل هـذا الكلـب موجـود. فـما معنـى ذلـك؟

تواصَلَـت الأيـام العاصفـة. أشـعر كـما لـو أننـي منعـزلًا في المدرسـة، وفي الشـوارع كـما لـو أن عينـيَّ معصوبتـان. أحـدِّق طويـلًا وبشـدَّة في صـورة الكلبـين كأننـي أحسـدهما.

***

-2-

عَابِرُ المياه

قبـل موعـد المحـاضرة بسـاعتين، ارتديـتُ حـذائي الريـاضي وغـادَرتُ حجـرتي. كنـت سـأمشي إلى الجامعـة بـدلًا مـن ركـوب الحافلـة. في طريقـي إلى الخـارج، توقَّفـتُ لألقـي نظـرة عـلى تُربَـة قَـبرِ أمّـي التـي وضعتهـا في الأصيـص وفكَّـرتُ في الزهـرة التـي سـأزرعها فيهـا. عـلى الرغـم مـن أننـي قـد تفقَّـدتُ الطريـق عـلى الخريطـة قبـل مغـادرتي، كان مسـارًا ملتويًـا وغـيرَ مألـوف. صادَفَنـي طريـقٌ مسـدود أجـبرني عـلى العـودة إلى الـوراء. سـلكت مَعـبَرًا علويًـا للمُشـاة عِوضًـا عـن ذلـك. فـوق المعـبر، توقَّفـتُ واسـتندت إلى الدرابزيـن والتفـتُّ حـولي. بـدا كلُّ شيء مختلفًـا مـن أعـلى. يمكننـي أن أرى الأسـطح وقِمَـمَ الأشـياء والأزِقَّـة الضَّيِّقـة التـي تتفـرَّع مـن الشـارع الرئيـسي. كان هنالـك نوافـذ وسـيارات وصفائـح قمامـة وأسـطح بنايـات ومصابيـح شـارع ومدخنـة حـمّام عمومـي، وعـلى مبعـدة، تـراءت

رؤوس الناس وهي تروح وتجيء. رؤية العالم من زاوية مختلفة جعله يبدو غريبًا وحيويًا، كما لو كنتُ أشاهده لأول مرة: أشجار الجميز والجنكة المزروعة بطول الطريق، وبساتين الزهور الصغيرة الخجولة المظهر، ولوحات إعلانات قاعة السينما المرسومة باليد. من فوق المعبر، وخاصةً من خلال خطوط الكهرباء المتشابكة الكثيفة، بَدَت السماء شاسِعَةً وممتدَّة إلى ما لا نهاية. اعتدت دائمًا على النظر إلى أعلى نحو المعبر الفوقي، لكن لم أنظر من قبل أبدًا من فوقه. بدَت قِمَمُ السيارات مُسطَّحَةً ومسالمة، والأشجار كثيفة جدًّا وخصبة بأفرعها التي تلامس شرفات الأبنية. بينما أواصل المشي، صادَفتُ نفقًا مُروريًا واسعًا. ألقيت نظرة بداخله وفكَّرتُ في السير عبره. لكن لم أستطع أن أحدِّد إلى أي مدى يمتدُّ النفق، ولم تكن هنالك لافتات تذكر أنه مفتوح للمُشاة أيضًا. ضيَّقتُ عينيّ وحاوَلتُ أن أرى أين ينتهي النفق المظلم والعميق، لكن غيَّرتُ رأيي ومشيت عائِدةً إلى موقف الحافلات. هناك ركبت الحافلة ما تبقَّى من الطريق إلى الجامعة.

كانت الجامعة تمامًا كما تركتها. لا يزال الطلاب المتخصِّصون في الدراما يقفون كما لو كانوا في انتظار جودو[1]، وطُلاَّب التصوير الفوتوغرافي يركضون في الأنحاء حاملين حقائب الكاميرا الثقيلة، وطالبات الموسيقى الكورية التقليدية يتزاحَمنَ داخل المسرح الصغير، مُمسِكاتٍ بآلات الجاياجم[2] الوترية، وحواجبهن مُحدَّدة بأقلام مكياج وشعرهن قد عُقِص على هيئة كعكَةٍ، ووجوههن تعلوها تعابير رقيقة. فكَّرتُ كيف كنتُ أختلس النظرات عبر البوابة الأمامية -الحَرَم نفسه ينضح دائمًا بإثارة عرضٍ يوشك أن يبدأ- وأفكِّر إذا كان عليَّ الدخول أم

(1) في انتظار جودو: مسرحية للكاتب الإيرلندي صمويل بيكيت، تدور حول رَجُلَيْنِ يُدعَيان فلاديمير واستراجون، ينتظران شخصًا يُدعى جودو.

(2) آلة الجاياجم: آلة موسيقية كورية تقليدية، تنتمي إلى الآلات الوترية، ويعود أصلها إلى سنة 500 ميلادية.

لا. لكن بدلًا من أن تجعلني تلك الذكريات أتردَّد، شجَّعَتني، ووجدت نفسي أخطو بخِفَّة خطوات واسعة إلى داخل الجامعة. بالكاد تعرَّفتُ على أي أحد. لا بُدَّ أن الفتيان القلائل في قسمي، الذين كنتُ لأتعرَّف عليهم، يكملون أداء خدمتهم العَسكريَّة، وحتى الفتيات اللاتي ارتدن الفصل معي قد جَعَّدنَ شعورَهنَّ أو بدأن يضعن مساحيق التجميل ويرتدين أطنانًا من الإكسسوارات، أو فَعَلنَ شيئًا في عيونهنَّ جعل من الصعب عليَّ التَّعرُّف عليهن. في طريقي إلى قاعة المحاضرة، بحَثتُ عن الأشياء التي لم تتغيَّر: المكتبة، ومتجر الكتب في حرم الجامعة، ومكتب البريد والمقاعد الخشبية أمام بركة اللوتس حيث اعتدت أن أجلس. تنهَّدتُ تنهيدة ارتياح عندما وَقَعَت عيناي عليها. رائحة الغاز المسيل للدموع لم تتغيَّر أيضًا.

المحاضرة الأولى هي محاضرة الأستاذ يون.

كما لو كان قدرًا، كانت قاعة المحاضرة نفسها حيث حضرت أول محاضرة له قبل عام تقريبًا. دخلت وجلست في مؤخِّرَةِ القاعة حيث تجمَّع الجميع في مجموعات. على الرغم من أنني قد وَعَدتُ نفسي بألَّا أجلس بمفردي، شعرت بعدم الارتياح من النظر إلى مُؤخِّرة رأس فتًى على بُعد إنشاتٍ قليلة منِّي؛ لذا انتقلت إلى مقعد آخر قرب النافذة. في الصَّفِّ الأخير جلس فتًى وفتاةٌ مُتجاوِرَين كما لو كانا ثنائيًا. أكان طالبًا يعيد السَّنَة؟ بدا أكبر من بقيَّتنا. لم أتعرَّف عليه، لكن بدا مألوفًا لي بغرابة. كان طويلًا جدًّا لدرجة أنه بدا محشورًا في مقعده. عيناه مثبتتان على وجه الفتاة بجواره، لا تتحرَّكان أبدًا أثناء حديثهما. التفت إذ فجأةً لينظر إليَّ. تظاهَرتُ بِدَعْكِ وجهي، والتَفتُّ بعيدًا عنه. لكن شيئًا ما جعلني ألتفت لأنظر إليهما مُجدَّدًا. شيء

متعلِّـق بالفتـاة اسـتمرَّ في جـذب انتباهـي. مِلـتُ إلى الأمـام كي أحظـى بنظـرة سريعـة عـلى وجهها، لكـن حتـى مـع ملامسـة خَـدِّي للمنضـدة عَمليًّـا، لم أسـتطع أن ألقـي نظـرة جيـدة عليهـا. انسـدل شـعرها الأسـود الطويـل إلى الأمـام وأخفـى وجهها عـن ناظـري. لم أمتلـك أدنى فكـرة عـمَّا يقولـه لهـا، لكنَّهـا كانـت تخفـض وجهها في كلِّ مَـرَّةٍ يتحـدث فيهـا.

"لي ميونجسو".

"هنا!".

فقـط حـين بـدأ الأسـتاذ يـون ينـادي عـلى الحضـور، اكتَشَـفتُ أن اسـمه ميونجسو.

امتزج الماضي بالحاضر.

كان الأسـتاذ يـون نحيـلًا كـما كان، لم يتغـيَّر كدرجـات السُّـلَّم الحجريـة أمـام المكتبـة. حتـى عينـاه العميقتـان والحادَّتـان اللتـان تَلَوَّتـا مـن الألم عندمـا وقـف أمـام النافـذة ونظـر إلى الطلبـة المحتجِّـين، لم تتغـيَّرا. خـلال عـام الإجـازة كلـما كنـتُ وحيـدة وحاولـت التذكـر، كانـت ذكرياتي ضبابيَّـةً وغـير واضحـة دائمًـا. لكـن الآن مـع عـودتي إلى قاعـة الفصـل نفسـها، باتـت ذاتي القديمـة مُتَّقِـدَةَ الذهـن وواضِحَـةَ المعالِـم كـما لـو كانـت تجلـس أمامـي مباشَرةً. نـادى الأسـتاذ يـون عـلى كل اسـم بالتتابـع. عندمـا وصـل إلى اسـم ميونجسـو، رفـع عينيـه عـن ورقـة الحضـور.

"ألا يفـترض أن تكـون قـد تخرَّجـتَ الآن؟" طـرح السـؤال وهـو يبتسـم إلى ميونجسـو مـن فـوق نظَّاراتـه.

حـكَّ ميونجسـو رأسـه وابتسـم. كانـت ابتسـامةً خجلى، لكنهـا امتـدَّت مـن إحـدى أذنيـه إلى الأخـرى. ابتسـامة تدفعـك عندمـا تراهـا إلى مُبادَلَتِـه الابتسـامة. مـع هـذا أبقـت الفتـاة بجانبـه رأسـها مُنخَفِضَـة. أردت أن

أعرف أسمها. استَمَعتُ بحرصٍ بينما يقرأ الأستاذ يون بقية الأسماء في ورقة الحضور. هل فوَّتُّه؟ أنهى مناداة الحضور لكنه لم ينادِ على اسمها. عندما وضع ورقة الحضور جانبًا، التفتُّ لأنظر إليهما ثانية.

لي ميونجسو، دَوَّنتُ اسمه. متى كانت آخر مرّة كتبت فيها اسم شخص ما في مفكِّرَتي؟ استمررت في النظر إليهما من حين إلى آخر خلال المحاضرة. في كل مرة ألاحظ شيئًا مختلفًا: شعره المجعَّد، وبنيته القوية، والطريقة التي يبرم بها قلمه الرصاص- لكن لم أعرف أي شيء عنها. جَلَسَت في الوضعية نفسها طوال الوقت، ولم ترفع رأسها أبدًا. كل ما أمكنني رؤيته هو لمحة من أنفها من الخلف وراء ستارة شعرها الطويل. شعرت بفضول شديد لمعرفة اسمها ورؤية عينيها. كان ثمَّة شيء بشأنها جعلني أرغب في معرفة المزيد عنها. لا بُدَّ أن الأستاذ يون قد شعر بالشيء نفسه؛ لأن نظراته ظلَّت تنحرف إليها أثناء محاضرته.

لأنه كان اليوم الأول في الفصل الدراسي، توقَّعنا أن تكون المحاضرة نظرة عامَّةً على المنهج الدراسي. أخبرنا الأستاذ يون عن المراجع اللازمة للدراسة والكتب التي يُرشِّحها للقراءة، ثم ذكر قائمة بالأشياء التي يجب أن نُبقيها في بالنا أثناء حضور محاضرته، معظمها كان يرتقي إلى مستوى التهديد، على سبيل المثال: لو تأخَّر طالب عن محاضرته أكثر من عشر دقائق، فيجب ألّا يفكر حتى في دخول الفصل، ولو فشلنا في تسليم ثلاثة بحوث أو أكثر على التوالي، فسوف نحصل على تقدير راسب بشكل آلي. قدَّم العديد من الأساتذة الآخرين الخطبة نفسها؛ لذا بدأ الضَّجَرُ يَغشى عيون الجميع. ظنَّ بعض الطَّلَبة حتى أن المحاضرة توشك على الانتهاء وراحوا يحزمون أقلامهم ودفاترهم.

عدَّل الأستاذ يون من وضعية نظاراته وحدَّق خارج النافذة. اقتحم هتاف الطلبة المتظاهرين في الخارج حُجرَةَ المحاضرة. لم يتغيَّر أي شيء منذ السنة الماضية. جال الأستاذ يون بنظراته في أرجاء الحجرة.

"هل سمع أي منكم عن رجل اسمه كريستوفر؟".

كريستوفر؟ ذكَّرني الاسم بكتابٍ قرأته في المدرسة الثانوية، كان اسمه، "چان كريستوف" لرومان رولان[1]. كان كتابًا مُتخَيَّلاً من عشر مُجلَّدات عن حياة بيتهوفن. كان الكتاب الوحيد الذي شاهدت ابنة عمي تقرؤه؛ لذا قرأته بدوري. تأثَّرتُ كثيرًا بالشخصية الرئيسية، التي تسلَّحَت بالإيجابية في مواجهة الإحباط المتزايد. فبِغَضِّ النظر عمَّا يحدث، لم يَتَخلَّ أبدًا عن مسعاه نحو كمال الذات. غمرني إحساس بالإعجاب والمحبَّة تجاه الشخصية الرئيسية، فقرأت كلَّ مُجلَّدٍ تحت تأثير المشاعر الطاغية التي تملَّكتني، وأبقيتُ تلك الكتب المصفرَّة العتيقة المطبوع عليها اسمه قريبة من قلبي. أرَدتُ حتى أن أزور نهر الراين ذات يوم لأن الشخصية الرئيسية وُلِدَت في بلدة صغيرة على ضفاف ذلك النهر. تساءلت إذا كان الأستاذ يون يشير إلى الشخص نفسه، لكن لم أكن واثِقَةً بالقدر الكافي كي أرفع يدي وأقول إنني قد سمعت به. اعتدلت في جلستي وثبَّتُّ عينيَّ على الأستاذ يون. بدا كأن جدران الفصل قد تلاشت وخلَّفَتنا وراءها، الأستاذ والطلاب، واقِفين وسط حقل مفتوح حيث تهبُّ الرياح علينا. لم يتفوَّه أي أحدٍ بكلمة؛ لذا استطرد الأستاذ يون.

"كريستوفر هو اسم قدِّيس أوروبي من القرون الوسطى. لا بُدَّ أن بعضكم يرتاد الكنيسة. ألم يسمع أيٌّ منكم به؟".

رفَعَت طالبة يدها بتردُّد. تَلعثَمَت قائلة: " لا أعرف لكن...".

---

(1) رومان رولان (1866- 1944): أديب فرنسي اشتهر بمناهضته للحرب، ويعتبر من أوائل الحاصلين على نوبل في الآداب سنة 1915.

"إذًا أخبرينا بما تعرفينه..." قال الأستاذ يون بسخرية.

قهقه الجميع. وقَفَت الفتاة وقالت إنها سمعت قصَّةً من معلم قُدَّاس الأحد في الكنيسة عندما كانت صغيرةً؛ ولهذا لا تتذكَّر بوضوحٍ، لكنه كان يتحدَّث عن الرجل الذي أُنقِذ لأنه حمل المسيح عبر نهر. كان ما قالته سؤالًا أكثر منه جوابًا. أومأ الأستاذ يون. عندما عاوَدَت الفتاة الجلوس، تنحنح الأستاذ يون، وجال ببصره في أرجاء القاعة وقال بصوت خفيض، إنه ثمَّةَ أسطورةً بالفعل تدور حول هذا الاسم. حدَّق الطلبة الذين ظنُّوا أن المحاضرة على وشك الانتهاء، وبدؤوا في إزالة أشيائهم عن مناضدهم، نحو الأستاذ يون الذي اعتلى المنصة وبدأ محاضرته الفعلية.

"إليكم حكاية القديس كريستوفر. وفقًا للأسطورة، كان كريستوفر كنعانيًّا. قال البعض إنه كان عملاقًا. رَجُلًا ذا قُوَّةٍ جَبَّارة لا يخشى شيئًا. قرَّر القِدِّيسُ كريستوفر ألَّا يخدم سوى أعظم وأقوى رجل في العالم. لكن أينما نظر، لم يستطع أن يجد شخصًا يستحقُّ أن يُكرِّس حياته لخدمته. أحبطه الجميع. مع مرور الوقت، أصابه التعب من العثور على هذا الشخص الذي يستحقُّ خدمته، وصار قانِطًا مكتئبًا. لكن هنا، سوف أوفِّر عليكم التفاصيل المُمِلَّة وأتطرَّق مباشرة إلى الجزء الأكثر أهمية. بنى كريستوفر بيتًا لنفسه على ضفاف نهرٍ، وبات يكسب قوت يومه من حمل المسافرين عبر المياه. كان قويًّا جدًّا. كان يمتلك وتدًا واحدًا لكنه استخدمه ليشقَّ طريقه عبر أعتى التيارات ويحمل الناس بأمان إلى الضفة الأخرى. كان الأمر مجرَّدَ تسليَةٍ بالنسبة إليه. كان بَحَّارًا بلا قارب. كان جسده هو القارب الذي ينقل بواسطته الناس عبر المياه".

بدا كأن العالم قد توقَّف. في فصل يمتلئ بثلاثين أو ربما أربعين طالبًا، ساد سكون تام.

"ذات ليلة، استغرق كريستوفر في النوم سريعًا عندما سمع صوتًا خافتًا ينادي على اسمه. تساءل مَن يمكن أن يكون المنادي في ذلك الوقت من الليل، فتح الباب. لكن ما كان أيُّ أحدٍ هناك. الظَّلامُ فقط. أغلق الباب وخلد إلى فراشه ثانية، لكن الصوت عاد. كريستوفر! فتح الباب مُجدَّدًا، لكن كالسابق: ظلامٌ فقط. في المرة الثالثة التي سمع فيها الصوت، بدا كأنه آتٍ من جانبه مباشرة. نظر حوله لكنه لم يَرَ أحدًا. فكَّر كريستوفر كم أن الأمر غريب، التقط وتده وتوجَّه إلى النهر. هناك في الظَّلام بجوار النهر وجد طفلًا صغيرًا. أخبره الطفل أنه يجب عليه الوصول إلى الضفة الأخرى قبل انقضاء الليل، وطلب من كريستوفر أن يحمله عبر النهر. كان الطفل صغيرًا جدًّا، وكان رجاؤه صادقًا جدًّا، لدرجة أن كريستوفر وافق على مساعدته رغم الساعة المتأخِّرة. وضع الطفل فوق كتفيه وولج النهر. لكن في اللحظة التي خطا فيها داخل النهر، بدأ الماء في الصعود. في لحظة، بلغ الماءُ رأسَ كريستوفر العالية، تقريبًا. ولم يَكُن هذا كلَّ شيء. ازداد ثِقَلُ الصبي -الذي كان خفيفًا في البداية- على نحوٍ غريب كلَّما ارتفع مستوى المياه. كان الوزن الأشبه بوزن قطعة هائلة من الحديد لدرجة لا تُصدَّق بالنسبة لطفل صغير، يضغط على كتفي كريستوفر. ارتفعت المياه شبرًا تلو الآخر بينما يضغط الطفل على كريستوفر بوزنه المهول. بدأ كريستوفر -الذي كان يومًا شديدَ الثقة بنفسه- يرتعش خوفًا لأول مرة في حياته من احتمال أن يغرق. شقَّ كريستوفر طريقه عبر الماء حامِلًا الصبي على كتفه وهو بالكاد يستطيع الحفاظ على توازُنه بواسطة الوتد، حتى تمكَّن بشقِّ الأنفُس أن يبلغ الضفة الأخرى. بينما يُنزل الطفل أرضًا، قال كريستوفر (لقد ظَنَنتُ أنني سأموت بسببك. على الرغم من أنك صغيرٌ جدًّا، فقد كنتَ ثقيلًا جدًّا، لدرجة أنني شعرت كأنني أحمل وزن العالم بأكمله على كتفيَّ. لقد حملت الكثيرين عبر هذا النهر، لكن لم أحمل أبدًا شخصًا بمثل

ثِقَلِـك). في تلـك اللحظـة تـلاشى الطفـل وتجسَّـد المسـيحُ أمامـه، محاطًـا بهالـة ضـوء سـاطعة. قـال المسـيح: (كريسـتوفر! مَـن حَمَلتَـه للتَّـوِّ لم يكـن طفـلًا. كان أنـا، المسـيح. عندمـا عَـبَرتَ ذلـك النهـر، كنـتَ بالفعـل تحمـل العـالم بأكملـه فـوق كتفيـك)".

سـكت الأسـتاذ يـون وجـال ببـصره في الحجـرة. اعتَقَـدتُ بـادئ الأمـر أنـه يحـاول أن يستشـفَّ إذا كُنَّـا قـد فهمنـا القصـة. لكـن فكـرت أيضًـا أنـه ربمـا اكتشـف شـيئًا جديـدًا، شـيئًا قـد نسـيه بخصـوص القديـس كريسـتوفر. تَواصَـلَ صمتـه للحظـات قبـل أن يتابـع:

"إذًا دعـوني أطـرح عليكـم هـذا السـؤال، هـل أنتـم هنـا اليـوم تمثِّلـون كريسـتوفر؟ أم أنكـم الطفـل الـذي حملـه عـلى ظهـره؟".

بـدأت قصـة الأسـتاذ يـون كقطـرة مطـر وسـط هـرج ومـرج الطلبـة الذيـن يتأهَّبـون لانتهـاء المحـاضرة، لتتحـوَّل إلى زخَّـات مطـر مفاجئـة في منتصـف اليـوم تنهمـر بغـزارة فوقنـا. تسـلَّل شـعاعٌ صـافٍ مـن ضـوء شـمس أواخـر الصيـف إلى الداخـل عـبر نافـذة قاعـة الفصـل التـي أغلقهـا أحدهـم بإحـكام.

تأمَّـل الأسـتاذ يـون وجوهنـا بترقُّـب لكـن لم يقـدِّم أي طالـب أي إجابـة عـلى سـؤاله. تبعـت شـعارات الطلبـة المتظاهريـن في الخـارج أشـعة الشـمس عـبر النافـذة، وشـقَّت طريقهـا بيننـا. توقَّفَـت عينـا الأسـتاذ يـون مـن فـوق نظاراتـه عنـد كل واحـد منَّـا قبـل أن تنتقـل إلى آخـر.

"كل واحـد منكـم هـو كريسـتوفر، والطفـل الـذي يحملـه عـلى ظهـره في الوقـت نفسـه. كُلٌّ منكـم يصنـع طريقـه الخـاص عـبر مِحَـنِ هـذا العـالم الصعـب خـلال عبـوره إلى الجانـب الآخـر مـن النهـر. لم أخبركـم بهـذه القصـة كي نتحـدَّث عـن الديـن. نحـن جميعًـا مسـافرون، نعـبر مـن هـذه الضفـة إلى تلـك، مـن هـذا العـالم إلى السـعادة المطلَقَـة. لكـن المياه قاسـية. علينـا أن نعتمـد عـلى شيء مـا كي ننجـح في العبـور. قـد يكـون ذلـك الـشيء

هــو الفــن أو الأدب الــذي تطمحــون إلى إبداعــه. ســوف تعتقــدون أن الــشيء الــذي ســتختارونه ســيكون القــاربَ أو الطــوف الــذي ســيحملكم إلى الضفــة الأخــرى. لكــن لــو فكَّرتُــم بعمــق في الأمــر، فربمــا ســتدركون أنــه لا يَحمِلُكــم بــل أنتــم الذيــن تحملونــه. ربمــا الطالــب الــذي ســيستوعب هــذا التناقُــضَ، هــو فقــط مــن ســيتمكن مــن العبــور بســلام. ليــس الأدب ولا الفــن مــا ســوف يحملكــم ببســاطة، بــل هــما أيضًــا مــا يجــب أن تقدِّمــوا حياتكــم مــن أجلهــما، مــا يجــب أن تبذلــوا الكثــير مــن الجهــد والوقــت في ســبيلهما وتحملوهــما عــلى أكتافكــم لمــا تبقــى مــن حياتكــم".

كل العيــون مُثبَّتَــة عــلى الأســتاذ يــون. لا ينظــر أيُّ أحــد خــارج النافــذة. حتــى الفتــى في الصَّــفِّ الخلفــي توقَّــفَ عــن بَــرمِ قلمــه الرصــاص. الفتــاة أيضًــا قــد رفعــت رأســها وراحــت تســتمع بإنصــات.

"أنتــم القِدِّيــس كريســتوفر. أنتــم مَــن ســيعبر بالطفــل النهــر. إنــه قدركــم أن تتحَــدُّوا الميــاه المتضخِّمــة. ربمــا ترتفــع الميــاه، لكــن يجــب ألَّا تتوقَّفــوا حتــى يبلــغ الطفــل الجانــب الآخــر. إذًا كيــف نعــبر هــذا النهــر؟".

كان ســؤالًا، ولم يكــن كذلــك في الوقــت نفســه. انخفــض صــوت الأســتاذ يــون، ثــم بــات أقــوى وهــو يتابــع، " نعــبر بــأن يكــون كلٌّ مِنّــا القديــس كريســتوفر للآخــر. بــأن نحمــل الصبــي عــبر النهــر معًــا. لا اختــلاف بــين الشــخص الــذي يعــبر، والشــخص الــذي يســاعد آخــر كي يعــبر. أنتــم لســتم فقــط القديــس كريســتوفر الــذي يحمــل وتــده داخــل الميــاه المتصاعــدة. أنتــم العــالم وأنتــم خالِقــوه، كلُّ واحِــدٍ منكــم. أحيانًــا أنتــم القِدِّيــس كريســتوفر، وأحيانًــا أخــرى أنتــم الطفــل- يحمــل كلٌّ منكــم الآخــر عــبر النهــر. لا بُــدَّ أن تعتــزُّوا بأنفســكم وتتشــبَّثوا ببعضكــم البعــض".

انتــشرت الثقــة التــي تنامــت بداخــل كلٍّ مِنّــا، عــبر قاعــة المحــاضرة. لــو انكــسر زجــاج إحــدى النوافــذ في تلــك اللحظــة، مــا كان لصــوت تَهشُّــم الزجــاج ليفســد الســكون الرقيــق المخيــم.

" إذًا أيُّها القديسون الصغار! ذلك كل ما لدينا اليوم. لكن قبل أن تغادروا، أحتاج إلى متطوِّعٍ. شخص كي ينسخ مخطوطة المقرَّرَ الدراسي على الآلة الكاتبة من أجلي".

لم يَقُل أيُّ أَحَدٍ أيَّ شيء.

"أي أحد؟".

القدِّيس كريستوفر، الطفل، النهر، قَدر، نحن... كنتُ قد شرعت في تدوين ملاحظات، لكن سرعان ما انجذبت إلى قصته تمامًا. رفَعتُ يدي كي أتطوَّع. رفعت يدي من دون أن أفكِّر حتى في الأمر. نظر الأستاذ يون إليَّ للحظة.

"ما اسمكِ؟".

"جونج يون".

"جونج يون." كرَّر اسمي بصوت مرتفع. "شكرًا لكِ. فلتأتي إلى مكتبي بعد المحاضرة".

حتى بعد أن غادر الأستاذ، ظلَّ الجميع في أماكنهم. أخيرًا نَهَضتُ لأتبعه إلى مكتبه. عندما دفعت مقعدي لأعيده إلى مكانه، تردَّدَ صدى احتكاك المقعد بالأرضية في أرجاء الحجرة الصامتة. كان هذا الصوت بمثابة إشارة. بدأ الآخرون في جمع حاجياتهم والمغادرة. كان مكتب الأستاذ يون في الجهة المقابلة لقاعة محاضرتي التالية. حدَّقتُ ورائي. كان ميونجسو والفتاة يمشيان أسفل شجرة زلكوفا خضراء ضخمة كنتُ قد تجاوَزتُها للتَّوِّ. للفتاة مشية مُمَيَّزة، إذا شاهدها أحدهم فلن ينساها بسهولة. توقَّفتُ لأشاهدها بينما تتدفَّق أشعة شمس أوائل الخريف فوقي. كان ثمة الكثير من الطَّلَبة قرب الشجرة. تجمَّعوا هناك في أزواج أو جماعات صغيرة قبل أن يتفرَّقوا في اتجاهات مختلفة أو يمكثوا في انتظار شخص ما. مع هذا حتى وسط كل أولئك الناس

الذيـن يتحرّكـون في الوقـت نفسـه، لفتـت الفتـاة انتباهـي. كانـت أوّلَ مَـن لفتــت انتباهــي وليــس الفتــى الســائر بجانبهــا. لكــن حتــى بينــما تمــشي نحــوي وحقيبتهــا تتــدلّى مــن كتفهــا، وكتــاب في يدهــا، لم أســتطع أن أرى وجههــا. أبقــت رأســها منخفضــة وكتفيهــا إلى الداخــل بينــما تســير كأنمــا تحــدِّق إلى قلبهــا. مــع هــذا، كانــت جميلــة بالتنُّــورة التــي ترتديهــا، تَنُّــورة فضفاضــة مزخرفــة بزهــور بيضــاء فــوق خلفيــة زرقــاء داكنــة، وســترة قطنيــة بيضــاء. بريــق الزهــور الضئيلــة المتفتّحــة المنتــشرة عــبر تَنُّورَتهــا تَبايَــنَ مــع بقيــة ثيابهــا؛ مــمًّا جعلهــا بــارِزَةً وســط الآخريــن. عندمــا تجــاوَزَت الشــجرة، رفرفــت حاشــية تنُّورَتَهــا إلى أعــلى في النســيم. مهــما كان الــشيء الــذي كان يجعلهــا مختَلِفَــةً عــن الآخريــن، فقــدا بــدا أنــه ينبعــث مــن تلــك التَّنُّــورة. لم تكــن تَنُّورتهــا موضــة شــائعة في مرحلتنــا العمريــة. كان معظمنــا يرتديــن البنطلونــات القماشــية أو الجينــز الزرقــاء. وحتــى الطالبــات الــلاتي ارتديــن التنانــير، لم يرتديــن أبــدًا ذلــك النــوع الفضفــاض منهــا.

كانــت مشــية الفتــى مُمَيَّــزةً كمشــيتها. بــدا كشــخص يمــشي في الهــواء لا شــخصٍ يعيــش وقدمــاه فــوق الأرض. بَــدَت إحــدى قَدَميْــه كأنهــا تطفــو لأعــلى قبــل أن تلامــس الأخــرى الأرض. إذا كانــت الفتــاة تبــدو كــما لــو أنهــا ســتغوص داخــل الأرض، فقــد بــدا هــو كأن الريــاح قــد تحملــه بعيــدًا في أي لحظــة. شــاهدتهما يســيران نحــوي قبــل أن أســتدير.

وصَلــتُ إلى مكتــب الأســتاذ يــون. هَمَمــتُ بــأن أطــرق عــلى البــاب، لكــن البــاب كان مواربًــا بالفعــل. دَفَعتُــه لأفتحــه. رفــع الأســتاذ عينيــه إليَّ. للوهلــة الأولى بــدا كأن هنالــك حيِّــزًا بــين مكتبــه والأريكــة، لكــن اتَّضَــحَ أن أكوامًــا مــن الكتــب كانــت بمثابَــةِ الفاصــل الــذي يقســم الحجــرة. يقبــع مكتــب الأســتاذ يــون خلــف الكتــب.

"ادخــلي" قــال. يظهــر فقــط النصــف العلــوي مــن جســده مــن فــوق أكــوام الكتــب. رأيــت أنــه كان يمســك حزمــة ورق.

" اجلسي هناك للحظة".

بـدا أن الأسـتاذ يـون في وسـط شيء مـا أو منشـغل بترتيـب مكتبـه. عندمـا عـاود الجلـوس، سـمعت صـوت خشخشـة أوراق. بقيـتُ واقِفـةً وأنـا أتأمّـل مكتبـه. كان رتيبًـا؛ لا توجـد نباتـات ولا براويـز صـور- فقـط كتـب مكدَّسـة داخـل رفـوف عمليـة مُصمَّمَـة لحمـل أكـبر عـدد ممكـن مـن الكتـب، ولا يوجـد تقويـم أو مـرآة مُعلَّقـة عـلى الحائـط. كتـب عتيقـة تبـدو كأنهـا سـوف تتفتَّـت إلى أجـزاء لـو لمستها، مرصوصـة عـلى الرفـوف بالمقلـوب، بحيـث كانـت العناويـن غـيرَ مَرئيّـة. لم أرَ كُتُبًـا مرصوصـة عـلى الرفـوف بتلـك الطريقـة مـن قبـل. مَـدَدتُ يـدي نحـو أحـد الكتـب مـن بـاب الفضـول، لكـن أوقفنـي طَـرقٌ عـلى البـاب. التفـتُّ والأسـتاذ يـون ناحيـة البـاب في اللحظـة نفسـها. انفتـح البـاب ودلـف الفتـى والفتـاة اللـذان رأيتهـما منـذ قليـل يمشـيان نحـوي أسـفل شـجرة الزلكوفـا. كانـا يتَّجِهـان أيضًـا إلى مكتـب الأسـتاذ يـون. نظـر الأسـتاذ يـون إليهـما ثـم وقـف ومـشى نحـو الأريكـة، ولا تـزال حزمـة مـن الـورق بـين يديـه.

"ألم تَمَـلَّ منـي بعـد؟" قـال الأسـتاذ يـون للفتـى. " ألا يبـدو أن الوقـت قـد حـان كي يتفـرَّق كلٌّ مِنّـا في طريـقٍ مُختَلِـف؟".

ابتسـم الأسـتاذ يـون بـدفء. حَـكَّ ميونجسـو رأسـه وابتسـم ابتسـامة عريضـةً تمامًـا كـما فعـل في قاعـة المحـاضرة.

"أَرَدتُ أن أُقدِّم صديقتي إليك". قال ميونجسو.

"لم يكـن وجـودُكَ كافيًا فجَلَبـتَ صديقـةً أيضًـا؟ اجلسـا. وأنـتِ أيضًـا". نظـر الأسـتاذ يـون إليَّ بينـما أقـف أمـام رَفِّ الكتـب. شـعرت كأننـي أعيـش هـذه اللحظـة ثانيـة رغـم أنهـا كانـت تحـدث للمـرة الأولى. عندمـا جلسـنا جميعًـا، كنـتُ أنـا بجـوار الأسـتاذ يـون، بينـما الفتـى والفتـاة عـلى الأريكـة المقابلـة لنـا. شـعرت بالارتبـاك لجلـوسي بجـوار الأسـتاذ يـون، لكـن كنـتُ لأشـعر بالارتبـاك نفسـه لـو جلسـت بجـوار الفتـاة. بـدت وميونجسـو كأن

كلًّا منهما ظِلٌّ للآخر؛ وهو ما يجعل فكرة جلوسي بينهما لا يمكن تصوُّرها. كان الأمر غريبًا. بينما نجلس هناك، استمرَّ إحساسي بأن ذلك المشهد يتكرَّر، كما لو أننا جلسنا بتلك الطريقة من قبل. تبادَلتُ والفتى النظرات لأول مرة. عيناه شديدتا السواد كأنما قد دُعِكتَا بالفَحم- تلك الدرجة من الأسود التي تُشعِرُكَ كما لو أنك تُمتصُّ داخلها. في كل مرة يتغيَّر تعبير وجهه، يتحرَّك حاجباه. ربما يستطيع أصدقاؤه معرفة حالته المزاجية من مجرَّد النظر إلى حاجِبَيْه. أسفل حاجبيه بَدَت عيناه العميقتان كأنهما تبتسمان إليَّ للحظة قبل أن تتجاوزاني وتستقرَّا على الفتاة. أبقت الفتاة يديها داخل جيوبها ولم تنظر إليَّ.

"كُنَّا صديقَيْن طوال حياتنا" قال الفتى ميونجسو. "ترتاد جامِعةً أخرى. هي الآن في إجازة تَغَيُّب، وتَوَدُّ أن تحضر فصلك. أتينا لنطلب إذنَكَ".

عندما سمعته يتحدَّث عن صداقتهما الطويلة، تصوَّرَت وجه داهِن.

"هي في إجازة تَغَيُّب من جامعتها؟" سأل الأستاذ.

"نعم" قال ميونجسو.

"ما اسمُكِ؟".

"يون ميرو" أجاب ميونجسو عنها، لكن واصل الأستاذ يون توجيه أسئلته إليها "ميريو؟"؟

"لا، سيدي. ليس ميريو بل ميرو كما في شجرة الحور" قال ميونجسو ثانية.

يون ميرو. همَستُ باسمها إلى نفسي بصوت خافتٍ لا يستطيع أيُّ أحَدٍ سماعَه. يون ميرو... يون ميرو.

"لماذا تواصل الإجابة عنها؟" سأل الأستاذ يون. "أنتَ محاميها؟". ابتسم ميونجسو بخجل. "لماذا تريدين حضور فصلي؟" سألَ الأستاذ.

رفعت ميرو رأسها. تمكّنتُ أخيراً من رؤية وجهها. طَرَفَت بعينيها وخفضت رأسها مُجدَّدًا. عيناها داكنتان جدًّا. على الرغم من أنها تنظر إلى أسفل، أمكنني رؤية جبهتها الملساء. نتوء أنفها مرتفع وضيِّق. شفتاها مكتنزتان، تعطي ملامح وجهها جمالًا أنيقًا. لو كان ذلك كلَّ شيء، لكانت صورتها لتبقى في الذاكرة فقط بسبب وجهها الجميل وبشرتها الملساء. لكنها أخرَجَت يديها من جيبها في تلك اللحظة. تراجَعت إلى الوراء. كانت ردَّةَ فِعلٍ عفويَّة. يداها. على الرغم من وجهها الأملس، كان ظهرا يديها ذابِلَيْن ومُجعَّدَيْن. بدا كأنهما نُقِعَا في الماء لوقت طويل جدًّا. كان لميرو الجميلة جدًّا بعينيها الداكنتين وجلدها الناعم، يدا امرأة عجوز. تلك كانت الإجابة على الفضول الذي انتابني، لماذا تساءَلتُ مَن تكون منذ حاوَلتُ إلقاء نظرة سريعة على وجهها في الفصل، وسِرُّ التَّبايُن في هيئتها الذي لم يكن بإمكان تنُّورتها الفضفاضة المزَخرَفَة بالزهور لوحدها تفسيره. لا بُدَّ أنها شعرت بعينيَّ على يديها لأنها دَسَّتهُما في جيوبها من جديد. بدا أن الأستاذ يون قد لاحظهما أيضًا. بدا مصدومًا مثلي. ساد صمت مُرتَبِكٌ بيننا.

"ماذا حدث ليَدَيكِ؟" سأل الأستاذ يون.

لم أُخمِّن أبدًا أن الأستاذ يون سيكون صريحًا إلى هذه الدرجة. كان مجرَّد النظر إلى يديها مُؤلمًا. أخرجتهما من جيبها ورفعتهما إلى أعلى أمامها، وفَرَدَت أصابعها وخفضت عينيها إلى ظهريهما. لم أتوقَّع أن تفعل ذلك. حدَّقَت إليهما كأنهما ينتميان إلى شخص آخر.

"لقد أحرَقتُهما" قالت.

كانت تلك هي أول مرة أسمعها تتكلَّم. صوتها واضح ومُميَّز.

"مياه مَغليَّة؟".

" لا، جازولين".

"لا بُدَّ أن الأمر قد كان مؤلمًا للغاية" همس الأستاذ يون بصوت يكاد لا يُسمع. لم يسألها كيف حدث ذلك. أدارت ميرو يديها ونظرت إلى كفَّيْها وقالت: "نعم".

"لكن بالتأكيد لا تعتبريهما رمزًا لما تكونين؟".

غاصت مَعِدَتي في مكانها عندما قال ذلك، لكن بَدَت ميرو مُتماسِكَةً. بجانبها، رفع ميونجسو حاجبيه واعتدل في جلسته فوق الأريكة. بدا أنه يريد إيقاف مُحادَثَتِهما قبل أن تذهب لأبعد من ذلك.

"حسنًا، يا أستاذ. أعتقد أن بإمكاننا أن نأخذ كلامك على أنه موافقة" قال ميونجسو.

رفع الأستاذ يون رأسه لكنه نظر إلى ميرو، "تثيرين الانتباه إليكِ أينما ذهبتِ". تجدَّد الصَّمتُ المُرتبك. "لقد لفتِّ انتباهي حتى قبل أن أرى يديك. لم أقابِلكِ من قبل، لكن شَدَدتِني إليكِ من بين الآخرين".

ملأ توتُّرٌ غريب الحُجرةَ.

"حَرِّري نفسكِ من خوفكِ من يديكِ" تحدَّث الأستاذ يون بهدوء. "إذا كان لديك رغبة حقيقية في التحرُّر من يديك، فاحضري فَصْلي. لكن إنْ لم ترغبي في ذلك، فلا تُضَيِّعي وقتكِ في الحضور".

بدت عينا ميرو كأنهما تعبسان في وجه الأستاذ يون. أدركت أن الطاقة الغريبة التي تُشعُّ منها هي تَوتُّر أيضًا. توهَّجَت عيناها بعصبيَّةٍ مُخيفَة، وبدا أنها قد تنقضُّ على الأستاذ يون، لكن سرعان ما تلاشت تلك النظرات. تحوَّلَت عيناها لتستقرَّ عليَّ.

عيناها مليئتان بالأسئلة والتوسُّلات كأنها تطلب الإنقاذ. مَددتُ يدي إليها. ثَبَّتت عينيها الداكنتين على أصابعي. نهض ميونجسو وأمسك بيدها في رقَّة. قبضت يده الضخمة القوية على يدها المجعَّدَة. اختفت يدها المحروقة داخل يده كما لو كانت يده المكان الأنسب لها في هذا العالم.

"سنرحل الآن" قال.

وقفت ميرو. قادها ميونجسو أمامه حتى الباب، ثم قبل أن يغادر التفت ونظر إليَّ.

"جونج يون" نطق اسمي بالكامل بدقَّة، "لقد مضى عام".

لم أعتقد أن من الغريب أن ينطق اسمي الكامل بتلك الطريقة. لم أعرف اسمه إلَّا خلال مناداة الحضور؛ لذا ربما عرف اسمي بالطريقة نفسها. داهَمَني هاجسٌ مفاجئٌ أنني سأجول في شوارع المدينة بصحبتهما قريبًا.

"شكرًا لكِ" قال.

وقف هناك من دون أن يرحل كأنما ينتظر ردِّي. لم أعرف عمَّا كان يشكرني، لكنِّي أومأتُ. أخيرًا، انحنى انحناءة طفيفة إلى الأستاذ يون. بدا أن ميرو تنظر إليَّ أيضًا، يدها المليئة بالندوب لا تزال مُحاطَةً بِيَدِه الضَّخمة.

بعد أن غادر الاثنان، خيَّم الصمت عليَّ والأستاذ يون لفترة. بدا باردًا جدًّا مع ميرو لسبب ما، لكنه في النهاية أطلق تنهيدةً عميقة قبل أن يعود إلى الشخص الذي حكى قصة القديس كريستوفر أثناء المحاضرة.

"هل أنتِ كاتبة سريعة؟" سألني.

ابتَسمتُ بعصبيَّةٍ بدلًا من الإجابة.

"هل أنتِ كذلك؟".

ابتسَمتُ ثانيةً.

"عندما يسألك الأستاذ سؤالًا، يجب أن تجيبي بوضوح، ولا تكتفي بالابتسامة".

فكَّرت كيف بدت نبرةُ صَوتِه عندما قال: "إذًا أخبرينا بما تعرفين" للفتاة في الفصل. كان لديَّ تلك العادة القديمة بأن أبتسم عندما أكون غير متأكِّدَةٍ كيف أجيب على شخصٍ. لكن لم يعترض أحدٌ على الأمر من قبل.

"سريعة إلى حدٍّ ما" قلتُ.

"سريعة إلى أيِّ درجة؟".

"سريعة بالقدر الكافي كي أؤلِّفَ الكلمات في رأسي بينما أكتب".

"أرى ذلك. أحسد الأشخاص الذين يستطيعون الكتابة باستخدام أصابعهم العشرة. لقد حاوَلتُ أن أتعلَّم، لكن الأمر صعب جدًّا عليَّ. عليَّ النظر إلى كل حرف قبل كتابته، ولا يمكنني أن أستخدم سوى إصبعٍ واحدة من كل يد في الكتابة. على النقيض منكِ، لا يمكن ليديَّ أن تُسايِرَ أفكاري. عندما أحاول الكتابة على الآلة الكاتِبَة، تتوقَّف أفكاري باستمرارٍ وتنظر إلى الوراء بينما تحاول يداي اللحاق بها".

كان للأستاذ يون أسلوب فريد في الحديث غيرَ مألوفٍ لي، لكنني فَهِمتُ تقريبًا ما كان يقصده. ربما ما كان يشعر به الأستاذ يون عندما يعجز أن يسبق أو يلحق بأفكاره حين يكتب على الآلة الكاتبة فيكتفي بمشاهَدَةِ أصابعه تتأخَّر ببُطءٍ وراء الجُمَل التي تَشكَّلَت بالفعل في هذا العالم وتنتظر فقط أن تُدوَّن- مُشابِهٌ لما شعرت به تلك الليلة التي مشيت فيها إلى قبر أمِّي بصحبة داهِن عندما أدرَكتُ أن عليَّ التَّغلُّب على الخمول الذي انتابني في بيت والدي والعودة إلى

المدينـة. تلـك الليلـة حـين كـدتُ أن أسـأل فيهـا داهِـن إذا كان يُحبُّنـي بعـد أن أخبرني عـن تلـك الفـوضى التـي يعيـش فيهـا بعـد أن أبـرِح زميـلَ دراسـةٍ سـابقًا ضربًـا، عرفـت أنني يجـب أن أعـود إلى المدينـة. كان ذلـك مـا أوقفنـي عـن سـؤال داهِـن ذلـك السـؤال. يجـب أن تسـأل أحدهـم إذا كان يحبُّـكَ، فقـط إذا كنـتُ تحبُّـه بِغَـضِّ النظـر مـاذا قـد تكـون إجابتـه. قـراري تلـك الليلـة عندمـا قَبَضـتُ عـلى حفنـة مـن تُربَـة قـبر أمـي، قـد قـادني إلى المدينـة ثانيـة لكـن قلبـي لم يَعُـد معـي، وبـدا كأنـه يهيـم في مـكان مـا خـارج جسـدي.

فكَّـرتُ أيضًـا في زوج ابنـة عمـي الـذي قـال يومًـا شـيئًا مُشـابِهًا لمـا قالـه الأسـتاذ يـون. في كل مـرَّة يعـود فيهـا زوج ابنـة عمـي الطَّيَّـار بعـد أسـبوع مـن الطـيران، تُجهِّـز ابنـة عمـي مائـدة العشـاء بطعامـه المفضَّـل: أرز وحسـاء أعشـاب البحـر، وسـمك لـوت المجفَّـف المشـوي، وبيـضٌ مسـلوق، وأعشـاب بحـر مُحمَّصَـة، وسـبانخ مخلَّلـة، وبراعـم بقلـة المـاش، وفجـل- كل الأشـياء التـي يُحبُّهـا. أحيانًـا نتنـاول ثلاثتنـا الطعـام معًـا. ذات ليلـة، كان زوج ابنـة عمـي مرهقًـا للغايـة كي يـأكل. وضَعَـت ابنـة عمـي سَـمَكَ اللُّـوت المجفَّـف عـلى المائـدة قبـل أن تسـأله إذا كان يحتـاج إلى الذهـاب إلى طبيـب لكنـه أخبرهـا ألَّا تقلـق. قـال إن الطائـرة كانـت سريعـة جـدًّا، وأن جسـده قـد وصـل أولًا. أنـه يشـعر بالمـرض لأن روحـه لم تسـتطع أن تساير سرعـة الطائـرة، وأنهـا لا تـزال في طريقهـا إلى البيـت، وأنـه سيشـعر بشـكل أفضـل بمجـرَّد أن تعـود روحـه إلى جسـده.

أعطاني حزمة ورق.

"إنهـا مجموعـة مـن الأعـمال الأدبيـة لكُتَّـابٍ كوريِّـين تعـود إلى الخمسـينيات. ثمَّـة الكثـير مـن الصفحـات. ألـن يكـونَ ذلـك كثـيرًا عليـكِ؟".

"يمكنني التَّعامُل مع الأمر".

"بعـد أن تَفرَغـي مـن كتابتهـا، أُخطِّـط لطباعـة نُسَـخٍ منهـا كي نسـتخدمها في الفصـل ككتـاب للمُقـرَّر الـدراسي. آسـف لتكليفِـكِ بذلـك، لكـن ربمـا يسـاعِدُكِ الأمـر عـلى المذاكـرة".

ثمَّـة قصاصات ورق قصيرة مدسوسـة بـين صفحـات المخطـوط. أُلصِقت عـلى بعـض الصفحـات قِطَـعُ ورقٍ مليئـة بملاحظـاتٍ بخَـطِّ اليـد. أخـرج الأسـتاذ يـون مظروفًـا كبـيرًا مـن فـوق مكتبـه ودسَّ المخطوطـة بداخلـه. أصابعـه النحيفـة لفتـت انتباهـي.

"يُمكِنُـكِ أن تضيفـي الملاحظـات إلى المخطوطـة في المواضـع التـي حدَّدتهـا".

تعلَّمـتُ الكتابـة عـلى الآلـة الكاتبـة أثنـاء فـترة إقامتـي مـع ابنـة عمي. كانـت ابنـة مالـك العقـار، في نفـس سِـنِّي، ترتـاد مدرسـة ثانويـة مهنيَّـة وتمتلـك آلـة كاتبـة. لا بُـدَّ أنهـا امتلكـت الكثـير مـن الأشـياء العظيمـة لكـن كل مـا فكَّـرت فيـه هـو تلـك الآلـة الكاتبـة. أَرَدتُهـا بشـدَّة لدرجـة أننـي عندمـا كنـتُ أغمـض عينـي، كان يمكننـي بسـهولة تصـوُّر كلمـة " كلوفـر" اسـم الماركـة المطبوعـة عـلى الواجهـة. كلـما واتتنـي الفرصـة كي أدخـل إلى حجراتهـا، كنـت أقـف أمـام الآلـة الكاتبـة، أفـرد أصابعـي وأضغـط عـلى المفاتيـح- تـاك، تـاك، تـاك. بـادئ الأمـر لم تكـن تحـب لمـسي لآلتهـا الكاتبـة، لكـن عندمـا رأت كـم أنـا مفتونـة بهـا، علَّمَتنـي كيـف أكتـب عليهـا. حَفَظـتُ مواضـع كلِّ المفاتيـح عـن ظهر قلـبٍ، واسـتمتعت بالصوت الصـادر عنهـا عندمـا أنقـر عـلى المفاتيـح. في كل مـرَّةٍ أُحـرك فيهـا أصابعـي- تـاك، تـاك، تـاك- تبـدأ المفاتيـح الصامتـة العمـل، وتظهـر حـروف الحـبر الأسـود حرفًـا تلـو الآخـر فـوق الورقـة البيضـاء كأنهـا إجابـة عـلى سـؤال مـا. لاحقًـا، بـدأت ابنـة مالكـة العقـار تجلـب الآلـة الكاتبـة إلى شَـقَّتِنا كي يمكننـي اسـتخدامها. كلَّـما حـدث ذلـك، كنـت أشـعر بإثـارة بالغـة وبهجـة

عارمة لدرجة أنني تعلَّقتُ بها كما لو كانت أمي. في البداية مَلَأتُ الورقة البيضاء بمقاطع عشوائية: غا، نا، دا، را، ثم بالضمائر أنا، أنت، نحن بشكل متكرِّر كشخص يتعلَّم الكتابة لأول مرة. في الوقت الذي أَمسيَتُ أتفوَّق على ابنة مالكة العقار في سرعة الكتابة، رُحتُ أنسخ رسائل ڤان جوخ إلى أخيه الأصغر، ثيو. بدأت أكتبها على الآلة الكاتبة لأنني أحببت وقع الكلمات، عزيزي ثيو.

عزيزي ثيو

الدراسة العميقة والنَّسخ المتواصل والمتكرِّر لتمارين الرسم بالفحم لبارج[1] قد أعطاني صورةً أفضل عن رسم الأجسام البشرية. تعلَّمتُ أن أقيس وأن أرى وأن أبحث عن الخطوط العريضة؛ لذا أصبح الآن ما بدا مستحيلًا تمامًا بالنسبة إليَّ من قبل، ممكنًا بالتدريج. رسمت رجلًا حفَّارًا يمسك بمجرفة خمس مرات في وضعيات مختلفة، وناثِرَ بذورٍ مرَّتَيْن، وفتاة تمسك بمقشَّة مَرَّتَيْن. ثم رسمت امرأة ترتدي قبعة بيضاء تقشر حبَّات البطاطا، وراعي غنم يتَّكِئ على عصاه، وأخيرًا مزارعًا مُسِنًّا مريضًا يجلس على مقعد بجوار المدفنة، رأسه بين يديه، ومرفقاه فوق ركبتيه. ولن أترك اللوحة عند هذا الحد بالتأكيد. رسمت عددًا من الخرفان تعبر الجسر، فيتبعها القطيع بأكمله. عليَّ الآن أن أرسم حفَّارين وناثري بذور، ورجالًا ونساء أمام المحراث من دون أن أتوقَّف. أُدقِّق وأرسم كلَّ شيء يُعتَبر جزءًا من حياة الريف. تمامًا كما فعل ويفعل آخرون كثيرون. لم أَعُد أقف مكتوفَ اليدين أمام الطبيعة كما كنتُ في السابق.

---

(1) تشارلز بارج (1827- 1883): فنَّان ومُعلِّم فرنسي. يُعتَبرَ مَن عَلَّم ڤان جوخ الفَنَّ، ومِن أكثر مَن تأثَّر بهم.

توقَّفتُ أثناء الكتابة لأتأمَّل الجزء التي يتحدَّث فيه عن تقليد لوحات بارج. لا بُدَّ أنه يقصد أنه لم يَعُد يقف مكتوف اليدين أمام الطبيعة بفضل رسمه المتكرِّر لتلك اللوحات. طَوَيتُ الورقة المكتوبة بالآلة الكاتبة وأرسلتها إلى داهِن، مُتمنِّيَةً أن يصبح داهِن الذي قطع عهدًا على نفسه بألَّا يتوقَّف عن الرسم، فنانًا مثل ڤان جوخ.

شعرتُ الآن أن كل ذلك الوقت الذي قضيته في تعلُّم الكتابة على الآلة الكاتبة قد قادني إلى الأستاذ يون.

هَرَبَت عيناي إلى الرَّفِّ حيث الكتب تواجه الدَّاخِلَ ولا يمكن معرفة عناوينها.

"أتتساءلين لماذا صَفَفتُ الكتب على الرَّفِّ بتلك الطريقة؟" سألني الأستاذ.

"أجل".

"تنتمي الكتب إلى كُتَّاب ماتوا قبل عمر الثالثة والثلاثين. كنتُ مُهتمًّا بجمعها في الماضي".

كُتَّاب ماتوا قبل عمر الثالثة والثلاثين... كرَّرتُ الكلمات في رأسي.

"ربَّما تتساءلين الآن لماذا عمر الثالثة والثلاثين. لأنَّه العمر الذي صُلِب فيه المسيح، وشَيَّد فيه الإسكندر الأكبرُ إمبراطوريَّته ومات. بعد عمر الثالثة والثلاثين، لا يمكنكِ أن تقولي إنك شابَّة بعد الآن. ألَّا نقول إن أحدهم قد مات صغيرًا إذا مات قبل عمر الثالثة والثلاثين؟ بالنسبة للفنانين، قد يكون الموتُ المبكِّر شرفًا أحيانًا. لقد ملأتني أعمالهم بالإعجاب والشَّفَقَة. إذا كنتِ مُهتمَّةً بقراءتها، فيمكنك استعارتها".

"شكرًا لك".

سار الأستاذ يون من حول جدار الكتب. سألني فجأة، "هل أنتِ صديقة ميرو؟".

"لقد التقيتُ بها لأول مرة اليوم".

نظر إليَّ للحظة.

"أنـا أيضًـا أَرَدتُ أن أشـكرَكِ" كان يكـرِّر مـا قالـه ميونجسـو قبـل أن يغـادر المكتـب مبـاشرة. "شـكرًا لأنَّـكِ مَـدَدتِ يـدَكِ إليهـا. سـيطر عـليَّ التفكـير كيـف أجعلهـا تواجـه مَخاوِفَهـا، لكـن لم يخطـر ببـالي أن أواسـيها وأن أفعـل مـا فعلـتِ. أشـعر بالعـار مـن نفسـي. لم تُمسِـك بِيَـدِكِ الممـدودة، لكـن رُبَّمـا تتمكَّـن مـن تحريـر نفسـها مـن مخاوفهـا بطريقتهـا الخاصـة بفضلـكِ".

جلـس الأسـتاذ يـون عـلى مكتبـه وقـد أولاني ظهـره. في هـذه اللحظـة بـدا ضعيفًـا ومتعبًـا. راقَبتُـه للَحظَـةٍ ثـم وضعـتُ المخطوطـة في حقيبتـي وغـادرت المكتـب. أغلقـت البـاب بهـدوء. حدَّقـتُ إلى اسـمه المطبـوع عـلى بـاب المكتـب، قبـل أن أديـر اللافتـة بجـواره للجانـب المكتـوب عليـه "غـير متواجـد في المكتـب" ثـم مشـيتُ في الـرواق. سِرتُ مُتَّجِهَـةً إلى شـجرة الزلكوفـا الضخمـة مُعتَقِـدَة أن ميونجسـو ومـيرو ربمـا هنـاك، لكننـي لم أتمكَّـن مـن رؤيتهـما في أي مـكان. عـبر مجموعـة مـن الطَّلَبـة أمامـي مُسرِعـين. جلسـت عـلى مقعـدٍ خشـبيٍّ أسـفل الشـجرة ونظـرت إلى أعـلى. السـماء البعيـدة كانـت تعـبر مـن جَـوِّ الصيـف إلى أوائـل الخريـف، وسُـحُبٌ بيضـاء أشـبه بأكـوام مـن الآيـس كريـم حلَّقَـت مُبتَعِـدَة. همسـت نسـمة مـن خـلال أفـرع الشـجر. هـل كانـت الجامعـة هكـذا دائمًـا؟ كانـت الرائحـة النفَّـاذة للغـاز المسـيل للدمـوع لا تـزال عالِقَـةً في الهـواء لكـن أشـجار الزرنـب المزروعـة كجـدارٍ حـول الحـرم لم تَبـدُ بمثـل هـذا الاخـضرار مـن قبـل. عـلى مبعـدة، جلـس الطلبـة الذيـن رأيتهـم منـذ قليـل في قاعـة المحـاضرة، عـلى العشـب معًـا يتحدَّثـون. وصـل حوارهـم إلى أذنيَّ حيـث أجلـس تحـت شـجرة الزلكوفـا. كانـوا يتحدَّثـون عـن قصـة القديـس كريسـتوفر عابـرِ الميـاه.

"إذًا أيُّها القِدِّيسون الصغار!" كان أحدهم يُقلِّد الأستاذ يون "أيستطيع أحدُكُم أن يذكر عنوان هذا الكتاب؟".

كان يُمسك بكتاب الأستاذ يون الخاص بمادة الكتابة الإبداعية. عنوان الكتاب "ما هو الفنُّ؟".

"ليس التظاهُر!" هتف أحدهم بنبرَةٍ ساخرة، فأخمد المزاجَ المَرِحَ السَّائِدَ في لحظة.

"ما فائدة الفن لنا؟ لا يمكن للفن أن يعلمنا كيف نجني المال أو نحظى بوظيفة. لا يمكنه أن يخبرنا كيف ننجح في علاقاتنا الغرامية. وبالطبع لا يستطيع أن يخبرنا إذا كان علينا التَّظاهُر أم لا!" كان يتحدَّث بصوتٍ جَهوَريٍّ كما لو كان يحاول رفع معنويات الآخرين لكن لم يُجْدِ ذلك نفعًا. استلقى فوق العشب ونظر إلى السماء وقال: "أتذكرون ما قاله رامبو. أفضل شيء في الحياة أن تثمل بمشروبٍ رخيصٍ وتنام على الشاطئ".

"إذًا ماذا يفترض أن تفعل بعد أن تفيق من الثمالة؟ ماذا يمكنك أن تفعل؟".

"أعثر على المزيد من المشروب وأجوب الشوارع".

"أحمق!" صرخ الصبي الذي كان يُقلِّد الأستاذ يون. "أتعتقد أنكَ تستطيع أن تعيش حياتك مثل بوهيميٍّ طاعن في السن؟".

ينهض ويسير مبتعدًا.

يعتدل الفتى الراقد على العشب في جلسته وينظر إلى أعلى نحو الطُلَّاب المتظاهرين الذين يهتفون. نهضتُ من أسفل الشجرة ومَشيتُ حول المباني الحجرية القديمة في حرم الجامعة، والأخرى الجديدة المزوَّدة بالمصاعد. لم أتجوَّل في أرجاء الحرم باهتمام هكذا من قبل. في كل مرَّة تقع فيها عيناي على مجموعة من الطلبة، أتفحَّص وجوههم.

في البداية كنتُ أَجهَلُ عمَّن أبحث. بمجرَّد أن أدركت أنني كنت أبحث عن ميونجسو وميرو، عُدتُ بخطوات مُتثاقِلَةً إلى أسفل شجرة الزلكوفا وجلست هناك لوقت طويل. لم أستطع رؤيتهما في أي مكان.

***



مُذكّرات ميونجسو

المفكرة البُنّيّة "2"

-1-

أعتقد أنني سَمِعتُ أحدهم يناديني؛ لذا أفتح الباب وأنظر إلى الخارج. لكن كل ما أراه هو طبقات من الظلام.

راوَدَني ذلك الحلم ثانية. خطَوتُ خطوة واحدة داخل الظلام ووقفت هناك.

عندما أخبرت ميرو عن الحلم، ضَغَطَت على يدي بقوة، وقالت لي ألّا أُنصِتَ إلى الصوت. قالت إنه إذا راودني ذلك الحلم ثانية، فإنني يجب أن أُبقي الباب مُغلَقًا، وألّا أخرج. كما لو أنني يُمكِنُني التحكُّم في الحلم كيفما أشاء.

"لـن تخـرج مـن الحجـرة، حسـنًا؟" كانـت جـادَّةً جـدًا، لدرجـة جعلتنـي أعتقـد أننـي حلمـت بـشيء مهـم حقًّـا.

"فقط إذا وعدتِني بأن تَكفِّي عن البحث عنه" قلتُ.

رمَقَتنـي مـيرو بنظـرة قاسـية. شـعرتُ بالسـوء تمامًـا كـما خذلـت مـيرو أختهـا مـيراي. اعتَـذَرتُ لهـا بعـد فـترة.

"أرجـوك، لا تتـصرَّف كوالـديَّ" قالـت. "لم أطلـب مِنـكَ أبدًا أن تسـاعدني في البحـث عنـه ثانيـة؛ لـذا دَعني وشـأني".

اسـتَمَعتُ إليهـا ولم أعلِّـق. تَنحنَحَـت مـيرو وتابَعَـت: "إذا لم أعـرف مـا حـدث للرجـل الـذي كانـت تبحـث عنـه أختـي، فلـن أسـتطيع الحيـاة مـع نفـسي".

مـن فـترةٍ، قبـل أن يبـدأ الفصـل الـدراسي، كانـت مـيرو تقـرأ أحـد كتـب الأسـتاذ. كان عبـارة عـن مجموعـة مقـالات، صـدر قبـل سِـتِّ سـنوات. سـألتني مـيرو فجـأةً إذا كان الأسـتاذ أعـزب. قلـت إذا كانـت تعنـي بأعـزب، شـخصًا يعيـش وحـده فالإجابـة هـي نعـم إذًا. كان مـن الغريـب أن أراهـا تتحـدَّث بتلـك الطريقـة عـن شـخص لم تُقابِلـه مـن قبـل أبـدًا. الكتـاب الـذي تقـرؤه والـذي كان العمـل الوحيـد المنشـور لـه بالإضافـة إلى كتابـين شـعريَّيْن نُـشِرَا عندمـا كان أصغـر سـنًّا، يحتـوي عـلى تأمُّـلاتٍ حـول الشِّـعر مــن دون التطــرُّق إلى حياتــه الشــخصية. لم ينــشر أي شيء منــذ ذلــك الكتـاب، ولا حتـى أي ديـوان شـعري. الطريقـة الوحيـدة لقـراءة أعـمال أحـدث لـه هـي أن تُفتِّـش في المجـلات القديمـة في المكتبـة. قبـل أن تشـير مـيرو إلى الأمـر، لم أفكـر أبـدًا في حقيقـة أنـه ليـس متزوِّجًـا، عـلى الرغـم أن مـن الواضـح أنـه أعـزب. سـألتها: لمـاذا تَـودُّ معرفـة ذلـك.

"أعتقـد أنـه شـاهَدَ شـيئًا مـا" قالـت، ثـم تمتَمَـت بصـوتٍ يـكاد يُسـمع: "لا بُـدَّ أن هـذا الـشيء يطـارده".

سألتها لماذا تقول ذلك.

"انظـر" قالـت. "مـاذا تفعـل هـذه الصـورة هنـا؟"، أَرَتنـي الصفحـة. لم يكـن هنالـك ذِكـرٌ للفنـان، لكنّنـي تَعرَّفـتُ عليـه في الحـال.

"أرنولـد.." تَلَعثَمـتُ عنـد نُطـقِ اسـمه الأخـير؛ لـذا أنهـت مـيرو الاسـم بـدلًا منـي.

"أرنولـد بوكلـن"(1). بـدا أنهـا تدير فكـرةً مـا في رأسـها. ثـم قالـت إنهـا ترغـب في حضـور محـاضرات الأسـتاذ. تسـاءَلت بصـوتٍ مسـموعٍ: لمـاذا سـترغب إنسـانة توقَّفَـت عـن الذهـاب إلى جامعتهـا، الذَّهـابَ إلى جامعتي، لكننـي فكَّـرتُ أنهـا قـد لا تكـون فكـرةً سـيِّئة في نهايـة المطـاف. ربمـا سيسـاعدها فصـل الأسـتاذ عـلى تغيـير مسـار حياتهـا.

كلَّـما أخبرتُهـا أن تبـدأ في التـصرُّف كطالبـة جامعيـة طبيعيـة مـن جديـد، كانـت تـردُّ عـليَّ مبـاشرة: "أنـت مَـن تقـول ذلـك؟!".

إنهـا تصبـح أكـثر شـبهًا بأختهـا مـع مُـضيِّ كل يـوم. قالـت إنهـا سـوف تفعـل كل مـا يتطلَّبـه الأمـر كي تعـثر عـلى الرجـل الـذي اختفـى، الرجـل الـذي فشـلت أختهـا في العثـور عليـه. لكـن مـاذا بوسـعها أن تفعـل كي تعـثر عـلى شـخصٍ ميِّـت؟ لم أعـرف مـاذا يجـب أن أقـول لهـا.

***

(1) أرنولـد بوكلـن (1827- 1901): رسّـام سـويسري ينتمـي إلى المدرسـة الرمزيـة. تُعتَـبرَ لوحـة جزيـرة المـوتى دُرّةَ أعمالـه.

-2-

شاهَدتُ جونج يون في المحاضرة اليومَ. أعتقد أن ذلك هو اسمها الأول. لكن أظنُّ أنه يون فقط، وجونج هو اسم عائلتها. اتَّضح أنها كانت تأخذ إجازة من الجامعة. يبدو أنها قد فقدت بعض الوزن. لكن لا تزال -كما كانت حين كانت طالِبَةً جديدة- لا تبدو سعيدةً أو مُتحمِّسة أبدًا. أتساءل ماذا يزعجها. يمكنني أن أشعر أنها لم تتعرَّف عليَّ. ذات مرة مشيت خلفها طوال الطريق إلى الجامعة. كانت مُستَغرِقَةً في أفكارها، والشعور الذي توحي به غريب جدًّا. توقَّفَت أمام الجامعة. توقَّفَت هناك فحسب، من دون أن تدخل. توقَّفتُ بدوري وانتظرت لأرى ماذا ستفعل. كم مرَّة شاهدتها من على مبعدة من دون أن تلحظ هي ذلك؟ شاهدتها من قبل وهي تجلس وحدها في الجامعة تقرأ كتاب لإيميلي ديكنسون. وقَفَت أمام البوابة ورأسها محنيٌّ إلى أسفل. حكَّت الأرض بحذائها عدَّةَ مَرَّاتٍ، ثم التفتت ومشت مبتعِدَة.

اختفت في لحظة.

***

-3-

في ذلك اليوم، لم أرها في الحَرَم على الإطلاق. اكتَشَفتُ أنها قد قدَّمَت طلبًا للحصول على إجازة غياب. كانت تحافظ على مسافة بينها وبين الجميع. حين أفكِّر في الأمر، أدرك أنني لم أتحدَّث معها محادثة فعليَّة ما عدا مرَّة واحدة عندما كانت طالبة جديدة في أيامها الأولى. أثناء ذلك الفصل الدراسي الأول قبل أن تأخذ الإجازة، ذهب كل الطلبة في قسمنا إلى إيلونج للتخييم ليلًا. من بين كل الطلبة، كانت الوحيدةَ التي جذَبَت انتباهي. لا أزال أتذكر كيف بَدَت:

شَعرٌ أَسوَدُ مُنسَدِلٌ على كتفيها، وصديريٌ أسود فوق قميص أبيض، وحذاء رياضي أبيض كالثلج، وفم مُطبَقٌ بإصرار. بينما جلس الجميع في دائرة بجوار النهر وراحوا يغنُّون، حدَّقَت هي إلى النار المتَّقِدة في صمتٍ، رافِضَةً الانضمام إلى الغناء. في الصباح التالي، استيقظتُ وأنا أعاني من صداع ما بعد الشرب على أرضية منزل المستضيف، ومن حولي الآخرون الذين استغرقوا في النَّوم ثَمِلين. نهضت وتوجَّهتُ إلى الخارج. طغى عليَّ شعور بالغثيان. بينما انحنى إلى أسفل وأحاول تقيُّؤَ ما بجوفي عند ضفة النهر، لمحتها عبر السديم الذي يُطَوِّق النهر. ظَنَنتُ بادئ الأمر أنها قد غمست وجهها في المياه. كان وجهها مُبلَّلًا. عندما لاحَظَت أنني أشاهدها، قفزت وأخفت وجهها. أدركت أنها كانت تبكي. كانت عيناها منتفختين كما لو كانت تبكي بغزارة. خفضت رأسها إلى أسفل ومشت مبتعدةً، لكنني تبعتها. بدأ الضباب الكثيف ينتشر فوق البقايا المحترقة لنار المخيم. جثت على ركبتيها بجوار الرماد. جلست بجانبها. أراحت ذراعيها فوق ركبتيها ودفنت وجهها فيها. فعَلتُ الشيء ذاته. رفَعَت رأسها وأسندتها على ساعديها. فَعَلتُ مثلها.

"لماذا تُقلِّدني؟" سألَتني.

"لأُضحككِ!".

ضَحِكَت بشحوبٍ كأنَّما تُجامِلُني. "هل تعرفني؟" سألَتني.

" ليس بَعدُ".

"إذا كنتَ لا تعرفني، إذًا كيف تستطيع أن تجعلني أضحك؟" واصَلَت مُعامَلَتَها لي برسميَّةٍ، رغم محاولاتي التقرُّب منها.

"لكنني أصبَحتُ أعرفكِ الآن".

حدَّقَت إليّ عبر الضباب. عيناها لا تزالان منتفِخَتَيْن. لا بُدَّ أنها قد لمحتني وأنا أتقيّأ لأنها أخرجت قرص أسبرين من جيبها وناولته إليّ ثم نهضت واختفت داخل الضباب.

***

-3-

نحن نتنفّس

اتَّخـذت القـرار الصحيـح بـأن أتعـرَّف عـلى المدينـة مـن خـلال التَّجـوال في شـوارعها. جعلنـي المـشيُ أفكّـر أكـثر وأركـز في العـالم مـن حـولي. التحـرُّك إلى الأمـام، وَضـعُ قَـدمٍ أمـام الأخـرى- ذكَّـرني بقـراءة كتـاب. صادَفـتُ معابـر خشـبية وأزِقَّـةً سـوقٍ ضيِّقـة حيـث تَشـارَك أنـاسٌ غريبـةٌ عنِّـي المحادثـاتِ، يطلـب أحدهـم المسـاعدة مـن الآخـر، وينـادي أحدهـم عـلى الآخـر. امتصصـت الوجـوه والمناظـر.

بعـد أن وجـدت طريقًـا إلى الجامعـة مـن دون الاضطـرار إلى عبـور النفـق المـروري الضخـم، أمسـيت أسـتمتع بالمـشي إليهـا. ذات يـوم مشـيت إلى الجامعـة فقـط كي أجـد نفـسي وقـد عُـدتُ أمـام النفـق ثانيـة. نظـرت حـولي، متسـائِلَةً: مـاذا عـليَّ أن أفعـل، عندمـا لمحـت سُـلَّمًا إلى يمـين النفـق. في أعـلى السـلالم، ممـرٌ مُلتَـوٍ ضيِّـق يقـود إلى أعـلى التـل الممتـد فـوق

النفـق ويخترق مجموعـة مـن المبـاني العتيقـة ذات أسـقف القرميـد. تبعـد الجامعـة مسـافة دقيقتـين إذا ركبـت الحافلـة، لكـن لـو سَـلَكْتُ هـذا الممـرَّ الـذي يمتـدُّ أعـلى النفـق، فسـأحتاج إلى عشريـن دقيقـة مـن المـشي عـلى الأقـدام عـلى الأقـل. بينـما أواصـل المـشي، صادَفـتُ المزيـد مـن السـلالم.

بَـدَت لي المدينـة كأنهـا مدينـة أخـرى مـن أعـلى هنـاك. مدخنـة عاليـة مـن الطـوب الأحمـر مكتـوبٌ عليهـا بحـروف بيضـاء ضخمـة "حـمَّام عمومـي". بيـت يبيـع أواني فخاريـة بأحجـام مختلفـة، بوابتـه الأماميـة مفتوحـة. صادفـت حتـى لافتـة لمكتبـة العلـوم الاجتماعيـة. تنمـو شـجرة تمـر حنَّـة مثـل تلـك الموجـودة بجـوار قـبر أمـي فـوق أرض خاليـة. لكـن لا بُـدَّ أنهـا شـجرة عتيقـة؛ لأن قاعِـدَةَ جذعِهـا كانـت سـميكة جـدًّا وأَفرُعُهـا تنتـشر عـلى نطـاق أوسـع مـن شـجرة أمـي. عنـد نقطـة مـا، أصبـح المعـبر ضيِّقًـا جـدًّا، لدرجـة أننـي اضطـررت إلى التَّنحِّـي جانبًـا عندمـا تجاوَزَتنـي فتاتـان ضاحكتـان تحمـلان حقيبتـي ظهـر إلى الاتجـاه المعاكـس لأفسـح لهـما الطريـق. يعيـش النـاس هنـا في الأعـلى الحيـاة بوتـيرة أبطـأ، ولا يشـغلون أنفسـهم بأولئـك الذيـن يعيشـون أسـفل النفـق. اختلسـت نظـرة مـن فـوق جـدار بارتفـاع كتـف لأرى شرائـح مـن الفجـل الأبيـض تتعفَّـن فـوق صينيـة مسـتديرة مـن القـش. تتـدلَّى حَبَّـات الفلفـل الأحمـر الحـار اللامعـة مـن تعريشـات مزروعـة في صفـوف داخـل حاويـة بلاسـتيكية زرقـاء. وأحيانًـا كنـت أرى حتـى أصيـص زهـور مزروعًـا بزهـور أقحـوان لم تتفتَّـح بعـدُ أمـام أحـد البيـوت. عـثرت في أحـد الأزِقَّـة عـلى مكتـبٍ خَشـبيٍّ عريـض موضـوع بـين بيتَـيْن. شـاهدت مجموعـة مـن النسـوة يَعجِـنَّ الدقيـق، ويُقَطِّعـن مـا بـدا يقطينًـا- إلى عيـدان طويلـة. عندمـا مَـرَرتُ أمامهـنَّ، تَوقَّفـن عـمَّا يفعلـن، وحَدَّقـن إليَّ كـما لـو كنـتُ كائنًـا مـن سـلالة أخـرى. في أول مـرة مَـرَرتُ هنـاك، مشـيت ببـطء شـديد كي أسـتوعب كل مـا حـولي. لكـن سرعـان مـا تعـوَّدتُ عـلى المـكان، لدرجـة أضحَيـتُ أسـتطيع قطـع المعـبَرِ في غضـون عـشر دقائـق. لاحقًـا، حتـى

عندما لا أكون على ذلك الطريق، كان الطريق معي بشكلٍ ما. عندما تُمطر، أجد نفسي أتساءل إذا كان أحدهم قد أدخل صينية القَشّ إلى داخل البيت. استمتَعتُ بالمتعة الصغيرة الكامنة في تبادُل التحية مع الفتيات اللاتي يَعبُرن الشارع. أحنيت رأسي عندما رأيت رجلًا يمزج الإسمنت. كان قد تجرَّد من قميصه ويتصبَّب عرقًا، والخطوط الداكنة التي تركها قميصه الداخلي على كتفيه جعلتني أدرك صعوبة عمله. اكتشفت أنني إذا أخذت منعطفًا يستغرق خمس دقائق من المشي في طريق عودتي من الجامعة إلى شقتي؛ فيمكنني المرور بشارع تنتشر على جانبيه متاجِرُ الكتب المستعملة. كان عليَّ أن أسلك مجازًا سُفليًا ثم أدور حول ملعب بيسبول لأصل إلى هناك لكن الأمر يستحق. أتمشّى ببطء أمام أكوام الكتب المستعملة العالية وأتوقّف كي أُمعِن النظر إلى عناوين الكتب في القاع. عندما أَلِفتُ ذلك الشارع، بدأ شعور أنني طريدة، والذي صاحَبَني منذ بدأت المشي في شوارع المدينة، يلين أخيرًا.

أثناء الأسابيع الثلاثة التي قضيتها استكشف طُرُقًا مختلفة تقود إلى الجامعة، لم أر ميرو ولو مرَّةً واحدة. لم أرَ ميونجسو أيضًا إلا في محاضرات الأستاذ يون. في كل مرة أدخل فيها قاعة المحاضرة، كان أول شيء أفعله هو التأكُّد من وجوده هناك. كان يجلس بمفرده دائمًا في مؤخِّرة القاعة حيث جلس بجوار ميرو في أول محاضرة في المقعد نفسه دائمًا. ألتَفِتُ وأُلقي نظرةً ثانية في نهاية المحاضرة، لكنه يكون قد رحل غالبًا. أحيانًا بينما أمشي، تشغلني بشدَّة مشاعري نحوه ونحو ميرو، لدرجة أنني أنسى تمامًا أين كنتُ. لم أستطع أن أفهم أبدًا لماذا أعجز عن إخراج ميرو من رأسي. كانت تطاردني. عندما لا أكون في محاضرة الأستاذ يون، أتجوَّل في أرجاء الجامعة مُتسائِلَةً أين قد يكون ميونجسو. لم يكن لديَّ شيء لأقوله له، مع هذا واصَلتُ بحثي عنه.

بعد فترة، لم أستطع أن أحدِّد إذا كان الشخص الذي يثير فضولي هو ميونجسو أم ميرو.

ذات يوم، وزَّع الأستاذ يون نُسخَ كتاب المقرَّر الدراسي الذي كتبتُه على الآلة الكاتبة. لم يكن ميونجسو في الفصل ذلك اليوم. وضع الأستاذ يون كومة النسخ فوق منصَّة المحاضرة كي يستطيع الجميعُ أخذَ نُسَخه في طريقه إلى الخارج. حدَّقتُ إلى الحروف السوداء للمخطوطة التي كَتبتُها، ثم تناوَلتُ نُسختَيْن إضافيَّتَيْن ووضعتهما في حقيبتي. كنتُ أفكر في ميونجسو وميرو. عندما أعلن الأستاذ يون للفصل أنَّني مَن كتب المخطوطة، التفتُّ إلى الوراء وحدَّقتُ غريزيًّا نحو مقعد ميونجسو. لم أره عندما وصلت إلى هنا، لكن ربما دَخَلَ بعدي. كان مقعده لا يزال خاليًا. انتابني الإحباط لأنه لم يكن موجودًا ليستمع إلى الأستاذ يون وهو يخبر الجميع أنني مَن كتب المخطوطة على الآلة الكاتبة. رغم أنه لم يكن شيئًا يُذكَر، إلَّا أنني قد شعرت بالفخر لرؤية النُّسَخ المطبوعة والمُغلَّفة. على غلاف الكتاب في صورته النهائية عنوان "نحن نتنفَّس". كان العنوان بِخَطِّ يد الأستاذ يون.

لا تَكتُبْ جملةً واحِدةً تُحرِّض على العنف.

كانت تلك هي العبارة الأولى في كتاب "نحن نتنفَّس".

عندما أخرجتُ المخطوطة من المظروف لأول مرَّةٍ وقَرَأتُ تلك العبارة، شعرت بعمودي الفقري ينتصب. كتبت العبارة بشكل متكرِّر، مرَّةً عن كُلِّ سنة من سنوات عمري، بينما أستبدل الورقة كلما امتلأت. استغرقت في الكتابة بكل حواسِّي، لدرجة شعرتُ أنني لم أَعُد

الشخص نفسه الذي أحضر المخطوطة إلى البيت. ملأت مُراجعاتٌ عن القصائد والقصص التي اختارها الأستاذ يون بشكلٍ شَخصيٍّ الورقَ. بدأت أفهم ما عناه عندما قال إنه آسِفٌ لتكليفي بذلك، لكن ربما سيساعدني الأمر على المذاكرة. كانت الملاحظات المدسوسة بين الصفحات هوامش إضافية، بينما قصاصات الورق الملصوقة والأسهم تشير إلى المواضع التي أراد أن يضيف فيها إلى المخطوط نصوصًا أخرى مُقتضبة. كانت هنالك قصائد نَسَخَها الأستاذ يون بخَطِّ يده، شعرتُ أن عليَّ البحث عن مصدرها بنفسي.

في اليوم التالي ذهبت إلى متجرٍ يُعير الآلات الكاتبة. كنتُ قد لمحت المتجر في طريقي إلى متجر الكتب في شارع جونجنو. أقل مدَّة لتأجير الآلة الكاتبة هي شهر. استأجرت آلةً كاتبة وحملتها إلى البيت على متن الحافلة. بعد ذلك، أصبحت مُتحمِّسَةً للعودة إلى البيت من الجامعة كل يوم كي أواصل الكتابة على الآلة الكاتبة. لم أعد أستطيع استغلال الدقائق العشر الإضافية للمشي في الضاحية فوق النفق، أو اقتطاع خمس دقائق لزيارة الشارع الذي يعجُّ بمتاجر الكتب المستعملة، وكنتُ أجد نفسي على متن الحافلة كي أرجع سريعًا إلى الآلة الكاتبة.

عندما بدأت الكتابة، كنتُ عازِفَةً عن ارتكاب أي خطأ إملائيٍّ، لدرجة أنني حين كنتُ أُخطِئ في كتابة حرف، كنتُ أبدأ الكتابة على ورقة جديدة. لكن بعد فترة بدأت أصحِّح أخطائي الإملائية بسائل تصحيح. بينما أكتب صفحةً تلوَ الأخرى، تعوَّدتُ أكثر فأكثر على خطِّ يد الأستاذ يون. في البداية كنت أعتصر عقلي في محاولَةٍ لِفَكِّ طلاسم بعض الحروف وأحدِّد تلك الصفحات لأعود إليها لاحقًا إذا عجزت عن قراءة الحروف. ذهبت إلى مكتبة الجامعة لأقارن ما نسخه بالنصوص الأصلية. كان بوسعي أن أتأكد منه بشكل شخصيٍّ، لكنني لم

أرغب في ذلك. أردت أن أعطيه المخطوطة بعد أن أفرغ منها بالكامل من دون أن أضطرَّ إلى الاستفسار عن أي شيء.

كُلَّما آلَمَتني كتفاي في الليل بسبب كل هذه الكتابة على الآلة الكاتبة، كُنتُ أريح ذراعيَّ فوق عتبة النافذة وأتأمَّل العالم بالخارج. حدَّقتُ إلى أسفل نحو الضوء المتدفِّق خارج تكتُّلات المباني السكنيَّة الكثيفة عند قدم جبل ناكسان. عثَرَت ابنَةُ عَمِّي على شقة السطح تلك من أجلي؛ لأنها كانت قريبةً من منزلها. تتبَّعتُ المباني بعينيَّ وحاولت أن أُخمِّن أيًّا من تلك الأضواء التي لا حصر لها منبعثًا من شقة ابنة عمي. ثم نظرت إلى أعلى نحو السماء. كانت مزدانَةً بالنجوم. حاولت أن أتهجَّى الكلمات "لا تكتُبْ جُملَةً واحدة تُحرِّض على العنف" وعيناي مثبَّتتان على النجوم. نظرت إلى برج نامسان القابع على مبعدة. على الرغم من أن منظره غير مُلفِتٍ في وضح النهار، لكن في الليل كان يلمع بالضوء الذي يُبرز موقعه في الظلام. طمأنني أن أعرف أن هنالك شيئًا سيظلُّ في مكانه ولن يتغيَّر حتى لو كان مجرَّدَ بُرج. لقد نسيت وجوده في الصباح، لكن وجدت نفسي أحدِّق إليه غريزيًّا في الليل. في الليالي الملبَّدَة حيث تحجب الغيومُ الكثيفةُ البُرجَ، كنتُ أطلُّ برأسي إلى الخارج أكثر، وأنتظر انقشاع الغيوم. قرَّرتُ صعود البرج يومًا ما. فاجأتُ نفسي عندما تخيَّلتُ نفسي أصعد البرج بصحبة ميونجسو أو ميرو.

بعد ساعات طويلة بدا أنها لن تنتهي من الكتابة على الآلة الكاتبة، وصَلتُ إلى الصفحة الأخيرة. كانت تحتوي على قائمة من عشرين كتابًا يرغب الأستاذ يون مِنَّا قراءتها قبل التخرُّج.

في اليوم الذي وزَّع فيه الأستاذ يون نسخًا من كتاب المقرَّر الدراسي، فحصتُ الخريطة لوقت طويل قبل أن أغادر الجامعة. لم

أكـن في عَجَلـةٍ كي أعـود إلى البيـت. بَحَثـتُ عـن أطـول طريـق، وأحكَمـتُ ربـط ربـاط حـذائي. تـرك الانتهـاء مـن كتابـة المخطـوط بداخـلي شـعورٌ بالفـراغ. لم يَعُـد الآن ثَمَّـةَ سـبب كي ألحـق بالحافلـة التاليـة كي أعـود إلى البيـت بـأسرع وقـت ممكـن لأواصـل الكتابـة. لا تـزال الآلـة الكاتبـة التـي لم يَحِـن وَقـتُ إعادتهـا إلى المتجـر بعـدُ، تَقبَـعُ فـوق مكتبـي، لكـنْ إحسـاسٌ بالفَقـدِ سرى بداخـلي. شـعرت أننـي عُـدتُ وحيـدةً مـن جديـد. كان يومًـا غريبًـا. لم أشـعر فقـط أننـي قـد خـسرت شـيئًا مـا، لكـن شـعوري نحـو ميونجسـو وميرو قـد تضـاءل، كأن قلبـي قـد انفتـح لهـما بينـما أكتـب مخطوطـة الأسـتاذ يـون، لكنـه انغلـق مُجـدَّدًا في اللحظـة التـي انتهيـتُ فيـه مـن الكتابـة. يمـرُّ أطـول طريـق يقـود إلى شـقَّتي بوسـط المدينـة. لأنـه مـكانٌ صاخِـبٌ؛ فثمَّـة الكثير مـن الأشـياء لرؤيتهـا، وسـتكون الشـوارع مُزدَحِمَـةً؛ لهـذا حرصـت عـلى المشي ببـطء والوصـول إلى البيـت متأخِّـرة.

كانـت خُطَّتـي هـي أن أسـلك المعـبر التَّحتـيَّ أمـام قاعـة المدينـة إلى فنـدق بـلازا، ثـم أتوجَّـه شـمالًا إلى بوَّابـة جوانجهوامـون، ثـم شرقًـا حتـى أنجـوك- دونـج، ثـم الـدوران حـول الحديقـة السريـة في قـصر تشـانجديوكجونج، ثـم التَّوجُّـه شرقًـا ثانيـة عـبر ميونجنيـون- دونـج في طريـق عـودتي إلى هياهـوا- دونـج. لأنهـا أول مـرة أسـلك فيهـا هـذا الطريـق؛ تفقَّـدتُ الخريطـة مرَّتَـيْن، وتَخيَّلـتُ الرحلـة في رأسي عِـدَّةَ مَـرَّات، لكـن عندمـا اقترَبـتُ مـن قاعـة المدينـة، لم أسـتطع التقـدُّم أكثر مـن ذلـك. وجـدت نفـسي عالقـة في موجـة مـن المتظاهريـن، ودُفِعَـت في مقابـل الأبـواب الزجاجيـة لفنـدق كوريانـا وقـد عجـزت عـن الحركـة. كانـت كل المتاجـر في المنطقـة قـد أغلقـت بواباتهـا المنزلقـة بإحـكام. حتـى الأبـواب الزجاجيـة التـي تـؤدِّي إلى داخـل الفنـدق قـد أقفلـت. يشـاهد موظفـو الفنـدق مـن الداخـل التظاهـرات التـي اجتاحـت الشـوارع. كان المَعـبَر التحتـي عـلى بُعـدِ خطـوات قليلـة مـن الفنـدق. فكَّـرتُ لـو أننـي قـد تمكَّنـتُ مـن بلـوغ المعـبَر؛ يمكننـي العبـور إلى الجانـب الآخـر. خَطَـوتُ

خُطـوَةً تجاهـه، لكـن حينهـا انفجـرت عبـوة غـاز مسـيل للدمـوع فـوق رأسي، واندفـع حشـدٌ هائـل مــن المتظاهريــن داخـل المعـبر التحتــي ليتفـادوا الغــاز. دفعــوني إلى الأمــام معهــم، لكــن البوابـات المنزلقـة في نهايـة الـدَّرَج كانـت مُغلقَـةً أيضًـا. لم يكـن هنالـك مـكان يمكـن الذهـاب إليـه لكـن النـاس في الأعـلى واصلـوا التدفُّقَ والسـقوط فوقنـا. بـدأ النـاس أمـام بوَّابـات الأمــن في الانهيـار فـوق بعضهـم البعـض. لم يكـن هنالـك وقـتٌ للتفكـير في كيفيـة الخـروج. سـقطت مـع شـخصٍ مـا، ثـمَّ شَـعرتُ بآخَـرَ يَسـقُطُ فوقـي.

عندمـا اسـتعدت وعيـي بمـا حـولي، وجـدت نفـسي راقِـدَةً فـوق الأرض خلـف مـسرح سيسـل قـرب قـصر ديكسـو. لا أمتلـك أدنى فكـرة كيـف نجحـت في الوصـول إلى هنـاك. لم أعـرف حتـى كـم مـضى مـن الزمـن. رقَـدتُ سـاكِنةً للحظـة قبـل أن أحـاول النهـوض. كنـت ألهـث وأجـد صعوبـة في الرؤيـة. كانـت ركبتـا بنطلـوني مبلَّلَتَـيْن بالـدم. أتذكَّـر بشـكل مُشـوَّش كيـف ضيَّقـتُ عينـيَّ وشَـقَقتُ طريقـي ببطء شـديد تجـاه الضـوء في أعـلى المعـبر التحتـي. مـع كل نَفَـسٍ أستنشـقه، كانـت حنجـرتي تضيـق، وعندمـا فتحـت عينـيَّ اندفعـت الدمـوع منهـا. أتذكـر محاولتـي حبـس نَفَـسي والإبقـاء عـلى عينـي مغمضتـين بينـما أمـضي إلى حيـث تقـودني قدمـاي. ثـم أتذكَّـر انهيـاري عـلى الأرض. اسـتَلقَيتُ هنـاك لفـترة. جلسـت عـلى الأسـفلت ونظـرت حـولي. كانـت هنالـك رُقعَـة مـن العشـب بجانبـي ومقعـد خشـبي. حاولـت أن أتحـرَّك نحـو المقعـد، لكـن أوقفنـي ألمٌ حـادٌ سَرَى في ركبتـي. نظـرت إلى أسـفل نحـو بقعـة الـدم الجافَّـة فـوق بنطلـوني. جلسـت أخـيرًا عـلى المقعـد وحاولـت أن أسـحب قـماش بنطلـوني عـن ركبتـي، لكـن كان ملتصقًـا بجلـدي. تخلَّيـتُ عـن تَفقُّـد ركبتـي واكتفيـت بالجلـوس هنـاك. كـم مكثـت هنـاك؟ لم أدرك حتـى أن حقيبتـي وحـذائي قـد اختفيـا حتـى شـعرت بالحـصى الملتصـق بباطـن قدمـيَّ. كان أول مـا خطـر ببـالي هـو محاولـة تذكُّـر مـا كان في حقيبتـي. تذكَّـرتُ أن بداخلهـا

كان ثلاث نسخ من كتاب "نحن نتنفّس". تجاهَلتُ الألم المنبثق من ركبتي، ومشيت عبر زقاق طويل إلى الطريق الرئيسي. كان كل شيء في حالة فوضى بسبب المظاهرة. اختفى تيار البشر الهائل في مكان ما، وتغطّى الشارع بحقائب وأحذية متروكة، سَقَطَت من المتظاهرين خلال اشتباكهم مع شرطة مكافحة الشغب. تفقّدتُ كل الحقائب والأحذية المتناثرة هنا وهناك أملًا في العثور على متعلّقاتي. توجّهتُ عائدة إلى المعبر التحتي أمام الفندق حيث انهرت مُتسائِلَةً إذا كنتُ سأعثر على حذائي وحقيبتي هناك. يمكنني سماع هتافات متفرّقة من شعارات المظاهرة. لم تَنتَهِ المظاهرة، بل أُجبِرَت ببساطة على التراجع إلى إحدى نهايتَيْ الشارع. فُتِحَت أبواب الفندق الزجاجية التي كان قد أغلقها الموظفون بدافع الخوف عندما كانت حشود المتظاهرين تتدفق في الشارع خارجه. وقف الموظفون وقد بدا عليهم القلق أمام الفندق. ناولتني موظفة زجاجة مياه. التقطتها من دون النظر إليها حتى، وأخَذتُ رشفةً. كان المعبر التحتيُّ فارغًا كما لو أن أحدهم قد اجتازه ونظّفه. أمكنني أن أرى بوضوح أنه لا يوجد شيء في بئر الدَّرَج، مع هذا هبطت الدَّرَج لألقي نظرة عن كثب. كانت البوابات المعدنية لا تزال مُقفَلةً بإحكام. لماذا لم يُسمح لنا بالعبور إلى الجانب الآخر؟ صعدت الدَّرَج مُجدَّدًا. جعل ألم ركبتي الصعودَ لا يُطاق. أرَدتُ أن أجلس على الأرض هناك، لكِنْ خَطَا أحد ضباط مكافحة الشغب أمامي. لا بُدَّ أنه ظَنَّ أنني أحاول التَّوجُّه إلى بوابة جوانجهوامون -حيث كان المتظاهرون-؛ لأنه ظلّ يَسدُّ طريقي.

" حذائي... حقيبتي" قلتُ.

رمقني بنظراته. عيناه حمراوان. أشار أخيرًا إلى رقعة أرض صغيرة فارغة بين الطريق والفندق.

" اذهبي هناك. يُجمع كلُّ شيء هناك".

يـأبى ألم ركبتـي أن يختفـي. كـدتُ أن أتحامَـلَ عـلى نفـسي وأعـرج حتـى أصـل إلى الأرض الفارغـة عندمـا سـمعت أحدهـم خلفـي ينـادي عـلى اسـمي. التفـتُّ لأرى ميونجسـو يقـف هنـاك وكامـيرا تتـدلّى مـن عنقـه. هـا هـو يقـف هنـاك حيـث اجتاحـت مظاهـرة الشـارع كفيضـان مفاجئ. شُـلَّ تفكـيري. كيـف يمكننـي وصـف الصدمـة التـي داهمتنـي؟ كانـت مُشـابِهَةً لمـا شـعرت بـه عندمـا أخـبرني أبي أنـه سـينقل شـجرة التَّمـر حِنَّـة إلى قـبر أمـي. لم أسـتطع لسـببٍ مـا أن أصـدِّق أن الشـجرة يمكـن أن تتزحـزح مـن مكانهـا حتـى حـين راقَبـتُ أبي يحفـر الأرض ويخرجهـا مـن الفنـاء، ولا حتـى حـين شـاهدتها تلقـي بظلالهـا فـوق قـبر أمـي كالمظلّـة، ولا حتـى حـين تهـادَت الأوراق القرمزيـة المتفتِّحـة فـوق العشـب الأخـضر لقبرهـا مثـل الفراشـات. في كل مـرة أشـاهد فيهـا الشـجرة، كنـتُ أحـدِّق إليهـا كـما لـو كنـتُ أشـاهدها لأول مـرة.

"جونج يون!".

وَقفـتُ وحدَّقـتُ إلى ميونجسـو كأننـي أنظـر إلى هلوسـة. هتف باسـمي ثانيـة. بمجـرَّد أن أدركـت أنـه يقـف هنـاك حقًّـا، بدا لي كشـعلة ضـوء تتوهَّج وسـط الظـلام. شـعرت أخـيراً بثقـل مـوت أمـي الـذي كان يبتعد عـن متناول يـدي طـوال الوقـت، وغمرتنـي موجـة مـن الفقـد. لم أكـن مسـتعدَّةً لذلـك. لمـاذا مـن بـين كل الأشـياء تذكَّـرتُ مـوت أمـي؟ لمـاذا ضربتنـي حقيقـةُ أننـي لـن أرى أمـي مـرة ثانيـة، حقيقـة لم أسـتوعبها بعـد رغـم مشـيي في كل مـكان وخاتمهـا في جيبـي، في تلـك اللحظـة وذلـك المـكان بالتحديـد؟ ماما ميتـة! خُيِّـل لي أننـي أسـمع قَـرْعَ طبـول، ورسـول ينقـل خـبر موتهـا إليَّ. لـن أُمسـك بِيَـدِ أمـي ثانيـة. لـن ألتـفَّ حـول جسـدي في مقابـل جسـدها المريـض وأسـتغرق في النـوم. لـن أسـمعها تنطـق باسـمي. بينـما أقـف في وسـط المدينـة، رفعـت يـديَّ وغطَّيـتُ وجهـي. انسـحبت الحـرارة منـي وصـار جسـمي بـاردًا كالثلـج. قبـل أن أدرك ذلـك، كانـت الدمـوع تنحـدر عـلى وجهـي. ركـض ميونجسـو إلى جانبـي ورمـى ذراعيـه حـولي.

"ما الخطب؟" سألني.

جَلَبَت الموظفة التي كانت تراقبنا من داخل الفندق زجاجة أخرى من المياه ووضعتها في يدي. حتى شرطي مكافحة الشغب الذي أخبرني أين أذهب لأبحث عن حاجياتي، قد توقَّف لينظر إلينا.

"دعينا نذهب إلى مكان آخر ونجلس" قال.

لفَّ ذراعه حول كتفيَّ. المكان الوحيد الذي يمكننا أن نغادر منه الطريق الرئيسي هو المكان الذي أشار إليه شرطي مكافحة الشغب. بمجرَّد أن بدَأت في الانهمار، لم تتوقَّف دموعي عن الانحدار فوق خدَّيَّ. أرَدتُ أن أكُفَّ عن البكاء، لكنني لم أستطع التَّحكُّمَ في نفسي. كنت مُحرَجَةً، وحاولت أن أبعِدَ ذراعه عني، لكنه أحاطني بقوة ولم يتركني. شعرتُ كأن المباني التي تَحدُّ الشارع، واللافتات في الأزقَّة، والجدران، والإسفلت- كلها تراقبني.

"أنا بخير" قلتُ.

حتى حين حاوَلتُ أن أحرِّر كتفيَّ من قبضته، واصلت دموعي التدفق.

"دعيني أخبرك بقصة مُضحِكَة" قال. "ربما سمعتها من قبل في الراديو. كان هنالك طالِبٌ جامعي مُعجَبٌ بفتاة تذهب معه إلى نفس الجامعة، ولم يكن يعرف ماذا يفعل. كانت كُنيَتُه هي ناك سوجانج. كان يبحث عنها في حرم الجامعة كلَّ يوم، لكنه لم يتحدث معها أبدًا. كانت تُواعِدُ شخصًا آخر. لكنه لم يستطع كبح مشاعره؛ لهذا أبقى عينيه عليها دائمًا من بعيد. ذات يوم، شاهدها تجلس على العشب أمام المكتبة مع صديقها الذي تُواعِدُه. بدا كأنهما يتشاجران. نهض حبيبها فجأةً ورحل. كانت الفتاة تبكي. شعر ناك سوجانج بالأسف عليها. أي فتى لن يشعر بالأسف لرؤية فتاة يعجب بها تبكي بحرارة؟ لهذا قَرَّر أن يخبرها بدعابَةٍ كي يبهجها. كان سيقول لها (ماذا قال ثَديٌ مُترهِّلٌ لآخر؟ يجدر بنا أن ننتفخ قليلًا وإلا سيعتقد أحدهم أننا

جَوْزَتَـان)، لكـن عندمـا اقـترب منهـا، انفَجَـرَت في وجهـه (مـاذا تريـد؟)، كان مرتبـكًا للغايـة؛ فاندفـع قائـلًا: (مـاذا قـال ثديـك المترهـل؟)".

انفَجَرتُ ضاحِكَةً والدموع لا تزال تتدلَّى من عيني.

"لقد ضَحِكتِ!".

بـدا لي في تلـك اللحظـة رجـلًا وصبيًّـا في الآن نفسـه. كان يبتسـم ويتَّخـذ وقفـةَ مَـن انتـصر للتَّـوِّ في سـباق مائـة مـتر. ابتلعـتُ أخـيرًا ذكـرى أمـي التـي كانـت عالِقَـةً مثـل كتلـة في حلقـي. نسـيت كل شيء عـن البـكاء ونظـرت إليـه وأنـا أضحـك بصـوت مرتفـع مـرة أخـرى.

"لقد ضَحِكتِ ثانيةً!".

في كل مـرة أضحـك فيهـا، كان يكـرِّر ذلـك. بـدا كأنـه يريـد أن يحسـب عـدد مَـرَّات ضحـكي. بـدا سـخيفًا للغايـة، لدرجـة أننـي لم أسـتطع التوقُّـفَ عـن الضحـك رغـم اسـتمرار دموعـي في التدفُّـق. هـل مصـدر الضحـك كالبـكاء: حـزنٌ أيضًـا؟ بينـما أضحـك، مـلأني مزيـج مـن الفـرح والحـزن. حـدَّق المـارَّةُ إلينـا.

"جونج يون ضحكت أخيرًا!".

طـوب الرصيـف الـذي خُـدِشَ أثنـاء المظاهـرة، والنوافـذ الزجاجيـة للمبـاني، والسـلالم، والأعمـدة والدربزينـات- كانـت كُلُّهـا تُحـدِّق إلينـا.

" لقد جعلتُ جونج يون تضحك!".

هـل رغبـتَ بشـدَّة في إضحـاك شـخص مـن قبـل؟ تَصـوَّرتُ وجـه أبي وأَدرَكـتُ أننـي لم أسـتغل الوقـت الـذي قضيتـه في البيـت مـع أبي بشـكل جيـد. لم أحـاول ولـو مـرَّةً أن أُبهِـجَ أبي الـذي فقـد ضحكتـه حـين فَقَـدَ زوجتـه. ثـم تصـوَّرتُ وجـه داهِـن الحزيـن. لم تتوقَّـف دموعـي عـن التسـاقُط. مسـحتها بظهـر يـدي وتمكَّنـتُ أخـيرًا مـن إلقـاء نظـرة جيـدة عـلى ميونجسـو. بـدا منظـره مُزريًـا مثـلي تمامًـا. أطـراف بنطلـون الجينـز

مُبلَّلة، وظهر قميصه مُمزَّق. توقَّفتُ عن الضحك، لكن شعرت أننا قد أصبحنا مُقرَّبَيْن من بعضنا في تلك الدقائق الأخيرة.

"ماذا حدث لحذائكِ؟" سألني ميونجسو.

نظَرَ إلى قدميَّ الحافيتين. نظرت بدوري إليهما. كنتُ قد بدأت بالفعل في نسيان تفاصيل ما حدث. الجزء الوحيد الذي أتذكَّره بوضوحٍ هو اللحظات التي انجَرَفتُ فيها مع الآخرين إلى المعبر التحتي، كيف انهار جسدي وسقطت على وجهي. داهمني الألم في ركبتي من جديد فارتَعَشَت أصابع أقدامي لا إراديًّا. حَدَّق إلى لطخات الدم فوق ركبتي.

"هل تؤلمكِ؟" سألني.

"أجل".

"عليكِ أن تُجهِّزي نفسكِ جيدًا إذا كنتِ ستشاركين في مظاهرة. تأكَّدي من أن رباط حذائك مربوطٌ بإحكام، وأنك ترتدين قناعًا".

"لم أكن أحاول المشاركة في المظاهرة".

رمَقَني بنظرة جانبية.

"دعينا فقط نذهب إلى هناك، ونبحث عن حذائكِ" قال.

"حقيبتي أوَّلًا!".

كنتُ قَلِقَةً بشأن نُسَخ "كيف نتنفَّس" في حقيبتي. لو كان يعرف أنني فقدتُ حقيبتي أيضًا، فربما كان ليضيف أنَّ جَلْبَها معي إلى مظاهرةٍ فِكرَةٌ سيِّئة.

"تبدين كمتسوِّلة يا جونج يون".

كنتُ كذلك في تلك اللحظة. لم أكن أمتلك أكثرَ من ألف وون في جيبي. في تلك اللحظة كان ميونجسو كلَّ ما أملك. توقَّف عن استفزازي

وأضحى جادًّا. اتَّضَحَ أنني لم أكن الوحيدة. عندما مشينا داخل الزقاق ووجدنا الأرض الفارغة، كان هنالك جبلٌ صغير من الأحذية والحقائب والقُبَّعات والمعاطف التي لا صاحب لها. كان كل شيء وقد أصيب بوابل من عبوات الغاز المسيل للدموع، والمياه، مُبَلَّلًا، وتفوح منه رائحة نفَّاذة. في تلك اللحظة فقط أزاح ميونجسو ذراعه من حول كتفي. تَفَقَّدني بعينيه ثم حَدَّق إلى أسفل نحو قدمي ثانية. هذه المدينة زاخرة بالمفاجآت. لم أكن لأخمِّن أنني سوف أقف يومًا في منتصفها بينما يحدِّق أحدهم عَلانِيَةً إلى قدميَّ الحافيتين. وليس حتى قَدَمَيْن نظيفتين، بل قدمين مُتَّسِخَتَيْن تملؤها الكدمات والسحجات.

"أرى الآن لماذا كنتِ تبكين" قال.

"لم أكن أبكي على حذائي".

بَدَأتُ أَردُّ عليه من دون أن أدرك ذلك.

"ماذا كنت تفعلين هنا؟".

"كنتُ أتمشَّى" قُلتُ.

"تتمشِّين؟".

بدا أنه لم يفهم ما أقصده لأنه حدَّق إليَّ للحظة.

"أحتاج إلى العثور على حقيبتي" قلتُ.

بدأ الآخرون الذين كانوا يبحثون عن ملاذٍ في مكانٍ ما في الظهور واحدًا تلو الآخر. في البداية كنتُ أنا وميونجسو فقط، لكن سرعان ما كان هنالك الكثير من الأناس ذوي الهيئة المزرية يبحثون عن مُتعلِّقاتهم. معظمهم كانوا حُفاةَ الأقدام. أحدهم لا يرتدي سوى قميصٍ تحتيٍّ، بينما يقبض آخر على ذراعه كما لو أنه مكسور. كُنَّا جميعًا في حالة ذهول. انضممتُ إلى الحشد المتجمِّع وبدأت أفتِّش بين متعلقات الآخرين بحثًا عن حاجياتي.

"حذاؤك حذاء رياضي، صحيح؟" سألني ميونجسو.

"أجل" قلتُ.

"أبيض؟".

"أجل".

"وحقيبة بُنِّيَّة بحَمَّالَةِ كتفٍ طويلة".

"كيف تعرف ذلك؟" سألته.

"لأنها تَخصُّكِ" قال.

دَوَّت كلماتـه في أذنيَّ كالمطـر. انخـرط معـي في محاولـة البحـث عـن الحـذاء والحقيبـة. تأرجَحَـت الكامـيرا في رقبتـه إلى الأمـام والخلـف مـع حركتـه. بـدا أن شـيئًا مـا قـد جـذب انتباهـه لأنـه أمسـك بالكامـيرا والتقـط صـورةً لكومـة الأشـياء المفقـودة. هَـمَّ بتعليقهـا ثانيـة حـول عنقـه، لكنـه ناولنـي إيَّاهـا بـدلًا مـن ذلـك وعـاد للبحـث عـن حـذائي. شـاهدت أقـلام رصـاص وأخـرى جافَّـة قـد انسـكبت خـارج الحقائـب، وقُبَّعـات ومناديـل قماشـية، ومسـاحيق تجميـل، وزوجًـا مـن مُقلِّـمات الأظافـر. تمايَـلَ هَيـكلُ نَظَّـارات شـخص مـا وسـط كومـة الأشـياء. لمحـت حتـى حزامًـا. تناثـرَت هنـا وهنـاك كعـوبٌ انفَصَلَـت عـن الأحذيـة.

"عثرتُ عليها!".

تمكَّـن ميونجسـو مـن العثـور عـلى حقيبتـي وسـط ذلـك العـدد الكبـير مــن الحقائــب. رفعهـا إلى أعـلى. تمزَّقَــت الحليـة التـي كانـت مُتَّصِلَـةً بالحقيبـة. مسـح الحقيبـة المبلَّلَـة بحاشـية قميصـه، ثـم ناولهـا إليَّ. عـلى الرغـم أنـه كان مـن المسـتحيل إزالـة كل الوسـخ عنهـا، حـاول ميونجسـو تنظيفهـا عـلى أيـة حـال. أخـذت الحقيبـة منـه وأحطتهـا بذراعـي. عـاود البحـث مـن جديـد عـن حـذائي. لم يكـن هنالـك أي أحذيـة رياضيـة بيضاء. ربمـا كان الحـذاء أبيـضَ في بـادئ الأمـر لكـن مـن غـير المحتمـل أن يكـون لا

يـزال كذلـك. كان حـذاءً رياضيًّا مُريحًا مـن دون أي علامـة مميـزة. حتـى لـو عـثر عليـه، فغالبًـا لـن أسـتطيع ارتـداءه. كان كل شيء في كومـة الأشـياء مُبلَّلًا. تتبَّعـتُ ميونجسـو بعينـي بينـما يبحـث عـن حـذائي. كانـت المدينـة زاخـرة بالمفاجـآت حقًّـا، داهمتنـي الفكـرة نفسـها ثانيـة. لقـد بحثـت عـن ميونجسـو في كل أنحـاء الجامعـة مـن دون جـدوى، فقـط كي ألتقيـه هنـا بالصُّدفـة. كان يتفقَّـد كل حـذاء واحـدًا واحـدًا. عندمـا اقترحـت أن يتوقَّـف عـن البحـث، نظـر إلى قدمـيَّ الحافيتـين وقـد عَلَـت نظـرةٌ انهزاميـة وَجهَـه. هبـط الغسـق عـلى المـكان وسـقط ضـوء مصابيـح الشـارع عـلى وجهـه. أخـذ الكامـيرا مـن يـدي وعلَّقهـا حـول عنقـه، ثـم جَثـا عـلى ركبتيـه وقـد أولاني ظهـره.

"هيَّا، تَعلَّقي بظهري" قال.

"أنا على ما يُرام".

"لا يُمكِنُكِ المشي بتلك الرُّكبَة".

لم أخبره أنني قد جرحت ركبتي لكن الألم لم يخفَّ ولو للحظة.

"ضَعـي حقيبتـك فـوق كتفيـكِ أولًا" وَقَفـتُ وحَدَّقـتُ إليـه. " ألـن تتعلَّقـي بظهـري؟" بادَلَنـي النظـرات.

"يمكنني السير" قلتُ.

"على تلك القدَمَيْن؟".

"يمكنني السَّير".

"عنيـدة". تَحـرَّك إلى الـوراء بظهـره في مُحاوَلَـةٍ منـه لدفعـي إلى الصعـود فـوق ظهـره، لكننـي واصَلـتُ التَّحـرُّك إلى الـوراء بـدَوْري.

"لقـد قلـتُ إننـي أسـتطيع المـشي. شـاهِدْ!" بـدأتُ المـشي خـارج الزقاق. بـدأت الجـروح في باطـن قدمـيَّ تؤلمنـي عـلى الفـور، وجعـل الألم ركبتـيَّ ترتعشـان. تَحـرَّر بنطلـوني مـن جـرح ركبتـي. بـدأ الـدم المتجلِّـط ينسـاب

بطـول سـاقي ويتـسرَّب عـبر القـماش. عندمـا رأى أن جسـدي يهتـزُّ، وقـف أمامـي وعـرض عـليّ ظهـره ثانيـة.

"اصعدي فوق ظهري يا جونج يون!".

بينـما ينحنـي، انشـقَّ ظهـر قميصـه الممـزَّق. أمكننـي رؤيـة هيـكل عمـوده الفقـري بوضـوح. ذكَّـرني بـوادٍ جَبَـليٍّ. انتابتنـي رغبَـةٌ مفاجئـة في أن أُمـرِّر يـدي فوقـه. بـدا كأنـه يسـتطيع حمـلي والجـري حـول المدينـة وأنـا فـوق ظهـره.

"حسنًا، لكن فقط حتى نعثر على متجر أحذِيَةٍ" قلتُ.

"مفهوم. حتى نعثر على متجر أحذية".

صعـدتُ فـوق ظهـره وحقيبتـي مُعلَّقـة عـلى ظهـري، كـما أشـار إليَّ. خطـا فـوق الرصيـف ثـم بـدأ المـشي نحـو الشـارع الرئيـسي. كنـتُ واعِيَـةً بحقيقـة أن ثديـيَّ وبطنـي تضغـط عـلى ظهـره، لكـن بـدا أنـه لا يلاحـظ ذلـك. تقـدَّم إلى الأمـام مـن دون أدنى ارتعاشـة. طوَّقـتُ عنقـه بذراعـيّ. كانـت وَضْعِيَّتـي مُرِبكـة في البدايـة، لكـن سرعـان مـا شـعرت بالارتيـاح. يمكننـي رؤيـة قدمـيَّ الحافيتـين تتأرجحـان بجانـب فخذيـه. ذكَّـرَني المشـهد كيـف اعتـادت أمـي أن تحملنـي عـلى ظهرهـا بتلـك الطريقـة عندمـا كنـتُ صغـيرة جـدًّا. خطـر ببـالي أن الرائحـة التـي اعتقـدت دومًـا أنهـا رائحتهـا هـي فقـط- رائحـة العـرق. كنـتُ أسـتغرق في النـوم وأنفـي تضغـط عـلى ظهرهـا القـوي الدافـئ.

يضغـط قميـص ميونجسـو الممـزَّق عـلى بطنـي. قاوَمـتُ رَغبـةً مُلِحَّـةً في أن أريـح خـدِّي عـلى كتفـه وألتفـت لأنظـر إلى الأرض الفارغـة. تناثَـرَت الأحذيـة والحقائـب والقمصـان والممتلـكات الأخـرى المفقـودة تحـت ضـوء مصابيـح الشـوارع. شـعرت أننـي الوحيـدة التـي قـد نجـت مـن تلـك الفـوضى. شـعرت بالأسـف عـلى أولئـك الذيـن لم ينجـوا -أولئـك الذيـن لم أسـتطع أن أراهـم حتـى- وامتـلأ قلبـي بـالأسى عليهـم. رغـم أننـا قـد

اتَّفقنـا أنـه سـيحملني حتـى أقـرب متجـر أحذيـة، لم يعـرف أيٌّ مِنَّـا أيـن يمكننـا العثـور عـلى متجـر أحذيـة. بعـد فـترة، أضـاف: "لـو عثرنـا عـلى متجـر أحذيـة".

" وماذا لو لم نعثر؟" سألتُه.

"لا تقلقي. سأحملك طوال الطريق حتى منزلكِ".

توقَّفَـت الحافـلات عـن العمـل بسـبب المظاهـرة؛ لهـذا لم نمتلـك خيـارًا آخـر سـوى المـشي. عندمـا وصلنـا إلى البقعـة حيـث وجـدني أوَّلَ مَـرَّة، تمهَّـل وسـألني أيـن أعيـش.

"في دونجسونج- دونج".

"تعيشين في دونجسونج- دونج؟!".

"أجل".

"رُبَّما صادَفْنا بعضَنا البعض يومًا ما في الماضي".

"هل تعيش هناك؟".

"لا، لكن ميرو عاشت هناك".

يـون مـيرو. رنـين اسـمها كان مثـل سـتارة سـوداء تنسـدل فـوق قلبـي كـما يظْلِـم النهـار فجـأة وتهـبُّ عاصفـة مُمطِـرَة.

"أين يون ميرو الآن؟" لم يُجِبني. "أين هي؟".

واصَلْـتُ سـؤالي عـن مكانهـا كـما لـو كنـتُ أُختَهـا الكـبرى. توقَّـف ليلتقـط أنفاسـه، ثـم بـدلًا مـن أن يجيبنـي، غـيَّر وَضعِيَّـةَ يَدَيْـه كي يسـتطيع حمـل وزني بشـكل أفضـل.

"يجب أن نأخذ المعبر التحتيَّ، صحيح؟".

بدا أنه يتحاشى الحديث عنها.

"لن يمكننا ذلك" قلتُ. "البَوّابات مُغلَقَة".

انتظرنا عند ممرِّ المشاة. على الرغم من عدم وجود أي سيارة، واصَلَت أضواء إشارة المرور التَّغيُّرَ بانتظام.

"أين هي؟".

"لقد عادت للتَّوِّ من الجزيرة".

"الجزيرة؟".

بينما يهمُّ بشرح الأمر، اندفعت مجموعةٌ من المتظاهرين خارج زُقاقٍ مُظلِم، وتَدَفَّقوا داخل الطريق الرئيسي. للحظة، عَلِقنا في المنتصف. اصطدم بعضهم بنا. رمقتنا بعض العيون بنظرات جافَّةٍ. أردتُه أن يُنزلني، لكنه أمسكني بإحكام أكبر. اندفع المتظاهرون بجانبنا بسرعة كبيرة، لدرجة أنني عجزت عن أن أُحدِّد إذا كانوا هم مَن اعترضوا طريقنا أم أننا مَن اعترضنا طريقهم. بعد أن تجاوزونا، شرع ميونجسو في السير من جديد. العثور على متجر أحذية كان مثل العثور على زهرةٍ رَبيعٍ مُتفتِّحة في عِزِّ الشتاء. معظم المتاجر في الطابق الأول من المباني قد أُنزلت بوَّابات الأمن المعدنية الخاصة بها، أو أقفلت الأبواب الزجاجية وأطفأت الأنوار، بحيث لا يستطيع أي أحد النظر إلى الداخل. أُلقِيَت لافتة قائمة طعام أمام مطعم أرضًا. سعدتُ لرؤية ضوء خافت ينبعث من معرض سيارات. كلَّما مشيت في وسط المدينة في منتصف اليوم ورأيت حشدًا من المارة، كنتُ أتساءل ماذا يفعلون بالخارج بدلًا من التواجُد في أماكن عملهم، لكن أدركت الآن أنهم كانوا مصدرَ حياة هذه المدينة. من دون البشر؛ بَدَت المدينة مَيِّتَة. تلاشت الإثارة التي غَلَّفَتنا عندما تخطَّانا تَيَّارُ المتظاهرين، وخيَّم علينا صمتٌ حزين. بينما يتقدَّم ميونجسو إلى الأمام، أمكنني شَمُّ الرائحة النفَّاذة للغاز المسيل للدموع في الهواء. وَصَلَت إلى مسامعي

الهتافات المتفرِّقة للمتظاهرين وزئير رجال شرطة مكافحة الشغب. تصلَّب عمودي الفقري لسماع صوت رشَّاشات المياه.

تجاوَزنا كُشكَ جرائد مغلقًا.

"ماذا بوسعنا أن نفعل في هذا اليوم وهذا العمر؟" تَمْتَمَ ميونجسو. بدا صوته أشبه بصوت الأستاذ يون.

"ماذا تريدين أن تفعلي بحياتك يا جونج يون؟".

فكَّرتُ في نُسَخ كتاب "نحن نتنفَّس" في حقيبتي.

"أحيانًا أتمنَّى لو كان بإمكاننا أن نبدأ الحياة كبارًا، ثم نصغر في السن مع تَقدُّمنا في الحياة" قال.

"ماذا كان ليتغيَّر مُقارَنةً بالآن؟" سألته.

"أعتقد أننا كُنَّا سنبدو طاعنين في السِّنِّ الآن" قال.

لم أستطع تَخَيُّل كيف سيبدو كلٌّ مِنَّا طاعِنًا في السن.

"أتمنَّى لو كان هنالك شخصٌ يَعِدني بألَّا شيء عديم المعنى في هذه الحياة" قال. "أتمنَّى لو كان هنالك وعود تستحق أن نؤمن بها حقًّا. أنه ثمة شيء آخر مختلف ينتظرنا بعد أن ينتهي زمن المطاردة والوحدة والتوتُّر والحياة في خوف. إذا أخذنا بالاعتبار الطريقة التي نحيا بها الآن، أعتقد أننا لو كُنَّا صغارًا في نهاية حياتنا حقًّا، فربما ستتحقَّق أحلامنا".

تجاوزنا مَوقِف حافلات. لم يكن هنالك أي حافلة في أي مكان.

"ألا تتَّفِقين معي في الرأي؟" نظر إليَّ وكأنه يَحثُّني على الاتفاق معه.

"ذلك يعني أننا سنموت ونحن نبدو في أصغر سِنٍّ مُمكِن، وسنقضي هذه الفترة من حياتنا ونحن نبدو في أكبر سِنٍّ لنا. أذلك ما تريد أن تقوله؟" سألته.

توقَّف أمام متجر مجوهرات مُغلَق. رغم أنني لا أستطيع رؤيته، لكن يمكنني تخيُّل النظرة على وجهه.

"لم أفكِّر في ذلك" قال.

لم أفكر أبدًا كيف سيبدو الأمر لو أمكنني عيش الحياة على نحو عكسي. تمتَمتُ إلى نفسي من دون أن أقصد أن يسمعني هو أو أيُّ أحدٍ آخر. "كيف يتحمَّل أي إنسان هذه الحياة؟".

تجسَّد وجه داهِن وميرو في رأسي.

"لا يمكنهم تَحمُّلها؛ لهذا يشيِّدون الحواجز ويقذفون الطوب ويفرُّون من رجال شرطة مكافحة الشغب، فقط كي يُقبَض عليهم. ما لا يستطيعون تَحَمُّله هو حقيقة ألَّا شيء يتحسَّن حتى. لم يتغيَّر أي شيء منذ العام الماضي، كأن الزمن قد تجمَّد".

"ماذا تأمل أن يحدث في المستقبل؟" سألته.

"أريد فقط أن يتغيَّر أي شيء. لم يتغير شيء واحد حتى، مهما قاتلنا بقوَّةٍ؛ لهذا أمسينا خاملين. أحيانًا أجد نفسي أتمنَّى لو سرق أحدهم كلَّ الكتب في العالم، يستولي عليها جميعًا، حتى آخر كتاب، حتى من المكتبات. أتمنى لو أُغلِقَت المدارس كيلا يستطيع أحدهم الذهاب إليها حتى إنْ أرادوا ذلك. كل الأشياء سيان. يبدو فقط أن الزمن يمضي، والوجوه فقط هي التي تتغيَّر. يُفرِّقوننا ويطاردوننا في كل مكان. نقاتل لنَصدَّ هجومهم ثم نُطارد من جديد... نُحدِّق جميعنا إلى الجدران ونشكو من الوحدة. كل ما علينا فعله هو أن نلتفت ونبعد عيوننا عن الجدران، لكننا نُبقي وجوهنا مُثبَّتَةً عليها. التفكير

في أن هـذا الوضـع لـن يتغـير أبـدًا يدعـو إلى الاكتئـاب. لم يكـن الوضـع مختلفًـا في الربيـع المـاضي أيضًـا".

استمعت إليه من دون أن أتفوَّه بكلمة.

"لـو لم أقابِلْـكِ اليـوم" قـال. "رُبَّمـا مـا كنـتُ لأسـتطيع التمييـز بينـه وبـين هـذا اليـوم في العـام الفائـت" قـال ميونجسـو، قبـل أن يغمغـم بصـوتٍ يـكاد لا يُسـمع: "إذًا دعينـا نتذكَّـر هـذا اليـوم إلى الأبـد".

أردتُ أن أرى وجهـه في تلـك اللحظـة. أرَدتُ أن أرى كيـف بَـدَا حـين نطـق تلـك الكلـمات؛ لأن الخمـول الـذي يشـعر بـه، كنـتُ أشـعرُ بـه أيضًـا. رُبَّمـا ضَخَّمنـا مـن معنـى صُدفَـةِ لقائنـا في ذلـك اليـوم كي نحـاول أن نُبـدِّد ذلـك الخمـول. أبعَـدتُ يـدي عـن عنقـه ومَـرَّرت يـدي فـوق وَجنَتِـه، ثـم تَحسَّسـتُ جبهتـه وأنفـه والأخـدود أسـفل أنفـه وشـفتيه وذقنـه وأذنيه ثم حاجبيـه. سـمح لي بـأن ألمسـه. عندمـا مَـرَّرتُ يـدي فـوق عينيـه، توقَّـف عـن المـشي. لا بُـدَّ أنـه مـن الصعـب عليـه التقـدُّم إلى الأمـام.

"يـون" لم يُنـادِ عـليَّ باسـمي الأول فقـط مـن قبـل أبـدًا. "لم أعتقـد أننـي سـوف أراكِ في الخـارج في الشـارع. كانـوا يقاتلـون بقـذارَةٍ اليـومَ- المتظاهـرون ورجـال شرطـة مكافحـة الشـغب عـلى حدٍّ سـواء. لقـد أجبروني عـلى الانفصـال عـن مجموعتـي، وبـدأت أشـعر بالخـوف، ثـم وجدتـكِ أمامـي فجـأة. لم أسـتطع الكَـفَّ عـن دَعـكِ عينـي غـير مُصـدِّقٍ مـا رأيـت. لمـاذا خرجـتِ اليـوم؟" بـدا مكتئبًـا.

"لم أرغـب في العـودة إلى البيـت مُبكِّـرًا. حاوَلـتُ أن أسـلك أطـول طريق ممكـن إلى البيـت، ثـم حـدث مـا حـدث لي".

فكَّـرت في الآلـة الكاتبـة القابعـة فـوق مكتبـي في حجـرتي الخاليـة. تَردَّد صـدى طقطقـة المفاتيـح في أذنيَّ. ثمـة أوقـات أكـون فيهـا ممتنَّـةً لحقيقـة أنـه لم يطـرح عـليَّ سـؤال "لمـاذا". لم يسـألني ميونجسـو لمـاذا لم أرغـب في العـودة إلى البيـت. لم أكـن لأعـرف كيـف أجيـب عـلى هـذا السـؤال لـو

سألني. أخذ نفسًا عميقًا وزفره. شعرت بصدره يعلو ويهبط. سحبت يدي بعيدًا عن وجهه وفَرَكتُ زوايا عينيَّ الملتَهِبَتَيْن.

في كل مرة يتنفَّس فيها ميونجسو، ينقبض صدري وبطني. ذلك الاختناق راودني أيضًا مع فرحتي العارمة لرؤية المحيط لأول مرة، ومع شروق الشمس عند بزوغ الفجر في الشتاء، ومع استكشاف باحة البيت المكسوَّة ببياض الثلج، ومع حَكِّ أظفر إصبعي في عدم تصديق لمرأى محالق تعريشة عنب خضراء تنمو وتلتف حول نفسها، خارجة من نبات جاف لا حياة فيه، ومع تأمُّل الأظافر الوردية لطفل صغير. مع مشاهدة سُحُبٍ كثيفة في سماء يوم صيفي، أو نزع قشرة خوخة حلوة وأخذ قضمة منها، أو المشي في طريق داخل غابة والتقاط كوز صنوبر بذهن شارد لأكتشف أن داخله مكتظٌّ بحبَّات صنوبر بيضاء.

احتَضنتُه بقوَّةٍ أكبر. ملأت رائحةُ جسده أنفي. كانت ممتزجة برائحة الغاز المسيل للدموع.

"هل تتظاهر كُلَّ يوم؟" سألته. لم يجب. "ألِذَلِكَ لم تأتِ إلى المحاضرة مؤخَّرًا؟".

"في كل صباح أفتح عيني وأسأل نفسي: هل ينبغي عليَّ الذهاب إلى الجامعة أم التظاهُر؟ لا أستطيع الجلوس ساكنًا في قاعة المحاضرة، لكن الأمر سيَّان عندما أكون في الخارج في الشوارع. أشعر كأن شيئًا ما يدفعني كي أنضمَّ إلى المظاهرات، لكن عادة ما ينتهي بي المطاف وقد انفصلتُ عن الآخرين، مثل اليوم. أحيانًا أستيقظ في الصباح، وأسعل في منديلٍ ورقيٍّ وأقذفه في حاوية القمامة. إذا نجحت في قذف المنديل داخل الحاوية، أذهب إلى الجامعة، وإنْ فشلت، أنزل إلى الشارع للتظاهُر. أحيانًا أمكث في حجرتي وأنتظر أحدهم كي يأتي ويجدني".

"أرى ذلك".

"أحيانًا أذهب إلى الجامعة فقط لأنكِ هناك". أرخَيتُ قبضتي حوله. "لكن لم أذهب اليوم بالتحديد لأنني عرفتُ أنَّكِ ستكونين هناك...".

"ماذا تعني؟".

"فكَّرتُ أنني إذا رأيتكِ، فسوف أمسككِ وأخبركِ بكل شيء".

تساءَلتُ ماذا عنى بذلك. "لكن عوضًا عن ذلك، وجدتُكِ في الشارع. تفاجَأتُ كثيرًا".

"لم تَبدُ لي مُتفاجِئًا".

"لقد بدأتِ في البكاء على الفور، وأنت تقفين هناك حافية القدمين، كيف أمكنكِ إذًا أن تُميِّزي إذا كنتُ متفاجئًا أم لا؟".

أعجبتني رائحته. جعلتني رائحته لا أرغب في سؤاله أين ميرو. تساءَلتُ إذا تمكَّنتُ من معرفة ميرو أكثر، فهل سأتمكَّن حينها من معرفته بشكل أفضل أيضًا؟ أزعجني أنه لا يريد التحدُّث عنها. شعرت أنه إذا فعل ذلك، فسوف أضطر إلى النزول عن ظهره والمشي بمفردي بقدمي الحافيتين المجروحتين عبر المدينة التي تعجُّ بالفوضى والصخب. اجتاحتني فجأة خوف من فضولي الطاغي تجاه ميرو. هل ستقرب الأشياء التي عرفتها بيني وبين ميونجسو، أم ستبعد بيننا أكثر؟ اعتدتُ على التفكير أن مشاركة الأسرار تُقرِّب بين البشر دائمًا؛ لهذا بُحتُ ذات مرة بأسرار لم أُرِد أن يعرفها أحد، كي أشعر بالقرب من شخص ما. يمكنكَ تخيُّل كم الخسارة التي شعرت بها عندما اكتشفت في اليوم التالي أن الأسرار التي أبقيتها دفينةً بداخلي، والتي كان من الصعب عليَّ أن أبوح بها بصوتٍ عالٍ، التي احتفظت بها لنفسي- يتناقلها الآخرون كما لو كانت لا شيء! أعتقد أن تلك هي اللحظة التي أدرَكتُ فيها أن البوح بما في قلبك إلى شخص ما قد لا يُقرِّبك منه، بل قد يُضعف في

الحقيقة علاقتَك بـه. اعتَقـدتُ حتى أن التَّقـرُّب مـن شـخص مـا يتحقَّـق بشـكل أفضـل مـن خـلال التعاطـف معـه في صمـت.

بـدت المدينـة مُعقَّـدةً كخيـوط العنكبـوت: المبـاني بنوافذهـا التـي لا حـصر لهـا، ومصابيـح الشـوارع الممتـدَّة في صفـوف، والأزِقَّـة الضيقـة، واللافتـات المختلطـة ببعضهـا لدرجـة لا يمكنـك أن تقـول أي لافتـة خاصـة بـأي متجـر بالتحديـد. المـرور متوقِّـف في الشـوارع، مـع هـذا تُواصِـلُ أضواء إشـارات المـرور التَّغيُّرَ بِدقَّـةٍ متناهيـة. مـلأت لوحـات الإعلانـات الضخمـة المـكان بألوانهـا المتلألئـة، رغـم عـدم وجـود أي أحـد كي ينظـر إليهـا. جُلـتُ بنظـري في زقـاق يمتـدُّ أمامـي، لكـن الظـلام كثيـف جـدًّا، لدرجـة لا يمكننـي أن أرى نهايتـه. عَـبَرَ ميونجسـو تقاطعًـا صغـيرًا ثـم تجـاوز كابينـة هاتـف عمومـي فارغـة ثـم مـشى أسـفل معـبر علـويٍّ ليعـبر تقاطعًـا آخـر. عـلى الرغـم مـن أنـه يتوجَّـه إلى منـزلي، لكننـا بَدَوْنـا كمُشَرَّدَيْـن لا يمتلـكان مـأوًى يذهبـان إليـه.

لا بُـدَّ أننـا مشـينا لأكـثر مـن عشريـن دقيقـة في صمـت تـام. قلـت أخـيرًا وأنـا أشـير إلى متجـر زهـور: "دعنـا نتوقَّـف هنـا".

كان بـاب المتجـر مفتوحًـا عـلى اتسـاعه. كانـت مصاريـع كل المتاجـر الأخـرى قـد أُسـدِلَت إلى أسـفل أو أبوابهـا مواربـة كـما لـو أن أصحابهـا قـد تخلَّـوا عـن العمـل اليـوم. حفنـة التربـة مـن قـبر أمـي لا تـزال قابِعَـةً داخـل أصيـص فخـاري خـارج شـقتي. ألقـي نظـرة عليهـا في كل مـرة أغـادر فيهـا الشـقة. كنـتُ قـد اشـتريت الأصيـص مدفوعـةً بفكـرة زراعـة شيء مـا فيهـا، لكننـي لم أسـتطع تحديـدَ مـاذا سـأزرع. في تلـك الأثنـاء أخَـذَت التُّرَبَـةُ تَجِـفُّ.

"لماذا هنا؟" سألَني.

"لَـديَّ أصِّيـص زهـور في المنـزل. أرغـب في زراعـة شيء فيـه". أشَرتُ إلى شيء أخـضر موضـوعٍ عنـد عتبـة بـاب متجـر الزهـور. كنـتُ أبحـث عـن

عُـذرٍ كي أهبـط عـن ظهـره، وكان هـذا كل مـا أمكننـي التفكـير فيـه. بـدا كأنـه نبـات زينـة، لكننـي لم أعـرف اسـمه.

"يبـدو أنهـا أوراق نخيـل" قـال ميونجسـو. كانـت نخلـةً بالفعـل، رغـم صِغَـرِ حجمهـا.

"أنزِلني" قُلتُ.

أنزلنـي أمـام متجـر الزهـور. كانـت هنالـك فقـط حفنَـةٌ مـن التربـة في أصِّيـص الزهـور في منـزلي. كنـتُ في حاجـةٍ لـشراء المزيـد مـن التُّربـة. كان المتجـر بالـكاد أكـبر مـن خزانـة. إذا لم تُـولِ انتباهَـكَ إليـه، فربمـا لـن تلاحظ وجـوده حتـى. في الداخـل جلسـت امـرأة أكـبر سـنًّا منّـا، ترتـدي نظـارات، عـلى مقعـدٍ بـلا ظهـر، وراحـت تنظـر إلى الخـارج. وقفـت عندمـا رأتنـا. التقطـتُ رائحـةً خفيفـةً لسـمك ماكريـل يُشـوى. لا بُـدَّ أنـه يوجـد مطعـمُ سَـمَكٍ في الجـوار. جعلـت الرائحـة معـدتي الفارغـة تُدَمـدِم.

عندمـا مَـدَدتُ رأسي داخـل المتجـر، خرَجَـت المـرأة إلينـا. سـألتها عـن اسـم النبـات، قالـت إنهـا شـجيرة نخيـل. الزهـور الذابلـة داخـل المتجـر أكـثر مـن تلـك المزدهـرة. فقَـدَت زهـور البلسـم والخزامـى بتلاتهـا، وحتـى الأوراق قـد ذبُلـت.

"هل أنتما قادِمَان من مظاهَرةٍ أيُّها الشَّابّان؟" سألَت المرأة.

لم نعرف بِمَ نَردُّ. غارت تجاعيد جَبهَتِها.

"متـى سـيتوقَّف الشـغب في هـذه البلـد؟" تنهَّـدَت بحسرة. "لا أسـتطيع فتـح متجـري. إنـه مُغلَـقٌ معظـم الوقـت، وثمَّـة الكثـير مـن الغـاز المسـيل للدمـوع في الهـواء لدرجـة أن كل الزهـور قـد ذبُلـت. انظـر هنـاك. لقـد كنـتُ أربي طائِرَيْـن في هـذا القفـص، لكنهـما ماتـا بالأمـس. وتأمَّـلْ وجهـي، حتـى في هـذا العمـر، لـديّ بـثرة لا تلتئـم أبـدًا. لقـد أُصِبـتُ بهـا بسـبب

استنشاق الغاز المسيل للدموع كلّ يوم". صوتها مُتحَشرِجٌ. "خذا ما تشاءان. كل شيء ذابل. ليس من الصواب أن أقبل بأيّ مالٍ ستدفعانه".

التقَطَت شُجَيرَةَ النخيل التي سألتُها عنها، بوجهٍ مُتكدِّر، ووضَعَتها في كيس.

"عندما تعودين إلى منزلكِ، انقلي النبات إلى حاوية أخرى، واوريها. آسِفَة لأننا لم نستطع أن نترك لكما عالمًا حيث لا يضطر أي أحد للاحتجاج والتمرُّد... آسفة جدًّا".

كان ميونجسو يحدِّق إلى أسفل نحو قدميَّ بوجهٍ يخلو من أي تعبير حين فاجأتنا المرأة باعتذارها. لكنه اندفع إذ فجأةً عبر الشارع إلى كابينة هاتف عمومي.

"قد يبدو ما سأقوله سخيفًا تمامًا لو أخبرتكما أن قِطّةً تبيض... لكن ربما تكونون مُحقِّين أيها الصغار، لكن لو واصلتم التظاهُرَ فسيضطرُّ بقيَّتُنا أن يتظاهر أيضًا. سنتظاهر ضدّ كُلِّ هذا التظاهُر".

ابتسمتُ بمرارة.

"لا تقترفون أي خطأ أيُّها الصغار، لكن لا يمكننا أن نعيش بهذه الطريقة إلى الأبد".

لم أعرف ما عليَّ قوله.

"علينا أن نكسب قوت يومنا أيضًا".

كانت تتحدَّث إليَّ كما لو كُنَّا قريبتَيْن. لم أعرف كيف أردُّ عليها. لم أرتكب أي خطأ لكنَّني استمررت في الانحناء برأسي. تمنَّيتُ أن يُسرع ميونجسو بالعودة. كلما واصَلَت الحديث، كلَّما حدَّقتُ بتوتر أكبر إلى حيثما يقف ميونجسو داخل كابينة الهاتف في الجهة الأخرى من الشارع.

"لقـد فشـلنا حـين كُنَّـا في مثـل سِـنِّكم، لكـن عليكـم أنتـم أن تتركـوا عالـمًا أفضـل للجيـل التـالي.

أقفَلَـت المـرأة بـاب المتجـر. لم يـبرح الاكتئـابُ وجهَهـا ولـو للحظـة. اختفـت المـرأة والزهـور وجَعَلتنـي أتسـاءل وأنـا أقـف في الخـارج إذا كنـتُ قـد تخيَّلـتُ كل شيء. كل مـا تبقـى مـن أثـر متجرهـا هـو بوابـة معدنيـة بـاردة مُغلقـة. انهـارت ركبتـاي مـن الألم فجلسـت عـلى الأرض وراقَبـتُ ميونجسـو بينـما يُنهـي مكالمتـه ويركـض عائـدًا إليَّ. جلـس بجانبـي.

"ميرو قادمة" قال. ميرو! "لقد طلبتُ منها أن تحضر حذاءً لكِ".

"لا بُدَّ أن الأمر قد فاجأها".

"ما مقاس قدمَيكِ؟".

"38".

"نفس مقاس ميرو" بدا أنه يعرف كلَّ شيء عنها.

"من أين ستأتي؟" سألته.

"ميونجنيون- دونج".

كُنَّـا في أنجيـوك- دونـج لأن الحافـلات لا تعمـل، فسـيكون عـلى مـيرو أن تسـير مـن بيتهـا حتـى هنـا. بعـد ظهـر اليـوم حـين خطَّطـت طريـق عـودتي الطويـل إلى منـزلي عـبر وسـط المدينـة، خمَّنـتُ أنـه سيسـتغرق منـي سـاعتين. فكَّـرت حتـى في أن أسـلك طريقًـا آخـر يتطلَّـب السـير لثلاث سـاعات. لكـن مضـت سـاعات عديـدة منـذ غـادرت حـرم الجامعـة، جـزء منهـا قضيتـه محمولـة عـلى ظهـر ميونجسـو مـن أمـام قاعـة المدينـة، وقـد وصلنـا الآن إلى أنجيـوك- دونـج فقـط.

"هل انتقلت ميرو هناك من دونجسونج- دونج؟" سألته.

"لقد عشنا سويًّا في دونجسونج- دونج".

"ماذا؟".

"عشنا في منزل اشتراه والداها لها ولأختها الكبرى ميراي".

"لميرو أختٌ كبرى؟".

هـمَّ بالإيماء قبل أن يتوقَّف ويعبث بالكيس البلاستيك. أمسك بيدي ووضعها فوق ركبته. أمكنني الإحساس بالوحل فوق بنطلونه الجينز.

"لأكُن صريحًا معكِ، لا أرغب في أن تصبحي وميرو صديقتَيْن. لكن أنتما الاثنتان تسألان دائمًا عن بعضكما البعض".

"تسأل ميرو عني؟".

"وكلاكما عنيدتان" أضاف. "تبحث كلٌّ منكما عن الأخرى. مضى وقت طويل منذ أبدَت ميرو اهتمامًا بشخص آخر. يُفترض أن أكون سعيدًا بخصوص الأمر، لكن عوضًا عن ذلك ينتابني القلق".

"لماذا؟" سألتُه. بَدَت ضحكته جوفاء. "أعتقد أننا نلتقي الأشخاص المُقدَّر لنا لقاؤهم. فبعد كل شيء، انظري كيف التقينا اليوم".

"لماذا تتحدَّث بجدِّيَّةٍ شديدة؟".

ضحك وسألني إذا كان يبدو جادًّا حقًّا. بينما ننتظر ميرو، جلسنا مستندين إلى بوابة متجرٍ مُغلَقة كفردَيْن شاردين من قوَّات عدوٍّ، وتحدثنا.

"كان ثلاثتنا نعيش في بيتٍ فوق تَلٍّ في دونجسونج- دونج. كبرنا معًا. كانت ميراي أكبر منَّا بسنة، مع هذا كان ثلاثتنا لا نفترق تقريبًا. غادرت ميراي إلى الجامعة أولًا وأقامت في بيت للطلبة، لكن عندما انضممتُ وميرو إليها في المدينة، اشترى والداهما لنا هذا المنزل. عشنا سويًّا، لكن كُنَّا مُجرَّد أصدقاء".

"أتفهَّم ذلك".

"تتفهَّمين؟ اعتقد الجميع أن الأمر غريب".

"لماذا؟".

"لأنني وَلَدٌ، وأنا لستُ قريبًا لهما".

"لكنَّكَ قلت إنكم قد كبرتم معًا؟" حدَّق إليَّ. كنتُ أفكر في داهِن. ربما قال داهِن لي ذات مرة إنني لا أُحِبُّه، لكنني أحبَبتُ الوقت الذي أقضيه معه. نستطيع قضاء الوقت معًا من دون أن نضطر إلى الحديث. حتى حين لا نمتلك شيئًا للحديث فيه ونلتزم الصمت، لم نكن نشعر بالحرج أبدًا. يمكننا الجلوس، يواجه كلٌ مِنَّا الآخر لساعات من دون أن نتفوَّه بكلمة واحدة. أقرأ كتابًا بينما يرسم داهِن في كراسة الرسم الخاصَّة به. كان الأمر يبدو طبيعيًّا جدًّا بالنسبة إلينا. حين يقول أحدنا شيئًا، يفهمه الآخر على الفور. لا يحدث هذا في يوم وليلة. إنه شيء يُبنى ويتراكم مع الوقت بينما يكبر شخصان سويًّا.

"أنتِ مختلفة عن الآخرين" قال.

"مختلفة كيف؟".

"ظَنَنتُ أنني سأضطر إلى شرح لماذا عشتُ مع فتاتين. كنتُ قد جهزت كلامًا، لكن عندما قلت إنك تتفهَّمين الأمر، فاجأني ذلك وجعل الكلام الذي جهَّزتُه بلا معنى".

"ما كان يجدر بي قول أي شيء إذًا" ضحكَ ضحكةً مُقتَضَبة.

"لماذا لا تعيشون معًا الآن؟".

"لا أودُّ الحديث في هذا الأمر".

كان مختلفًا عن الآخرين أيضًا. قد تبدو الأشياء التي يقولها بارِدَةً، لكنه يقولها برِقَّةٍ بالغة.

"مَن الذي تبحث عنه ميرو؟" سألته.

"شخص اختفى".

"مَن؟".

"لا يجب عليَّ إخبارُكِ، صحيح؟".

"لا لستَ مُجبراً".

"مُجبرٌ؟" صار صوته أهدأ. "حتى لو لم أخبركِ، فسوف تكتشفين بنفسك إذا استمررت في قضاء الوقت بصُحبتِنا".

"ماذا تعني؟".

"تكاد ميرو تصل".

رفرف شيءٌ في الظلام في الجانب المقابل من الشارع. أمعَنتُ النَّظر. كانت تنُّورة ميرو. تذكَّرتُ اليوم الذي رأيتهما في مكتب الأستاذ يون. كانا يمشيان تحت شجرة الزلكوفا، وانتفخت تنُّورة ميرو الفضفاضة المزخرفة بالزهور بفعل النسيم، ولامست كلَّ شيء حولها، وملأتني بإحساسٍ غريبٍ بالقَلَق.

هبَطَت ميرو من فوق الرصيف وخَطَت داخل الشارع في طريقها إلينا. كانت كتفاها متدلِّيَتَيْن ورأسها محنيًّا إلى أسفل. كان منظرها غريبًا. على الرغم من أن ميونجسو يجلس إلى جواري، وأنه مَن اتَّصل بها، شعرت أنها أتت من أجلي أنا فقط. وجدت نفسي أبتعد عن ميونجسو بشكلٍ غريزيٍّ. قبل خطوات قليلة من وصولها إلى مكاننا، قفَزَت قِطَّةٌ بيضاء من بين ذراعيها ومشت نحو ميونجسو. مدَّ ميونجسو ذراعيه والتقط القطة. بدا أنهما يعرفان بعضهما البعض جيِّدًا. ومضت الزهور فوق تنُّورة ميرو أمام عينيَّ، ثم جلست بيننا قبل أن أستطيع إلقاء نظرة على وجهها. فتَحَت سحَّاب حقيبتها، وأخرجت منها فردَتَيْ حذاء رياضي ملفوف في جريدة، ووضعتها على الأرض بجواري. لا بُدَّ أن ميونجسو قد حكى لها كل شيء عبر الهاتف لأنها لم تسأل لماذا كنتُ حافِيَةَ القدمين أو لماذا كُنَّا نجلس هناك. لم

تُحَيِّنا حتَّى بالتحية المعتادة. دسست قدميَّ داخل الحذاء، وبدأت في ربط رباطه، لكنَّها مَدَّت يدها تجاه قدميَّ. لم أستطع أن أزيح عينيَّ عن ندباتها. شَرَعت في ربط حذائي من أجلي، لكنها توقَّفت كأنما وضعيَّتها غير مُريحة، وتحرَّكت كي تجلس أمامي مباشرة. أعادت ربط العُقَد المتراخية، واحدة تلو الأخرى، ثم شدَّت العُقَد لتتأكَّد من أنها مُحكَمة. فعلت ذلك بعفويَّةٍ شديدة لدرجة أنني لم أمتلك الوقت كي أخبرها أنني سأفعل ذلك بنفسي. اندَهَشت لأنني لم أسحب قدميَّ بعيدًا. شَعرَت بالراحة لسماحي لها بأن تلمس قدميَّ. تحرَّكت أصابعها المشوَّهة بين أربطة الحذاء البيضاء. حتى ميونجسو كان يراقبها بهدوء. كانت يداها اللتان كانتا مُخبَّأتين دائمًا في جيوبها أو تحت مقعدها، تتحرَّكان بحُرِّيَّةٍ أمامنا.

"ذلك كان حذاء أختي الكبرى" قالت.

جلست بيننا من جديد. صوتها واضح وخافت. بدا كأنها كانت معنا طوال الوقت على الرغم من أنها قد التقت بنا للتَّوِّ. بدا الأمر حتى كأننا كُنَّا نسافر سويًّا لأيام ثم توقَّفنا من أجل استراحة قصيرة. لم أتوقَّع أبدًا أنني سأرتاح إلى هذه الدرجة برفقتهما. التوتُّر الذي انتابني وميونجسو في كلِّ مَرَّة كان يُذكَر اسمها في حديثنا قد تلاشى وخلَّف بداخلي شعورًا بالضَّعف. أدركت أنني كنتُ أتصرَّف بسخافة عندما ابتعدت عن ميونجسو في اللحظة التي ظهرت ميرو فيها. بدا حذاء أخت ميرو الكبرى كأنه حذائي. شعرت كأنني شخصٌ مختَلِفٌ عن تلك التي كانت تتحدَّث مع ميونجسو منذ لحظات قليلة فقط. ماتت أمي من دون أن تعرف ذلك عني، لكن عندما أتيتُ أوَّل مَرَّة للعيش هنا، تجنَّبتُ خلق علاقة عميقة مع أي أحد أو أي شيء. في كل مرة سألتني فيها إذا كنتُ قد كوَّنتُ صداقات جديدة، أخبرها أنني لم أفعل ذلك بعدُ. شعرتُ بالنَّبذ. لقد أرسلتني بعيدًا بمجرَّد أن عَلِمَت أنها تحتضر، اقتلعتني بعيدًا عنها، على الرغم من عدم

رغبتي في تركها؛ لذا كان الشعور بالقرب من شخص ما هو آخر شيء أردته. ما استطعت تَحمُّلَ فكرة إخبار أيِّ أحدٍ عنِّي أو قضاء الوقت مع شخص ما. اخترت أن أكون وحيدةً كيلا تتعقَّد الأمور، كي أتحاشى المشاعر المُعقَّدة. اعتادت ابنة عمي أن تقول لي: "لا تؤمنين حقًّا أنك تستطيعين النجاة في هذا العالم بمفردك، أليس كذلك؟ صدِّقيني لا ينجح أحد في مواجهة الحياة وحده". بينما أجلس هناك في الشارع، أدركت أن ميونجسو وميرو قد تَمَكّنا من اختراق الأسوار التي شَيَّدتُها حولي والوصول إليَّ.

"ماذا حدث عندما ذهبتِ إلى الجزيرة؟" سأل ميونجسو ميرو.

"لم أعثر على أي شيء" قالت. "رجاء، كُفَّ عن التحديق إليَّ هكذا" صَمَتَا فجأةً. كي أزيل الارتباك المخيِّم، سألتهما إنْ كانا جائِعَيْن. قال ميونجسو إنه جائِعٌ، بينما لم تُجِب ميرو.

"هل نذهب إلى منزلي؟".

التفتا إليَّ.

"كل ما لديَّ هو كيمتشي البيريلا" قلتُ، "لكن يمكنني طَهي الأرز. لديَّ الكثير من الأرز. دعونا نذهب".

أمسَكتُ الكيس الذي يحوي شجيرة النخيل ونَهَضتُ. تَبِعاني. التقطت ميرو القطة. تحرَّكَ فَروُها الأبيض الثلجي في الظلام بِرِقَّةٍ. مَرَّرَت ميرو يدها المشوَّهة عبر فرو القطة، ورَبَّتت على عنقها. حدَّقَت القطة إليَّ بعيون زرقاء كالسماء وقت الفجر. عندما بلغنا الشارع الرئيسي، قال ميونجسو إنه يتضوَّر جوعًا كي يمشي إلى منزلي ثم أوقف سيارة أجرة. لا تزال الحافلات مُتوقِّفَةً عن العمل لكن بدأت سيارات أجرة تظهر. هل خمدت المظاهرة أخيرًا؟ كانت الشوارع مهجورة، والقليل من الناس في الخارج ليلًا. جلس ميونجسو في المقعد الأمامي بجوار السائق، وجلستُ وميرو في الخلف. عندما

رأتني أحدِّق إلى القط، عرضت عليَّ أن أحملها. كانت أوَّل مَرَّة تنظر في عينيَّ مباشرة منذ أحضرت الحذاء. تفحَّصتني عيناها الداكنتان. وضعت النبات في أرضية السيارة وأخذت القطَّة من بين يديها. تشنَّج ذَيلُها بادئ الأمر، لكن سرعان ما تراخى. داعب الفرو الأملسُ خَدِّي. جلست القطة بين ذراعيَّ وراحت تُحدِّق بكسل خارج نافذة السيارة إلى الظلام والأشجار التي تحدُّ الشارع.

"لقد أحبَّتكِ" قالت ميرو.

"عذرًا؟".

"إنها تجلس ساكنة".

لم أكن مُغرمةً بالقطط. منذ مدة طويلة جدًّا، عندما ذهبت لزيارة أمي، وكنت أغفو إلى جانبها، اقتربت منَّا قِطَّةٌ وافترشت الأرض بجانبنا. استَيقَظتُ أوَّلًا. أفزعني مرأى القطَّة فالتقَطتُ كتابًا وقذفته نحو القطَّة، وصرخت فيها. لكنها تمشَّت بعيدًا في هدوء. في اليوم التالي عاوَدَت نفس القطة الظهور، وبالت على الأرضية أمامي، ثم مشت مبتعدة. تعثَّرتُ في بولها. قالت أمي: "انظري، قَذَفتِها بكتابٍ فتركت بولها لكِ".

أبقتني تلك الذكرى بعيدةً عن القطط الأخرى. حين انتقلت إلى المدينة أوَّل مَرَّة، كان هنالك قطة في بناية ابنة عمي أيضًا. لا أعرف ماذا حدث، لكن مالك البناية أجَّر كل الشقق وانتقل للعيش في مكان آخر، وترك قِطَّته الرمادية خلفه. أطعمتها ابنة عمي كثيرًا. سألتها ذات مرَّة لماذا ترك مالِكُ البناية القِطَّة وراءه، فقالت ابنة عمي إن القطط تتعلَّق بالمكان أكثر من البشر؛ ولهذا يُعثر على القطط كثيرًا داخل البيوت المهجورة.

***

مُذكّرات ميونجسو

المفكّرة البُنّيّة "3"

-1-

عِلقـت قصـة القديـس كريسـتوفر في رأسي منـذ حكاهـا الأسـتاذ يـون في أول محـاضرة. أردتُ أن أعـرف المزيـد عنـه؛ لـذا بحثـتُ عنـه في كتـابٍ تلـو الآخـر في المكتبـة. خرجـت بتلـك الملاحظـات:

1 - لأنـه حمـل المسـيح وهـو طفـل عـبر النهـر؛ لا يـزال يعتـبر القديـس كريسـتوفر القدِّيـسَ الحامـي للمسـافرين. بعـض سـائقي سـيارات الأجـرة والشـاحنات يحتفظـون بميداليـات للقدِّيـس كريسـتوفر عـلى لوحـة عـدادات السـيارة كتميمـة. في الوقـت نفسـه لأن القديـس كريسـتوفر كان

زاهـدًا، سـعى لتحقيـق إرادة الـرب مـن خـلال العمـل الجـاد؛ كان يُعتـبر أيضًـا رسـولًا يرمـز لفكـرة نقـل وتسـليم شيء مهـم جـدًا.

2 - مـن ذلـك المنطلـق، فـإن القديـس كريسـتوفر بمثابـة رمـز للمسـيح. الاسـم "كريسـتوفر" مُشـتَقٌّ مـن كلمـة "كريسـت" أي المسـيح، والمقطـع "فـر" المأخـوذ مـن كلمـة يونانيـة تعنـي "الحامـل". المسـيح الـذي حمـل كل خطايـا وآلام البـشر معـه إلى الصليـب كي يُنقـذ البشريـة، كان زاهـدًا حمـل العـالم كلـه عـلى ظهـره، ورسـولًا بُعِـث إلى الأرض لينفِّـذ إرادة الـرب. عندمـا ننظـر إلى الأمـر مـن تلـك الزاويـة، فـإن كريسـتوفر المسـيحي قـد يُـرى كمزيـجٍ مـن الإلهـين: أطلـس وهرمـس في الأسـاطير اليونانيـة القديمـة.

3 - حمـل المسـيح الصليـب عـلى كتفيـه، وحمـل القدِّيـس كريسـتوفر المسـيحَ نفسـه عـلى كتفيـه. إذا عكسـنا العبـارة، فالصليـب قـد حمـل المسـيح، والمسـيح قـد أوصـل القدِّيـس كريسـتوفر إلى طريـق الخـلاص. كلاهـما تلقَّـى نـداءً أفنَيَـا حياتَيْهـما كلهـا مـن أجلـه، وكلاهـما مـرَّ بلقـاءات قدريَّـة مكَّنَتهـما مـن إنجـاز فحـوى ذلـك النـداء. في تلـك الحالـة، هـل أمتلـك أنـا أيضًـا نـداءً أو وحيًـا؟ مهمـة مُقـدَّر لي أن أنجزهـا خـلال مـا تبقَّـى مـن حيـاتي؟ متـى سـتحين لي الفرصـة كي أحقِّـق ذلـك النـداء؟ رغـم أننـي في عشريـنـاتي الآن، أشـعر كأننـي أتعـثَّر في الظـلام، بينـما أحـاول أن أشـقَّ طريقـي إلى الأمـام.

***

-2-

سرقـتُ كتابًـا مـن متجـر الكتـب. لم أحتَجْـه. لم أرغـب حتـى في قراءتـه. مـع هـذا سـحبته مـن عـلى الـرَّفّ، وقـد تدفَّقَـت هـذه الرغبـة التـي لا أسـتطيع تسـميتها بداخـلي. مشـيت مغـادرًا المتجـر والكتـابُ في يـدي، ولم يوقفنـي أحـد. كان ذلـك خاليًـا مـن الإثـارة.

كتبـتُ عـلى صفحـة العنـوان التاريـخ وملاحظـة: "أول كتـاب يسرقـه لي ميونجسـو". بـدت العبـارةُ ناقِصَـةً، فأضَفـتُ: "لسـت بالغًـا إلى أن تـسرق كتابًـا." لكـن شـعرت أننـي أختلـق عـذرًا طفوليًـا؛ فمسـحت كل شيء مـا عـدا التاريـخ.

***

-4-

في الطّريقِ إلى بُحَيرَة المِلح

طلبتُ من ميونجسو وميرو أن ينتظرا بالخارج قبل أن أسمح لهما بالدخول. كانت قائمة الوعود التي قطعتها على نفسي عندما عدتُ إلى المدينة مُلصَقَةً على الحائط فوق مكتبي، وفكَّرتُ أنني يجب أن أُزيلها من على الحائط أولًا. دخلت القطة إلى الشقَّة، وبدأت تستكشف المكان كأنما تبحث عن بقعة خاصة بها في هذا المكان الجديد. قفزت فوق عتبة النافذة وتكورت حول نفسها. نقل ميونجسو شجيرة النخيل من الحاوية البلاستيكية إلى داخل الأصيص الفخاري، ثم وضعه فوق مكتبي. ثم جلس على المقعد ونَقَرَ على مفاتيح الآلة الكاتبة. وقفت ميرو قرب المطبخ. أسمِّيه مطبخًا، لكنه في الحقيقة مُجرَّد حوض ومَوقِد في إحدى نهايَتَيْ الحجرة مع ثلاجة. نقعتُ الأرز ووضعته داخل قِدر. ثم سحبت المائدة القابلة للثَّني في

جانب منضدة المطبخ إلى الخارج، ثم وضعت عليها حاويات أطباق جانبية أخرجتها من الثلاجة. كانت المائدة القابلة للثني صغيرةً وضيِّقَة. كنت أُبقيها مطويَّةً حين لا أستخدمها. سترتطم رُكَبُنا ببعضها البعض إذا حاولنا الجلوس معًا عليها. ابنة عمي مَن صنعت الأطباق الجانبية من أجلي، كانت حاويات الطعام ممتَلِئَةً بسمك أنشوفة مقلي، وقطع لحم منقوعة في صلصة صويا وبيريلا مُتَبَّلة. البيريلا التي أحضرتها ابنة عمي مختلفة عن كيمتشي[1] البيريلا الذي كانت أمي تعدُّه بنفسها وترسله إليَّ. كانت ابنة عمي تغلي الأوراق بالبُخار ببساطة ثم تُتَبِّلها بصلصة الصويا. في كل مرة أفتح حاوية، تُتَمتِم ميرو باسم الطبق كلَّما لو كانت تردد عناوين كتب: كيمتشي الفجل، جذور لوتس مُدَمَّسة، جذور أرقطيون مسلوقة... تعجَّبَت من كَمِّ الطَّعام الذي أمتلكه، وسألتني إذا كنتُ قد أعدَدتُه كله بنفسي.

"لديَّ ابنة عم كبرى تعيش في الجوار" شَرَحتُ. "هي مَن أحضرت الطعام إلى هنا".

"لكنَّكِ قلتِ إنَّكِ لا تمتلكين سوى كيمتشي البيريلا".

"لم أدرك كمَّ الطعام الذي لديَّ هنا" أشرتُ إلى جذور اللوتس والأرقطيون. "هذه أول مرة أفتحها منذ أحضَرَتها ابنة عمي".

"لماذا لم تتناولي أي شيء منها حتى الآن؟".

"أعتقد أنني لا أُخرج الطعام كله حين آكل بمفردي".

أتناول الطعام لأنني جَوْعَى لا من أجل المذاق. تطهو ابنة عمي أنواعًا شتَّى من الطعام وتتركه في ثلاجتي، لكن كلَّما انتابني الجوع أفتح الثلاجة وأمدُّ يدي بداخلها وحسب، وأُخرج أوَّلَ ثلاث حاويات

---

(1) الكيمتشي: طبق كوري تقليدي لا تخلو منه أي مائدة، وهو عبارة عن خضار مُخلَّل، يتكوَّن بشكل أساسي من الملفوف. يُخلَّل الكيمتشي في مواسِمَ مُعيَّنة، ويُحفظ في مكان دافئ، ويُقدَّم كجزء من المُقَبِّلات.

تقع عليهما عيناي. كفَّ ميونجسو عن النَّقر على الآلة الكاتبة وانضمَّ إلينا. نقل الطعام إلى أطباق التقديم الأصغر حجمًا.

"لديَّ بعض الخبازى المجعَّدَة" قلتُ. "هل أُعدُّ بعضَ الحِساء؟".

"لا تشغلي بالكِ" قالت ميرو. "ثمَّة الكثير من الطعام بالفعل".

كان ذلك صحيحًا. كانت المائدة الصغيرة مُكتظَّةً بالأطباق.

"لكننا نتناول الطعام سويًّا لأول مرة" قلتُ. "يجب أن نتناول الحساء".

التقطت قدرًا وملأته بالمياه ثم وضعته فوق الموقد. أخرجت الخبَّازى من الثلاجة. ابنة عمي من أحضرت الخبازى إليَّ أيضًا.

"لا أستطيع أن أصدِّق أن لديك خبازى أيضًا" قالت ميرو. "أعطِني إيَّاها. سأقوم أنا بذلك".

أخذَت أوراق الخبازى الكبيرة مني. قشَّرت سيقانها في لحظات. تحرَّكت يدها المشوَّهة بالندبات بسلاسَةٍ من ساقٍ إلى أخرى. فاجأتني رؤيتها وهي تعمل. بدا من الطريقة التي تتعامَل بها مع الأوراق: تنزع الطبقة الخارجية الرفيعة للنبات، ثم تُخرج منها الأجزاء الأكثر صلابَةً من دون تَرَدُّد- أنها قد صنعت هذا الحساء من قبل كثيراً. أضافت الملح إلى المياه المغليَة لتَسلق الأوراق، ثم عصرتها جيدًا تحت مياه الصنبور.

"سَلَقتِها أولًا؟".

"أجل، كي أتخلَّص من مرارة طعمها".

"لا بُدَّ أنك تحبِّين حساء الخبازى حقًّا".

"أحبَّته أختي. اعتدنا على زرع الخبازى في حديقتنا عندما كنَّا صغارًا. كنت أندهش دائمًا من سرعة نموِّ نباتات الخبازى ثانية بعد

قَطْعِها. لكن أكثر ما أحببته هو الخروج إلى الحديقة لأنني كنت أستمتع بِهَزِّ قطرات الندى عن الأوراق. حين ننتهي من العمل في الحديقة، يكون بنطلوني قد ابتلَّ بالندى".

كانت ميرو مَن أخبرتني ألّا أُتعِبَ نفسي وأعِدَّ الحساء، ثم انتهى الأمر وقد أعدَّته بنفسها.

"يوجد بعض الجمبري المُجفَّف في الثلاجة أيضًا". عثرت ميرو على كيس بلاستيكي، وألقت نظرة داخله ثم قالت مبتهجة: "لدينا جمبري!" غسلت الجمبري المجفَّف وأضافته إلى القِدر. عندما كانت أمي تعدُّ هذا الحساء، كانت تحرص على عصر الأوراق حتى يصبِحَ لون الماء أخضرَ، ثم تشطفها وتضيفها إلى الحساء. لم أعدَّ هذا الحساء بنفسي من قبل. كان غريبًا أن أرى ميرو بارِعَةً جدًّا في طهيه. لا بُدَّ أن ميونجسو كان يتضوَّر جوعًا لأنه التقط ورقة بيريلا بأصابعه وأكلها. رمقته ميرو بنظرة جانبية قبل أن تناوله زوجًا من عيدان الأكل. أخذها وأكل ورقة أخرى. كانا يتصرَّفان معًا بعفويَّةٍ لدرجة أنني وَقَفتُ ساكِنَة، أراقبهما للحظة. عندما غلى الحساء، نهضت القِطَّة وفرَدَت ظهرها على آخره. لامَسَت بطنُها اللينة عَتَبةَ النافذة. قفزت بخفَّة من فوق العتبة، ومشت نحو ميرو، ثم لفَّت ذيلها حول تنُّورتها ونقرت عليها. أشاحت القطة بوجهها بعيدًا طوال الوقت كما لو كانت تتظاهر باللا مبالاة.

"هكذا تتواصل القطط" قالت ميرو. "هذه الإشارة تعني أنها تحبني. سوف تفعل معكِ الأمر نفسه أيضًا بمجرَّد أن تعتاد عليكِ".

جثَمَت القطة على الأرضية عند قدم ميرو بهدوء، ورفعت عينيها نحوي. بدت العينان الزرقاوان كأنهما تقولان: "ومَن تكونين أنتِ؟".

ملأتُ ثلاثة صحون بالأرز. كانت أول مرة أتناول فيها الطعام مع آخرين في شقتي فوق السطح. أخرجت كل طبق وصحن في خزانة المطبخ لنستخدمها. بمجرد أن أصبحت مائدة الطعام جاهزة، التقطت ميرو ورقة فارغة وقلم رصاص من على مكتبي، وسجلت التاريخ، ثم أسماء كل طبق على المائدة: حساء الخبازى المجعَّد، أرز، كيمتشي بيريلا...

"ماذا تفعلين؟" سألتها.

"أدوِّن كل شيء كي أتمكَّن من نقله إلى مُفكِّرة يوميَّاتي لاحقًا".

"ماذا؟".

"تسجِّل ميرو كل شيء تتناوله" أجاب ميونجسو نيابةً عنها.

كل شي؟! تجاهَلَت ميرو نظراتي المُندهشة، وتابعت الكتابة.

"لماذا تفعلين ذلك؟" سألتها.

"لأن الأمر يبدو واقعيًّا حين أفعل ذلك".

"أي أمر؟".

"كَوني حيَّةً".

"هل تكتبين كل شيء تأكلينه منذ وُلِدتِ؟".

"بالطبع لا!" قالت ضاحِكةً.

"إذًا لماذا؟ ما دافِعُكِ؟" قلتُ وقد عجزت عن منع نفسي من الضحك أيضًا. فمع كثرة أسئلتي، شعرت أنني أجري معها حوارًا صحفيًّا. التقطنا ملاعقنا وبدأنا في تناول أول وجبة طعام سويًّا. تكوَّرَت القطة عند قدم ميرو. دَسَّ ميونجسو ملء معلقة كبيرة من الأرز في فمه، ثم تجرَّع الحساء. لم تمسس ميرو طبقَ الأرز الخاص بها، لكنها تناوَلَت قليلًا من الحساء. مزجتُ نصف طبق الأرز بحسائي.

لقد تبَلَّت الحساء جيدًا. كانت أوراق الخبازى الخضراء رقيقةً، وأبرز اللون الورديُّ للجمبري اللَّونَ الأخضر للخبازى. لم أستطع بعدُ تصديقَ أن ثلاثتنا نتناول الطعام معًا. التقطتُ ورقة بيريلا ووضَعتُها فوق أرز ميرو. كان شيئًا تفعله أمي من أجلي. متى كانت أمي تأكل؟ لديَّ ذكريات عنها وهي تُطعمنا أكثر بكثير من ذكرياتي عنها وهي تأكل. كان وجهها يُشرِق بفخر حين ترى أبي يأكل بشهيَّة، وكانت تُشجِّعني للأكل مثله. كانت الطريقة التي يأكل بها تُشعِرك كأنه يتناول شيئًا مختلفًا وألذَّ. مشاهدته وهو يأكل جعلتني أرغب في الإسراع والأكل أيضًا. كان يأكل بحماس حقًّا قبل أن تمرض أمي. بعد موت أمي، كُنَّا نحن الاثنين فقط على المائدة، مع هذا كُنَّا لا نزال نستطيع الشعور بها تجلس بيننا على المائدة، رغم أننا لم نتحدَّث عن ذلك الشعور أبدًا.

ربما كانت تلك هي أكثر اللحظات وحدة التي مرَرتُ بها أثناء فترة عيشي في البيت مع أبي بعد موت أمي. أحبَّت أمي مراقبة أبي يأكل، وكانت تدفع دائمًا الأطباق الجانبية بالقُرب منا، وتضع قِطَع اللحم والخضار فوق طبق الأرز الخاص بكلٍّ مِنَّا وهي تقول: تناوليه بينما لا يزال دافئًا، بينما لا يزال لذيذًا، بينما لا تزال التتبيلة مضبوطة... هل رَدَدتُ لها هذه اللفتة أبدًا؟ بعد رحيلها كنتُ أحيانًا أسرح وأفكر فيها وأجد نفسي أمدُّ يديَّ غريزيًّا وأدفع الأطباق الجانبية قُربَ أبي. في المقابل كان يضع قطع الأعشاب البحرية المجفَّفة بشكل عفويٍّ فوق ملعقة الأرز التي أرفعها إلى فمي. ربما لهذا كُنَّا لا نزال نشعر بوجودها هناك. بعد رحيلها، لم يَعُد أبي يلتهم الخضار باستمتاعٍ أو يلتقط سمكةً لَحمُها وفيرٌ، أو يتجرَّع الحساء كأنه ماءٌ، أو يطلب زيت السمسم كي يرشَّ منه على البيبيمباب[1]. أصبح يترك نصفَ طبق أرزه من دون أن يلمسه.

---

(1) البيبيمباب: طبق كوري كلاسيكي مُكوَّن من الخضار والأرز واللحم والبيض المقلي.

لفَّت ميرو ورقة بيريلا حول حفنة من الأرز، وحشرتها داخل فمها. ابتسمت وخداها ممتلئان بالطعام. بادَلتُها الابتسامة. لم أكن لأخمِّن أنني سأجلس هنا في حجرتي برفقتهما، نتشارك الطعام والضحك. كانت أمي لتحبُّ مُراقَبَة ميرو وهي تأكل. لدهشتي كانت تأكُلُ بشهيَّةٍ مثل أبي. كانت أمي لتربِّت على ظهرها، وقد عَلَت وجهها ابتسامة، كانت لتقول إن طريقة ميرو في الأكل تجلب الحظَّ الجيد. مهما كان الموقف، كانت أمي تُعبِّر عن كل شيء من خلال الطعام. حين يحدث شيء سيِّئ، تقول إن ذلك بسبب أن أكلَكِ انتقائي، وإذا حدث شيء سار، كانت تقول إنه مكافأة على أكلك كل وجبة كأنها وليمة.

"تأكلين بنهم" قُلتُ.

"أنا؟".

"نعم".

بدا ألّا أحد قد أخبر ميرو بذلك من قبل.

"كانت أمي لتستمتع بمشاهدتِكِ تأكلين" قُلتُ. "كانت أمي تقول إنه يجب على الناس أن يستمتعوا بطعامهم. قالت إن تلك هي الطريقة التي تتأكَّدين بها من حصولِكِ على نصيبك في الحياة أينما كُنتِ. كانت تقول إن الناس الذين يعرفون كيف يستمتعون بالطعام، يعرفون قيمته".

لا تزال كلمات أمي تتردَّد في أذنيَّ. كانت مُغرَمَةً بداهِن بسبب شَهيَّته. كُلَّما أتى إلى منزلنا، كانت تضع أدوات مائدة إضافية من أجله وتتأكَّد من أنه سيتناول الطعام معنا. وتمامًا كما كانت تفعل معي ومع أبي، كانت تدفع الأطباق الجانبية لتُقرِّبها منه، وتضع الطعام فوق الأرز الخاص به.

"دعينا نزور والدتك يومًا" قالت ميرو.

لـو كان بإمكاننـا فقـط فِعـلُ ذلـك. لـو كنـتُ أسـتطيع فقـط أخذهـما لرؤيتهـا يومًـا.

"أمِّـي ميِّتـة" كانـت تلـك هـي المـرة الأولى التـي أقـول تلـك الكلـمات لأحدهـم.

رفـع ميونجسـو ومـيرو عيونهـما إليّ. داهمتنـي حقيقـة مـوت أمـي مُجـدَّدًا، بالشـكل نفسـه الـذي اجتاحتنـي بـه عندمـا ظهـر ميونجسـو أمامـي كشـعلة ضـوء في قلـب المدينـة التـي اكتسـحها التَّمـرُّد. أمـي ميتـة، تَـرَدَّد صـدى الكلـمات في أذنيَّ. سَرَت قشـعريرة في جسـدي، لكـن سرعـان ما تـلاشى ذلـك الإحسـاس. ربمـا تقبَّلـتُ مَوتَهـا بالفعـل بينـما أنسـخ القصائـد في كتـاب الأسـتاذ يـون "نحـن نتنفَّـس" عـلى الآلـة الكاتبـة. وَضَعَـت مـيرو ورقـة بيريـلا في صحنـي. لَفَفتُهـا حـول حفنـة أرز ودَسَسـتُها في فمـي ومضغتهـا. أمكننـي سـماع صـوت أمـي مـن زمـن بعيـد، يقـول: "صغيرتي يـون تـأكل جيِّـدًا". بمجـرَّد أن بلعـت حفنـة الأرز، وضـع ميونجسـو ورقـةً أخـرى في صحنـي. وضعـت بـدوري ورقـةً في صحنـه. ثـم وضـع هـو ورقـة في صحـن مـيرو. التقطنـا الأوراق ولففناهـا حـول الأرز ودسسـناها في أفواهنـا في اللحظـة ذاتهـا. ضحكنـا أثنـاء المضـغ.

التقطـتُ قطعـةً مـن اللحـم، وأمسَـكتُ بهـا كي تأخذهـا القطـة منـي، لكـن مـيرو أوقفتنـي.

"لا يمكنها تناول أي شيء يحوي ملحًا أو بصلًا".

"لماذا؟" وضعتُ قطعة اللحم في فمي.

"لا تستطيع القطط هضم الملح".

"إذًا ماذا يجب أن نُطعمها؟ لا بُدَّ أنها جائعة".

"لـن تتنـاول أي شيء عـلى أيـة حـال، إنهـا مُعتـدَّة بنفسـها جـدًّا، وتـأبى الأكل بـين الوجبـات".

"حقًّا؟".

"أجل".

نظـرت مـيرو إلى القطـة كأنهـا تقـول لهـا: "أليـس ذلـك صحيـح؟". جلَسَـت القطـة في مكانهـا ولم تُبـدِ اهتمامًـا باللحـم، بالرغـم مـن أنهـا لا بُـدَّ وقـد شَـمَّت رائحتـه عندمـا قرَّبتُـه منهـا. كانـت مـيرو مُحِقَّـةً إذًا. أدركـت مجـدَّدًا أن معرفتـي بالقطـط ضَحلَـة.

"أتساءل: لماذا لا تهضم القطط الملح؟ الملح مصدر كل النكهات".

كان ذلك ما كانت تقوله أمي.

"ذلـك صحيـح. حـين أفكـر في الأمـر، أتذكَّـر أننـي سـمعت عـن قِطَّـةٍ عاشـت قـرب بحـيرة ملـح".

"بحيرة ملح؟".

"أجـل، أيـن تقـع؟ تركيـا؟ اليونـان؟[1] الطريـق إلى البحـيرة مكسـوٌّ بطبقـة مـن الملـح. في الليـل، ينعكـس ضـوء القمـر عليهـا وتتـلألأ بالأبيـض. وصـف الطريـق مذهـل جـدًّا لدرجـة أننـي أسـتطيع تخيُّلَـه في ذهنـي. المـرضى والنـاس في نهايـة حياتهـم يذهبـون إلى تلـك البحـيرة ليغطسـوا في ميـاه الملـح. تمـشي القطـة التـي تعيـش هنـاك معهـم في الطريـق إلى بحـيرة الملـح، وتُنصِـت إلى قصـص حياتهـم. تسـتمتع القطـة بقصصهـم وتنتظـر عنـد المدخـل في انتظـار ظهـور البـشر. كلَّـما أتى شـخصٌ يبـدو مريضًـا إلى طريـق البحـيرة، ترشـده القطـة إليهـا".

"أين سمعتِ عن ذلك؟" سألتها.

---

(1) الإشـارة هنـا إلى بحـيرة تـوز جولـو في ولايـة أكـسراي بالقـرب مـن أنقـرة بتركيـا. تتبخَّـر ميـاه البحـيرة في الصيـف، ويبقـى عـلى سـطحها كميـات هائلـة مـن الملـح بعمـق ثلاثـين سـم، ويمكـن المـشي فـوق رمـال الملـح تلـك. تُعتَـبَرُ مقصـدًا سـياحيًا بغـرض العـلاج والاستشـفاء أو التمتُّـع بمناظرهـا الخلَّابـة. (المُترجـم)

"قرأته في كتاب".

"ما عنوانه؟".

"لا أستطيع التذكُّر. هل تتذكَّر عنوان ذلك الكتاب الذي كانت تملكه أختي؟" سألت ميرو ميونجسو. مال برأسه إلى أسفل وكأنه يحاول التذكُّر.

"أعتقد أن الطريق إلى البحيرة قد بدا جميلًا جدًّا في الكتاب، لدرجة أنني أمسَيتُ مهووسةً بمحاولة تصوُّر البحيرة، لكن أختي الساذجة كانت قَلِقَةً بشأن القطة؛ لأن الملح -كما قالت- يُمرِضُ القطط".

"أعتقد أنها كانت تعرف كل شيء عن القطط" قال ميونجسو.

"لم تكن هكذا دائمًا. أتذكَّر عندما أحضرت القطة إلى المنزل أول مرة. أنجبت قِطَّةُ صديقتها أربع قطط صغار. كانت تلك القطة أصغرهم حجمًا. كانت القطط الأقوى منها تدفعها بعيدًا عندما يُقدَّم لها الطعام؛ لهذا لم تكن تحظى بما يكفي من الطعام لتتناوله. عندما لاحظت أختي أنها لا تستطيع الأكل وأن القطط الأخرى تواصل عضَّ ذيلها، أشفَقَت عليها وأحضرتها إلى البيت. كانت ضئيلة جدًّا. كان من السهل أن تختفي. كانت تستطيع الاختباء داخل مظروف مانيلا، ولن يتمكَّن أيُّ أحد من العثور عليها. كانت أشبَهَ بِكُرَةٍ من خيوط بيضاء تتدحرج على الأرضية. لكن على الرغم من ضآلة حجمها، كانت تمتلك مخالِبَ حادَّةً أدهشتني. كانت تخدش أثاث البيت كله. كانت أمي وأختي ميراي تتشاجران بخصوص ذلك طوال الوقت".

وضع ميونجسو ورقة بيريلا أخرى فوق أرز ميرو. نظَرَت ميرو إلى أسفل في هدوء. نطَقَت اسمي. التفتُّ إليها. التَقَت عيناها الداكنتان بعينيَّ.

"أيمكنني الحصول على المزيد من الأرز؟" سألَت.

"المزيد؟ حقًّا؟" بدا ميونجسو مُتفاجِئًا. تناول كلٌّ مِنَّا صحنًا آخر من الأرز والحساء. عندما نَفَدَت المُقبِّلات، أخرج ميونجسو حاويات المُقبِّلات من الثلاجة ثانِيَةً وملأ الأطباق من جديد. واصل التحديق إلى ميرو أثناء تناوُلِها الطعام.

بعد أن شبعنا، نهضنا من على المائدة الفوضوية بما عليها من أطباق فارغة مُتَّسِخَة. تركناها كما هي وانهرنا على الأرض. مَشَت القطة بيننا على رؤوس أصابع أقدامها، بعدم اكتراثٍ، ثم قفزت فوق مكتبي. ثَنَت قائِمَتَيْها الأماميَّين معًا وقوَّسَت ظهرها، ومالت إلى الأمام لتلقي نظرة علينا في الأسفل. بدت ككتلة من ثلج طازج سقط على تلك البقعة فقط. أخبرني أبي أن القطط كائنات مستقلَّة تعتمد على نفسها وتحافظ على مسافة بينها وبين البشر. لكن قطة ميرو لم يَبدُ عليها الاعتراض عندما أمسكها ميونجسو أو عندما رَقَدَت بين ذراعيه. من المفترض أن القطط حسَّاسة، وتتفاعل مع أقل لمسة، لكن لا يبدو أن قطة ميرو تنزعج من أي شيء. لديها طريقة أنيقة في رفع قَدَمَيْها وثني عنقها. من دون أن ندرك ذلك، كان ثلاثتنا نحدِّق إلى القطة في اللحظة ذاتها.

"إنها صمَّاء" قالت ميرو. نظَرتُ إليها في دهشة "لا يمكنها سماع أي شيء".

"حقًّا؟".

"لهذا هي هادئة جدًّا".

فهمتُ أخيرًا لماذا نادرًا ما تتحرَّك القطة، ولماذا لا تُحدِثُ سوى القليل جدًّا من الضَّجَّة.

"يقولون إنَّ تسعين بالمائة من تلك السلالة صُمٌّ".

" أي سلالة؟" سألتها.

"إنجورا تركي".

كان من الصعب تصديق أن تلك الآذان الصغيرة الجميلة لا تستطيع أن تسمع أي شيء. فكَّرتُ كم أنها قطة مَلَكيَّة، نبيلة جدًّا كي تقضي وقتها مع شخص مثلي، تجلس في الشارع حافِيَةَ القدمين. عندما أخبرتني ميرو أنها صماء بدأ قلبي يلين تجاهها. لو كنتُ أجلس قربها، لربما كنتُ قد مَدَدتُ يديَّ لأمسِّد أذنيها.

"كيف اكتَشَفتِ أنها صمَّاء؟" سألتُها.

"لم يَبدُ أنها تتعرَّف على اسمها مهما حاوَلت أختي وأنا أن نناديها. في البداية ظَنَنَّا أن كل القطط هكذا. لكن أدركنا أنه لا يمكن أن تستطيع أي قِطَّة النَّومَ بمثل العمق الذي تنام به هذه القطة. كنَّا نراها تنام تحت مقعد عندما نغادر البيت في الصباح ثم عندما نعود ليلًا، نجدها لا تزال غافِيَةً في البقعة نفسها. تنام في أي مكان وكل مكان. عندما كانت صغيرة، كانت تنام تحت الوسائد وداخل الأكياس البلاستيكية. عندما كبرَت قليلًا، أضحت تنام فوق رف الكتب وخلف الستائر... كانت تنام داخل الصناديق... كانت تنام وتنام... كانت ككُتلَةٍ من النوم أكثر من كونها قطة...".

عندما قالت ميرو ذلك، تخيَّلتُ في رأسي حيوانًا اسمه "نوم".

"حين بدأت ساعات نومها تَقِلُّ، أخَذَت تُحدِّق في كل شيء يتحرك".

"مثل ماذا؟".

"ورق شجر يهتزُّ في الرياح، وأجراس تقرع في الهواء، وقطرات ماء تنزلق على زجاج النافذة، وكرة صوف تتدحرج، وخرز، مثل تلك الأشياء... كانت تحدِّق إليها. عندما تتحرك في هذا الاتجاه، تلتفت برأسها في الاتجاه نفسه، وعندما تتحرك في ذلك الاتجاه، تتبعها برأسها".

"أرى ذلك".

"ذات مرة كانت تجلس عند النافذة وظهرها إلينا، عندما ذهبنا إليها لنلقي نظرة إلى الخارج. كان الثلج يهطل لأول مرة ذلك العام. كانت القطة تتأمّل نُدَف الثلج المتراقصة في الهواء. طوال اليوم كانت تُحرّك رأسها مع نُدَفِ الثلج التي لا تتوقّف عن الدوران. كنّا ننادي على اسمها بالتبادل، لكنها لم تلتفت أبدًا لتنظر إلينا. حينها أدركت أختي أن ثمّة شيئًا خاطئًا. أن القطة صمّاء. لم أفكر في ذلك الاحتمال، لكن عندما بدأت أراقبها بتركيز أكبر، لاحَظتُ أنها لا تتفاعل مع الصوت بل مع حركة الهواء: اهتزاز باب ينفتح، وإيقاع خطوات الأقدام. ذات مرّة تَسلَّلتُ بحذر خلف القطة التي كانت تَشخَصُ بعينيها خارج النافذة وصفّقت بيديَّ بجانب أذنيها مباشرة. لكنّها واصلت النظر خارج النافذة وحسب. أخذناها إلى مستشفى للكلاب حيث فحصوها. تأكّدنا حينها أنها صمّاء حقًّا".

"لماذا أخذتما القطة إلى مستشفى كلاب؟".

"لم نستطع العثور على أطباء بيطريِّين يعالجون القطط".

"ما الاسم الذي تنادونها به؟" أخيرًا أُتيحَت لي الفرصة كي أسأل عن اسم القطة.

سارع ميونجسو إلى الإجابة قبل ميرو: "إيميلي ديكنسون".

"ماذا؟" صُدِمتُ.

"إيميلي ديكنسون" قالت ميرو. "انتقت أختي الاسم".

ومض وجه داهِن في رأسي. سمَّت القطة إيميلي ديكنسون؟! نهضتُ وذهبت إلى مكتبي وأخرجت أول كتاب اشتريته في هذه المدينة: مجموعة من قصائدها. أشرت إلى صورة إيميلي ديكنسون على الغلاف ونظرت إلى ميرو كأنني أقول: أتقصدين إيميلي هذه؟ أومأت ميرو.

بـدا كأن إيميـلي كانـت معنـا حتـى مـن قبـل أن نلتقـي. كُنَّـا مُتَّصِلـين مـن خلالهـا عـلى الرغـم مـن أننـي لم أكـبر معهـما. قـرأ داهِـن قصائدهـا ثـم أعطاهـا إليَّ. في تلـك الأثنـاء، سـمَّت أخـت مـيرو القطَّـةَ باسـمها.

"في الغالـب لـن تكـون إيميـلي الشـاعرة سـعيدة جـدًّا بذلـك، أليـس كذلـك" قالـت مـيرو.

"ماذا تعنين؟".

"أن نطلـق اسـمها عـلى قِطَّـةٍ صـمَّاء". لم أفكـر في الأمـر هكـذا. نظَـرتُ إلى القطـة، وهَتَفـتُ، "إيميـلي ديكنسـون!".

"ناديها إيميلي فقط. ذلك ما كانت أختي تفعله".

كُنَّـا ثلاثـة فقـط، لكـن مـيرو ذكَـرَت أختهـا كثـيرًا جـدًّا: أختـي فعلـت هـذا، وأختـي فعلـت ذلـك- لدرجـة شـعرتُ كأنهـا معنـا في تلـك الحجـرة.

فتح ميونجسو كتاب القصائد، وقرأ قصيدةً بصوتٍ عالٍ.

أخطو من لوحٍ إلى آخر

ببطء وحذر شديدَيْن.

أشعر بالنجوم حول رأسي،

والبحر عند قدمي.

لا أعرف أي شيء

سوى أن خطوتي التالية ستكون الأخيرة.

يمنحني ذلك القوة

لأخطو تلك الخطوة المضطربة،

التي يُسمِّيها البعض "تجربة".

عندما وصل ميونجسو إلى "والبحر عند قدَميّ" انضمَّت إليه ميرو. بدا أنهما قد أنشدا الشعر بصوتٍ عالٍ معًا من قبل. صوتهما مُتناغِمان. بينما أستمع إليهما، تذكَّرتُ كتاب الأستاذ يون. فتَحتُ حقيبتي وأخرجت نُسختَيْ كتاب "نحن نتنفَّس" وأعطيت كلًّا منهما نسخة. شعرت كأنَّ الغَرَضَ من حجي الطويل وغير المتوقَّع في أرجاء المدينة هو تسليم تلك الكتب إليهما. تنهَّدتُ كأنني قد أتمَمتُ مَهمَّةً شاقَّة. بينما تفتح ميرو وميونجسو نُسختَيْهما، ألقيت نظرة على القطة فوق مكتبي، القطة التي لا تستطيع سماع أي صوت في هذا العالم، والتي تُنادَى بـ "إيميلي ديكنسون".

***

مُذكّرات ميونجسو

المُفكّرة البُنْيّة "4"

-1-

عندما انتهت المحاضرة، تسلّلتُ خارج القاعة بسرعة قبل أن تلتفت يون وتراني. كانت تجلس في الصفوف الأمامية. أحدّق إليها بتركيز شديد عبر القاعة بأكملها من مقعدي في آخر صفٍّ، لدرجة لم أستمع حتى إلى صوت الأستاذ، لكن لم أستطع منع نفسي من الاندفاع خارجًا بمجرّد أن انتهت المحاضرة. ثم لمحتها هناك في منتصف شارع مهجور، كان المتظاهرون قد عبروه كالعاصفة منذ لحظات قليلة. فكّرتُ أنني أتوهّم. كانت تقف وسط المباني الشاهقة في وسط المدينة، ظهرها إليّ، شعرها أشعث، يداها خاويتان، حافية القدمين. هتفتُ باسمها. التفتت لتواجهني. كانت هي حقًّا.

أتذكَّر أول مرة رأيتها فيها في وقت مبكر من صباح ضبابي بجوار النهر في إليونج. كان من الصعب أن أصدِّق أنهما كانتا الشخص نفسه: الوجه الذي تسيل منه الدموع كأنَّها قد غسلته للتَّوِّ بماء النهر، وهاتان العينان الوحيدتان الطافيتان وسط مدينة تجتاحها التظاهُرات. لكن كان هذا هو ما تعنيه الحياة في هذه المدينة- مثل هذه الأشياء تحدث طوال الوقت، كما لو كانت لا شيء.

***

-2-

قرأتُ عن جريمة قتل چينوفيز في الكتاب الذي سرقته. وقعت الجريمة في الساعات الأولى من يوم الثالث عشر من مارس عام 1964 قبل أن أولد. امرأة تُدعَى كاثرين "كيتي" چينوفيز[1] قد أنهت مناوَبةً ليليَّة، وكانت في طريق عودتها إلى شقتها في نيويورك في الساعة الثالثة والربع صباحًا حين صادفت رجلًا مريب الشكل، هاجمها بسكين. ثمانية وثلاثون من جيرانها سمعوا أو شاهدوا لحظة موتها، لكن لم يخرج أيُّ أحدٍ لنجدتها. عندما صرخت چينوفيز طلبًا للمساعدة، أُضيئت كل الأنوار في بنايتها، لكن لم يفتح أيُّ أَحَدٍ باب شقته أو نزل الدَّرَج. صرخ شخص واحد من نافذته. "دع تلك الفتاة وشأنها!". ركض المعتدي هاربًا. انهارت چينوفيز على قارعة الطريق وهي تنزف بغزارة. لم يخرج أي أحد لمساعدتها. أُطفِئَت أنوار الشُّقَق، وساد الصمتُ الشارعَ. لاحظ المهاجم الذي كان يندفع عائدًا إلى

(1) كاثرين كيتي چينوفيز (1937- 1964): امرأة من نيويورك، طُعِنَت حتى الموت خارج شقتها تحت أنظار ثمانية وثلاثين شاهدًا لم يُحرك أيٌّ منهم ساكنًا، ولم يستدع الشرطة حتى. أثارت جريمة قتلها ضجَّة كبيرة، وتسبَّبَت في أبحاثٍ في علم النفس والجريمة، عُرفت باسم "تأثير المتفرِّجين"، أو "متلازمة چينوفيز".

سيارته ذلك فعاد أدراجه وطعن چينوفيز مرة أخرى. صرخت ثانية وأُضيئَت الأنوار مُجدَّدًا. فَرَّ المهاجم مرة أخرى. بينما تصارع چينوفيز كي تزحف إلى داخل البناية، أُطفِئَت الأنوار. خرج المهاجم الذي كان يختبئ فقط من مكمنه ثانيةً وأنهى ما بدأه. ماتت چينوفيز بعد طَعنِها خلال ثلاث هجمات على مدار ثلاثين دقيقة. في كل مرّة تصرخ طلبًا للنجدة، تُضاء الأنوار ويتوقَّف الهجوم. تنطفئ الأنوار فيُستأنف الهجوم. تمَّ توثيق حقيقة أن ثمانية وثلاثين شخصًا قد شاهد عبر النافذة چينوفيز تُطعن حتى الموت من دون أن يهبَّ أحدٌ لنجدتها.

هل هذا ما يعنيه أن تكون إنسانًا؟

انتابتني رغبة في أن أعيد الكتاب حيث وجدته.

***

-3-

تضحك ميرو أكثر الآن بفضل يون. كانتا مثل أُختَيْن. منذ أن أعطتنا يون نُسَخَنا من كتاب "نحن نتنفَّس"، أضحت ميرو تحمله في حقيبتها في كل مكان تذهب إليه. أصبحنا نجلس متجاورين في محاضرة الأستاذ. أحيانًا نمرُّ على مكتبه بعد انتهاء المحاضرة. كانت أول مرة أرى فيها ميرو تولي اهتمامًا في الفصل. أصبح الأستاذ يون ينادي حتى على اسمها حين يصل إلى نهاية قائمة الحضور.

بعض الأشخاص في القاعة يلتفتون ويلقون نظرة عليها حين يفعل ذلك. تلتفت يون إليها أيضًا وتبتسم. أحيانًا في منتصف المحاضرة، يمشي الأستاذ نحونا ويربت على ظهر ميرو.

أتساءل إذا كان الأستاذ ويون يدركان أنهما -باستثنائي- الشَّخصان الوحيدان اللذان تسمح لهما ميرو بأن يريا ندباتها.

***

-4-

قابلت يون اليوم ومشينا معًا بمحاذاة جدار الحصن القديم الذي كان يحيط بالمدينة في العصور السالفة. تمشي يون في كل مكان حتى في طريقها إلى الجامعة. من الصعب تخيُّلها وهي لا تمشي. كنت أتبعها وأكتشف اكتشافات جديدة خاصة بي. بينما نمشي بمحاذاة الجدار، أخبرتها بجريمة مقتل چينوفيز. استمعت بانتباه.

"ربما كانت لتنجو لو سمع صراخها شخصٌ واحد لا ثمانية وثلاثين" قالت.

"تعتقدين ذلك؟" سألتُها.

"هذا ما يقوله علماء النفس" قالت مُفسِّرَة. "يقولون إن تلك هي الكيفية التي يعمل بها العقل البشري. لو شاهد شخصٌ شخصًا آخرَ في خطر؛ لن يتردَّد في مساعدته. لكن لو شاهد مجموعةٌ ذلك، فسوف ينتظر كلٌّ منهم في تَرَقُّبِ رِدَّة فعل الآخرين، ولن يُقْدِمَ أحدٌ على فعل أي شيء".

سألتها إذا كان السبب في هذا هو أن الجميع يلقي المسؤولية على الآخر، لكنها قالت إنها ليست مسألةَ إلقاء المسؤولية على شخص آخر بل هي "انتشار المسؤولية"[1].

---

(1) انتشار المسؤولية: ظاهرة اجتماعية نفسية تتبنَّى فكرة أن الإنسان لا يتحمَّل المسؤولية أو يتكاسل عن أدائها في وجود آخرين. تعتبر شكلًا من نظرية العَزْو التي طَوَّرها فريتز هايدر وهارولد كيلي، حيث يفترض الشخص أن الآخرين مسؤولون مثله؛ وبالتالي تصبح المسؤولية غير مُحدَّدَة.

قالـت: "وفقًـا لعلـماء النفـس، كلّـما زاد عـدد الشـهود، كلـما بـات الإحسـاس بالمسـؤولية الفرديـة أقـلّ".

سـألتها إنْ كانـت قـد درسـت علـم النفـس، فقالـت إنَّ علـم النفـس مـن ضمـن موادهـا الاختياريـة، ثـم تَجهَّـم وجهُهـا.

"لكـن هـل يمكـن تفسـير البـشر حقًّـا مـن خـلال علـم النفـس والتحليل النفسي؟".

حدَّقـتُ إليهـا. لا أعتقـد أنهـا كانـت تتوقَّـع إجابـة؛ لأنهـا أمسـكت بيـدي بـلا وعـي وتمتمـت إلى نفسـها:

"لا بُـدَّ أنهـا كانـت ترتجـف رعبًـا في كل مـرة تنطفـئ فيهـا الأنـوار... ربمـا كان ذُعرُهـا أسـوأ بكثـير مـن ألم الطعـن حتـى المـوت".

***

5

جدران المدينة

كنت أمشي وحدي، لكن أضحى ميونجسو وميرو ينضمّان إليّ. كُنّا نسير جنبًا إلى جنب حتى يضيق الطريق بنا فنسير في صفٍّ مُجبَرين، ميونجسو في المقدِّمة، وميرو في المنتصف، وأنا في المؤخِّرة. عندما ينتهي الشارع الضيق، نسير جنبًا إلى جنب من جديد. المشي معهما مختلف عن المشي وحدي. اعتقدتُ أنني لن أستطيع مشاهدة المدينة بالتفصيل كما كنتُ أفعل وأنا بمفردي؛ لأننا ثلاثة، فسوف ننشغل ببعضنا البعض، لكن بدا أن ثمَّة أشياء أكثر لنراها لأننا ثلاثة. إذا أشار أحدنا إلى شيء وقال: "انظروا هناك" نلتفت معًا، ونلقي نظرة ككيان واحد. رأيت أشياء كنت لأفوِّتها إذا كنتُ بمفردي. تشير ميرو في أغلب الأوقات إلى أشياء في السماء: غيوم داكنة، وسحب بيضاء، وغروب أحمر، وهلال يتدلّى بجلاء في السماء، وهالة حول القمر في منتصف

الليـل، وطيـور تُحلِّـق في عتمـة الظـلام. بـدأتُ أولي انتباهًـا أكـبر إلى الغيـوم في سـماء الليـل بفضلهـا. أصبحـت أبحـث عـن السُّـدُم كـما كنـت أفعـل حـين كنـت صغـيرة- حـدَّدتُ أولًا موقـع مجموعـة نجـوم الـدُّبّ الأكـبر، ثـم اسـتخدمتها لأعـثر عـلى مجموعـة ذات الكـرسي ومجموعـة المـرآة المُسلسـلة. في المقابـل يشـير ميونجسـو عـادة إلى النـاس: عُـمَّال يدويـين وجوههـم متـورِّدة، يعملـون بكَـدٍّ كي يكسـبوا قـوت يومهـم، ونسـاء في منتصـف العمـر يقلِّـبن سـمكًا شريطيًّـا بنشـاطٍ، بينـما تُشـوى وتكتسـب لونًـا بنيًّـا ذهبيًّـا فـوق موقـد منصـوبٍ عنـد مدخـل شـارع السـوق، وجَـدَّة ظَهرُهـا محنـيٌّ إلى الأمـام بزاويـة قائمـة، تمـشي ببـطء شـديد لدرجـة أن كل خطـوة تخطوهـا بَـدَت كأنهـا تسـتغرق دقيقـة كاملـة بينـما تحمـل الخضـار إلى السـوق، وأطفـال خدودهـم حمـراء، يبـدون كأنَّ طولهـم يـزداد بينـما يلعبـون، يجـرون وراء كُـرَةٍ تَرتَـدُّ عـلى الأرض، ورجـل سـكران يجلـس بغـير ثبـاتٍ فـوق معـبر علـوي وسـيجارة تتـدلى مـن فمـه.

اخترعنـا لعبـة تتضمَّـن إعـادة أشـياء سـقطت أو تتـدلَّى مُعوَجَّـة في الطريـق إلى وضعهـا الصحيـح. لافتـات أُسـقِطَت عـلى الأرض، أو تتـدلَّى بشـكل مائـل، أو أحذيـة انجرفـت بعيـدًا خـارج بـاب- كلـما وقعـت عيوننـا عـلى شيء كهـذا، كنَّـا نركـض معًـا ونُصلـح مـن وضعـه. أضحـت مـيرو بالـذات مُنغَمِسَـة في اللعبـة. حتـى حـين لا نلعـب، كانـت مهووسـةً بتصحيـح أي شيء ليـس في مكانـه. كانـت تعيـد حاويـات القمامـة التـي سُـحبت إلى الخـارج داخـل الزقـاق إلى مكانهـا، وتـروي الزهـور التـي زُرعـت مـن أجـل الزينـة وتُرِكَـت مُهمَلَـة. ذات مـرة مَرَرنـا أمـام كشـك فاكهـة، فتوقَّفَـت مـيرو لـترصَّ التُّفـاح في صفـوف متسـاوية. لكـن حـين خـرج المالـك، أخفـت يدهـا المشـوَّهَة بالندبـات في جيبهـا بسرعـة، فاعتَقَـدَ أنهـا كانـت تـسرق.

كُنَّا نشغل أنفسنا بأشياء تافهة بلا معنى أحيانًا كي نحارب توتُّرَنا ووحدتنا. إذا شاهد ميونجسو عشيقَيْن يسيران وكلٌ منهما يمسك بيد الآخر، كان يحاول أن يخطو بينهما ليجبر كلًا منهما على التخلِّي عن يد الآخر. كنتُ وميرو نوقِفُه في بادئ الأمر، لكن لاحقًا أصبحنا ننضمُّ إليه بغرض المتعة، محاولين أن نكتشف عدد الأزواج الذين سنستطيع فصلهما عن بضعهما البعض خلال مسافة معينة. بعد فترة، أمسينا نتطلَّع إلى فِعل هذا. ذات مرة شاهدنا زوجين يبدو أنهما مغرمان ببعضهما البعض. وقفتُ وميرو في الخلف وراقبنا لنرى إذا كان سينجح ميونجسو حقًّا في الفصل بينهما. عندما نجح، أشار إلينا بإصبعيه علامة النصر، فابتسمنا ابتسامةً عريضة. لكنه أشار إلى الثنائي ثانية فالتفتنا لنرى أنهما كانا يمشيان سويًّا متقاربين أكثر من ذي قبل، ويمسك كلٌّ منهما بِيَدِ الآخر بإحكامٍ أكبر.

أعطت رحلاتنا معًا في شوارع المدينة لونًا إلى أيَّامي حتى حين كنتُ وحيدة. أثناء وجودي في البيت بمفردي، أستغرق في تأمُّل النجوم وهي تومض أمامي في سماء زرقاء نيليَّة، وأجد نفسي أُتَمتِم: "انظروا إلى ذلك!" كما لو أنهما بجانبي. أفكر إذا كان ذلك هو الطريق اللبني؟ فينفلت اسم ميرو من فمي. وأفكر في ميونجسو كلما شاهدت الرجل مُتورِّد الوجه في متجر الكعك المُحلَّى أسفل بنايتي، وهو يسحب غطاء ضخمًا من حديد الزهر ليُخرِج الكعك المطهي بالبخار؛ لأنني أعرف أن ميونجسو كان ليشير إليه.

في شوارع هذه المدينة، كنَّا نضحك كثيرًا من دونما سبب على الإطلاق. كنا نضحك لبُرهَة قصيرة ثم يصبح المزاج العام غريبًا، وتتلاشى الضحكة. لم أضحك بتلك القوة من قبل. أكان من الصحيح أن نضحك هكذا؟ يتسلَّل السؤال إلى أفكاري بين حين وآخر. ارتدت ميرو تنورتها الفضفاضة كل يوم طيلة الصيف وخلال معظم الخريف. لم أرها ترتدي شيئًا آخر أبدًا. أثناء تجوالنا في أرجاء المدينة أو الجامعة

كانـت التنـورة ترفـرف إلى الخـارج منتفخـة كإبهـام متـورم. حتـى حـين أضحـك مـلء قلبـي، كنـتُ أتوتَّـر وتخبـو ضحكتـي إذا وقَعَـت نظـراتي عـلى تنُّورتهـا.

أحيانًـا كان ينضـمُّ إلينـا شـخصٌ رابـع: الصبـي الـذي يُدعَـى نـاك سـوجانج، الصبـي الـذي أخـبرني عنـه ميونجسـو في اليـوم الـذي صادَفتُـه فيـه في وسـط المدينـة بعـد أن وجـدتُ نفسـي عالِقـةً في المظاهـرة. كان الشـخص في المزحـة شـخصًا حقيقيًـا يذهـب إلى الجامعـة نفسـها التـي نرتادهـا. كان معماريًـا طَموحًـا يُفضِّـل أن يُنـادَى بــ "نـاك سـوجانج" بـدلًا مـن اسـمه الحقيقـي، تشايسـو. لم أعـرف حتـى تلـك اللحظـة أن نـاك سـوجانج أو "الميـاه المتسـاقطة" باللغـة الإنجليزيـة هـو اسـم أحـد بيـوت الأسـطورة فرانـك لويـد رايـت[1] المبنيَّـة فـوق شـلال. اكتشـفت أيضًـا عنـد مقابلتـه لمـاذا اختـار ذلـك الاسـم ككنيـة. بنـى لويـد رايـت البيـت -قـال نـاك سـوجانج إنـه لم يكـن مجـرَّدَ بَيـتٍ، بـل عمـلًا فنِّيًـا- فـوق شـلال عـلى ممـرِّ بـير ران في جبـال بنسـلفانيا مـن أجـل مالِـك مجمَّـعٍ تجـاري شـهير ليقـضي فيـه عطلـة نهايـة الأسـبوع. كان وجـه تشايسـو يفيـض بالحنـين بينـما يتحـدَّث عـن دهشـة الزائريـن عندمـا اكتمـل بنـاء "الميـاه المتسـاقطة". شُـيِّد البيـت مـن دون قطـع شـجرة واحـدة. يجـري جـدول بير ران تحـت البيـت وتطفـو حجـرة المعيشـة وحجـرات النـوم الأربـع فـوق الميـاه مـن دون سَـنَدٍ. تسـمع خريـر الميـاه قبـل أن تراهـا. كانـت الشرفـة والتـي كانـت أكـبر مـن داخـل البيـت، مُصمَّمَـةً بحيـث توفِّـر مدخـلًا إلى البيـت عـبر جـسر يمتـدُّ فـوق الشـلالات. قـال تشايسـو إن البيـت كان

(1) فرانـك لويـد رايـت (1867- 1959): أحـد المعماريـين الـرواد في النصـف الأول مـن القـرن العشريـن في أمريـكا. قـدَّم نظريتـه المعماريـة في كتابـه " المدينـة المختفيـة"، واخـترع مصطلـح "العـمارة العضويـة"، وهـو مـا يقصـد بـه ملاءمـة المعـمار للبيئـة المحيطـة بـه. مـن أشـهر أعمالـه -إلى جانـب "الميـاه المتسـاقطة": البيـت الـذي بنـاه لأدجـار كوفـمان-: دار أوبـرا شـيكاغو وفيـلا موريـس ومتحـف سـولمون جاجينهايـم، ومنـزل فريدريـك روبي.

برهانًا على أن حتى المعمار يمتلك روحًا. كان يُفضِّل أن يُنادى بـ "ناك سوجانج". لم يغادر المدينة أبدًا، وُلِدَ وكبُر هنا. حاولنا أن نخبر ميرو بالمزحة المتعلِّقة بناك سوجانج والفتاة، لكنها لم تضحك. بَدَت حزينةً. تنهَّدَت واستندت إلى عمود اتصالات.

"يفترض أن تضحكي".

"تبدو قصّةً حزينة بالنسبة إليَّ".

لم يبرح التَّجهُّم وجهها. شعرتُ بالبلاهة فاستندت إلى العمود بجوارها.

"يجب أن ألتقط صورة لكما" قال ميونجسو كأنه يحاول رفع معنوياتنا بأن رسم إطارًا بأصابعه، وتظاهر كأنه يلتقط صورةً لنا. لكن سرعان ما انضمَّ إلينا واستند إلى العمود. وقف ثلاثتنا هناك لوقتٍ طويل، وشاهدنا مرور الناس بجوارنا.

يعرف ناك سوجانج كل شيء يمكن معرفته عن المدينة. صحبنا إلى بوكتشون حيث تربض البيوت العتيقة ذات الأسطح القرميدية، تتلامس مزاريبها، وإلى تونجي- دونج لنشاهد شجرة صنوبر بنجيانا بيضاء عمرها ستمائة سنة.

"يكاد عمر الشجرة يصل إلى عمر هذه المدينة التي تثير فضولكِ يا يون" أخبرني ناك سوجانج.

مشيتُ حول الشجرة مُجدَّدًا، مُتعجِّبَة كيف نجت كل هذه السنين.

"قالوا إنها توقَّفَت عن النمو أثناء الاحتلال الياباني" أضاف.

نظرنا إليه باستهزاء. ضحك وقال: "لا أصدق هذا، لكن أرغب في تصديقه".

ذات يوم كُنَّا نمشي بمحاذاة جدول تشونججيوتشيون في الطريق إلى سوق دونجدايمون. أسير في ذلك الطريق كثيرًا لزيارة متاجر الكتب المستعملة في ذلك الشارع. لكن الطريق الذي أخذنا إليه ناك سوجانج كان يحوي أكثر بكثير من مجرَّد متاجر كتب. كان الظلام قد ساد حين أرشدنا إلى شارع سوق حيث كان الناس الذين ينامون في الصباح ويعملون طوال الليل يندفعون هنا وهناك. وقفت أكشاك السوق متلاصقة ببعضها البعض، يفصل بينها بنايات وحواجز. لم أستطع أن أُميِّز بين مكان وآخر. كان السوق مكتظًّا بالأكشاك لدرجة عجزت عن حفظ أسمائها كلها. سوق دونجدايمون، وسوق جوانججانغ إلى الشمال، وسوق جملة يبيع الأحذية فقط، وسوق دانجدايمون جونجهاب... بَدَت أكشاك السوق -التي تشتمل كلها على اسم السوق "دونجدايمون" في أسمائها- أشبهَ بالمتاهة، لكن كان يقودنا ناك سوجانج بسهولة كأنه مُستكشف. طُفنا بسوق بيونجهوا، وسوق شين بيونجهوا، وسوق دونج بيونجهوا، وسوق تشونج بيونجهوا، ثم سِرنا بمحاذاة الجدول حتى خرجنا عند النهاية الشمالية -أو الجنوبية- للطَّريق، وواصلنا المسير حتى مجمع دونج- إل، ومجمع تونج- إل، وسوق دونجهوا، وسوق هينجني، وسوق نام بيونجهوا، وسوق سُوسنامول... كان ناك سوجانج بمثابة خريطة مُتنقِّلَة للمدينة. فَهمتُ لماذا ضمَّه ميونجسو إلى جولاتنا في المدينة. أخبرنا أن شارع بايوجاي قد سُمِّي على اسم سوق بايوجاي، وهو الاسم الذي كان يُطلَق على سوق دونجدايمون أثناء عصر جوسون[1]. أخبرنا أيضًا أن سوق جوانججانج كان أوَّلَ سوق يُشيَّد في كوريا في العصر الحديث. أخبرنا أنه قد بُني استجابةً لإلحاح سُكَّان جوسون بعد توقيع معاهدة الوصاية بين اليابان وكوريا. بعد توقيع هذه المعاهدة التي مهَّدَت الطريق لليابان كي تحتلَّ كوريا،

(1) مملكة جوسون: مملكة كورية أسسها الجنرال إي سونج كي عام 1392 ودامت لأكثر من خمسة قرون.

هُمِّش دور سوق دامدايمون أكبر أسواق مملكة جوسون لصالح العاصمة اليابانية، فاحتجَّ الكوريُّون؛ فأُقيم ذلك السوق تعويضًا لهم.

عندما يخبرنا ناك سوجانج بكل هذه المعلومات، يبدو مثل أستاذٍ جامعيٍّ لمادة تاريخ كوريا الحديث. بينما أراقبه وهو يتحدَّث، أجد صعوبة في تصديق أنه نفس الشخص الذي ارتبك أثناء إلقاء دُعابةٍ بشكلٍ مُزرٍ بسبب فتاة جميلة. بدا أنه يعرف دائمًا ما أفكِّر فيه قبل أن أقوله؛ لأنه أضاف: "وقد شُيِّد السوق في عام 1905" قبل أن يبتسم إليَّ ابتسامةً عريضة.

في الأيام التي كنَّا نمشي فيها بصحبة ناك سوجانج، كنتُ أترك خرائطي في البيت. لاحقًا، تحوَّلت جولاتنا في المدينة إلى نادٍ. لم يقترح أيُّ أحد رسميًّا أن نبدأ ناديًا مثل الأشخاص الذين اقترحوا إنشاء سوق جوانججانج عام 1905، لكن بالتدريج بدأ أصدقاؤنا في الجامعة يتبعوننا سرًّا حتى وجدت نفسي ذات يوم أسير قرب ضاحية دونجسونج- دونج حيث أعيش، برفقة ناك سوجانج وتسعة آخرين. أخبرنا أن حديقة مارونيه[1] كانت حرمًا جامعيًّا يومًا، وأنه كان هنالك تُرام وقاعات موسيقى ومقهى حيث اعتاد الطلبة احتساء الشاي والاستماع إلى الموسيقى ومناقشة الأدب والسياسة. نظرتُ حيث أشار. كانت هنالك لافتة لمقهى هاكريم دابانج. لقد كنت أمشي أمام المقهى طوال الوقت من دون أن أدرك مدى قِدَمه. بالنسبة إليَّ، حديقة مارونيه لم تكن تعني أي شيء أكثر ممَّا هي عليه الآن. اقترح أحدهم على ناك سوجانج أن ندعو الأستاذ يون ليصحبنا في جولة إلى جدار الحصن القديم في دروب الجبال المطِلَّة على المدينة.

---

(1) حديقة مارونيه: حديقة في حي دايهانجنو في سول. سُمِّيَت الحديقة على اسم شجرة مارونيه عتيقة تنمو وسط الحديقة. تقع الحديقة في المكان السابق لجامعة سول الوطنية.

"لا يمكنك أن تشاهده كله في يوم واحد. عليك أن تختار قطاعًا منه فقط لتستكشفه" قال ناك سوجانج.

"حتى لو حزمت غداءك معك، وقضيت اليوم كله هناك؟!".

"ماذا عن رحلة ثلاثة أيام وليلتين؟".

ضحك الجميع على اقتراحه.

"الأمر ليس بتلك السهولة التي تتصوَّرونها. جدار حصن سول طويل حقًّا. قد لا يبدو بذلك الطول عندما يكون أمامك مباشرة، لكنه يتشعَّب في عدَّة مواضع. عليك أن تمشي هابطًا مع الجدار ثم تصعد مُجدَّدًا لتصل إلى الجزء التالي منه، والطريق مُمتَدٌّ وملتوٍ. ثلاثة أيام وليلتان حتى لن تكون مُدَّةً كافية لرؤيته كله. بالإضافة إلى ذلك، علينا أن نتأكَّد من أننا نمتلك بعض الوقت للاستمتاع بوقتنا بينما نحن هناك".

"من أين لك بكل هذه المعرفة يا ناك سوجانج؟!" مزح أحدهم.

"حلمي أن أصبح معماريًّا!" أجابه ناك سوجانج بالنبرة نفسها.

"لكن ما دخل كل هذا بالعمارة؟".

"يجب أن يعرف المعماريُّ كُلَّ شيء يمكن معرفته عن مكانٍ ما. يجب أن يعرف ماضي المكان وحاضره. بتلك الطريقة فقط يستطيع بناء مستقبله".

"إذًا يجدر بك أن تتخصَّص في العمارة!".

"أخبرتكم بالفعل أنني لم أُقبل في قسم العمارة. على أية حال، سوف أصبح معماريًّا يومًا. فقط انتظروا وشاهدوا! لقد وُلِدتُ في هذه المدينة. أرغب في قضاء بقية حياتي هنا، أصمِّم أماكن جديدة وأحافظ على الأماكن القديمة. إذا أردتم أن تشاهدوا الجدار فعلينا أن

نسلك هذا الطريق إليه. هَلّا فعلنا؟ علينا فقط أن نبلغ قمة جبل ناكسان".

تَبِعْنا ناك سوجانج خارج حديقة مارونيه وتوجَّهنا إلى الجبل الذي كنتُ أشاهده فقط من نافذتي. مع كل المسافة التي قطعناها، كنت أتلفَّتُ حولي محتارةً أين نحن بالضبط. قال أحدهم متعجِّبًا: "لا أستطيع أن أصدِّقَ أن ثَمَّة مكان مثل هذا في المدينة!".

شكَّك الآخرون إذا كانت تلك الأزِقَّة الضيقة تقود حقًّا إلى جدار الحصن. أخبرنا ناك سوجانج عن الجبل، إنه من الجرانيت الصلب، ويتَّخِذ شكل سِنام جَمَل. في تلك الأثناء، نظرت إلى أسفل ولمحت منظر سطح بنايتي. تصوَّرتُ نفسي في الأسفل هناك كما لو أنني أشاهد شخصًا آخر: ها أنا هناك، أروي شجيرة النخيل، وأربط رباط الحذاء قبل أن أغادر إلى الجامعة، وأخرج من شقتي إلى السطح في وقت متأخِّر من الليل، وأرسم خطوط لعبة الحَجلَة. ألقي حصاةً وأقفز على قَدَمٍ واحدة، ثم ألتقط الحصاة وأقفز عائِدَةً إلى المربع الأول، تمامًا كما كنتُ أفعل في فناء بيت طفولتي.

تخلَّفتُ عن المجموعة، وكنت لا أزال أحدِّق إلى أسفل نحو بنايتي، عندما اقترب ميونجسو مني وهمس في أذني.

"أنا واقع في حُبِّكِ يا جونج يون".

صُدِمتُ من اعترافه. لم أستطع أن أُبعِدَ عينيَّ عن البناية بالأسفل وأواجهه. من دون أن أعني ذلك، اندفَعتُ سائِلَةً: "تُحبُّني أكثر من ميرو؟".

شاركني النظر إلى أسفل نحو بنايتي وقال: "أحبُّكِ كثيرًا، لدرجة أنني أفكر فيكِ حين أتخيَّل أين أرغب أن أكون بعد عشر سنوات".

"لكـن أكـثر مـن مـيرو؟" رفَعـتُ رأسي ونظـرت إليهـا. كانـت تمـشي بجانـب هيـون- تـاي، الـذي اسـتحقَّ عـن جـدارَةٍ لَقَـبَ "عَبَّـاد الشـمس"؛ لأنــه يجلــس في الصــف الأول في فصــل الشِّــعر الخــاص بالأســتاذ يــون، ويحـرِّك رأسـه إلى الأمـام والخلـف باسـتمرارٍ ليتبـع نظـرات الأسـتاذ يـون كـما تتبـع زهـرة عبـاد الشـمس ضـوءَ الشـمس. حجبـت تنُّـورة مـيرو الفضفاضـة جرانيـتَ جبـل ناكسـان للحظـة قبـل أن تتحـرك مُبتَعِـدَة ثانيـة.

بدأ ميونجسو في الكلام:

"عندمـا كنـتُ صغـيرًا، كنـت أذهـب وإخـوتي الكبـار إلى منـزل جَدَّيْنـا. كان إخـوتي يتسـلَّلون مـن البيـت بعـد أن يُخيِّـم الليـل، لمطـاردة العصافـير بصحبـة ابـن عـم أكـبر. ذهبـت معهـم ذات مـرَّة. هكـذا اكتشـفت أن العصافـير تُعشِّـش داخـل أسـقف الأكـواخ المصنوعـة مـن القـش. كان ثَمَّـة الكثـير جـدًّا منهـا. كانـت ترتجـف في كل مـرة نوجِّـه ضـوء الكشـاف إليهـا. بــدأ إخــوتي في إمســاكها بأيديهــم. أمســك أحدهــم خمســة عصافــير في مـرَّة واحـدة. كانـت الطيـور عاجِـزَةً أمـام هـذا الغـزو. سرعـان مـا امتـلأت أيديهـم بالعصافـير. أخـرج أخـي عصفـورًا صغـيرًا مـن القَـشِّ، ووضعـه بـين يـدي، وأخـبرني أن أمسـكه بإحـكام. كان العصفـور الصغـير مرعوبًـا جـدًّا كي يفـرد جناحيـه ويقـاوم، واكتفـى بالانكـماش في يـديَّ. كان دافئًـا وناعـمًا جـدًّا. خشـيت أن يطـير هاربًـا؛ لهـذا دَسَسـتُه في جيبـي. لم أسـتطع التوقُّـف عـن ملامسـته. أعتقـد أنهـا كانـت أوَّلَ مَـرَّةٍ ألمـس فيهـا شـيئًا بمثـل هـذا الصِّغَـر. كان جيبـي الصغـير يتلـوَّى بالحيـاة الكامنـة في ذلـك العصفـور. شـعرت أننـي أمسـك بالعـالم كلـه في جيبـي. لا أتذكَّـر كـم كان عمـري، لكننـي أتذكَّـر البهجـة التـي شـعرت بهـا في تلـك اللحظـة. أحبُّـكِ بقـدر البهجـة التـي شـعرت بهـا".

بقدر البهجة التي شعرت بها- كل كلمة أشبه بقطرة مطر. مَرَّرتُ يدي فوق جدار الحصن وتأمَّلتُ تنُورة ميرو التي تتحرك أمامنا.

"أكثر من ميرو؟" سألته مُجدَّدًا.

"كان إخوتي لا يزالون منهمكين في صيد العصافير عندما أخبرني ابن عمي أن أعطيه الطائر الصغير. لم أرغب في ذلك، لكنني أخرجت الطائر المرتعش من جيبي على أيَّة حال. أردت أن ألقي نظرة ثانية عليه. كان صغيرًا جدًّا. لا أعتقد أنه كان يستطيع الطيران بعد. انتزع ابن عمي الطائر من كفِّي ومضى بعيدًا. ما كان عليَّ إخراجه من جيبي أبدًا. عندما عاد، كانت كل الطيور قد أُحرِقت وتحوَّلَت إلى رقائق. عظامها بارِزَة خارج جلدها. لم أستطع أن أُحدِّد أيًّا منها كان طيري. نظرت إلى ريشها المحترق وجلدها المسوَدِّ وانفجرتُ باكيًا. بكيت كي يرجع طائري إلى الحياة، لكنَّ السيف قد سبق العذل. لا بُدَّ أن صراخي قد أزعجه لأنه أمسك أصغرها ودفعه في وجهي وقال: "ها هو!" عندما أخَذتُ الطائر الصغير المتفحِّم بين يدي، شعرت أن العالم ينهار فوقي. كانت أول مرة أمسك فيها شيئًا ميتًا. أحبُّكِ بقدر الحزن الذي شعرتُ به".

"بقدر الحزن الذي شعرتُ به"... واصَلَت قطرات المطر السقوطَ. سألته ثانية لأتجنَّب النظر إلى عينيه.

"أكثر من ميرو؟".

رغم أنني كنت أقصد أن أُمازِحَه بهذا السؤال بادئَ الأمر، فإن كلماتي قد بَدَت أكثر جدِّيَّةً. شعرت بالغرابة. لم أكن متأكِّدةً عَمَّا أسأله حقًّا.

"بعد أن انتقلت إلى المدينة، قابَلتُ ذات ليلة بعض الأصدقاء القدامى من المدرسة الثانوية. كُنَّا في مارس، لكن الثلج كان يهطل بغزارة ذلك اليوم. تقابلنا سبعة أو ثمانية أمام الجامعة، وتجوَّلنا في المدينة حتى

وقت متأخِّر. عندما وصلنا إلى سوق دامدايمون، كنّا في منتصف الليل. داخل إحدى عربات الطعام المغطّاة، كان يوجد صفٌّ من العصافير المشويَّة. بينما نَقشَعِرُ من البرد، أحصينا المال المتبقّي معنا وتناقشنا في المشروبات والوجبات الخفيفة التي سنبتاعها حين اقترح أحدنا تناول عصفورٍ مشويٍّ. تحمَّس الجميع، سواي. لم أتناول عصفورًا من قبل، بينما أحدِّق بحسرة إلى الطيور، تَجادَلَ أصدقائي إذا كان مذاق العصافير المشويَّة ألَذَّ إذا دُهِنَت بزيت السمسم أم رُشَّت بالملح أم شُوِيَت على نار فحم طبيعي، وإذا كان من الأفضل صيدُ العصافير بالشباك أم ببندقية صيد. قال أحدهم حتى إنه يمكن صيد العصافير عن طريق نقع حَبّات أرز نيِّئ في كُحلٍ، ثَمَّ رَشُّها حول عُشَش الطيور، ثم الانتظار ساعة حتى تثمل الطيور وتستغرق في النوم، وحينها يمكن جَمعُها بسهولة. بدا كأن العالم كله منقسم إلى أولئك الذين تناولوا العصافير المشويَّة وأولئك الذين لم يفعلوا. في تلك الأثناء دُهِنَت العصافير بالزيت وشُوِيَت على الفحم ثم قُدِّمت إلينا. انتُزع الريش وأُزيلَت الأمعاء؛ لذا كانت أجسامها مُسطَّحَةً، لكن الرؤوس لا تزال مُتَّصِلَة بها. انتابني شعور بعدم الارتياح. التقط كلٌّ منهم طيرًا وشرع في أكله. كان لدى الطير أمامي كَسرٌ يمتدُّ بطول جمجمته الضئيلة. كل ما أمكنني فعله هو التحديق إليه، فحَثَّني أصدقائي على الأكل. قالوا: (لن تتفلسف علينا، أليس كذلك؟). بدؤوا يستهزئون بي لأنني لا آكل معهم. حدَّقوا جميعًا إليَّ، بينما يأكلون. بدا كأن لسان حالهم: (سوف نرى كم من الوقت ستصمد). في شارع السوق، حيث يتساقط الثلج من حولنا، التَقطتُ العصفور ذا الجمجمة المكسورة. لا أعرف ماذا دفعني لفعل هذا. كان يمكنني الإصرار على قول (لا). عَضَضتُ على رأس الطائر. تردَّد صوت تَهشُّم الجمجمة بين أسناني بصوت عالٍ... أحِبُّك بقدر الإحباط الذي شعرت به في تلك اللحظة".

بقـدر الإحبـاط الـذي شـعرت بـه- تسـلَّل صوتـه إلى داخـلي وأرسـل تموُّجـاتٍ عـبر قلبـي.

لمـاذا لا يمكـن أن يكـون العشـق مُفرحًـا ببسـاطة؟ لمـاذا يجـب أن يحـوي أيضًـا حزنًـا وإحباطًـا؟

أبعـدتُ يـدي عـن جـدار الحصـن وسـارعت إلى الانضـمام إلى بقيـة المجموعـة. عندمـا نـاداني مـن الخلـف، كنـت أعـرف بالفعـل مـا سـيقوله، التفـتُّ ونظـرتُ إليـه.

"فلنتذكَّـر هـذا اليـوم إلى الأبـد، صحيـح؟ أذلـك مـا كنـت سـتقوله لي؟" قلـت.

رفـع حاجبيـه وكشـف فمـه عـن ابتسـامة خجـلٍ. مـشى نحـوي ثـم أمسـك يـدي. ضغطـت عـلى يـده. بـدا صوتـه كئيبًـا. كان يفيـض بوحـدة شـخصٍ يعلـم أن الفقـد مصـيره. بعـد عـشر سـنين، بعـد عشريـن سـنة، أيـن سـنكون؟ شـعرت بالحـيرة، وضغطـت عـلى يـده مُجـدَّدًا بقـوة أكـبر.

"ميرو تعشق شخصًا آخر" قال.

"مَن؟" اكفهَرَّ وَجهُه. "الشخص الذي اختفى؟" سألتُه.

"الأستاذ يون".

"من؟" كنتُ متأكِّدَةً أنني أخطأتُ السمع.

"الأستاذ يون".

ميرو تعشق الأستاذ يون. شعرت فجأة بالأسف تجاهها.

كان الأمـر أشـبَهَ بمشـاهدة تفاحـة خـضراء ترقـد عـلى الأرضيـة المتربـة لبسـتان، وقـد تغلَّبَـت عليهـا أمطـار الصيـف قبـل أن تسـتطيع النضـج. سـحبت يـدي مـن يـده ونظـرت إلى الأمـام نحـو مـيرو. رغـم أن الطريـق كان شـديدَ الانحـدار، كانـت مـيرو تسـير وكلتـا يديهـا في جيوبهـا، ورأسـها

محنيـة. لـو كانـت في متنـاول يـدي، لأمسـكت بكتفيهـا وهزَزتُهـا وصرخـتُ في وجههـا: "مـيرو، لا!". ركضـتُ نحوهـا، مَـرّت البيـوت عنـد قـدم جبـل ناكسـان أمامـي، واخترَقَـت أشـعّةُ الشـمس الغاربـة عينـيَّ. بينـما أركـض لاهثـة، التَفَـتَ الجميـع لينظـروا إليَّ. لا بُـدَّ أنهـم ظنُّـوا أن لـديَّ شـيئًا طارئًـا لأقولـه لأن كل العيـون اتجهـت إليَّ عندمـا توقّفـتُ بجانـب مـيرو. زفـرتُ نفسًـا عميقًـا. حدَّقَـت إليَّ بعينـين جاحظتـين. وضعـتُ يـدي في جيبهـا وعانقـت يدهـا المشوّهة بالندبـات. ارتَجَفَـت يدهـا بداخـل يـدي. ضغطـت عليهـا بقـوة أكـبر مـمّا ضغطـت عـلى يـد ميونجسـو. عندمـا فعلـتُ ذلـك انحسـر الوجـع الـذي اجتاحنـي بطريقـةٍ مـا. توقّفَـت يـد مـيرو عـن الارتعـاش. مكثنـا هكـذا حتـى بلغنـا ميونجسـو. كنـتُ أحـدِّق طيلـة الوقـت إلى أشـعة الشـمس التـي تلمـع فـوق تنُّـورة مـيرو. عندمـا شـاهدني الآخـرون الذيـن افترضـوا جميعًـا أن لـديَّ شـيئًا عاجـلًا أحتـاج أن أقولـه مـن طريقـة اندفاعـي نحوهـا مقطوعـة الأنفـاس، أقـف هنـاك فقط ويـدي في جيـب مـيرو، هـزُّوا أكتافهـم وواصلـوا السـير. لحـق ميونجسـو بنـاك سـوجانج ومـشى برفقتـه.

"ما الخطب؟" سألت ميرو عندما أضحينا بمفردنا.

كانـت نسـخة "نحـن نتنفَّـس" مـع مـيرو دائمًـا. لا بُـدَّ أنهـا قـد حفظـت الكتـاب عـن ظهـر قلـب. تحمـل معهـا مفكِّـرةً أيضًـا تسـتخدمها لتسـجيل كل شيء تأكلـه. إذا أكلـت شـعيريَّةً في مَـرَقٍ رائـق، لم تكـن تكتفـي بكتابـة شـعيريَّة فقـط، بـل تُـدوِّن الطبـق بالتفصيـل المُمِـل؛ تُصِـفُ الشـعيرية البيضـاء المطهـوَّة بمـرق سـمك الأنشـوفة، والبصـل الأخـضر، وفطـر شـيتاكي الـذي يزيِّـن الطبـق، وقطـع الفجـل المخلَّلـة الحلـوة، الخمـس، وحتـى حجـم كيمتـشي مُكعَّبـات الفجـل الأبيـض. تَنـاوُل الطعـام بصُحبتِهـا يعنـي أن عليـك مشـاهدتها أولًا وهـي تُسـجِّل كل شيء في مُفكِّرتهـا. كان هـذا غريبًـا تمامًـا عندمـا اكتشـفت أن داهِـن يخـاف مـن العناكـب، وكنـت

أجد نفسي أحدِّق لا إراديًا إلى يدها المشوَّهة. بَدَت جادَّةً جدًّا وهي تسجل تلك القوائم كما لو كانت تؤدِّي طقسًا.

كان ثلاثتنا يستخدم المفكِّرة نفسها حين نتبادل كتابة القصص والملاحظات. نذهب إلى مكتبة أو مقهى، فتفتح ميرو صفحةً بيضاء في تلك المفكِّرة المليئة بقوائم الطعام المرتَّبة حسب التاريخ. ويشرع أحدنا في كتابة جُملَةٍ، ثم يكتب الشخص التالي الجُملَةَ التالية، وهكذا. يبدأ الأمر بأفكارٍ عشوائية، لكن بعد ذلك نصبح أكثر جدِّيَّة فيما نكتبه. ذات مرة كتبت ميرو: "اليدان هما الجزء المفضَّل لديَّ في أي شخص". تبعتُ ذلك بكتابة: "من المثير للشفقة أن الأيدي الرؤوفة لا تحظى أبدًا بلحظة من الراحة". ثم يكتب ميونجسو: "تستطيع أن تتعرَّف على حياة إنسان من يديه".

مشاهدة جُمَلِنا تتراكم عبارة تلو الأخرى أشبه بأن تسقي حبَّةً وتنتظر أن يظهر البُرعم. فكَّرتُ كيف ترخي ميرو يدها اليسرى فوق نسختها من كتاب "نحن نتنفَّس" كلَّما أكمل كُلٌّ مِنَّا جملة الآخر.

"ما الخطب؟" سألتني ميرو من جديد.

علا القلق وجهها هي هذه المرة. عيناها مُثبَّتتان عليَّ. بدت التجعيدة الرفيعة في حاجبها الأيسر أعمق من تلك في حاجبها الأيمن. لم أنظر إلى عينيها من مثل هذا القُرب من قبل، كنت أنجذب بكياني كله إلى يديها المشوهة أولًا وأغفل عن كل شيء آخر. رفرف شعرها الأسود اللامع في الرياح، وغَطَّى جبهتها الملساء. هل كل ما كتبته ميرو عن الأيدي ذلك اليوم كان خَيالًا في نهاية المطاف؟ بعد أن كتب ميونجسو: "أحني رأسي احترامًا لكل الأيادي الخشنة من كثْرةِ العمل"، أضافت ميرو فقرة طويلة:

كي تمسك يد أحدهم، عليك أوّلاً أن تعرف متى ينبغي عليك أن تتركها. لو فَوَّتَّ الفرصة لِتَرْكِ يَدٍ أمسكتَها في لحظة تَهوُّر، فسوف تمضي اللحظة ويصبح الأمر مُحرِجًا. هبطت ذات مرة من الحافلة وهَمَمتُ بالخروج من نفقٍ أرضي أمام الجامعة عندما صادفته. قصدت أن أقول مرحبًا، لكن وجدت نفسي أمسك بيده بدلًا من ذلك. ارتاحت يده الرفيعة داخل يدي. عظام يَدِه قويَّة وجلدها خَشِن. ابتسم بعينيه وضغط على يدي بدوره. كان عليَّ أن أترك يده وقتها لكننا بدأنا نمشي سويًّا، يدي في يده. تلاشت متعة اللحظة واستُبدِلت بصمتٍ غير مريح. لأننا فوَّتنا الفرصة كي نترك يديَّ بعضنا البعض بعفويَّة، أصبحت أكثر وعيًا بيدي. كان الأمر ليكون محرِجًا لو تَركتُ يده، لكن لم أستطع أن أواصل الإمساك بيده أيضًا.

لا بُدَّ أنه قد أحسَّ الإحساس ذاته. لم نتفوَّه بكلمة، لكن واصلنا المشي إلى الجامعة، نمسك بيدَيْ بعضنا بارتباكٍ. تَصبَّب العَرَقُ من يدي. كنتُ مركَّزةً جدًّا كي أعثر على اللحظة التي يجب أن أترك يده فيها. مشيت بتوتُّرٍ بالِغ، ثم بعد فترة بدأت أهدأ. رغبتُ في أن تستمرَّ هذه اللحظة إلى الأبد، أمشي معه، يدي في يده. تجاوَزنا فندقًا، ومتجر كتب، ومتجر ثياب. عندما عبرنا الطريق ووصلنا إلى البقعة المقابلة لقاعة المحاضرة، كان حرم الجامعة يعجُّ بالضجيج. ثمَّة طَلَبَة يجلسون فوق كل مقعد خشبي، ويقفون حول كابينات الهواتف ولوحة الإعلانات. نظر إليَّ وسألني، " هل يمكنني أن أستعيد يدي الآن؟" بدا كأنه يستأذنني. تركت يده أخيرًا. ربَّتَ على كتفي ثم سار أمامي بخطوات واسعة.

أكانت اليد في قصة ميرو في ذلك اليوم هي يد الأستاذ يون؟

"أوه! اتركي يدي" قالت ميرو.

أرخيتُ من قبضتي على يدها.

"أتمسكين يد ميونجسو بتلك القوَّة أيضًا؟".

"ماذا؟".

"تعتصرين يدي بقوَّةٍ شديدة!".

تبادَلنا النظرات ثم بدأنا بالضحك. حاولت ميرو أن تُحرِّر يدها، لكنَّني تَشبَّثتُ بها. طلَبَت مني على نحوٍ مباغت أن أُقابِلَها أمام حمَّام دونجسونج العمومي عند الثالثة عصر يوم السبت. كان حمَّامًا عموميًّا في الضاحية التي أسكن فيها. يمكنني رؤية مدخنته ذات الطوب الأحمر من حجرتي، ترتفع عاليًا بين البيوت القديمة، والحروف البيضاء المنقوشة فوقها "حمَّام دونجسونج العمومي"، لكنني لم أدخله من قبل.

"أتطلبين مني الذهاب إلى حمَّامٍ عموميٍّ برفقتكِ؟" سألتها.

"أجل".

كانت أوَّل مَرَّةٍ تدعوني فيها إلى مكانٍ ما لوحدي من دون ميونجسو، وإلى حمَّام عمومي من بين كل الأماكن- لا سينما ولا مقهى! نظرتُ إلى ناك سوجانج. كان يقف أعلى جدار الحصن ويشير جهة الشَّرق كما لو أن جسده بوصلة، موضِّحًا للآخرين مكان سامسون- دونج وتشانجسين- دونج. شرح أننا قد تَسلَّقنا المنحدر الغربي لجبل ناكسان. في الأسفل يقع دونجسونج- دونج، وهنا يقع إيهوا- دونج، وهنالك يقع تشونجشين- دونج.

التفت ميونجسو ونظر إليَّ وميرو. غمرته شمس الغروب بضوئها.

***

مُذكّرات ميونجسو

المفكّرة البَنّيّة "5"

-1-

نتصوميه صوسيكي[1] كاتبٌ يابانيٌّ مُبجّل من عصر ميجي[2]، سافر إلى إنجلترا ضمن منحةٍ تابِعَةٍ للحكومة اليابانية. تجربته في إنجلترا

(1) نتصوميه صوسيكي (1867- 1916): كاتب ياباني، من أشهر أعماله رواية "كوكورو"، ورواية "أنا قِطٌ"، وروايته غير المُكتملة "الضوء والظلام". كان أول ياباني يسافر إلى بريطانيا في منحة حكومية لدراسة الأدب الإنجليزي عام 1903، حيث قضى فترة بائسة في لندن، وانعزل في حجرته مدفونًا بين الكتب لدرجة أن أصدقاءه خافوا من أن يكون قد جُنّ. كتب نتصوميه عن تلك الفترة: "العامان اللذان قضيتهما في لندن كانا أسوأ سِنِي حياتي؛ عِشتُ بائسًا بين نبلاء بريطانيا مثل كلبٍ تائه وسط قطيع من الذئاب".

(2) عصر ميجي (1868- 1912): الفترة الأولى من تاريخ اليابان المعاصر، ويعني ميجي "الحكومة المستنيرة"؛ إشارة للحكومة الجديدة التي حكمت البلاد عام 1868، وهو الاسم نفسه الذي أُطلِقَ على الإمبراطور موتسوهيتو، والمعروف باسم "ميجي". انتهى عصر ميجي بوفاته عام 1912.

كانـت صادمـة جـدًّا، لدرجـة أنـه قـد عـانى مـن انهيـارٍ عصبـيٍّ مؤقَّـت. بعـد أن أصبـح كاتبًـا اسـتقال مـن وظيفتـه كأسـتاذ في جامعـة طوكيـو الإمبراطوريـة، والـذي كان منصبًـا مرموقًـا؛ كي يتفـرَّغ لكتابـة الروايـات. بـدت الكتابـة الطريقـةَ الوحيـدة بالنسـبة إليـه ليقبـل ويتجـاوز صدمـة الحداثـة التـي تركـت ندبـةً في ذهنـه. قِيـل إنـه في سـنواته الأخـيرة، كان يقـضي كلَّ صبـاح في دراسـة الأدب الإنجليـزي وكتابـة الأدب الحديـث الـذي أجـاده، ويَنظُـم الشِّـعرَ الصينـي بعـد الظهـر. يمكـن القـول إنـه قسَّـم يومـه إلى نصفـين كي يسـافر بـين الـشرق والغـرب. قـد يقـول البعـض إن ذلـك يُظهـر كـم كان أديبًـا مُجـدِّدًا، لكـن أرى الأمـر أنـه صراعٌ ذهنـيٌّ؛ كي لا ينجـرف إلى أيٍّ مـن الجانبـين.

***

-2-

كنـتُ اليـوم في شـقة يـون، نجلـس عـلى المكتـب الخشـبي في الخـارج عـلى السـطح عندمـا أرتنـي شـيئًا في مفكِّـرة مـيرو. مضـت فـترة منـذ آخـر مـرة كتبنـا قصصًـا سـويًّا، وكُنَّـا نسـتعدُّ لبـدء جولـة جديـدة مـن تأليـف الجُمَـل. كانـت مـيرو قـد دخلـت إلى الشـقة لتغسـل يدهـا أولًا. دُوِّنَـت في مفكـرة مـيرو قائمـة بأسـماء أشـخاص قـد اختفـوا في ظـروف مريبـة وتفاصيـل قضاياهـم.

"هل تعتقد أنها ستكتشف يومًا ما حدث لحبيب أختها؟" سألتني.

واصلنـا البحـث عنـه، لكـن كل مـا عثرنـا عليـه هـو أشـخاص آخـرون مفقـودون، ماتـوا ميتـةً شـنيعة- لم نعـثر عـلى أي أثـرٍ لحبيـب أخـت مـيرو: مـيراي. بينـما اسـتغرَقَت يـون في قـراءة المفكِّـرة، دفعـتُ شـعرها إلى الـوراء وحدَّقـتُ في وجههـا. التقـت عيناهـا الداكنتـان المتسـائِلَتان بعينـيَّ.

"لو طلبت منكِ ميرو يومًا أن تساعديها في البحث، فقولي لا!" قلتُ.

بَـدَوتُ مجنونًـا، لكـن اكتفـت يـون بالنظـر إليّ. "عِدينـي" قلـتُ. "لـن تسـاعديها إذا طلَبَـت ذلـك".

سألتني ماذا أصابني قبل أن تعاود النظر إلى مفكّرة ميرو.

"لا تدعيها ترحل" قلتُ.

وَزَّعَـت يـون نظراتهـا بينـي وبـين المفكـرة، ثـم إذْ فجـأةً طبعـت قُبلـةً عـلى شـفتيّ.

***

-6-

منزلٌ فارغٌ

في يوم السبت، عندما كنتُ أوشك على مغادرة شقّتي، هاتَفَني ميونجسو، "ماذا ستفعلين اليوم؟".

"سوف أخرج للقاء ميرو".

"ستلتقين بميرو؟!".

كان بوسعي أن أقول نعم وحسب، لكنني تردّدتُ. كانت تلك هي أول مرة أخرج فيها معها من دونه.

"أين؟" سألني.

"سوف نذهب إلى حمّامٍ عموميٍّ".

"حمّام دونجسونج العمومي؟".

"كيف عَرَفتَ؟".

أطلق تنهيدةً طويلة. شعرت بالسوء من تَرِكه بمفرده، لكن لا يمكنه فعليًا الذهاب معنا إلى الحمَّام العمومي. لم يَقُل أيٌّ مِنَّا أي شيء للحظة. نظرت إلى أسفل في سَلَّة الاستحمام حيث وضعتُ منشفة ومشطًا وشامبو وأدوات استحمام أخرى.

"ذلك جيد" قال أخيرًا. لم أكن متأكِّدَةً مِمَّا قَصَدَه بذلك بالتحديد؛ لهذا واصَلتُ الإنصاتَ إليه. "من الجيد أن ميرو تمتلك شخصًا مثلكِ".

أغلق ميونجسو السماعة من دون أن يقول وداعًا. كان صوته جافًّا جدًّا لدرجة أنني قد تفاجَأتُ كم بدا بعيدًا. شعرت كأنه قد مضى وقت طويل منذ آخر مرة مشينا فيها في أرجاء المدينة معًا، وشاهدنا ميرو تعدل اللافتات المعوَجَّة، وترصُّ أُصُصَ الزهور المبعثرة، واحتسينا القهوة معًا وذهبنا إلى معرض "اثنا عشر فنَّانًا شابًّا"، وكتبنا القصص سويًّا، وذهبنا إلى محاضرة الأستاذ يون. وقفت هناك متسمِّرةً في مكاني، وسماعة الهاتف في يدي لفترة طويلة بعد أن أغلق الخَطَّ.

كان أبي مَن اشترى الهاتف في آخر مرة زارني وابنة عمي فيها. قدَّم طلبًا للحصول على رقم تليفون، وركَّبه من أجلي. طوال وقت زيارته، كان يُبدي غضبه من حقيقة أنني أعيش فوق قِمَّة هذا التل شديد الانحدار. كان يُهاتِفُني دائمًا في وقت مُبكِّر من الصباح أو وقت متأخِّر من الليل. يَرِنُّ الهاتف فأعلم على الفور أنه هو. لم أُخطِئ في ظَنِّي أبدًا. أبي وابنة عمي أكثر مَن يتَّصل بي، ثم يأتي بعدهما ميونجسو. كتبتُ رقم هاتفي على كفَّيْ ميونجسو وميرو عندما ركَّبت الهاتف. اتَّصَلَت ميرو بي مرَّةً واحدة فقط، وقالت: "إذًا هذا هو الرقم الصحيح" ثم أغلَقَت الخَطَّ.

عندما خَطَوتُ خارج البناية، شاهَدتُ ساعي البريد يضع رسالة في صندوق بريدي. لأنني لم أتلق أي بريد على ذلك العنوان؛ كنت

سـأتركه هنـاك وأمـضي في طريقـي، لكـن بـدا خـط اليـد فـوق المظـروف المتـدلِّي خـارج صنـدوق البريـد مألوفًـا. انحنيـت وألقيـت نظـرة عليـه لاكتشـف أنـه مُرسَـل مـن داهِـن. فتحتـه في الحـال.

9 أكتوبر

يون.

سأسـافر إلى المدينـة. سـأتَّصِلُ بـكِ خـلال أيـام قليلـة قبـل أن أصعـد عـلى مـتن القطـار. حصلـت عـلى عنوانـكِ ورقـم هاتفـكِ مـن أبيـكِ.

داهِن

كانـت رسـالة داهِـن -المكتوبـة بخـطٍّ يـده المفعـم بالنشـاط- مقتضَبَـةً جـدًّا، لدرجـة أنـه كان يمكنـه إرسـالها بالتليجـراف. لم يسـألني عـن أحـوالي أو يخـبرني عـن أحوالـه. لم أكـن قـد أخـبرت داهِـن أننـي قـد عُـدتُ إلى المدينـة، ولم أرسـل إليـه بيانـات التواصُـل معـي حتـى. لا بُـدَّ أن ذلـك قـد جـرح مشـاعره، لكـن لم يُـشِر إلى ذلـك أبـدًا. وضعـت رسـالة داهِـن في جيبـي بجانـب خاتـم أمـي، وسِرتُ في الزقـاق. هبَّـت نسـمة هـواء بـاردة عـلى مؤخِّـرة عنقـي. بينـما أمـشي في صمـت ورأسي محنِيَّـة في طريقـي للقـاء مـيرو، اسـتمررت في لمـس الرسـالة داخـل جيبـي. أدركـتُ أن هـذه هـي أطـول فـترة مضـت مـن دون أن أتحـدَّث معـه. أرى ميونجسـو ومـيرو كلَّ يـوم، لكـن لم أخـبر داهِـن كيـف يجـدني. الحقيقـة أننـي لم أسـتطع حَمْلَ نفسي عـلى ذلـك. كل مـرَّة أفكِّـر فيـه، أتذكَّـر الطريقـة التـي قـال لي بهـا: "إنـكِ لا تحبيننـي".

بمجـرَّد أن وقعـت عينـاي عـلى الحـمام العمومـي، لفتـت تَنُّـورة مـيرو انتباهـي. تـبرز مـيرو في كل مـكان تذهـب إليـه بسـبب تلـك التنُّـورة، والتي

تصبح مُميَّزَةً أكثر مع تَبَدُّل الفصول. تبرز في الصيف لأن تصميم التنُّورة والزهور المزخرفة عليها تتصادم مع كل شيء حولها، وتبرز في بقية العام لأن القماش المصنوعة منه لا يناسب سوى الطقس الدافئ. كانت ميرو تمسك بتذاكر الحمَّام العمومي- كانت قد اشترت تذاكر الدخول بالفعل قبل وصولي. عندما بلَغتُ مكانها ناوَلَتني مفتاح خزانة ثياب. دخلنا ووقفنا أمام خزانَتَيْ الثياب رقم واحد وستين واثنين وستين. خلعت ثيابي وبدأت أطويها. عندما حدَّقتُ إلى ميرو، كانت تحاول فكَّ تنُّورتها.

"لماذا ترتدينها دائمًا؟" سألتُها.

تردَّدَت ميرو، ثم طَوَت التنُّورة ووضعتها داخل الخزانة من دون أن تجيب. خلعت قميصها أيضًا وطوته ووضعته داخلها. حتى حين نكون وحدنا، تبدو ميرو شاردةً في أفكارها أغلب الوقت، لدرجة أنني أشعر برغبة مُلِحَّة لسؤالها فيمَ تفكِّر. تَجَرَّدَت من لباسها الداخلي ووَضَعَته فوق ثيابها. كل شيء -حمَّالة صدرها، ولباسها الداخلي، وحتى القميص الذي ترتديه مع التنُّورة- أبيض.

على الرغم من أنه يوم سبت، لم يكن هنالك الكثير من النساء. في إحدى الزوايا، ثمَّة أمٌّ تَدعَكُ شَعرَ ابنتها بالشامبو. بَدَت الفتاة أنها في حوالي الرابعة من عمرها. كانت هنالك امرأتان داخل حوض الاستحمام، إحداهما طاعنة في السِّنِّ لدرجة من الممكن أن تكون جَدَّة، والأخرى امرأة في منتصف العمر، يبدو أنها زوجة ابنها. كُنَّا أول مَن يغتسل تحت الدش ذلك اليوم.

"كان لدينا حمام عمومي مثل هذا قريب من البيت الذي كبرت فيه. كنت أذهب بصحبة أمي طوال الوقت. كانت أمي تشتري لنا تذاكر لدخول الحمام تكفي الشهر كلَّه. كُنَّا نستيقظ في الصباح

ونتوجّـه مبـاشرة إلى هنـاك لنغسـل وجهينـا وندعـك شَـعَرينا بالشـامبو ونلعـب بالميـاه...".

ابتسَـمَت مـيرو بوجههـا المغطّـى بقطـرات المـاء، كأنهـا قـد تذكّـرت شـيئًا للتّـوّ فقـط. خدّاهـا مُتـورّدان مـن الحـرارة.

"كان لـدى مالـك هـذا الحـمام أربعـة أولاد. اعتـاد أن يثمـل ويجعلهـم يقفـون أمامـه في صـفّ ويُلقـون شـعار عملهـم عـلى أسـماعه. كان المارّة يتوقّفـون ويتفرجـون. كان الفتيـان الأربعـة جميعًـا وسـيمين، بخـلاف كَونِهـم طَلَبَـةً جيّديـن ورياضيّـين أقويـاء ودَمِثـي الخلـق. كان الصبيـة الآخـرون يُقارنـون بهـم عـلى نحـو دائـم. (إنهـم يحصلـون عـلى درجـات جيـدة، فلـماذا لا تسـتطيع أنـتَ؟)، (هـم طـوال القامـة، فلـماذا أنـتَ قصير جـدًّا هكـذا؟). أعتقـد أن مالـك الحـمّام كان يفعـل مـا يفعلـه كي يتباهـى بـأولاده. كانـت ابتسـامةٌ عريضـةٌ تعلـو وجهـه في كل مـرة. اعتَـدتُ وأختـي عـلى الذهـاب إلى هنـاك كي نسـتمع إليـه فقـط. بعـد فـترة أصبـح كلُّ مَـن في الحـي يحفـظ شـعار العمـل في الحـمام العمومـي عـن ظهـر قلـب".

سـألتها مـاذا كان. ألقـت مـيرو الشِّـعار وقـد عَلَـت وجهها نظـرة وقـار، سـطرًا تلـو الآخـر، "علينـا جميعًـا أن نغتسـل مـن حـين إلى آخـر. الأمـر مسـألة وقـت. وإذا أدَّينـا عملنـا عـلى أكمـل وجـه، فسـوف نغتسـل بدورنـا أيضًـا".

ضحكنـا عـلى التوريـة. انفجَـرَت المـرأة -التـي تغسـل شـعر ابنتهـا التـي لا بُـدَّ قـد كانـت تُنصِـتُ إلى حديثنـا- ضاحِكَـةً. ارتسَـمَت ابتسـامةٌ حتـى عـلى وجـه الجَـدَّة التـي تغطـس بجسـدها في حـوض الاسـتحمام.

"أحد الفتيان الأربعة كان ميونجسو!" قالت ميرو.

"ماذا؟".

ارتَميتُ على الأرضية تحت الدش وانفَجَرتُ ضاحكة. كلما حاولت التوقُّفَ، ضحكت بقوَّةٍ أكبر حتى كادت عيناي تدمعان. أمكنني رؤية جسم ميرو العاري بوضوح من خلال سحب البخار. ساقاها اللتان كانت التنُّورة تغطيهما دائمًا، طويلتان، وظهرها مستقيم. شعرها مثبَّت إلى أعلى بمشبك شَعرٍ ذهبيٍّ كاشفًا عن خَطِّ عُنُقِها حيث تتقوَّس برقَّةٍ لتُفضي إلى كتفيها. بينما نغتسل تحت الدش، فرغ حوض الاستحمام. تسلَّقتُ إلى داخله ثم تبعتني ميرو. استندنا إلى جدار القرميد بجانب بعضنا البعض، وفردنا ساقَيْنا إلى الخارج وغطسنا داخل المياه.

كانت ابنة عمي تدعوني لمرافقتها إلى الحمَّام العمومي، لكنني كنت أتهرَّب من ذلك قائلة: "نذهب للاستحمام معًا؟"، كانت تردُّ عليَّ: "يمكن أن تَدعَكَ كُلٌّ مِنّا ظَهْرَ الأخرى". لكنني كنت أنسَحِبُ إلى حجرتي. ماذا كانت لتقول إذا شاهدتني وميرو في حمَّامٍ عمومي معًا؟ كانت أمي الشخصَ الوحيدَ الذي ذهبتُ معه إلى حمَّامٍ عموميٍّ قبل ذلك اليوم. تخيَّلتُ الطريقة التي كانت أمي تُحَمِّمني بها في البيت، حين كنتُ صغيرة: تغلي المياه على الموقد، وتسكبه في حوض كبير، وتضيف إليه مياهًا باردةً، ثم تتفقَّد حرارتها بمرفقها. كانت شابَّةً في ذلك الوقت. أتذكَّر كيف كنتُ أُقلِّدها وأغمس مرفقي الضئيل داخل المياه. كانت تقطف بتلات زهور الخوخ في موسم ازدهارها وتجعلها تطفو فوق مياه الاستحمام.

"من أجل تفتيح بشرة صغيرتي يون" كانت تقول. كانت أيضًا تقطف أزهار السوسن التي تتفتَّح في الزقاق خارج بوَّابة بيتنا وتغليها في قِدر ضخم من المياه لتضيفها إلى مياه الاستحمام. أتذكَّر كيف كنتُ أغفو في الماء بينما تدعك ظهري وتغسل وجهي، وأتذكر العبير اللطيف للزهور المتفتحة يداعب أنفي.

داهَمَني حزنٌ مفاجئ فلكزت قدم ميرو بقدمي تحت المياه، فنقرت بدورها على قدمي. رَكَلتُها ثانيةً بقوَّةٍ أكبر قليلًا هذه المرة ففعلت المثل. بدأ عبثنا هادئًا قبل أن يتحوَّل إلى تبادُلِ رَشِّ المياه نحو بعضنا البعض. رمقتنا المرأة في منتصف العمر التي كانت تغسل شعر الجَدَّة بنظراتها. شعرتُ بالحرج؛ فانقلبتُ بجسدي واستلقيت على بطني فوق الماء، وأستندتُ بذراعيَّ على حافَّة الحوض. قلَّدَتني ميرو. لمَعَت الندبات على يديها في المياه.

"اعتادت على الجلوس في الماء هكذا والتساؤل عن حالة الطقس في الخارج" قالت ميرو.

"من؟".

"أختي" قالت. "أتتساءلين كيف يبدو الطقس في الخارج أيضًا؟".

"أحيانًا" قُلتُ. "حين تكونين هنا، تشعرين أنكِ في عالم آخر. أحيانًا أتساءل بالفعل إذا كانت تُمطِر بالخارج؟ أو إذا كان الثلج ينهمر؟".

"اعتادت أختي على قَولِ ذلك أيضًا" قالت.

"كيف كانت تبدو؟".

غطست ميرو بوجهها في الماء. تدلَّت قطرات المياه من حاجبيها.

"ارتدت الثياب نفسها كلَّ صَيفٍ لأربع سنوات. لكن بَلَت الأكمامُ؛ فأخذتها إلى خَيَّاطة، وطلبت منها أن تحيك لها مجموعةً جديدة من الثياب بتصميمٍ مُطابِقٍ لملابسها القديمة، وباستخدام نفس نوعية القماش. فحصت الخَيَّاطَةُ الثياب المهترئة وقالت إنها تستطيع تقليد التصميم، لكن لم يَعُد ذلك القماش متوفِّرًا، فغادرت أختي. أخبرتها الخياطة أنه يمكنها حياكة شيء أفضل من أجلها، لكنها قالتْ إنه لا معنى للأمر إذا لم يكن القماش نفسه... هكذا كانت تبدو".

تجهَّم وجه ميرو فجأةً.

"لأخبركِ بالحقيقة، لا أعرف حقًّا كيف كانت تبدو. أقصد أي نوع من الأشخاص كانت. كانت تكبرني بسنة واحدة فقط، لكنَّ والِدَيَّ أنجباها بعد اثنتي عشرة سنة من زواجهما. قالا إنهما كانا قد اعتقدا أنهما لن يستطيعا إنجاب طفل واستسلما للأمر الواقع، عندما جاءت أختي فجأة. حملت أمي فيَّ بعد شهرين فقط من ميلاد أختي. أظنُّ أنني شعرت كأنني أبقي عينًا عليها منذ كنتُ لا أزال في بطن أُمِّنا. لا بُدَّ أنني كنت متعلِّقةً بها حقًّا. عندما كُنَّا صغيرتَيْن، كنتُ أقلِّدها في كل شيء. إذا قَصَّت شعرها، قَصَصتُ شَعري. وعندما بدَأَت تَعلُّم العزف على البيانو، بدأتُ بدوري تعلُّمَ البيانو. عندما كُنَّا نلعب الغُمِّيضة مع الأطفال الآخرين، كان عليهم البحث عن أختي فقط كي يجدوني. كنتُ دائمًا هناك بجانبها. لم يكن ذلك بسبب أنها أكبر مني، الأمر فقط أنني لم أكن أشعر أنني أنا إلَّا إذا كنتُ معها. هل تعرفين ماذا أقصد؟".

كنتُ طفلة وحيدة من دون إخوة؛ لذا كان من الصعب عليَّ أن أفهم.

"عندما كانت في التاسعة، أعلنت أختي أنها سوف تصبح راقِصَةَ باليه. لا أزال أتذكر النظرة على وجهها عندما قالت ذلك. التحقت بالمدرسة الابتدائية قبلي بالطبع، لكنني ارتدت المدرسة بعدها مباشرة. عندما انتقلت إلى السنة الثانية، استمررت أنا في السنة الأولى؛ لهذا كنت في المرحلة الثانية وكانت هي في الثالثة عندما قالت إنها سوف تصبح راقصة باليه عندما تكبُر. حتى تلك اللحظة، افترَضتُ أنها لا تخفي أي أسرار عني، لكن لم أملك أي فكرة ما هو الباليه. شعرت كأن الباليه شيءٌ سوف يُفرِّق بيننا لأول مرة. ربما لكان من الأفضل لو ابتعدنا عن بعضنا البعض حينها...".

تقاطَرَت المياه من السقف فوق كتف ميرو.

"قَرَّرتُ أنني يجب أن أفعل كل شيء بوسعي كي أصبح راقِصةً باليه مثل أختي. بدأنا نتلقَّى دروس باليه كلَّ يوم بعد المدرسة. كانت إحدى الفتيات في فصلنا تتعلَّم الباليه منذ كانت في السادسة من عمرها. انفجرت أختي باكِيَةً عندما عَلِمَت بذلك. اعتَقَدَت أنها لن تتمكَّن من منافسة هذه الفتاة وتذمَّرَت أنها (لن تستطيع استعادة ذلك الوقت). نَحَبَت بهستيريا. كانت في التاسعة فقط، لكن علمت بالفعل شعور أن تمتلك قلبًا مُحطَّمًا. لأنها أتت إلى الدنيا بعد طول انتظار؛ كانت أختي مميَّزة جدًّا عند والديَّ. ليواسياها؛ لم يجعلاها تأخذ دروسًا في أكاديمية الباليه فقط، بل ركَّبا قضيب باليه في البيت كي تستطيع التدرُّب على الحركات، ودَعَيَا معلِّمَة باليه لتعطيها دروسًا خاصة. اتَّبعتُ خطاها. سمعت مُعلِّمة الباليه تهمس إلى والديَّ أن أختي تتمتع بنوعية الجسم المناسبة لممارسة الباليه قبل أن تنظر إليَّ بأسف. كانت مُحِقَّة. لم أكُن مَرِنَة كأختي، ولم أكن أستمتع بالباليه مثلها. لقد رغبتُ في تعلُّم الباليه فقط لأنها رَغِبَت في تعلُّم الباليه".

لا بُدَّ أن قطرات المياه المتساقطة من السقف قد دغدغتها؛ لأنها مسحت القطرات بكفِّها وضحكَت.

"مَرِنَة! لقد كان جسدي صلبًا كلَوحٍ. لم أشبهها بكل تأكيد في هذا الجانب".

ابتسَمتُ.

"لم أستطع حتى فعل الحركات الأساسية مثل حركة (فتح الحوض). تَمَحوَرَت الحصص حول أختي. في الوقت الذي كانت تؤدِّي فيه أختي حركات الأرابيسك[1]، كنتُ لا أزال أتعلَّم كيف أقف في الوضعية

(1) الأرابيسك: من حركات الباليه الأساسية، وفيها يكون الجسم مرتكزًا على ساقٍ واحدة، مع فَرْد الساق الأخرى خلف الجسم مباشرة، مع رُكبةٍ مستقيمةٍ، ويجب أن تظلَّ الساق الخلفية مستقيمةً دائمًا.

الأساسية الأولى[1]. لكن لم يهمَّ الأمر. كنت سعيدةً لأراها تكبر وتزداد جمالًا وموهبة يومًا بعد يوم. لم يكن لديّ أي اهتمام بأن أقارن نفسي بها أو أن أتفوَّق عليها؛ لهذا لم أشتكِ. كانت تلك أسعدَ أوقاتنا. بدا والِداي سعيدَيْن أيضًا، توقَّعا أشياء عظيمة من أختي".

غادَرَت النساء الأخريات الحمام العمومي ببطء، واحدة تلو الأخرى، حتى لم يتبقَّ سوانا.

"لا بُدَّ أن تمتلكي آذانًا حسّاسة للموسيقى لتمارسي الباليه. كنتُ أقلَّ شغفًا بممارسة الباليه مقارنة بمشاهدة حركات أختي تصبح أكثر عُمقًا وإتقانًا ورُقيًّا مع مرور الأيام. لكن أكثر ما أحببته هو الاستماع إلى الموسيقى معها. فهِمَت أختي الباليه بالغريزة. أجادت حركات مُعقَّدَة بسرعة. كانت تفقد ذاتها فيها. بدا كأنها وُلِدَت لتكون راقصة باليه. حين لم تكن تتمرَّن، كانت تقرأ كتبًا عن الباليه. بدت كمُعلِّمَةٍ حين تتحدَّث عن تاريخ الباليه، والأزياء، وراقصات وراقصي الباليه. يحمرُّ خدَّاها من الإثارة كلما أخبَرَتني عن شيء جديد تعلَّمَته. عرفت منها أسماء راقصات وراقصي باليه أسطوريِّين: أولانوڤا[2]، نيجينسكي[3]، باڤلوڤا[4]، نورييڤ[5]. إذا ظهر القمر في الليل بينما تخبرني عن الباليه،

---

(1) يتكوَّن الباليه من خمس أوضاع أساسية للقَدَمين، أسَّسها بيير بوشان. وكل حركة مُركَّبة في الباليه تبدأ أو تنتهي بواحدة من هذه الأوضاع الخمسة. (المترجم)

(2) جالينا أولانوڤا (1910- 1998): راقصة باليه روسية، من أعظم راقصات الباليه في القرن العشرين. تحوَّلَت شَقَّتُها في موسكو إلى متحف وطني

(3) فاسلاف نيجينسكي (1889- 1950): راقص باليه ومُصمِّم رقصات روسي من أصل بولندي. يُعَدُّ أفضل راقص باليه في بداية القرن العشرين لمرونَتِه الفائقة وقدرته على أداء وثبات عالية جدًّا قد تبدو مقاومة للجاذبية.

(4) آنا باڤلوڤا (1882- 1931): من أعظم راقصات الباليه الكلاسيكي. كانت الراقصة الرئيسية في باليه الإمبراطورية الروسية. اشتهرت بأداء دور البجعة المحتضرة.

(5) رودولف نورييڤ (1938- 1993): راقص باليه ورقص معاصر. من أشهر راقصي الباليه في القرن العشرين، حيث أعطى أدوارًا أساسية للراقصين الذكور الذين كانوا لا يؤدُّون سوى أدوار مساعدة للراقصات.

كانت تتوقّف عن الحكي وتخرج إلى الفناء وترقص تحت ضوء القمر. كان حلمها أن تؤدّي دور البجعة المحتضَرَة[1]. كانت تشبه بجعة حقًّا في ضوء القمر".

"لم أسمع من قبل أختًا تتحدَّث عن أختها الكبرى كما تتحدَّثين عن أختكِ".

"ما الأشياء التي تقولها الأخريات؟".

"تتحدَّث معظمهن عن المشاجرات التي تقع بينهما فقط".

"مشاجرات؟!".

"أعتقد أن معظم الأخوات يدفعن بعضهن البعض، ويتشاجرن على مَن تجدر بها الحصول على الحجرة الأفضل، أو من سترتدي أوّلًا الرداء الذي يعجبهما، أو من ستقرأ كتابًا قبل الأخرى، ومَن ستستخدم مُجفِّف الشَّعر أولًا. لكنك تضعين أختكِ قبل نفسكِ".

"ذلك لأنها كانت أفضلَ مني" بَدَت مُتألِّمَةً. "هل تعتقدين أننا غريبتان؟".

لم أُجِب.

"أجل؟" سألَتني ثانيةً.

"لا تبدوان مثل الأخوات الطبيعيّات".

"لا نبدو كذلك؟".

" هل يجب عليك أن تسألي حقًّا؟".

(1) البجعة المحتضرة: رقصة باليه منفردة قصيرة، مُدّتُها أربع دقائق، صمّمها مُصمِّم الرقصات الشهير ميخائيل فوكين عام 1905 لراقصة الباليه آنا بافلوفا، التي أدّتها نحو أربعة آلاف مرة خلال حياتها. تُجسّد الرّقصةُ اللحظات الأخيرة في حياة بجعة. ألهمت الرقصة "بحيرة البجع" للموسيقيّ الشهير تشايكوفسكي.

تنهَّدَت ميرو. بَرَد الماء. مَدَدتُ يدي إلى الصنبور لأضيف المزيد من المياه الساخنة. غطست ميرو بوجهها في المياه. بدا أنها تكتم أنفاسها. مكثت تحت المياه لوقت طويل جدًّا، لدرجة أنني كِدتُ أصرخ باسمها عندما رفَعَت وجهها وزَفَرَت بعُمقٍ، ثم قالت:

"أيمكنكِ الذهاب معي إلى بيتي القديم يا يون؟".

"متى؟".

"بعد أن ننتهي من الاستحمام".

بَدَت حزينةً؛ فوافَقتُ. بعد أن سمعت إجابتي، دفَعَت وجهها تحت الماء ثانية.

***

كان البيت فوق تلٍّ شديد الانحدار. رفعت ميرو حجرًا بجانب البوابة الأمامية الخضراء لتُخرج مفتاحًا مُخبَّأً أسفلها. توجد داخل البوابة فناء صغير غزَتْه الحشائش. تدلَّت زهرة عباد شمس برأسها. كان جليًّا أنه لم يأتِ أيُّ أحدٍ إلى هنا منذ فترة طويلة. يقبع مركب صغير بَهِتَ خَشَبُه، وسط الفناء، كما لو أن أحدهم قد رماه هناك وتركه مُهملًا، وبجواره ترقد حمَّالَة غسيل معدنيّةٌ صَدِئَة. بدا العشب الكثيف كأنه سيقتحم البيت عبر الباب الأمامي في أي لحظة.

"البيت خالٍ؟" سألتها.

"في الوقت الراهن" قالت ميرو. صوتها هامد.

لمحتُ شيئًا يبرز إلى أعلى وسط الحشائش مثل عيدان البصل الأخضر، وتتدلَّى من قِمَمِها زهورٌ بيضاء صغيرة. بينما أنظر إليها، أخبرتني ميرو أنها تُدعَى زهور زنبق المطر البيضاء. جَثَوتُ على ركبتي أمامها، وأمعَنتُ النظر إلى الزهور المتفتحة البيضاء. بَدَت بتلاتها أكثر

شحوبًا حتى في مقابل الخلفية المحيطة القاتمة. صعدت ميرو الدَّرَجَ المفضي إلى الباب الأمامي، والمفاتيح في يدها، قبل أن تتردَّد وتلتفت إلى الوراء.

"لا يمكنني فعل ذلك" قالت.

"ما الخطبُ؟".

"دعينا نرحل فقط" وَجهُ ميرو شاحِبٌ.

"اعتَقَدتُ أنني سأستطيع الدخول إذا كنتِ برفقتي" قالت." لكنني لا أستطيع".

صوتها مرتعش. كانت قد بلَغَت البوابة الأمامية بالفعل في طريقها للمغادرة؛ لذا التَقَطتُ سَلَّتي وانضَمَمتُ إليها. أغلَقَت البوَّابة، وأعادت وضع المفتاح تحت الصخرة. شَقَقنا طريقنا إلى أسفل التل، ونحن نحمل سَلَّتَيْ أدوات الاستحمام. كانت الشمس لا تزال مُشرِقَةً عندما غادرنا الحمَّامَ العمومي، لكن الآن بدأ الغسق ينسدل. في منتصف طريق النزول من فوق التل، حدَّقتُ إلى الوراء. كانت الأنوار قد بدأت في الإضاءة في البيوت الأخرى. بدا بيت ميرو القديم وكأنه يراقبنا من بين تلك البيوت. هل هنا حقًّا عاش ثلاثتهم -ميرو وأختها وميونجسو- معًا؟ سارت ميرو ثانية ورأسها محنيَّة إلى أسفل كأنها تحدِّق إلى قلبها.

كأنها تقرأ أفكاري، قالت ميرو فجأة: "إنه ذلك البيت".

"ماذا؟".

"هو ذلك البيت حيث عِشتُ وأختي وميونجسو معًا".

"لماذا لا تعيشان هناك بعد الآن؟".

"لأنها رحلت" قالت. "بدونها، لن يكون من اللائق أن أعيش في البيت وحدي مع ميونجسو، حتى لو كُنَّا قد كبرنا معًا. لم أفكر في أي

شيء يتعلَّق بهذا عندما كانت أختي موجودة، لكن بعد رحيلها كان من الطبيعي أن نفترق. انتقل للعيش مع أقاربه في جونجام- دونج، وذهبت أنا إلى ميونجنيون- دونج. أعتقد أن البيت فارغٌ منذ مدة طويلة جدًّا. يبدو مهجورًا. أجَّر والداي البيتَ من أجلنا في البداية، ثم اشترياه لاحقًا وسجَّلاه باسم أختي".

"أعرف فيمَ تفكِّرين" قالت.

"تعرفين؟".

"أجل".

"فيمَ أفكِّر إذًا؟".

"أن والديَّ غنيَّان... هل أنا مُحِقَّة؟".

عندما قالت ذلك بصوتٍ مُرتَفِع، بدا كأنني قد فكَّرتُ في ذلك.

كان الليل ينتشر فوقنا. مشينا عبر دونجسونج- دونج وهيهوا- دونج في طريقنا إلى ميونجنيون- دونج. لم نتحدَّث طوال الطريق. اختلس المارة نظرات فضولية إلى سَلَّتَيْ الاستحمام الخاصَّة بنا. رفرفت تنُّورة ميرو في نسيم المساء.

***

مُذكّرات ميونجسو

المفكرة البُنّية "6"

-1-

كانت هنالك مُظاهَرة أمام كاتدرائية ميونجدونج اليوم لِدَعم عُمَّال المصانع المفصولين الذين دخلوا في إضراب عن الطعام. كنتُ هناك برفقة ناك سوجانج. عَلِمَت يون بالأمر بطريقةٍ ما وأتت لتنضمَّ إلينا. حتى وسط كل هذه المئات من البشر، انجذبت عيناي إليها فورًا. لا بُدَّ أنها قد لمحتني بدورها؛ لأنها أتت مباشرة إلى حيث نجلس ونهتف بشعارات المظاهرة. جلست بجواري. حاولنا أن نتقدَّم أكثر إلى داخل ميونجدونج، لكن لحق رجال شرطة مكافحة الشغب بنا وطاردونا في الشوارع حتى تملَّصنا منهم وتوارينا داخل متجر كتب صغير. اكتظَّ المتجر بأشخاص مثلنا. أغلقت كل المتاجر الأخرى أبوابها، لكن بدا أن مالك المتجر قد أبقى متجره مفتوحًا لمساعدة المتظاهرين. فقط حين نجحنا في الدخول إلى المتجر، أدركت أن ناك

سوجانج لم يَعُد معنا. استندت ويون إلى الجدار، عيوننا حمراء بسبب الغاز المسيل للدموع. عندما سألتها لماذا أتت، قالت إنها انضمَّت إلى المظاهرة ولم تَكُن تحاول العثور عليَّ بالتحديد، لكنها عثرت عليَّ على أية حال ثم تابعت: "أنا هنا للسبب ذاته الذي دفعكَ للوجود هنا".

التقطت يون كتاب شِعرٍ من فوق أحد رفوف العرض وفتحته. كان الكتاب يرقد مفتوحًا، يواجه الأسفل كما لو أن أحدهم كان يقرأ فيه ثم توقَّف ليفعل شيئًا ما. قرأت يون تاريخ النشر ثم فتحت الصفحة الأولى. تحب يون دائمًا أن تعرف متى نُشر الكتاب أول مرة قبل أن تقرأه. نظَرَت إلى تسعيرة الكتاب: ثلاثمائة وخمسون وون. قرأت العبارة الافتتاحية بصوت رخيم، "أشقُّ طريقي إلى الأمام كحمارٍ مَحنيِّ الرَّأس، يَئِنُّ تحت وطأة حمله الثقيل، ويتحمَّل سخرية مُتعمِّدي الأذى".[1] همست بالسطر الأخير كما لو كانت توجِّهه إليَّ فقط، "متى أردتني، وأينما أردتني أن أكون، سوف أكون هناك".

في النهاية قرَأَت اسم الشاعر بعينين مُحتَقِنَتَيْن بالدماء: فرانسيس چيمس.

***

(1) من قصيدة لفرانسيس چيمس (1868- 1938)، شاعر فرنسي قضى جُلَّ حياته في مسقط رأسه في ريف بيرن والباسك في فرنسا. تتغنَّى قصائده بمتعة الحياة الريفية المتواضعة.

-2-

يُعتَبر لـو شـون[1] أحـدَ أعظـم الكُتَّـاب في الصـين الحديثـة. كان يحترِمـه القوميُّـون والشـيوعيُّون عـلى حَـدٍّ سـواء، رغـم أنه قـد سـافر إلى إمبراطورية اليابـان لتلقِّـي تعليمـه. سـألت الأسـتاذ يـون عـن تبعـات انتصـار اليابـان في الحـرب الروسـية اليابانيـة[2]. هـل تَشـارك النـاس في أجـزاء أخـرى مـن آسـيا إحسـاس النـصر مـع اليابانيـين، لأنهـا كانـت أول مـرة تَهـزِمُ فيهـا بلـدٌ آسـيويٌّ بلـدًا أوروبيًـا بـدلًا مـن انتقـاد اليابـان كأمَّـةٍ معتديـة؟ بعـد أن فكَّـر في الأمـر مليًّـا للحظـة، قـال إن لـو شـون كان ناقـدًا للعـدوان اليابـاني في الصـين، لكـن بعـد الحـرب الروسـية اليابانيـة رغـب النـاس في كل مـكان في آسـيا أن يتعلَّمـوا مـن اليابـان؛ لـذا كان خيـارًا طبيعيًـا للـو شـون أن يذهـب إلى هنـاك ليتعلَّـم العلـوم الطبيـة الغربيـة المتقدِّمـة. قـال الأسـتاذ أيضًـا إنـه عندمـا كان لـو شـون طالبًـا في اليابـان، كان لديـه مُعلِّـم اصطحـب كل تلاميـذه -بمـا فيهـم لـو شـون- إلى مـزار كونفـوشي في أوتشـانوميزو. غـادر لـو شـون الصـين كي يُبعـد نفسـه عـن الأشـياء مـا قبـل الحداثـة التـي ترمـز إلى الكونفوشيوسـية؛ لهـذا لا بُـدَّ أن هـذه الرحلـة كانـت صدمـة عظيمـة للـو شـون.

مـا الـذي دار بعقـل لـو تشـون حـين قـدَّم لـه مُعلِّمـه الـذي قابلـه في أرض بعيـدة سـافر إليهـا كي يتعلَّـم طُرُقًـا جديـدة، الـشيء نفسـه الـذي كان يحـاول هجـره، بـل وجعلـه ينحنـي أمامـه؟

ما قاله الأستاذ مَنَحني الكثير لأفكِّر فيه.

***

---

(1) لـو شـون (1881-1936): أحـد أهـم الكتـاب الصينيـين في القـرن العشريـن. كان محـررًا أدبيًـا وكاتـب قصـة قصـيرة وشـاعر وناقـد. يعتـبره الكثـيرون مؤسـس الأدب الصينـي الحديـث.

(2) الحـرب الروسـية اليابانيـة (1904-1905): حـرب اندلعـت بـين الإمبراطوريتـين الروسـية واليابانيـة بسـبب طموحـات الدولتـين التنافسـية لاحتـلال منشـوريا وكوريـا. انتهـت بانتصـار اليابـان وتوقيـع معاهـدة بورتسـميث وصعـود اليابـان كقـوة عظمـى.

-3-

عـدتُ يـومِ الأمـس إلى متجـر الكتـب حيـث عثرنـا عـلى كتـاب قصائـد فرانسـيس چيمـس كي أشـتريه مـن أجـل يـون. لكـن قـال مالـك المتجـر إنـه ليـس للبيـع. قـال إنهـا نسـخة خاصّـة أهدَتـه إيَّاهـا حبيبتـه الأولى قبـل سـنوات طويلـة. مشـيت مغـادرًا المتجـر وقـد شـعرت بالإحبـاط، لكنـه ركـض ورائي وناولنـي الكتـاب. أصرَرتُ عـلى دفـع ثمنـه، لكنـه ربَّـت عـلى كتفـي.

"كـم سـتدفع ثمنًـا لـه؟ ثلاثمائـة وخمسـين وون؟ أعتقـد أن الأمر سـيكون ذا معنـى أكـبر لـو أعطيتـه لـك مـن دون مقابـل. إذا أراد شـخص كتابًـا لا يمتلكـه سـواك في وقـت لاحِـقٍ، يمكنـك حينهـا أن تَـرُدَّ الجميـل وتمنحـه الكتـاب بـلا مقابـل أيضًـا".

راقَبتُـه وهـو يسـير عائـدًا إلى داخـل المتجـر. فكَّـرتُ فيـما قالـه الأسـتاذ مـن قبـل: لـكلِّ إنسـان أسـلوبه الخـاص لتحديـد قيمـة الأشـياء.

***

-4-

أحـاول التفكـير فيـما أسـتطيع فِعلَـه. لكـن كل مـا يخطـر ببـالي عِوضًـا عـن ذلـك هـو الأشـياء التـي أعجـز عـن فعلهـا.

كيـف يمكننـا الحُكـمُ عـلى الحقيقـة والخـير؟ وأيـن تختبـئ العدالـة والـبراءة؟ مجتمـع يتَّسِـمُ بالعنـف أو الفسـاد يُحـرِّم التواصُـلَ المشـترك. ومجتمـع يخـشى التواصـل، هـو مجتمـع محكـوم عليـه بالفشـل في حـل أي مشـكلة. مجتمعٌ كهـذا يبحـث دائمًـا عـن شـخص كي يلقـي بالمسؤولية عليـه... مجتمـع كهـذا يصبـح حتـى أكـثر عُنفًـا.

***

-5-

أرغــب أن نكــون جميعًــا -وأنــا أوَّلُكُــم- واثقــين بأنفســنا، وأن نقــف عــلى أقدامنــا.

أرغب في علاقات صريحة، خالية من الأسرار والإيذاء.

***

-7-

حُجرَةٌ أسفَلَ السُّلّم

توقَّفَت ميرو أمام بيتٍ، ودفعت بوّابَتَه الخشبية التي تصل إلى ارتفاع الخصر لتفتحها. بدا أن البوابة يتشاركها أكثر من ساكن. كان الفناء أضخم ممَّا يبدو من الخارج. قادتني ميرو بعيدًا عن الفِناء تجاه دَرَجٍ على بُعد خطوات قليلة فقط من البوابة.

"انتبهي لخطواتكِ" قالت.

كانت السلالم تمتدُّ إلى الأسفل بعُمقٍ كبير. في كل مرة يُخيَّل لي أننا قد وصلنا القاع بالتأكيد، ننعطف عند زاوية الدَّرَج لأجد أمامنا مجموعة أخرى من السلالم. بدا كأننا نهبط التلَّ الذي أتينا منه للتَّوّ مُجدَّدًا. كان شقَّة استوديو ميرو الصغيرة في قاع السُّلَّم. أخرجت مفتاحًا من جيبها ودسَّته في القفل. انفتح الباب فدلفت ميرو إلى

الداخل، وأضاءت النور ونادت: "إيميلي!"، التفتُّ وحدَّقتُ إلى السلالم في الأعلى. بدا كأننا أضحينا منعزلتين عن سطح الأرض. كانت حجرتها مُظلِمَةً أكثر بكثير من البيت المهجور الذي أخذتني إليه بعد مغادرتنا الحمَّامَ العمومي. فكَّرتُ أن ميرو تضطرُّ غالبًا إلى الإبقاء على الأنوار مضاءة حتى خلال النهار.

"ادخلي" قالت.

خَطَت ميرو إلى الداخل أولًا وخلعت حذاءها. لم أرَ أيَّ أحذية أخرى سوى الحذاء الرياضي الذي أعارته إليَّ من قبل. تذكَّرتُ كيف ربطت رباط الحذاء من أجلي ذلك اليوم. لاحقًا جلست القرفصاء أمام الصنبور خارج شقتي فوق السطح وغسلت الحذاء. ذلك الحذاء الذي وضعته ليجفَّ على أكثر بُقعَةٍ مُشمِسَة فوق الجدار الخرساني الذي يصل ارتفاعه إلى خصري، ويطوِّق حافَّةَ السطح فقط كي أُسقطه بالخطأ وأضطرَّ إلى الركض نازلة السلالم لاستعادته وغسله من جديد. الحذاء ذاته الذي انتعلته في اليوم الذي عُدنا فيه من الشوارع التي اجتاحتها المظاهرات إلى بيتي لنتناول الطعام سويًّا. تذكَّرتُ أيضًا اليوم الذي أمسكت فيه بيدها في مكتب الأستاذ يون وارتَعَشَت أصابعها في يدي. أتخيَّل أصابعها رفيعةً وشاحِبَة، لولا تلك الندبات. أمسَكتُ بِيَدِها ثانية في ذلك اليوم بينما ترقد على بطنها في حجرتي وتُقلِّب في نسختها من كتاب "نحن نتنفَّس". كانت ابنة عمي تفعل الشيء نفسه معي. إذا رأتني أحدِّق بشرود إلى يَدَيَّ، كانت تمسكهما وتقول: "أنتِ وحيدة". تعتقد ابنة عمي أن البشر يميلون إلى التحديق إلى أيديهم عندما تعتريهم الوحدة. لم أفكِّر في الأمر بتلك الطريقة من قبل، لكن بعد ذلك أصبحتُ أفكِّر فيما قالته كُلَّما وَجَدتُ نفسي أحدِّق إلى يَدَيَّ. أظنُّ أن البشر يكتسبون مع الوقت عاداتِ مَن يعيشون معهم.

بعد أن لمستُ يَدَيْ ميرو لأول مرة، توقَّفت عن إخفائهما عنّي.

نـادت مـيرو عـلى القطـة بصـوت هـادئ، ثـم التفَتَـت وقالـت لي: "تعالي هنـا وانظـري يـا جونج يـون".

خلعـت فـردَتَيْ حـذائي ووضَعتُهـما بجـوار حـذاء مـيرو، ثـم وَضَعـتُ سَـلَّة الاسـتحمام الخاصـة بي بجـوار سَـلَّتها أيضًـا قبـل أن أنضـمَّ إليهـا.

"انظري كيف تنام".

كانـت إيميـلي نائِمَـةً داخـل صنـدوق صغـير أسـفل النافـذة. كانـت ترقـد عـلى ظهرهـا وفمهـا مفتـوح، وبطنهـا مكشـوفة وأطرافهـا الأربعـة مُعلَّقـة في الهـواء. لم أسـتطع منـع نفسي مـن الضحـك. كانـت القِطَّـة غافلـة تمامًـا عـن وجودنـا. كانـت أوَّل مَـرَّة ألقـي نظـرة عـلى قِطَّـة غافيـة مـن مثـل هـذا القُـرب. أنفهـا وأذناهـا، وحتـى الفراغـات بـين مخالبهـا الضئيلـة كانـت كُلُّهـا أرجوانيَّـةَ اللـون.

"هل هذه الطريقة التي تنام بها القطط عادةً؟" سألتها.

"لا، أحيانًـا تنـام مُلتفَّـةً حـول نفسـها ككُـرَةٍ أو تتمـدَّد عـلى الأرضيـة مثـل بركـة مـاء صغـيرة. وأحيانًـا تنـام واقِفَـةً وعيناهـا مغمضتـان، أو وجهها مسـتندٌ عـلى قوائمهـا الأماميـة. إنهـا مَرِنَـة جـدًّا، لدرجـة أنهـا تسـتطيع النـوم وقـد مَـدَّت نصفهـا السـفلي في جهـة بينـما يواجـه نصفهـا العلـوي الجهـة الأخـرى. هـذه هـي الوضعيـة المفضَّلـة بالنسـبة لي. تبـدو وديعـةً جِـدًّا عندمـا تنـام بتلـك الطريقـة".

بَـدَت القطـة وديعـةً فعـلًا. جلسـتها توحـي أنهـا لا تكـترث بمَـن قـد يدخـل المـكان أثنـاء نومهـا. الأمـر مختلـف عـن مشـيها في أرجـاء شـقتي بأناقـة واختيـال، وذيلهـا مرفـوع في الهـواء.

لاحَظتُ وجود بقعة خضراء على خَدِّ إيميلي الأبيض.

"من أين أتت هذه البقعة؟" سألتها.

أشارت ميرو إلى النافذة. كانت أرضية الفناء الذي مررنا به في طريقنا إلى هنا توازي قاعدة النافذة. تمتدُّ عيدان خضراء طويلة إلى داخل الحجرة. لا بُدَّ أن القطة كانت ترقد فوق عتبة النافذة.

"جائعة؟" سألَت ميرو.

"قليلًا".

"كان يجب أن أشتري شيئًا في طريقنا إلى هنا. أدرَكتُ للتَّوِّ فقط ألَّا شيء هنا يصلح للأكل. ماذا يجب أن نفعل؟".

"لستُ جائِعَةً إلى هذا الحد. سأتناول الطعام في شقتي لاحقًا".

نظَرتُ إلى أسفل نحو إيميلي النائمة داخل الصندوق ثم ذهبت إلى النافذة. تخيَّلتُ أن حجرة ميرو ستكون تحت الأرض تمامًا بسبب السلالم الطويلة؛ لذا كان رؤية كل تلك الخضرة في الخارج مفاجأة. بَدَا كأنها ستملأ الحجرة بمجرَّد أن تُفتح النافذة. أعتقد أنها تُبقيها غير مقفولة حتى حين تكون في الخارج؛ لأن النافذة انزلقت مفتوحةً حين دفَعَتها دَفعَةً خفيفة فقط. كما تصوَّرتُ المشهد: كانت العيدان الخضراء الطويلة قد فردت سيقانها وتدلَّت داخل الحجرة.

"إنها أزهار زنبق" قالت ميرو.

"زنبق؟".

"الحجرة مبنيَّةٌ في أعماق التلِّ؛ لذا فإنها تمتدُّ تحت الأرض في أحد جانبيها، وفوق الأرض في الجانب الآخر. إذا وقفتِ هنا، يمكنك أن تري ذلك. لم يرغب ميونجسو أن أنتقل إلى هنا. قال إنه لا يدخل قدرٌ كافٍ من أشعة الشمس إليها. أشعر بالأسف على إيميلي. لكنني أحبَبتُ الشقة بسبب السلالم. سألني ميونجسو لماذا أودُّ العيش في كهف تحت الأرض. لكنني أصرَرتُ على رأيي. في اليوم الذي انتقلتُ فيه

إلى هنـا، زرع تلـك الزهـور مـن أجـلي. قـال إن زهـور الزنبـق لا تحتـاج إلى الكثـير مـن أشـعة الشـمس لتنمـو. زرع الكثـير منهـا لدرجـة أنني اضطـررتُ إلى نقـل بعضهـا مـن هنـا عندمـا تفتَّحَـت. في الربيـع المـاضي، نَمَـت زهرتـان أو ثـلاث مـن كل جِـذع، وامتـلأ المـكان كلـه بعبـير الزنبـق. عندمـا تتفتَّـح زهـور الزنبـق، تتـدلَّى رؤوسـها إلى أسـفل كـما لـو كانـت تحـدِّق إلى الأرض. ذات يـومٍ اختفـت إميـلي، وعندمـا خرجـت كي أبحـث عنهـا، وجدتهـا تلتـفُّ حـول نفسـها ككـرة، وتنـام أسـفل الزنابـق".

مَـرَّرتُ يـدي فـوق جـذع إحـدى زهـور الزنبـق التـي زرعهـا ميونجسـو. كانـت بصيـلات الزنبـق مدفونـةً تحـت الأرض مثـل البطاطـس. لا بُـدَّ أنهـا قويـة جـدًّا كي تزدهـر بسرعـة خـلال الربيـع والصيـف فقـط كي تنتظـر بقيـة العـام لتعـاود التفتُّـح. بينـما العيـدان فـوق سـطح التربـة قـد ذبُلـت، كانـت البصيـلات تقـاوم الشـتاء في الأسـفل، وعندمـا يعـود الربيـع، سـتدفع إلى أعـلى نبتـاتٍ جديـدة تُزهِـرُ زنابـق بيضـاء تمـلأ حجـرة مـيرو بعبيرهـا. نَحَّيـتُ العيـدانَ جانبًـا كي أغلـق النافـذة، ثـم التَفـتُّ وجُلـتُ ببـصري في أرجـاء حجـرة مـيرو. ثمَّـة سُـلَّمٌ خَشـبيٌّ بنفـس لـون الأرضيـة يقـود إلى سريـرٍ علـوي. أسـفله يوجـد مكتـب مـيرو، وقـد وُضِعـت فوقـه الكُتُـب العـشرون التـي رشَّـحها لنـا الأسـتاذ يـون. لا بُـدَّ أنهـا قـد بـدأت في قراءتهـا أو تُخطِّـط لفعـل ذلـك. نظـرت عـن كثـب إلى مُلصَـقٍ مُصـوَّر عـلى الحائـط فـوق المكتـب. أيـن توجـد أشـجار السَّرو تلـك؟ قـارب صغـير منفرد يدنـو مــن جزيــرة تطفــو فــوق ســطح بحــر أســود. العبــارة المكتوبــة أســفل المُلصـق كانـت "جزيـرة المـوتى. لأرنولـد بوكلـن". داخـل القـارب يقـف رجـل مُلفَّـع بالأبيـض مـن قِمَّـة رأسـه حتـى قدمـه، فـوق تابـوت مكسـوٍّ بقـماش أبيـض، وقـد أولى ظَهـرَه للمُشـاهد. بالـكاد اسـتطعت أن أرى رَجُـلًا يجـدِّف وراءه. بَـدَت الجزيـرةُ سـاكِنَةً، لكـن كئيبـة المنظـر، تحوطهـا جـدران جُـرفٍ جـرداء مثـل الأجنحـة. في قلـب الجـدران تقـف مجموعـة مـن أشـجار السـرو مُعتِمَـة كالبحـر في اللوحـة، وتسـمو إلى أعـلى كـما لـو كانـت

ستدفع السماء الملبّدة بالغيوم جانبًا. بَدَت الأشجار أشبه ببوابة إلى داخل الجزيرة. يطفو القارب الصغير فوق موجة مُتكسِّرَةٍ إلى داخل الشاطئ، مُبحِرًا مباشرة نحو المياه السوداء أسفل تلك الأشجار. كنتُ مستغرقةً في تأمُّل اللوحة لدرجة أنني لم ألحظ أن ميرو قد اقتربت مني وكانت تقف الآن بجانبي.

"رسم الرَّسَّامُ اللوحة بعد أن راوَدَه الحلم نفسه من دون توقُّف" قالت. "رسم خمس نُسَخٍ للُّوحَة نفسها؛ خمس صور للحلم ذاته".

كانت أول مرة أشاهد فيها هذه اللوحة. "يقولون إن العنوان الأصلي للوحة كان (مكان هادئ)".

بَدَت فعلًا أشبه بمكان هادئ. لست مُتأكِّدَةً إذا كانت جدران الجُرْفِ الصَّماءُ أم أشجار السرو السوداء أم المياه الداكنة هي ما يعطي إيحاءً بأن القارب لن يذهب أبعد من ذلك.

"علينا أن نسافر إلى بازل يومًا ما" قالت ميرو.

"تقصدين المدينة في سويسرا؟".

"أجل، النسخة الأصلية من هذه اللوحة موجودة في مُتحَفٍ هناك".

"لا تبدو الجزيرة جُزءًا من هذا العالم".

"يقولون إن هنالك جزيرة موتى تُستخدم كمقبرةٍ جماعية في ڤينيسيا تشبهها. علينا أن نزورها أيضًا".

لم أكن متأكِّدَةً لماذا، لكن عندما قالت ميرو إننا يجب أن نسافر إلى بازل وڤينيسيا، داخَلَني شعور أنها لا توجِّه كلامها إليَّ.

بينما تبدو مياه البحر السوداء كأنها ستنسكب خارج اللوحة وترتفع حتى تصل إلى كاحِلَيْنا، أمسكتُ بِيَدِ ميرو. سمعت صوت حركة إميلي في الصندوق، ثم بَرَزَ وجهُها خارجه، ونظَرَت إلى أعلى نحونا. قفزت خارج الصندوق وقوَّسَت ظهرها، ودفعت وركها إلى

أعلى لتفرد عمودها الفقري، بطنها تكاد تلامس الأرضية. لمستني بذيلها بينما تسير أمامي ببطء.

على الرغم من أن ميرو قد قالت إنه لا يوجد شيء يصلح للأكل، إلا أنها قد تمكّنت من العثور على تفّاحة، قشّرتها بسكين فاكهة وقَطّعتها إلى شرائح ووضعتها في طبق. جعل جوعي مَذاقَ التُّفّاح يبدو أحلى حتى. أخرَجَت ميرو مُفكِّرَتَها وكتَبَت: تُفّاحة، أربع شرائح. استرقتُ النَّظر إلى مُفكِّرتِها. دوَّنَت ميرو مُلاحظةً حتى بخصوص اليوم الذي ذهب فيه ثلاثتنا لنتناول شعيرية الراميون[1] معًا.

"من سوء الحظ أنكِ لا تمتلكين كاميرا" قلتُ.

"ماذا تعنين؟".

"لو التقطتِ صورةً لما تأكلينه، فلن تتكبّدي عناء تدوين كل شيء".

"أُفضِّل الكتابة" قالت ميرو.

ملأت ميرو كوبًا بالماء وصَبَّته داخل صحن إيميلي المعدني. بجواره كان هنالك صحن آخر ممتلئ بطعام القطط. نظرتُ عن قُربٍ فرأيتُ أُصَيص زهور زُرِعَت بداخله براعم يافعة بجوار صحن الطعام. لاحَظَت ميرو نظراتي وفسَّرَت أنها براعم الجاودار (الشَّيْلم). لم أرَ أي أحدٍ يزرع براعم الجاودار داخل حجرته من قبل.

"تبتلع القطط قليلًا من الشَّعرِ عندما تلعق جسمها لتنظِّفه. تتجمَّع هذه الشُّعيرات داخل معدة القطة وتسدُّ أمعاءها. تساعد براعم الجاودار القطَّةَ على سَعلِ كُرات الشَّعر خارج جسمها. وذلك الشيء هناك هو عمود الخربشة الخاص بإيميلي".

---

(1) الراميون: طَبَقٌ ذو شعبية كبيرة في آسيا عامَّة، وكوريا خاصة. وهو عبارة عن حساء معكرونة تُحضَّر في مَرَقِ اللحم أو السمك، وتكون بطعم صلصة الصويا أو الطحالب البحرية المجفَّفة أو البصل الأخضر، وخلافه.

كانت إيميلي تُخَربِشُ بمخالبها عمودًا أفقيًا صغيرًا مربوطًا بحبل. التقطت ميرو شيئًا بجواره يشبه الصنَّارة، ومَرجَحَته فوق رأس إيميلي. توقَّفَت إيميلي عن الخدش وقفزت نحوه. أشرق وجه ميرو. كلَّما اقتربت إيميلي منه، رفعت ميرو العمود أعلى قليلًا وهزَّته.

"الأمر مُمتِعٌ بالنسبة إليها، لكنه يساعدها على التَّدرُّب أيضًا" قالت.

أنزلت ميرو العمود بعد فترة وعادت إلى المائدة. تبعتها القطة. مَدَدتُ يدي إلى أسفل وداعَبتُ أُذُنَ القطة. تمدَّدَت القطة بكسَلٍ ولعقت مخلبها ثم ثنت قوائمها الأربعة معًا واستلقت على الأرضية. بَدَت مثل كومة من ثلج ذائب.

"هل تودِّين قضاء الليلة هنا؟" سألتني ميرو.

النظرة في عينيها جعلت رفض طلبها صعبًا. ابتلَعتُ ريقي، لا يزال طعم التفاح عالقًا في لساني، ثم قُلتُ: "حسنًا".

لم نخلد إلى الفراش إلَّا بعد منتصف الليل. استغرقت في النوم بينما أقرأ كتابًا على الأرضية. هزَّتني ميرو إذ فجأة لتوقظني. علا القلق وجهها. فتحت عينيَّ لأجدها تُحدِّق إليَّ في توتُّر. هدأت ملامحها بمجرَّد أن التقت نظراتنا.

"هل ترغبين في الصعود إلى السرير؟" سألَتني.

تَسلَّقَت السُّلَّم أولًا كأنها تُريني كيف أفعل ذلك، ثم نظرت إلى أسفل نحوي. نهضت وتسلَّقتُ السُّلَّم تمامًا كما فعَلَت. تناثرت الكتب فوق المرتبة. بدا أنها تنام وهي تقرأ كلَّ ليلة. دفَعَت ميرو الكتب جانبًا كي أستطيع الاستلقاء. أحد الكتب كان مقلوبًا كما لو كانت تقرأ فيه الليلة الماضية.

"هل تُفضِّلين النوم بجوار الحائط؟" سألتني.

يتَّصِل بالسُّلَّم درابزين يحيط السرير من الخارج. تحرَّكتُ مُقتَرِبَةً من الحائط. أضاءت ميرو أباچورة المكتب وأطفأت مصباح السقف الفلورسنت. ألقت عيدان الزنبق الخضراء خارج النافذة بظلالها على الزجاج. مَدَدتُ يدي إلى أعلى ولمست السقف.

"هل أنتِ غير مرتاحة" سألتني.

"لا".

لم يكن الأمر غيرَ مريح، بل غير مألوف. كانت أوَّلَ مَرَّة أتسلَّق فيها سُلَّمًا كي أذهب إلى الفِراش. تَخيَّلتُ ميرو وهي تتسلَّق السلم كلَّ ليلة، وشعرت بقليل من الأسف عليها. إذا لم تحترس، فربما ترتطم رأسها بالسقف. رقدت ميرو بجواري وأغمضت عينيها.

"عندما كنتُ صغيرةً، كُنتُ أفكِّر دائمًا أن مشاهدة الناس نائمين أمرٌ غريب. أخافتني رؤيتهم وعيونهم مُغلَقَة، كأنهم قد لا يستيقظون ثانية أبدًا. اعتدت أن أراقب والديَّ أو أختي عندما ينامون، وكنتُ أجزع وأنا أتساءل متى سوف يستيقظون. حتى الآن، أفكِّر أحيانًا عندما أوشك على النوم: (ماذا لو لم أستيقظ هذه المرة؟). كيف يستطيع الناس النوم بشجاعة كبيرة ومن دون أي رهبة؟".

"ألهذا أيقَظتِني منذ قليل؟".

"بَدَوتِ كأنَّكِ لن تستيقظي".

"ميرو..." أدَرتُ وجهها تجاهي. "اعتادت أمي أن تقول لي إذا كنتُ غاضبة من أحد، فيجب أن أنظر إليه وهو نائم. قالت إن وجه الشخص وهو نائم هو وجهه الحقيقي، وأنه إذا نظرتِ إلى شخصٍ وهو نائم، فلن تستطيعي البقاء غاضبة منه. كلما شعرتُ بالغضب أو التوتُّر، آخذ قيلولة. ألا تشعرين باسترخاء أكبر عندما تستيقظين؟ حاولي التفكير في النوم على أنه ولادة جديدة من نوع ما".

لم تَقُـل أيَّ شيء. خمّنـتُ أنهـا لا تَتَّفِـق معـي. وثبـت إيميـلي صاعِـدَةً السُّـلَّم والتفَّـت حـول نفسـها بجانبنـا. مـدَّت مـيرو يدهـا لتربِّـتَ عـلى عنـق القطـة.

"خطر ببالي للتَّوِّ عنوان ذلك الكتاب".

"أي كتاب؟".

"الكتاب الذي يحكي قصة القِطَّة التي تذهب إلى بحيرة الملح".

"ما هو العنوان؟".

"(عندما تنتهي الرحلة، احكِها لغريب)".

فكَّـرت في القصـة التـي أخبرتنـي بهـا عـن أشـخاص في نهايـة حياتهـم، يسـتحمُّون في بحـيرة ملـح، ويخـبرون قطَّـةً تعيـش هنـاك بكلماتهـم الأخـيرة. أكانـت القطـة ذلـك "الغريـب" بالنسـبة إليهـم؟ أَرَدتُ أن أقـرأ ذلـك الكتـاب.

"هل لديك نسخة من الكتاب؟" سألتها.

"أخَـذَت أختـي الكتـاب معهـا عندمـا رحَلَـت. أرادت أن تعطيـه إلى حبيبهـا".

جلَسَـت مـيرو في مكانهـا، وأشـعلت شـمعة في مقدِّمـة السريـر وأطفـأت الأباجـورة. تراقَـصَ لهـب الشـمعة وأظهـر ظـلال جسـدينا عـلى الحوائـط والسـقف.

"العالم هادئ جدًّا، أليس كذلك؟".

عندمـا قالـت ذلـك، أدركـتُ أننـي قـد نسـيت كلَّ شيء عـن العـالم خـارج حـدود الحجـرة. تسـاءَلتُ الآن فقـط عـن مـكان ميونجسـو ومـاذا يفعـل؟ اعتـاد أن يُكلِّمَنـي في صبـاح كلِّ سَـبتٍ ليسـألني إذا كان بإمكانـه القـدوم إلى شـقتي. كنَّـا نلتقـي في الصبـاح ونقـضي الوقـت معًـا حتـى

حلـول المسـاء. لكـن لأننـي أضحيـت أذهـب إلى الحـمام العمومـي مـع مـيرو في كل عطلـة نهايـة أسـبوع، توقَّفنـا عـن قضـاء أيـام السـبت سـويًّا. تسـاءلت إذ فجـأة مـاذا كان يفعـل في تلـك الأيـام مـن دوني. جلَسَـت مـيرو مـن جديـد ومـدَّت ذراعهـا وشـغَّلَت راديـو صغـيرًا.

"ثماني دقائق وثانية واحدة" قالت ميرو.

"ماذا؟".

"مُـدَّة الحركـة الثانيـة في كونشـيرتو الإمبراطـور[1]... ثمـاني دقائـق وثانيـة واحدة".



"بيتهوڤن؟".

"أجل".

غَلَّفَتنـا موسـيقى الكونشـيرتو المعزوفـة عـلى البيانـو. بـدا أنهـا تقودنـا إلى مـكانٍ مـا بعيـد.

"كُلَّـما أصابنـي الأرق، أُشَـغِّلها وأخـبر نفـسي أننـي يجـب أن أسـتغرق في النـوم في غضـون ثمـاني دقائـق وثانيـة... إنهـا مثـل تعويـذة".

"هل ينجح الأمر؟".

"أحيانًـا. وأحيانًـا أخـرى أجـد نفـسي أفكـر في حقيقـة ألَّا أحـد يعـرف أننـي نائمـة هنـا، ولا أحـد سـيعرف إذا لم أسـتيقظ. الاسـتماع إلى هـذه المقطوعـة يجعلنـي أشـعر عـلى نحـوٍ أفضـل. وأحيانًـا أنـام بسرعـة مـن دون أن أبـذل مجهـودًا".

صدمتنـي كلماتهـا. تـراودني الأفـكار نفسـها أحيانًـا حـين أخلـد إلى النـوم في شـقَّتي فـوق السـطح. في تلـك الليـالي، أفتـح النافـذة وأحـدِّق إلى أسـفل

---

(1) كونشـيرتو الإمبراطـور: الكونشـيرتو الخامـس لبيتهوڤـن، وهـي آخـر كونشـيرتو بيانـو مُكتمـل لبيتهوڤـن، ألَّفـه في ڤيينـا بـين عامَـيْ 1809 و1811، وأهـداه إلى تلميـذه وراعيـه الأرشـيدوق رودولـف وليِّ عهـد النمسـا آنـذاك.

نحـو المدينـة المُظلمـة. أتأمَّـل لوقـت طويـل البـرجَ فـوق جبـل نامسـان. في الليـالي الممطـرة، أسـتمتع بمشـاهدة أضـواء البـرج تظهـر مـن جديـد مـن وراء سـتار الضبـاب الكثيـف الـذي يحجبهـا. في أوقـات أخـرى أخـرج إلى السـطح وألعـب الحَجْلَـة بمفـردي. أتصـوَّر أننـي بينـما أفعـل ذلـك، تكـون مـيرو في الخلفيـة تسـتمع إلى الموسـيقى تحـت الأرض في الوقـت نفسـه تقريبًـا. ربمـا تتداخـل بعـض تلـك اللحظـات.

قضـاء الليـل مـع شـخص في حجرتـه يجعـل مـن الأسـهل أن تتخيَّـل مـا يفعلـه عندمـا لا تكـون موجـودًا حولـه. بعـد تلـك الليلـة، أضحَيـتُ قـادِرةً عـلى تصوُّر ليـالي مـيرو في هـذه المدينـة.

"مـيرو"، فكَّـرتُ أنهـا أول مـرة أناديهـا باسـمها الأول فقـط. "المـرة القادمـة التـي لا تسـتطيعين النـوم فيهـا، اتَّصِـلي بي وسـوف آتي إليـكِ".

"لماذا؟".

"نحـن نعيـش بالقـرب مـن بعضنـا البعـض. يمكننـا أن نلتقـي في المنتصـف. أو يمكنـكِ القـدوم إلى شـقتي أو يمكننـي القـدوم إلى هنـا. مـا رأيـكِ؟".

"يـون" هَمَسَـت. "مـاذا لـو انتقلنـا للعيـش في ذلـك المنـزل سـويًّا بـدلًا مـن ذلـك؟".

صعَـدَت إيميـلي فـوق بطـن مـيرو. تضخَّـم ظِلُّهـا وتمايـل في ضـوء الشـمعة. فاجـأني اقـتراح مـيرو. مَـدَدتُ يـدي لأُمسِّـدَ فـرو إيميـلي. يمكننـي سـماع صـوت تنفُّـس مـيرو بينـما تنتظـر إجابتـي في توتُّـر. مالـت الزنابـق خـارج النافـذة وقـد بَـدَت مُسـتَعِدَّةً لاقتحـام الحجـرة في أي لحظـة، إلى الـوراء الآن كـما لـو كانـت حرَّاسًـا يسـتريحون. مـاذا دار ببـال ميونجسـو بينـما يزرعهـا أسـفل النافـذة؟ لا بُـدَّ أن عبـير الزنابـق قـد مـلأ حجـرة مـيرو لليـالٍ طويلـة. سـتذبل العيـدان مـع موجـة الصقيـع الأولى، فقـط البصيـلات المدفونـة تحـت الأرض سـتنجو في الشـتاء. مَضَـت الدقائـق بينـما

أفكِّر في الزنابق. أعرف أن عليّ أن أمنح ميرو إجابةً، لكن كان ذهني مُشتَّتًا. تصوَّرتُ زنابِق المطر البيضاء أمام البيت المهجور، والحشائش الكثيفة في الفِناء. كيف كانت تبدو حياتهم عندما كانوا يعيشون هناك؟ عجزت عن تخيُّلها.

"سيعيش ميونجسو معنا أيضًا إذا لم تُمانِعي ذلك".

تكلَّمَت ميرو كما لو أننا لا نحتاج إلى سؤاله عن رأيه. تساءلتُ إذا كان ميونجسو ذلك الشخص الذي سيفعل شيئًا من دون تفكير فقط لأن ميرو اقترحته. كنتُ عاجِزَةً عن الكلام. أكانت تحاول إعادةَ خَلقِ ما كانت تمتلكه مع أختها من خلالي؟ مرَّت الدقائق. شعرت أن صداقتنا قد تتأزَّم إذا لم أُجِبها الآن. شعرت كأنَّ أخت ميرو التي لم أقابلها أبدًا، قد أتت فجأةً لزيارتنا.

"أحتاج بعض الوقت" قُلتُ.

"لا تُبالِغي في التَّفكير" قالت. "البيت فارغ. وتدفع كلٌّ مِنّا إيجار سكنها. ويعيش ميونجسو في منزل أحد أقربائه. يمكننا أن نوحِّد مَوارِدَنا وندَّخِر المال".

لو كانت الحياة مع شخص آخر بتلك البساطة، ما كنتُ قد انتقلتُ أبدًا من شقة ابنة عمي.

أَتَت إيميلي إليَّ. حاوَلَت ميرو أن تناديها لتعود إليها لكن القطَّة تجاهَلَتها، وضَغَطَت بقائِمَيْها على بطني، وهي تنقل وزنها من قائِمٍ إلى الآخر.

"ترين؟" قالت ميرو، "ترغب إيميلي أن تعيش معكِ أيضًا".

"عَمَّ تتحدَّثين؟".

"عندمـا تدعـك قِطَّـةٌ بطنـكِ هكـذا، فـإن ذلـك بمثابـة هديـة، تعـبر بهـا عـن حبِّهـا لَـكِ يعاملهـا ميونجسـو بلُطـفٍ دائمًـا، لكنَّهـا لم تفعـل معـه ذلـك أبـدًا. أشـعر أنهـا تَصـدُّه، لكـن لا بُـدَّ أن إيميـلي تحبُّـكِ".

مسَّدتُ مؤخَّرَة عنق إيميلي فهرَّت القطة.

"تُصـدِر إيميـلي هـذا الصـوت عندمـا تكـون سـعيدةً حقًّـا. أراهـن إنهـا سـتتودَّد إليـكِ أكـثر إذا عشـنا معًـا".

تمايَلَـت ظلالنـا فـوق السريـر. أعـادت مـيرو تشـغيل كونشـيرتو البيانـو ثـلاثَ مـرَّاتٍ عـلى التـوالي. كان اللحـن جميـلًا ومؤثِّـرًا، وناعـمًا كفـرو إيميلي.

"جونـج يـون" نادتنـي باسـمي الكامـل مـن جديـد. "لقـد فاجَأتُـكِ، أليـس كذلـك؟".

"لِأكُن صريحةً مَعَكِ، أجل".

"بالطبـع، الصداقـة شيء، والعيـش معًـا شيءٌ آخـر. لا تعرفـين الكثـير عنـي، وقـد بـدأتُ للتَّـوِّ أتعـرَّف عليـكِ؛ لـذا مـن غـير العـادل أن أطلـب ذلـك منـكِ الآن. أتفهَّـم ذلـك. خـذي وقتـكِ. لكـن عِدينـي أنـكِ لـن تأخـذي وقتًـا طويـلًا جـدًّا لتُقـرِّري".

"لا تقلقي، لن أفعل".

"عندمـا انتقلـت إلى هـذا المـكان، اعتقـدت أننـي سـأقضي بقيـة حيـاتي هنـا. لم أتخيـل أننـي سـوف أرغـب في الانتقـال منـه... أرغـب في العـودة إلى الجامعـة".

توقَّفَـت إيميـلي عـن دعـك بطنـي وقَفَـزَت لتهبـط السُّـلَّم. تتبَّعتُهـا بعينـيَّ بينـما تَثِـبُ فـوق عتبـة النافـذة. جلَسَـت هنـاك وراحـت تراقـب الزنابـق التـي تهتـزُّ في ريـاح الليـل، وترفـع قائمهـا مـن حين إلى آخـر لتضرب ظلالهـا في الهـواء. عـمَّ السـكونُ الحجـرة مـا عـدا صـوت موسـيقى البيانـو

وضـوء الشـمعة المرتعـش. يمكننـي سـماع صـوت تَنفُّـس مـيرو الهـادئ. شـعرت بالخجـل لأننـي لم أمنحهـا الجـواب الـذي أرادتـه.

"مـيرو". لم أسـتطع تحمُّـل الصمـت المُخيِّـم أكـثر مـن ذلـك. "رغبـتُ في التَّعـرُّف عليـكِ عـلى نحـوٍ أفضـل أيضًـا".

"حقًّا؟".

"لا أعـرف إذا كان سـيبدو ذلـك منطقيًّـا بالنسـبة إليـكِ، لكـن منـذ انتقـالي مـن بيـت والـديَّ، كنـتُ أُفضِّـل البقـاء وحـدي عـلى أن أكـون بصحبـة النـاس. اعتَـدتُ ذلـك. سـأفكِّر أكـثر في عرضـكِ. لكـن أَودُّكِ أن تعلمـي أن ذلـك ليـس بسـببكِ بـل يتعلَّـق الأمـر بي أنـا".

"أعتقد أننا نفكِّر في الشيء نفسه".

"أي شيء؟".

"أُفضِّـل البقـاء وحـدي أيضًـا. حاوَلـتُ ألَّا أتقـرَّب منـكِ لأننـي خشـيت أن أوذيـكِ. لـو فعلـت يومًـا أي شيء قـد يؤذيـكِ، أرجـوك، لا تكرهينـي بسـبب هـذا".

لم أنطق بأي كلمة.

ثـم لدهشـتي اسـتطرَدَت قائِلَـةً: "لـو آذيتُـكِ فعـلًا. انـسي كل شيء عنـي. امحينـي مـن ذاكرتـكِ".

"لماذا تقولين ذلك؟" سألتها مندهشةً.

"لا تهتمِّي بذلك... يون... عليكِ أن تتذكَّريني. لا تنسيني".

صوتهـا مُرتَجِـف. اسـتدَرتُ لأواجههـا ومَـدَدتُ يـدي نحـو يدهـا. شـعرت بـدفء يدهـا المغطـاة بالندبـات. لـو التقينـا ببعضنـا البعـض أَبْكَـرَ مـن ذلـك فقـط. كانـت حيـاةُ كُلٍّ مِنَّـا عـلى حِـدَة حيـاةً بائسـة وهَشَّـة.

ربما أعرف حقًّا ماذا كان يدور بخلد ميونجسو عندما زرع الزنابق أسفل النافذة. ضغطت على يدها بقوة أكبر قليلًا.

"لنتذكَّر هذا اليوم إلى الأبد" قلتُ.

اندهشت حين أدركت أنني كنتُ أُردِّد ما قاله لي ميونجسو. أهذا ما شعر به عندما قال تلك الكلمات لي؟ هل الأسف والحزن الذي شعرت بهما نحو ميرو التي بدت غير مفهومة وغامضة، هو الشعور نفسه الذي أحسَّ به ميونجسو نحوي؟ ربما ذلك هو كل ما يمكن قوله عندما لا توجد أي كلمات يمكن أن تواسي بها الآخر، عندما لا يبدو أن ثمة طريقًا للمُضيِّ قُدُمًا.

"كانت أختي تقول ذلك" قالت ميرو.

"حقًّا؟".

"كانت تقول ذلك طوال الوقت عندما كان ثلاثتنا نعيش معًا: فلنتذكَّرْ هذا اليوم للأبد...".

وسط نوتات الحركة الثانية من كونشيرتو الإمبراطور، سمعت الصوت الخافت لرنين هاتف. كان الصوت آتيًا من المكتب أسفل السرير. لم تتحرَّك ميرو لتجيب عليه. بدا أنها تعرف هويَّةَ المتكلِّم.

"ذلك الصيف..." صمَتَت طويلًا. "لولا ذلك الصيف، لكانت أختي الآن راقِصَةَ باليه رئيسيَّةً كما أرادت".

"وماذا حدث؟".

" ذهبتُ وأختي إلى منزل جَدَّتنا. في ذلك الوقت كان والدانا يتشاجران طيلة الوقت؛ لذا أخبرتنا أُمُّنا أن نذهب لقضاء بضعة أيام في بيت أمها في الريف. كان قرارًا وليدَ اللحظة. حاوَلَت أُمِّي الاتصال بجدَّتي، لكن لا مُجيبَ. قالت أُمِّي إنها ستَتِصل بها مُجدَّدًا بعد مغادرتنا لتخبرها أننا في الطريق إليها. عاشت جدتي في الجنوب

في سانتشيونج. عندما اندلعت الحرب الكورية، فرَّت جدتي إلى الجنوب وحدها وهي تحمل أُمَّنا -التي كانت طفلةً رضيعة- على ظهرها. انتقلت إلى منطقة نائية في سانتشيونج وبَنَت بيتًا يشبه ذلك الذي عاشت فيه كطفلة. أحببت وأختي بيت جدَّتِنا. لديها الكثير من الأشياء الممتعة هناك. أخبرت أُمُّنا السَّائِقَ أن يأخذنا حتى بيت جَدَّتِنا، لكن أختي صَرَفَت السائق. اقترحت أن نستقلَّ الحافلة بمفردنا. اعتقدت أن الأمر سيكون ممتعًا. ركبنا حافِلَةً عابِرَةً للمدن، ومشينا من موقف الحافلات إلى بيت جدَّتنا. بدا الأمر كأننا في نزهة. أتذكَّر كيف تطاير شَعرُ أختي في الرياح التي هبَّت إلى داخل نافذة الحافلة وداعبت وجهي. والطريقة التي استمرَّت فيها بالهمس: (انظري إلى ذلك!)، بينما تشير إلى الأشجار والزهور والسماء ونحن نسير في الشوارع الخلفية. كُنَّا في وقتٍ مُتأخِّر من عصر ذلك اليوم عندما وصلنا إلى بيت جدَّتِنا. نادينا عليها بينما ندخل من البوابة لكن البيت كان خاليًا. وقفت الأشجار التي كانت بمثابة عائلةٍ لجَدَّتي، في تَجمُّعٍ وِدِّيٍّ، وألقت بظلالها فوق الجدار، وكانت زهور الصيف الملوَّنة المزروعة قرب الباب الأمامي في أوج ازدهارها. كان الطريق الوحيد إلى الداخل هو عبر الباب الأمامي، لكنه كان مغلقًا بقفل. جَلَستُ واختي فوق الشُّرفَة في ظل الشجر، وانتظرنا عودتها إلى البيت. لأن أُمَّنا قالت إنها سوف تتَّصِل بها؛ افترضنا أنها ستكون هناك بالفعل. زرناها من قبل من دون أن نتَّصِل بها أوَّلًا، لكنها كانت في البيت دومًا. كانت تعمل عادةً في الفناء أو في بستان الخضراوات، ترتدي قُبَّعَةً وسراويل فضفاضة، وتحمل مجرفة، لكن في اللحظة التي نخطو فيها عبر البوابة وننادي عليها، كانت تترك ما تفعله وتندفع للترحيب بنا. كانت تُسمِّينا (جرويها). كنتُ أركض إليها دائمًا وأعانقها عناقًا طويلًا. أحبَبتُ رائحة عَرَقِها. كان غريبًا، ومخيفًا قليلًا رؤية البيت من دون وجودها فيه. استمررت في الدعاء أن تظهر. لم أمتلك أي فكرة

كـم انتظرنـا. واصَلـتُ التفكـير، (سـتكون هنـا في أي لحظـة). لكـن ظـلال زهـور عبـاد الشـمس بطـول الجـدار أخـذت تطـول وتطـول مـع أفـول الشـمس، ولم تـأتِ جـدَّتي بَعـدُ. كنَّـا نـزداد جوعًـا أيضًـا. قَرقَـرَت معـدة إحدانـا بصـوت مرتفـع. لأننـي كنـتُ الصغـرى؛ ظَلَلـتُ أتذمَّـر أننـي جائعـة عـلى الرغـم مـن أنـه لم يكـن بوسـع أختـي فعـل أي شيء حيـال الأمـر. حاوَلَـت أن تُشـعرني بشـعور أفضـل بـأن تقـول إن جدتنـا سـوف تعـود إلى البيـت قريبًـا، لكـن واصلـت معـدتي قرقرتهـا. لا بُـدَّ أنهـا كانـت متوتِّـرَةً أكـثر منـي في انتظـار ظهـور جـدتي. توقَّفـت عـن التحديـق إلى البوابـة الأماميـة ونهضـت وتوجَّهـت إلى البـاب الأمامـي المقفـل. عـلى الرغـم مـن أننـا نعـرف ألَّا أحـد بالداخـل، طَرَقَـت عـلى البـاب وصاحـت: (جـدَّتي!). وقفـتُ بجانبهـا وصِحـتُ معهـا. عندمـا تعبنـا مـن ذلـك، اسـتندنا عـلى البـاب وبدأنـا في ذكـر الأشـياء التـي سـنطلب مـن جَـدَّتي أن تفعلهـا لنـا عندمـا تظهـر أخـيرًا. تمتلـك جَدَّتُنـا الكثـير مـن الأطبـاق النحاسـية. أخبرتنـا أنـه في القريـة الشـمالية حيـث كـبرت، كلـما أتي ضيـوف مُهِمُّـون لزيارتهـا، كان الطعـام يُقـدَّم في أطبـاق نحاسـية مـع ملاعـق وعيـدان أكل نحاسـية. كانـت تلـك علامـة عـلى الاحـترام. كان طعامنـا المفضَّـل هـو البيونسـو الـذي كانـت تعـدُّه مـن أجلنـا".

"ما هو البيونسو؟".

"إنـه الاسـم الـذي يطلقونـه عـلى الزلابيـة حيـث كَـبرتُ. يطهونهـا في مـرق لحـم بقـري. جلَسـتُ وأختي هنـاك وعدَّدنـا كل الأشـياء التـي أردناهـا أن تطهوهـا مـن أجلنـا. ليـس فقـط البيونسـو، بـل لحـم الخنزيـر المطهـو بالبخـار مـع الكميتـشي، وحسـاء يُطهـى بكعـك أرز يشـبه اليقطـين، وخنَّـة مطهـوَّة بمعجـون الفاصوليـا، والزلابيـة- كل الأطبـاق التـي كانـت تعدُّهـا عـادَةً عندمـا نزورهـا خـلال عطلـة الشـتاء. لا بُـدَّ أننـا قـد عددنـا خمسـين صنـف طعـامٍ مختلـفٍ، ومـع هـذا لم تَعُـد جَـدَّتي. لم أسـتطع الكَـفَّ عـن البـكاء كـم أنـا جائعـة. كلَّـما بكيـتُ أكـثر، ازداد جوعـي. لم يكـن بيـد

أختـي أن تفعـل أي شيء سـوى أن تواصـل طمأنتـي أن جدَّتَنـا سـتكون هنـا في أي لحظـة. قلـتُ أخـيرًا: (مـاذا لـو لم تَعُـد إلى البيـت أبـدًا؟)، قالـت أختـي: (لمـاذا لـن تعـود إلى البيـت؟ سيسـتغرق الأمـر وقتًـا أطـول قليـلًا فقـط). ثـم بـدأ الخـوف يسـاورني حقًّـا (ربمـا ذهبـت في رحلـة). ثـم بـدأت في ذكـر كل الأسـباب لمـاذا قـد لا تعـود جـدتي في ذلـك اليـوم. اسـتمرَّت أختـي في طَرْقها عـلى البـاب، بينـما رحـت أفكـرُ أنـه إذا تمَكَّنَـا فقـط مـن الدخـول إلى داخـل المنـزل، فسـنجد الكثـير لنأكلـه. حفَّزَتنـي تلـك الفكـرة أكـثر للعثـور عـلى طريقـة للدخـول. كلـما ظـلَّ البـاب مغلقًـا لوقـت أطـول، أصبحـت مُتيقِّنَـةً أن جدتنـا لـن تعـود أبـدًا. لم أر بابهـا مُغلَقًـا بقفـل هكـذا مـن قبـل. سـألت في النهايـة: (مـاذا لـو كانـت قـد ذهبـت إلى مـكانٍ بعيـد ولـن تعـود قبـل عـدَّة أيـام؟). نهَضَـت أختـي، بحثـت في كل مـكان عـن شيء يمكنهـا اسـتخدامه لفتـح القفـل- أي شيء رفيـع وطويـل ومتـين يمكنهـا أن تضعـه داخـل فتحـة القفـل. لكـن لم ينفـع أي شيء. أخـذت الشـمس تغـرب والجـوع يشـتدُّ علينـا، وأخـذ الذعـر يتسـلَّل إلينـا. نسـينا كل شيء عـن انتظـار جـدتي وصَبَبنـا كل تركيزنـا عـلى خلـع القفـل. عصرنـا دماغينـا في محاولـة للعثـور عـلى شيء يمكـن أن يَلِجَ فتحـة القفـل. راقبتنـا أشـجار الـكاكي والكـرز والبرقـوق في الفنـاء بينـما نركـض هنـا وهنـاك في اهتيـاج. لا بُدَّ أننـا قـد دُسـنا عـلى نباتـات عُرْفِ الديـك الناميـة في فنـاء المنـزل خـلال بحثنـا المحمـوم عـن شيء حـاد. وجَـدَت أختـي صنـدوق أدوات خشـبي في السـقيفة، فحملتـه حتـى البـاب الأمامـي وهـي تـئن مـن وزنـه الثقيـل. كانـت الشـمس تلـوح في الأفـق في رحلـة أفولهـا. افترشـنا الأرض أمـام البـاب ودسسـنا كل جسـم مُدبَّـبٍ عثرنـا عليـه في صنـدوق الأدوات داخـل القفـل، لكـن مـا نجـح أي شيء. بـدا كأن البـاب يتوقَّـع تضحيـةً مـن نـوع مـا أولًا قبـل أن ينفتـح. حدَّقنـا نظرينـا في صنـدوق الأدوات بإحبـاط. اختلطـت أدوات جـدتي المنظمـة بدقَّـة معًـا، وتَبَعـثَرَت في كل مـكان. قالـت أختـي إن عليهـا التَّبـوُّل، وذهبـت وراء شـجرة البرقـوق. عـلى الرغـم مـن أنهـا

تحب بيت جدتنا، تَمقُتُ أختي استخدام المرحاض الخارجي. كلما اضطرت إلى الذهاب إليه، كانت تجعل إحدانا -أنا أو جدتي- تقف خارجه مباشرة. كنت أقول: (أنا هنا!)، فتردُّ: (ابقيْ هناك ولا تتحرَّكي". فكَّرتُ أن تفضيل أختي التبوُّلَ وراء شجرة على استخدام المرحاض الخارجي أمرٌ غريب لأن البيت خالٍ، وقلت لنفسي (أختي الكبرى أشبه بالدجاجة). بينما ترفع تنُورتها وتجلس القرفصاء وراء الشجرة، التقطت مِثقابًا من صندوق الأدوات وحاوَلتُ إدخاله داخل فتحة القفل. تمنَّيتُ أن أثير إعجابها بأن أفتح القفل قبل أن تعود. بدأتُ أغنِّي: (افتح، افتح، افتح...)، لكن لو لم تستطع أختي فتح القفل، فلماذا سأنجح أنا؟ حاولتُ لفترةٍ، ثم تَمَلَّكَني الغضب وقذفت المِثقاب على الأرض بكل ما أوتيت من قوة. نادتني أختي. كانت تقف أمام الشجرة، حاشِيَةً تنُورتَها البيضاء في يدها، وقد رفَعَت إحدى قدميها عاليًا في الهواء. يدها تستريح فوق غصن مُنخفض كما لو كان قضيب باليه. بدَأت تتحرك على أنغام موسيقى غير مسموعة.

نادت على اسمي مُجددًا وسألتني: (ماذا قال ڤوكين لباڤلوڤا؟). مايكل ڤوكين هو مُصمِّم رقصة البجعة المحتضرة الفردية لباڤلوڤا. كانت أختي تشارك كل شيء تعلَّمَته عن الباليه معي. تقرأ على مسامعي قصصًا من كتب الباليه الخاصة بها ثم تسألني فيما قرأته لاحقًا. تسألني أسئلة مثل: (مَن قال إن أي أغنية يمكن أن تتحوَّل إلى باليه؟)، نادرًا ما كنتُ أعرف الإجابة. لكن من حينٍ إلى آخر تتبادر الإجابة إلى ذهني: (چورج بالانشين)![1] أجيب فتربِّتُ على رأسي. هكذا كنَّا نتحدَّث عن الباليه. أتعرفين كيف تصعد راقصة الباليه التي

(1) چورج بالانشين (1904- 1983): مُصمِّم رقصات باليه أمريكي. يُعَدُّ من أهم مُصَمِّمي رقصات الباليه في القرن العشرين، ويُعرَف بالأب الروحي للباليه الأمريكي. أسَّس باليه مدينة نيويورك، وكان مديرَه الفنِّيَّ لخمسة وثلاثين عامًا. تتميَّز تصاميمه بخلوِّها من الحبكة وبساطة الزي والديكور والاعتماد بشكلٍ أساسي على الموسيقى، لا سيما الكلاسيكي منها.

تـؤدِّي رقصـة منفـردة عـلى خشـبة المـسرح قبـل بـدء العـرض لتعطـي الجمهور لمحـة مختـصرة عـمًا هـو قـادم؟ كانـت أختـي تـدور حول نفسـها مؤدِّيَـةً حـركات مشـابهة لذلـك. لم تكـن أختـي ترتـدي حـذاء الباليـه، لكـن راحـت تـؤدِّي بضـع حـركات خفيفـة، ثـم نـادت عـليَّ مُجـدَّدًا: (مـيرو! لقـد سـألتكِ مـاذا قـال ڤوكـين لباڤلوڤـا؟!)، أجَبـتُ: (أنـتِ بَجَعَـة). تلـك مقولتهـا المفضَّلَـة. عندمـا أَجَبـتُ الإجابـة الصحيحـة، مالـت بجسـدها إلى الأمـام بِرِقَّـةٍ وهـدوء. كانـت تُقلِّـد الطريقـة التـي تطـوي بهـا بجعـةٌ جناحَيْهـا بينـما تلفـظ أنفاسـها الأخـيرة. لم أسـتطع إزاحـة عينـيَّ عنهـا. بـدت أشـبه ببجعـة محتـضَرَة حقًّـا. ذات مـرَّةٍ كنـا نشـاهد مقطـع ڤيديـو قديـم جـدًّا لباڤلوڤـا وهـي ترقـص رقصـة البجعـة المحتـضرة المنفـردة. كان الڤيديـو يعـود إلى تاريـخ يسـبق ميـلادي وأختـي بسـنوات طويلـة. كانـت جَـودَة الڤيديـو رديئـةً جـدًّا، والخطـوط التـي تعلـوه تـؤلم عينـيَّ، لكـن أختـي لم تسـتطع أن تَكُـفَّ عـن البـكاء أثنـاء مشـاهدته. لاحقًـا تلـك الليلة، اسـتيقَظتُ لأجـد أختـي ترقـد عـلى الأرض بجـوار سريرنـا- كانـت تلتـفُّ حـول نفسـها مثـل بجعَـةٍ قـد طـوَت جناحيهـا فـوق رأسـها. عندمـا رأيتُهـا ترقـد بجـوار شـجرة البرقـوق في فنـاء جدَّتِنـا، انفجـرتُ باكيـة. بَـدَت كأنهـا تحتـضر حقًّـا. كان المشـهد جميـلًا جـدًّا. تفاجَـأت أختـي لسـماع بـكائي وفَـرَدَت جناحَـيْ البجعـة وحلَّقَـت إلى حيـث أجلـس أمـام البـاب. سـألتني بالحـاح عـن سـبب بـكائي. أخـذ الظـلام يسـود وراءهـا. (لمـاذا تبكـين؟) سـألتني، لكننـي عجـزت عـن الـرَّدِّ عليهـا، ولم أسـتطع الكَـفَّ عـن البـكاء أيضًـا. ربمـا شـعرت بالحقيقـة داخـلي- أن هـذه هـي آخـر مـرة سـترقص فيهـا أختـي. كان ثمـة شيء يزعجنـي لكنني لم أسـتطع أن أشرح لماذا شـعرت بأننـي خائفـة وحزينـة جـدًّا. لكـن لأننـي لم أسـتطع التوقُّـفَ عـن البـكاء؛ توجَّهَـت أختـي إلى البـاب لتحـاول فتحـه مـن جديـد. أمسـكت بالقفـل قبـل أن تسـقط عـلى ركبتيهـا. اخترَقَـت صرختهـا إذ فجـأةً طبلَـةَ أذني. شـعرت كأننـي قـد قفـزت مـن فـوق حافَّـةِ جُـرفٍ. توقَّفـتُ عـن البـكاء في

الحال وركضت إليها. كانت تُمسك بركبتها. المثقاب الذي قذفته بعيدًا في غضب قد انغرس بين لوحَيْ خَشَبٍ، وبرز إلى أعلى، والآن كانت رأسه مدفونة عميقًا داخل ركبة أختي التي مالت إلى الأمام وسقطت فوقه. بعد ذلك اليوم لم تَرقُص أختي ثانية أبدًا".

اعتَدَلتُ في جلستي ونظرت إلى ميرو. كانت تحكُّ عنق إيميلي بِيَدٍ وتريح الأخرى فوق جبهتها. أمسكت بيدها. شعرت بجلدها المشوَّه بالندبات والمتجعِّد دافئًا.

"من الصعب الاستماع إلى ذلك، أليس كذلك؟" سألتني.

لم أستطع أن أنطق بالكلمات كي أخبرها أنني بخير.

"ميرو" نظَرَت إليَّ. "أكمِلي القِصَّة" قلتُ. "لا تكتمي كلَّ هذا بداخِلِكِ".

"مُتأكِّدَة؟".

"سوف نتجاوز الأمر معًا".

هل مشاركة قصَّتِها يساعد جروحَها على الالتئام؟ لم تستطع نسيان ما حدث، لكنني أرَدتُ منها أن تبدأ في وضع الماضي وراء ظهرها. أرَدتُها أن تتغلَّب على تلك الندوب الشاحبة وتمضي قُدُمًا.

"لقد انطبعت حادثة أختي في ذاكرتي منذ ذلك الوقت. ربما لو كانت قد كرهتني بسببها، لكنتُ قد تجاوَزتُها. لكن لم تَقُل أي كلمة بخصوصها. ولا مرَّة واحدة بعد ذلك اليوم. بينما كانت في المستشفى، شاهَدتُ والديَّ يُنزلان قضيب الباليه عن الحائط. ثم بعد ذلك تواصَلَت الحياةُ كأنَّ الجميع قد نسي الأمر. لم يَقُل أيُّ أَحَدٍ أيَّ كلمة أخرى عن الأمر- لا جدَّتي ولا والداي ولا أختي، ولا حتى أنا. لم أعُد أتذكَّر لماذا لم تكن جدتي في البيت ذلك اليوم، ولا متى ظهرت أخيرًا.

كل ما أتذكره أنها قد ألقت نظرة واحدة على أختي وهي ترقد على الأرض متألِّمَةً، ثم ركضت إلى أقرب قرية، والتي كانت تقع على الجانب الآخر من أحد التلال. أتذكَّر أيضًا ذهابي معها إلى المستشفى يرافقنا رجلٌ شابٌ من القرية قد حمل أختي ووضعها في مؤخِّرة جرَّار، بينما لا يزال المثقاب منغرسًا في ركبتها طيلة الوقت... عندما تُوفِّيَت جَدَّتي، ترَكَت البيت لي. قالت إنها ترغب مني أن أعتني به. تنتشر آثار جدتي في كل مكان في ذلك البيت. زرعت جدَّتي الأشجار نفسها التي كانت تنمو في مسقط رأسها في الشمال. لولا تلك الحادثة، لاستطعت حُبَّ ذلك البيت. حاكت جدتي كل البطانيات والملايات على ماكينة خياطتها، وزرعت الفِناءَ بحيث تزدهر زهور مختلفة في كل فصل. بعض الزهور تشبه الزهور البرية التي شاهَدَتها في الشمال عندما كانت صغيرةً؛ لهذا كانت هنالك دائمًا زهورٌ غير مألوفة تتفتَّح ثم تذبل ثم تتفتَّح ثانية في حديقتها. الآن لم يَعُد هنالك أي أحد يعتني بالبيت؛ لذا ربما يتداعى الآن".

"علينا أن نذهب هناك يومًا ما". قُلتُ ذلك بنبرة الصوت نفسها التي قالت بها ميرو إنه علينا الذهاب إلى بازل يومًا. يمكنني الشعور بأن كلمة "يومًا ما" قد وجدت طريقها إلى معجمي من جديد.

بعد موت أمي توقَّفتُ عن قول هذه الكلمة، لكن قبل ذلك كنت أقولها إلى نفسي طوال الوقت "يومًا ما". حينها كانت الكلمة الوحيدة التي يمكنها أن تُطمئنني. عندما عَلِمَت أمي أنها تحتضر، كان أول شيء تفعله هو إرسالي للعيش مع ابنة عمي في المدينة. لم أرغب في تركها وحدها. أَرَدتُ أن أكون بجوارها بالقدر نفسه الذي أرادت هي ألَّا أراها تعاني، لكن كان عليَّ أن أطيعها. كانت قد قضت بالفعل وقتًا أكبر في إقناعي أن أغادر من الوقت الذي كانت تقضيه لتلقِّي

العـلاج. كان لزامًـا عـليّ الرحيـل كي تتفـرَّغ هــي للحصـول عـلى رعايـة طبيـة مناسـبة. في اليـوم الـذي غـادَرتُ فيـه، قلـتُ: "يومًـا مـا يـا أمِّــي". كَـرَّرتُ تلـك الكلـمات نفسـها في ذهنــي مـرَّاتٍ لا تُحـصى. حـين لم يتبـقَّ خُصلَـةُ شَعرٍ واحـدة في رأسـها، كل مـا كان بوسـعي قولـه لهـا حينهـا هـو "يومًـا مـا يـا أمـي". كل مـا تُقـتُ إليـه -رؤيـة أمـي تسـتردُّ صِحَّتَهـا وتعـود إلى ذاتهـا القديمـة- لم يَتحقَّـق أبـدًا. عندمـا فَقَـدتُ أمـي، نَبَـذتُ كلمـة "يومًـا مـا"، أضحَـت الكلمـة بـلا معنـى، كلمـة وهميَـة، غـير قـادرة البَتَّـة عـلى تغيـير أي شيء. بعـد أن توقَّفـتُ عـن اسـتخدامها، اسـتَعادت عـاداتي بـأن أبتلـع ضحكـة مريـرة بداخـلي وأعـض عـلى شـفتيّ، وأقطـب جبهتـي، وأمـشي بمفـردي لأواسي نفـسي- نشـاطها.

"هل تعنين هذا حقًّا؟" سألَتني.

"أعني ماذا؟".

"أن علينا الذهاب إلى بيت جدَّتي يومًا ما؟".

"نعم... يومًا ما".

شعرتُ برغبَةٍ مُلِحَّة ومفاجئة للوفاء بذلك الوعد.

"هل سيأتي هذا اليوم أبدًا؟" سألَتني.

بدا كأنها تقرأ أفكاري.

"طالما لا ننسى الأمر" قُلتُ.

"طالما لا ننسى الأمر" قالت ميرو.

داهَمَنـي حـزن غريـب فاعتدلـت في جلسـتي بجانبهـا، وقلـتُ: "دعينـا نصطحـب إميـلي معنـا".

"وميونجسـو" أضافـت مـيرو، ثـم أغمضـت عينيهـا وقالـت بنـبرة روتينيَـة: "والأسـتاذ يـون أيضًـا".

خيَّم الصمت علينا للحظة. هل أضحت والأستاذ يون مُقرَّبَيْن لدرجة أنها تستطيع أن تقترح أن يرافقنا؟ أضافت ميرو كما لو أنها تحاول تبديدَ الصمت بيننا: "وناك سوجانج أيضًا".

ضحكتُ. شرعنا في ذكر كل شخص نعرفه. أضَفتُ اسم داهِن الذي لم تُقابِله ميرو من قبل أبدًا.

"مَن هو داهِن؟" سألتني.

"لقد كبرنا سويًّا".

"أرغب في لقائه".

"سوف تلتقينه".

"أرغب في العيش في ذلك البيت يومًا ما يا يون. أودُّ أن أحرث الأرض بيَديَّ هاتين مثلما فعَلَت جدَّتي، وأن أزرع البذور في التربة وأحصد الفاكهة في الخريف. وأن أزرع الخضراوات في الحديقة وأعيش من خير هذه الأرض وأكتب. لا بُدَّ أن جدتي قد تركت البيت لي لا لأختي لأنها عرفت أنه ما أرَدتُ. رغم أنني لم أعُد إليه أبدًا بعد ذلك الصيف، فقد عرَفَت جَدَّتي ذلك. البيت خالٍ الآن، لكنني أُخطِّط للعودة إليه وفتح أبوابه من جديد. بعد حادثة أختي، بات ذلك البيت مكانًا مُحرَّمًا، لا نتحدث عنه أبدًا، على الرغم من أنه لا أحد قد أخبرني بذلك بشكل مباشر. حتى عندما تركته جدَّتي لي، لم تُعلِّق أختي بأي كلمة. لم تكن الأمورُ سيِّئةً بيننا. كُنَّا مُقرَّبَتَيْن مثل أي أختين. لكن لم نتحدَّث عن الحادثة أو البيت ثانية. المرة الوحيدة التي ذكرت أختي البيت لي، كانت عندما أرادت أن تخبِّئَه هناك".

"تخبئه؟".

"الرجل الذي عَشِقَته كما عشقَت الباليه" أجابت. "عندما دخلت أختي الجامعة، أخذت إميلي وانتقلت إلى المدينة. عندما انضممت

وميونجسو إليها في العام التالي، بَدَت شخصًا مختلفًا. تلاشت الغمامة الداكنة التي أحاطت بها بعد أن توقَّفَت عن ممارسة الباليه. حتى صوتها قد عاد إلى طبيعته. أصبحت لديها تلك الطريقة المميَّزة في قول (ميرو! انظري إلى هذا!)، كلَّما رأت شيئًا أعجبها أو أدهشها، أو رغبت في التباهي به. لم تكن تعود إلى البيت كثيرًا خلال السنة التي قضتها لوحدها في المدينة؛ لهذا لم أرها في ذلك العام إلا لمامًا. كانت مشغولة دائمًا، وكنت أجهِّز نفسي لامتحان التقدُّم إلى الجامعة. بعد عام من الابتعاد عنها، استعاد شَعرُ أختي الأسود لمعانَه، وخدَّاها إشراقتهما. بدت خطواتها أخفَّ أيضًا. عادت إلى ما كانت عليه قبل الحادثة. كان كل هذا بفضل الرَّجُل الجديد في حياتها. أمست أيامها تدور حوله بدلًا من الجامعة. بدا خروج كلمات مثل (الاشتراكية) و(نظرية قيمة العمل)[1] و(حقوق الإنسان)- من بين شفتيها أمرًا طبيعيًّا. ولم يكن هذا هو التغيُّر الوحيد. رقَدَت كتبٌ لم أسمع بها من قبل فوق مكتبها، عناوينها تتضمَّن: (رأس المال وتاريخ الاقتصاد الغربي). كانت هنالك كتبٌ لكاتب يُدعَى (فرانز فانون)[2]، (صرخة حجر) و(كيف سقينا الفولاذ)[3]، و(مانفستو الشيوعية)[4]، (البيداجوجيا)[5]، و(التاريخ والوعي الطبقي). كنتُ أستيقظ في الصباح لأجد أختي تجلس على

---

(1) نظرية قيمة العمل: نظرية اشتراكية تقول إن قيمة سلعة ما ترتبط فقط بالعمل المطلوب لإنتاجها أو الحصول عليها. ترتبط النظرية بما يُعرف بالاقتصاد السياسي الماركسي.

(2) فرانز عمر فانون (1925- 1961): طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي فرنسي من مواليد جزر المارتنيك. عُرف بنضاله من أجل الحرية وضد العنصرية. من أهم كتبه: مُعَذَّبو الأرض، وبشرة سمراء وأقنعة بيضاء.

(3) كيف سقينا الفولاذ: رواية اشتراكية للكاتب الأوكراني نيكولاي أوستروفسكي، تدور خلال فترة حكم ستالين. نُشرت سنة 1936.

(4) مانفستو الشيوعية: بيان الحزب الشيوعي، وهو كُتيِّب نشره كارل ماركس وفريدرك إنجلز سنة 1948.

(5) البيداجوجيا: علم التربية. والبيداجوجيا مصطلح تربوي يوناني ويعني العبد الذي يرافق الأطفال إلى المدرسة.

المائدة، تقرأ كتبًا مثل كتاب (الوردة البيضاء)[1] بنفس الشَّغَف الذي كانت تقرأ به كتبًا عن الباليه في الأيام الخوالي. كانت تَنهَمِكُ في القراءة لدرجة يمكنك أن تمشي حتى تصل إليها من دون أن تشعر بذلك. أصبحتُ فضوليَّةً أكثر وأكثر تجاه هذا الرجل الذي جعل أختي تقرأ (لاهوت التحرير)[2]. لكن كل ما عرفته عنه هو ما أخبَرَتني هي به. ما كنتُ قد التقيتُ به بعد. ثم ذات يوم، أخبرتني أختي أنه قادِمٌ على العشاء. سألتني إذا كنتُ لا أمانع ذلك، لكن كل ما استطعتُ التفكير فيه هو أنني سوف أقابله أخيرًا. لن أنسى أبدًا ذلك اليوم. ليس بسببه، لكن بسبب الطريقة التي تصرَّفَت بها أختي. استَيقَظَت فجرًا وأخذت ميونجسو إلى سوق سمك نوريانججين لتشتري كمية من السَّلطعون الأزرق. قالت إنها المفضَّلة لديه. السَّلطعون الأزرق؟ تفاجَأتُ. لم يَبدُ لي أن هذه المعلومة تتماشى مع شخصية الإنسان الذي استطاع أن يجعل أختي تقرأ (سيرة نقدية لتشي جيڤارا). مع هذا اشترت وميونجسو السَّلطعون وأفرغته داخل حوض المطبخ. انتشرت حيوانات السَّلطعون في كل مكان، مخالبها لا تكفُّ عن الحركة. كانت لا تزال مُفعَمَةً بالحياة لدرجة أن ثلاثتنا قد تعاوَنَّا كي نُمسك بها. لم تكتفِ أختي بالسلطعون، بل اشترت قليلًا من كل شيء قادِمٍ من المحيط. بدا أنها مُصمِّمَة على نقل سوق السمك بأكمله إلى بيتنا: آذان بحر، ومحار، وبخَّاخات بحر، وخيار بحر. لا بُدَّ أنها قد صرفت نصف الإعانة التي يرسلها والدانا إلينا- المبلغ الذي يُفترض أن نعيش عليه لمدة شهر. أصبح المطبخ مسرحَ كارِثَةٍ. كانت السلطعونات قويَّة جدًّا.

---

(1) الوردة البيضاء: رمز حركة المقاومة الألمانية السِّلميّة في ألمانيا النازية التي نَشَطَت في الفترة من يونيو 1942 حتى فبراير 1943، حيث كانت تدعو إلى معارضة نَشِطَة ضد نظام أدولف هتلر. تألَّفَت الحركة من طُلَّاب جامعة ميونخ وأساتذتهم. أكثرهم شهرة صوفي شول، وهي الفتاة الوحيدة في الحركة، وشقيقها هانس شول، وقد أُعدِما في 22 فبراير 1943.

(2) لاهوت التحرير: مزيجٌ من اللاهوت المسيحي والتحليلات الاجتماعية الاقتصادية الماركسية، تُشدِّد على الاهتمام الاجتماعي بالفقراء والتَّحرُّر السياسي للشعوب المضطهَدَة.

أتذكر كيف حدَّقَت أختي إليها وقد عَلَت وجهَها نَظرَةُ عجزٍ، وكيف سألت ميونجسو ماذا يفترض أن تفعل معها. قال: (ربما سوف تموت إذا نَزَعتِ الصَّدَف عنها؟)، حاوَلَت أن تسحب صَدَفَةً عن سلطعون حيٍّ بيدها، لكن مخالبه كادت أن تلدغ يدها. لم أكن لأتصوَّر هذا أبدًا. عندما عشنا في بوسان، لم تُطِق أختي الرائحة التي يحملها معه الجَزرُ، لهذا لم تكن تذهب حتى إلى الميناء. توقَّفت السلطعونات عن الحركة قُربَ الغروب وكأنَّها قد ماتت من شِدَّة الإنهاك. طهت أختي عِدَّة قدور مليئة بالسلطعون بالبخار، ثم وضعتها في صينية. حاوَلنا مساعدتها، لكنها أصرَّت على فِعل كلِّ شيء بنفسها. تنامى فضولي بشأن صديقها الحميمي بشكل مُتزايدٍ- ما نوعية الشخص الذي استطاع أن يُغيِّر أختي تمامًا هكذا؟ بدا أن ميونجسو لم يَرَ أبدًا سلطعونًا يُطهى من قبل. قال إنه اعتقد أنه أحمر اللون دائمًا. اندهش من الطريقة التي اكتسب لحم السلطعون الأبيض اللونَ الأحمر أثناء الطهي بالبخار، لدرجة أنه واصل رفع غطاء القدر ليلقي نظرةً عليه بعدم تصديقٍ. تَذمَّرتُ: (لماذا السلطعون الأزرق من بين كل الأكلات؟)؛ من الصعب أكلُه، خاصَّةً أمام شخص قد التَقَيتَه للتَّوِّ أوَّلَ مَرَّة. عليك أن تُهشِّمَه لتفتحه وتُخرج اللحم بأصابعك... لم أستطع تَخيُّلَ نفسي أُخرج لحم السلطعون أمام شخص لا أعرفه. فكَّرتُ كيف سيستطيع شخصٌ واحد تناوُلَ هذه الكمية من السلطعون الأزرق حتى لو كان يحبُّه. كان من الغريب مشاهدة أختي تطبخ، لكن في الوقت نفسه شعرت بالدهشة والسعادة. كانت أوَّلَ مَرَّة أشاهدها تطبخ. كانت تعيش في بيتٍ للطالبات عندما انتقلت إلى المدينة أول مرة، وعندما أضحينا نعيش معًا، كنتُ وميونجسو نقوم بمعظم الطبخ. لم تَكُن دهشتي وسعادتي أنني قد رغبت منها أن تشارك في الطبخ. لم أتوقَّع أي شيء منها حقًّا. مع هذا ها هي تعدُّ حساءَ السمك المفلطح وعشبة النار بعد أن نظَّفَته وقَصَّته بنفسها".

"أكان طَعمُه جيدًا؟".

" لا أمتلك أيَّ فكرة؛ لم يتناول أيُّ أحَدٍ أيًا منه. تلك الصفحة بيضاء في مُفكِّرتي".

"ماذا حدث؟".

"لم يأتِ حبيب أختي في تلك الليلة أبدًا" تمتَمَت ميرو بالكلمات، صوتها خافِتٌ كما لو كان يصدر من مكان عميق بداخلها. "لقد اتَّصَلَ بينما تسلق أختي السلطعون. سَمِعتُها تخبره ألَّا داعي لأن يُحضر أي شيء معه؛ لهذا افترَضتُ أنه سألها إذا كان ينبغي عليه أن يشتري أي شيء في طريقه إلينا. لا بُدَّ أنه ألحَّ في سؤاله؛ لأنني سمعتها تقول (ميرو تُحبُّ الزَّنابق، لكن زهرة واحدة فقط). نَظَرتُ إليها فغمَزَت بعينيها إليّ. بدا أنه يعرف جيدًا أين نعيش. لا أعتقد أنه قد سأل عن الاتجاهات. مع هذا مضت ساعتان وبرد السلطعون ولم يظهر أبدًا. بعد بُرهَةٍ، عَمَّ الظلام. علا توَتُّرٌ شديدٌ وَجهَ أختي ميراي، فقُلتُ لها: (لا بُدَّ أن شيئًا ما قد طرأ. يمكننا أن نتناول الطعام معًا في مناسبة أخرى). تمتَمَت ميراي بشيء إلى نفسها، ثم قالت: (بالطبع يمكننا تناول الطعام معًا في وقت آخر)، ثم أضافت: (ليس العشاء ما يُقلقني. دعونا نأمل ألَّا يكون قد أصابه مكروهٌ). لم أفهم ما كانت تتحدَّث عنه. سألَتنا إذا كُنَّا نرغب في تناول الطعام الآن، لكن لم يكن أيٌّ مِنَّا في مزاج جيد للأكل وقد بَدَت هي قلقة للغاية. ذهبت إلى الهاتف وأجرت بضع مكالمات قصيرة قبل أن تَنتَعِلَ حذاءها وتندفع خارِجَةً من البيت. تبعتها إيميلي حتى الباب، لكنها غادرت من دون أن تنظر نظرةً واحدة إلى الوراء. كان سلوكها غريبَ الأطوار. ساور ميونجسو القَلَقُ وقرَّر أن يلحق بها فخَرَجتُ معه. عندما وصلنا إلى أسفل التل، كانت تقف عند حافَّة الطريق. كان المكان مُظلمًا والأشجار تصطفُّ على جانِبَيْ الشارع. خطت إلى الطريق وكانت على وشك أن تركض

لتعبره. اندفعت حافِلَةٌ مُسرِعَة أمامها مباشرة ثم توقَّفَت سيارة أجرة. دوَّى صرير عجلاتها. أخرج السائق رأسه من نافذة السيارة وأخذ يوجِّه السِّباب إليها. أمسك ميونجسو بيدها وقادها فوق الرصيف ثانية، لكنها ما انفكَّت تحاول التَّملُّصَ من قبضته والركض إلى الطريق. أَحَطنا بها وأبقينا عيوننا عليها. لم تُنصِت إلينا. بدت عصبيَّةً جدًّا لدرجة أننا لم نَقوَ على تركها بمفردها. في النهاية أخبرتُ ميونجسو أنه يجب علينا أن نَجُرَّها بالقوة إلى البيت إذا اقتضى الأمر، لكنها قفزت إذ فجأةً إلى داخل سيارة أجرة توقَّفَت عند حافة الطريق واختفت من أمام عيوننا في لحظة. تَسمَّرنا في مكاننا، نُحدِّق إلى سيارة الأجرة المنطلقة، لوقتٍ طويل، قبل أن نمشي بخطوات متثاقِلَةٍ صاعِدين التَّلَّ مُجدَّدًا. كان الوقت متأخرًا. غطَّى ميونجسو السلطعون المطهوَّ وأبعد الطعام الموضوع فوق المائدة. مع رحيل أختي، لم نستطع تصوُّرَ أننا سنتناول أي طعام".

رنَّ الهاتف مُجدَّدًا، وغطى على صوت الكونشيرتو الذي كان قد بدأ من جديد. توقَّف الرنين ثم عاد ثانية. شتَّتني رنين الهاتف لدرجة أنني فَوَّتُّ بعض ما قالته ميرو. لم تُبْدِ ميرو أيَّ رِدَّة فِعلٍ على رنين الهاتف. في الحقيقة كانت شارِدةً في أفكارها لدرجة أنني لم أستطع حمل نفسي على سؤالها لماذا لم تُجِب على الهاتف. تداخَلَ رنين الهاتف مع موسيقى البيانو قبل أن يتلاشى.

"لم تعد أختي إلى البيت في تلك الليلة أو اليوم التالي. ذهبنا إلى جامعتها وتفقَّدنا كل قاعة مُحاضَرَة ربَّما تتواجد فيها، لكن لم نعثر عليها. كان قد مضى يومان على رحيلها. لم أمتلك أدنى فكرة عن المكان الذي يمكن أن تكون فيه، أو ماذا تفعل، لكنها عادت وقد بدا عليها الشحوب والإنهاك. عيناها محتقنتان بالدَّم كما لو أنها لم تَذُقْ طعم النوم للحظة. سألتها (ماذا حدث؟)، لكنها نظرت إليَّ بعيون جاحظة وحسب. ارتمت على الفراش وراحت في النوم. اضطررت وميونجسو

إلى التَّخلُّص من كل المأكولات البحرية التي اشترتها ميراي. تعفَّن السلطعون وفاحت منه رائحة فظيعة. نظَّفنا المطبخ ومسحناه كي نتخلَّص من الرائحة. في كل مرة أفتح باب حجرة نومها، أجدها لا تزال نائمة.

رقدت إيميلي فوق الوسادة وأبقت عينيها على ميراي. مسح ميونجسو وجهها بقطعة قماش مُبلَّلة. نظَّفتُ يديها وقدميها. كانت مُرهَقةً جدًّا لدرجة أنها ظلَّت نائمة أثناء كل هذا. بعد النوم كما لو كانت مَيِّتة لنحو اثنتي عشرة ساعة، استيقظت فجأة كما لو أن أحدهم قد أفزعها، وبدأت تُجري المزيد من الاتصالات. ازداد وجهها شحوبًا مع كل مكالمة. في النهاية وضعت السَّمَّاعة ودفنت وجهها بين يديها لوقت طويل، ثم التقطت حقيبتها. سألتُها أين ستذهب لكنها لم تَرُدَّ.

لم أستطع السماح لها بالمغادرة ثانية. صرختُ: (ماذا عنَّا؟ لا يمكنك أن تتركينا في الظلام هكذا؟! لا بُدَّ أن تخبرينا شيئًا قبل أن ترحلي!)، كانت أول مرة أصرخ في وجهها منذ تلك الحادثة في بيت جدَّتنا. انهارت على الأرض ونظرت إليَّ من خلال عينين محتقنتين بالدم. قالت: (إنه مفقود يا ميرو). لم أعرف ماذا عَنَت في البداية؟ كيف كان بإمكاني تَكهُّن ذلك؟ كم تمنَّيتُ لو كان بوسعي تَوَقُّع ما سيأتي بعد ذلك. ولو قليلًا فقط. لو فعلت، لما كنتُ قد تركتها تغادر. قالت: (يجب أن أعثر عليه). بَدَت هادئة ورابِطَةَ الجأش مُقارَنةً بكيف بَدَت عندما كانت تُجري تلك المكالمات الهاتفية، أو عندما انهارت على الأرض أمامي منذ لحظات.

سألتني إذا كان من الممكن أن نُرسله للاختباء في بيت جدَّتنا إذا عثَرَت عليه. كانت أوَّل مرَّة نتحدث فيها عن ذلك البيت منذ كنَّا صغيرتين. وضعتُ مفتاح البيت في كَفِّها. لم أمتلك أدنى فكرة عن سبب

اختفائـه يـا يـون، لكـن تمنَّيـتُ مـن كل قلبـي أن يجـد مـلاذًا في بيـت جَدَّتنـا. إذا كان مضطـرًّا للاختبـاء، رغبـت أن يختبـئ هنـاك. لم أعـرف إذا كان إنسـانًا صالحًـا أم طالحًـا، أو مـاذا فعـل. لكـن بَـدَت أختـي مُنهكَـةً ومُغتمَّـةً لاختفائـه؛ لهـذا تمنَّيـتُ أنـه في مـكان مـا حيـث يمكـن لأختـي أن تجـده. لم أعتقـد أبـدًا أننـي سأشـعر بتلـك الطريقـة تجـاه إنسـان لم أقابلـه أبـدًا. مشـيت مـع أختـي حتـى البـاب الأمامـي، وطلَبـتُ منهـا أن تتصـل بي كل يـوم في التوقيـت نفسـه. قالـت إنهـا سـتتصل بي في منتصـف الليـل. في البدايـة حافَظَـت عـلى وعدهـا. كنـتُ أسـألها هـل كل شيء عـلى مـا يـرام، وكانـت تجيـب بـسرور أنـه كذلـك. لكـن كان صوتهـا يخمـد عندمـا أشرع في طـرح المزيـد مـن الأسـئلة. انخفـض عـدد مكالماتهـا مـن مكالمـة كل ثلاثـة أيـام إلى مكالمـة كل خمسـة أيـام فقـط، ثـم توقّـف الهاتـف عـن الرنـين. مـن حـين إلى آخـر كانـت تظهـر فجـأةً حيـث تبـدو في حالـة مُزرِيَـة. تنـام كالميتـة حتـى تسـتعيد نشـاطها، ثـم تأخـذ بعـض النقـود وتغـادر ثانيـة. أحيانًـا كانـت تربِّـت عـلى إميـلي، ونظـرة شـاردة في عينيهـا كـما لـو كانـت قـد أتـت فقـط لرؤيـة القطـة. بـدت لي الأيـام التـي كانـت تعـود فيهـا إلى البيـت لتنـام مـن شـدَّة التعـب أنهـا الأيـام التـي تكـون قـد تلقَّـت فيهـا أخبـار فظيعـة عـن حبيبهـا المفقـود. بعـد أن تدلـف إلى البيـت بخطـوات مُتثاقِلَـةٍ، وتنـام، كانـت تبـدأ فجـأة في الحديـث عنـه. أخبرتنـي أنـه في اليـوم الـذي كان يفـترض أن يـأتي فيـه إلى هنـا لتنـاول العشـاء، داهـم بعـض الرجـال بيتـه للبحـث عنـه. إذا حسـبنا الوقـت، فـلا بُـدَّ أن ذلـك قـد حـدث مبـاشرة قبـل أن يغـادر إلى منزلنـا. (مَـن هـم هـؤلاء الرجـال ولمـاذا ذهـب معهـم بـدلًا مـن القـدوم إلى هنـا؟)، واصَلَـت أختـي طـرح أسـئلة لا يمكننـي إجابتهـا. بَـدَت أسـوأ وأسـوأ في كل مـرة تعـود فيهـا إلى البيـت. (شـاهَدَه أحدهـم يركـب سـيارة أجـرة مـع أولئـك الرجـال، لكنـه قفـز خـارج السـيارة وركـض هاربًـا. مـاذا حـدث في سـيارة الأجـرة ودفعـه إلى الفـرار؟) كانـت تُتَمتِـمُ إلى نفسـها. ذات يـوم أخبرتنـي أن اسـمه الحقيقـي

هو مينهو. افترَضتُ أنها قد التقت بأسرته. أعتقد أنها وأخوه الأكبر كانا يبحثان عنه سويًا. بَدَت متفائلة، وقالت إن أخاه قد يتمكّن من العثور عليه، وأن أخاه يشبهه تمامًا. (يناديه بـ "مينهو")، تَمتَمَت اسمه عدَّة مرات. في مرة أخرى، عادت إلى البيت وقالت إن أحدهم قد شاهده يهرب إلى داخل الغابة أمام نقطة تفتيش تابعة للشرطة، لكن بدت مُحبَطةً وقالت إنه اتَّضح أنه لم يكن هو. ثم قالت، (لا، لا، ذلك شيء جيد. ما الذي سوف يستفيده من الاختباء في الغابة؟). استَطَعتُ أن أعرف أين كانت فقط من خلال الأشياء التي كانت تقولها باندفاع. أخبرها أحدهم أنه شاهد جُثَّته تطفو تحت جسر في بحيرة تشونجنا. ذهبت إلى تشونجنا لكن لم يكن هنالك أي أحدٍ، ولا حتى شخص يمكنها أن تسأله. في يومٍ آخر تمتمت: (لماذا صعد على متن ذلك القطار يا ميرو؟). كانت ترجع إلى البيت، تقول أشياء لا أفهمها، وتنام كالموتى، ثم تغادر من جديد. وفي كل مرة تَعِدُني وعدًا لا تُنفِّذه بأنها ستتصل بي كل يوم. كنتُ عاجِزةً أمامها بصورة مُضحكة. على الرغم من أن ذلك كان يجعلها تعبس، فإن الشيء الوحيد الذي كنتُ أستطيع قوله لها كان (إذا لم تَعِديني بأن تتَّصِلي بي كل يوم، فلن أسمح لكِ بالرحيل!). ما عرَفَته أختي من بحثها المتواصل أن عددًا كبيرًا جدًّا من الأشخاص قد اختفوا- الأمر لم يقتصر على حبيبها فقط. خلال بحثها عنه، بدأتُ ألاحظ أن الكثير من الناس كانوا يتجوَّلون في الأرجاء بحثًا عن أَحِبَّتِهم، وأصدقائهم، وزملائهم في العمل، وأبنائهم الذين اختفوا فجأة. كيف يمكن لشيء كهذا أن يحدث؟".

توقَّفَت ميرو عن الحديث للحظة. استشعرتُ أنها مُمزَّقَة بين الحاجة إلى المتابعة والبوح، ومعرفة متى ينبغي عليها أن تتوقَّف. بدت مُعذَّبةً بالكلمات التي لا تستطيع كَتمَها بداخلها، كما لو كان ثمة شوكة عملاقة محشورة في حلقها. وضعتُ يدي فوق يدها.

"إذا كان الأمر صعبًا عليكِ" قلتُ، "يمكنك التوقُّف عند هذا الحد. يمكنك إنهاء القصة لاحقًا".

"لا، أرغب في الحديث عن الأمر. لكن فقط إذا كنت لا تمانعين ذلك".

رنَّ الهاتف ثانية. تجاهَلَته ميرو وتابَعَت:

"تلقَّيتُ مكالمة هاتفية من أختي في وقت مبكِّر من صباح أحد الأيام. قالت إنها عادت وتحتاج إلى الاستحمام. طلبَت مني أن أقابلها في الحمام العمومي. اعتقدتُ أنها عَنَت بكلامها هذا أنها قد عادت بشكل نهائيٍّ. حزَمتُ ثيابًا نظيفة من أجلها. لباس داخلي وفرشاة أسنان ومنشفة... وهذه التنُّورة".

أبعَدَت يدي عن يدها وأشارت إلى التنوُّرة المزخرفة بالزهور، والتي كانت لا تزال ترتديها.

"إذًا فقد كانت تَنُّورة أختكِ؟".

"أجل. كانت ترتديها دائمًا في أرجاء البيت" أجابت، ثم استطردت: "حملتُ سلَّة استحمامها وذهبت إلى ذلك الحمام العمومي الذي كُنَّا فيه أنا وأنتِ آخر مرة. كانت بالداخل بالفعل. استحممنا سويًّا كما كُنَّا نفعل ونحن صغيرتان. دعكت كلٌّ منَّا ظَهْر الأخرى، وغسلت كلٌّ مِنَّا جسد الأخرى بالماء. بدا وجه أختي -التي لم يفارق التوتُّرُ وجهها منذ اختفاء حبيبها- مسالمًا ذلك اليوم. اعتقَدتُ أنها ربما عثرت عليه. عرضت عليَّ أختي أن تغسل شعري. اعتادت أن تفعل ذلك أحيانًا عندما كُنَّا أصغر سنًّا. أحببتُ الأمر حين كانت تغسل شعري. عصرت الشامبو في راحة يدها ودعكت فروة شعري بأصابعها برِقَّة. مسحت الرغوة وغسلت شعري بالماء عدَّةَ مرَّات، حتى باتت المياه صافيةً، ثم مشَّطَت شعري لتفرده، ثم لَفَّته إلى أعلى في ضفائر ثبَّتَتها في مكانها بمشابك شعر. مسَّدَت مؤخرة عنقي وسألتني كيف

تجـري الأمـور في الجامعـة. لسـعت عينـيَّ دمـوعٌ انحـدرت منهـا عـلى نحـو مفاجـئ. فكَّـرتُ أن حقيقـة أنهـا تسـألني عـن الجامعـة تعنـي أنهـا قـد عـادت إلى رشـدها. مكثنـا في الحـمام العمومـي لوقـت طويـل. عندمـا عدنـا إلى غرفـة تغيـير الملابـس، كانـت أطـراف أصابـع أقدامنـا متورِّمـة ومتجعِّـدة بسـبب الميـاه. جفَّفَـت أختـي جسـمي المبلَّـل بمنشـفَةٍ وجفَّفَـت شـعري حتـى ثـم دهنـت كريمًـا على ظهـري. ارتـدت الثيـاب التـي أحضرتُها مـن أجلهـا، لكـن عندمـا شـاهدت التنـورة، قالـت إنهـا سـوف ترتديهـا في البيـت. اعتقَـدتُ أن البنطـلون الجينـز مُتَّسِـخٌ جـدًّا كي ترتديـه ثانيـة، لكـن لم أفكـر في الأمـر كثـيراً. خرجنـا مـن الحـمام العمومـي حيـث اسـتعادت حقيبتهـا عنـد منضـدة الاسـتقبال. كانـت حقيبـةَ ظَهْـرٍ كبـيرة لم أرهـا مـن قبـل، مـن ذلـك النـوع الـذي تسـتخدمه عندمـا تذهـب للتخيـيم في الغابـة أو في رحلـة طويلـة عـبر البـلاد. بـدت ثقيلـة جـدًّا؛ فاقترحـتُ عليهـا أن تخلعهـا كي نسـتطيع أن نحملهـا معًـا. قالـت إنهـا لم تكـن ثقيلـةً كـما تبـدو، ثـم اقترحـت أن نتنـاول شـيئًا رغـم أنـه لم يكـن وقـت الغـداء؛ ففَهِمـتُ أنهـا جائعـة؛ لـذا تبِعتُهـا مـن دون اعـتراض. قادتنـي إلى مطعـم سـوشي افتُتِـح حديثًـا في الشـارع الرئيـسي، كنـت أرغـبُ في الذهـاب إليـه منـذ فـترة. لم تحـب أختـي السـوشي. ذكَـرتُ لهـا مـرة أن المطعـم يبـدو جيـدًا، لكـن لم نذهـب إليـه أبـدًا مـن قبـل. طلبنـا تشـكيلة متنوِّعَـةً مـن لفائـف السـوشي وشـعيريَّة أودون[1]. لِدَهشَـتي، بـدا أنهـا تسـتمتع بالطعـام رغـم أنهـا اسـتمرَّت في قـول إنهـا لم تتنـاول مثـل هـذا الطعـام مـن قبـل. كانـت جبهتهـا تتصبَّـب عرقًـا وقـد التهمـت كلَّ حصَّتهـا مـن قطـع السـوشي. بعـد أن فرغنـا مـن تنـاول الطعـام، أخرجـت مظـروف مانيـلًا مـن حقيبـة ظهرهـا وطلبـت منـي أن أحتفـظ بـه مـن أجلهـا. سـألتها إذا كانـت سـتعود إلى البيـت. قالـت إن عليهـا إعـادة حقيبـة الظهـر. أخبرتنـي أن أسـبقها إلى البيـت وسـوف تلحـق بي لاحقًـا. بـدت كأنهـا تعنـي ذلـك حقًّـا. أثنـاء

(1) أودون: نوع من المعكرونة اليابانية السميكة، تُصنَع عادة من دقيق القمح.

خروجنا من المطعم، أخبرتني أن أسرِع إلى البيت، فقُلتُ لها: (عِديني بأنك سوف تعودين)، أومَأت، بينما تسير مُبتَعِدَةً عنّي، قلتُ لها مرَّة ثانية: (عِديني). قالت: (حسنًا)، ثم كرَّرَت: (أسرِعي وعودي إلى البيت). قُلتُ لها إنني سأنتظر حتى تركب سيارة أجرة، لكنها أخبرتني أن أرحل، ودفعتني دفعةً خفيفة. لم يكن بوسعي فعل أي شيء؛ لذا التفتُّ لأغادر. في تلك اللحظة نادتني وعانقتني. كانت رائحتها تشبه رائحة الصابون الذي تَشارَكنا استخدامه في الحمام العمومي. (أنا آسفة يا ميرو. أنا آسفة) قالت ذلك مرَّتَيْن. أخبرتُها: (لا بأس، طالما سوف تعودين إلى البيت). حرَّرَتني من بين ذراعيها وأخبرتني من جديد أن أسرِع وأمضي في طريقي. قلتُ: (أراكِ قريبًا يا أوني)[1]. وبدأتُ أسير تجاه البيت. عندما التفتُّ ونظرت إلى الوراء، كانت تقف هناك تشاهدني. ثم التفتت بسرعة ورحَلَت. لا أعرف ماذا كان سبب ذلك، لكنَّ شيئًا ما لم يَبدُ طبيعيًا. شعرت أنني لا يجب أن أدعها ترحل. ركضت وراءها. شاهدتها تعبر الشارع وهي تحمل حقيبة الظهر الثقيلة، ثم أوقَفَت سيارة أجرة. عبرتُ الشارع بسرعة وقفزتُ داخل سيارة أجرة أخرى. أشَرتُ إلى سيارة الأجرة التي استقلَّتها وطلبت من السائق أن يتتبَّعها".

رنَّ الهاتف ثانية. هذه المرة توقَّفَت ميرو عن الحديث وأنصتت إلى الهاتف يَرِنُّ. مَن هذا الذي يتَّصل بها بهذا الإلحاح في مثل هذه الساعة؟.

"أيُمكنُكِ احتمال الاستماع أكثر قليلًا يا يون؟".

"واصِلي الحديث".

"قد تندمين على ذلك. ستندمين على أنكِ قد عرَفتِني".

(1) أونيْ: الاسم الذي تنادي به الأخت الصغرى على أختها الكبرى بالكوريَّة.

" لا بأس. تحدَّثي".

أمسَكَت ميرو بيديَّ بين يديها المشوَّهَتَيْن بالندبات. "إذا كان الاستماع إلى ما سأقوله صعبًا، أخبريني أن أتوقَّف. فقط قولي: هذا يكفي، تمام؟".

"تمام".

"كانت سيارة الأجرة التي استقلَّتها أختي تتوجَّه إلى جامعة حبيبها. عندما اقتربنا من الجامعة، كان المرور مزدحمًا والسيارات متوقفة. ترجَّلَت أختي من سيارة الأجرة ففعلتُ مثلها. يكتظُّ الشارع المؤدِّي إلى الجامعة بالناس. اعتقَدتُ أنهم قد أقاموا مسيرةً للاحتجاج على اختفائه. وقعت عيناي على راية طُبِعَ عليها اسمه ووجهه ترفرف في الرياح. توقَّفَت ميراي ونظرت إلى صورته. ظَنَنتُ أنها ستنضمُّ إلى المسيرة؛ فقرَّرتُ العودة إلى المنزل، ففي النهاية كنتُ لا أزال أحمل سلَّتَيْ الاستحمام الخاصَّتين بنا. لكن أختي عبرت الشارع بدلًا من الانضمام إلى مجموعة المحتجِّين. توقَّفَت أمام بناية من عشرة طوابق وحدَّقت إلى السطح. حدَّقتُ إلى أعلى بدوري متسائِلةً إذا كانت قد لمحت شيئًا ما بالأعلى هناك، لكن لم أستطع معرفة إلى ماذا تنظر. ماذا تفعل هنا؟ فكَّرتُ وواصَلتُ تَتبُّعَها. تجوَّلَت بعينيها في أرجاء البناية وهي تحمل حقيبة الظهر الثقيلة على كتفيها. اختفت من مجال بصري فجأة. هَروَلتُ وأنا أحمل السلَّتين في يديَّ إلى واجهة المبنى حيث اختفت وبحَثت عنها في كل مكان. كان الأمر غريبًا. لم يكن هنالك مقاهٍ أو مطاعم بالداخل. كانت البناية مجرَّدَ مَقرٍّ شركة اتصالات. في المكان الذي اعتقَدتُ أنها ربما اختفت فيه كان يوجد دَرَجٌ. صعدت درجاته. الطابق الثاني فالثالث فالرابع، حتى وصلت أخيرًا إلى الطابق التاسع والعاشر. بعد ذلك وجدت نفسي أمام السطح. تساءلت لماذا ستصعد أختي إلى سطح مبنى شركة اتصالات

مـن دون سـبب واضـح، قبـل أن أهـمّ بالالتفـاف والهبـوط ثانيـة. لكـن في تلـك اللحظـة لمحـتُ مـيراي عـبر شـقٍّ في البـاب المـؤدِّي إلى السـطح. كانـت تقـف عنـد حافـة السـطح وتنظـر إلى أسـفل نحـو الشـارع حيـث يقـف المتظاهـرون ورجـال شرطـة مكافحـة الشـغب، يواجـه كلُّ فريـق منهـما الآخـر. بَـدَت يائِسَـةً جـدًّا. حتـى تلـك اللحظـة لم أمتلـك أي فكـرة عـمَّا تُخطِّـط لأن تفعلـه. كيـف كان بإمـكاني أن أعـرف أنهـا تُخطِّـط لفعـل شيء مُتطـرِّفٍ ومُرعِـبٍ جـدًّا؟ نظَـرَت إلى النـاس في الأسـفل ثـم خلَعَـت حقيبتهـا عـن كتفيهـا ووضعتهـا عـلى الأرض. فتَحَتهـا ونظـرت داخلهـا لبُرهَـةٍ كـما لـو كانـت تسـتجمع شـجاعتها. حتـى حـين أخرجـت حاويـة بلاسـتيكية بيضـاء، وقفـتُ متسـمِّرَةً في مـكاني، غافِلَـةً تمامًـا عـمَّا تفعلـه. نزعـت سـدادة الحاويـة وجاهَـدَت كي ترفعهـا فـوق رأسـها. غمـرت نفسـها بمحتوى الحاويـة مـن قِمَّـة رأسـها حتـى قدميهـا. مـاذا تفعـل؟ تسـاءلتُ في قلـقٍ ودَفَعـتُ البـاب لأفتحـه. ثـم اخترقـت الرائحـة منخـاري. أدركـت الأمـر في لحظتهـا. كانـت رائحـة جازولـين. ركضـتُ إليهـا وحاولـتُ أن أصرخ. لكـن لم يخـرج أي صـوت مـن حنجـرتي. فقـد لسـاني الإحسـاس تمامًـا وتخبَّـط داخـل فمـي كأنـه قـد نـسي كيـف يتكلَّـم. عندمـا تمكَّنـتُ أخـيرًا مـن أن أصرخ بالكلـمات (أونِّي! أونِّي!)، التفَتَـت لتنظـر إليَّ. وجههـا شـاحب مـن شـدَّة الخـوف. لمعـت قِمَّتـا رأسـينا تحـت الشـمس الحارقـة. بـدا كأن كل الضوضـاء والصيـاح في الشـارع في الأسـفل قـد توقَّفَـت إذ فجـأة. أضحـى كل شيء صامتًـا كـما لـو كُنَّـا في فـراغ. فقـط نحـن الاثنـان. (لا تقـتربي أكـثر يـا مـيرو. اخرجـي مـن هنـا. عـودي إلى البيـت). تَوسَّـلَت كي أرحـل. لكـن لم ترفـع صوتهـا أبـدًا. (هيَّـا، تَحـرَّكي واخرجـي مـن هنـا. أرجـوكِ، ارحـلي يـا مـيرو!). غَطَّيـتُ أذنيَّ بيـديَّ وصرخـتُ: (هـل أنـتِ مجنونـة؟ أرجـوكِ لا تفعـلي هـذا! إنـه لا يسـتحقُّ أن تفعـلي هـذا مـن أجلـه...) مَـرَّت الثـواني ببـطء شـديد كأنهـا لا تتحـرَّك. وقفنـا هنـاك عـلى السـطح، تُحـدِّق كُلٌّ مِنَّـا إلى الأخـرى، في توسُّـلٍ. أرجـوكِ. لا. ثـم بـدا أنهـا لم تسـتطع الانتظـار أطـول

مـن ذلـك. انحنـت وفتَّشـت في حقيبـة الظهـر، والجازولـين يتقاطـرُ منهـا، وسـحبت شـيئًا مـا خارجهـا. اندفعـتُ إلى الأمـام وأمسـكت بحقيبـة الظهـر لكنهـا دفَعَتنـي بعيـدًا. سـقطتُ إلى الـوراء. حاوَلَـت أن تُشـعل القدَّاحـة، لكـنَّ يديهـا كانتـا زَلِقَتَـيْن جـدًّا، فأخرجـت علبـة ثقـاب وأشـعلت عـود ثقـاب. صرخـتُ وقفـزت واقفـة. عندمـا أمسـك اللهـب الصغـير لعـود الثقـاب بجلدهـا، أمسـكتُ بيديهـا فأحرَقَـت النـيران يـديَّ. شـعرت كأن آلافًـا، عـشرات الآلاف مـن الإبَـرِ الحـارَّة المُلتهبـة تخـترق يـديَّ في اللحظـة نفسـها. شـاهدت جـذوة النـار تُمسـك بحاشـية قميصهـا، ثـم التهمـت وجههـا وشـعرها في لحظـة. لم أفعـل شـيئًا سـوى الجـزع. كل مـا أتذكَّـره هـو الدخـان الأسـود. أصـوات الجمهـور في الأسـفل الذيـن لفتنـا انتباههـم أخـيرًا. صيحـات مُعذَّبـة... وأخـيرًا أختـي وهـي تهـزُّ يَـديَّ لتتخـلَّى عنهـا... وجسـدها وهـو يسـقط مـن فـوق الدرابزيـن. شـاهَدتُ جسـدها المحـترق يطفـو في منتصـف الهـواء للحظـة. ذراعاهـا مفـرودان نحـو السـماء. انهَـرتُ عـلى ركبتـيَّ كـما لـو أن شـيئًا مـا قـد طرحنـي أرضًـا. عَجَـزتُ عـن الحركـة. ظَنَنـتُ أننـي قـد سـمعت هزيـمَ رَعـدٍ، ثـم رأيـت برقًـا ينبعـث مـن السـماء، لكـن كانـت مجـرَّدَ هلوسـة. كانـت السـماء زرقـاء جـدًّا في ذلـك اليـوم.

اندفع الناس فوق السطح ونقلوني إلى المستشفى".

***



مُذكّرات ميونجسو

المفكرة البُنّيّة "7"

-1-

سألتني يون التي باتت مُقِلّة كثيرًا في كلامها بعد أن قضت تلك الليلة في بيت ميرو: "أين كنتَ عندما ماتت أخت ميرو؟". كنّا قد فرغنا للتَّوِّ من تناول حساء شعيرية أعددتُه في مطبخ يون، وكنتُ أقف على السطح، أشخص ببصري نحو برج نامسان الذي يلمع على مبعدة. طلَبَت يون مني أن أعدَّ الحساء بينما نمشي عائدين إلى شقتها من الجامعة. كنتُ أعدُّ لها الحساء من حين إلى آخر. كانت شجيرة النخيل فوق مكتب يون تنمو. جلست يون على المائدة القابلة للثني في المطبخ وقد أسندت ذقنها إلى يدها وراقَبَتني وأنا أملأ قِدرًا بالماء وأضعه فوق الموقد. الطهي من أجلها يُذكِّرني بالحياة مع ميرو وأختها ميراي. لكن عندما قَدَّمتُ لها الحساء بعد طهيه، بالكاد لمسته. استمرّت في نقل الشعيرية من طبقها إلى طبقي. "ألم تقولي إنكِ

تريدين تناول الشعيرية؟" سألتها. قالت بنبرة باردة: "ليس بعد الآن". تناولتُ كل الشعيرية الخاصة بها تقريبًا مع شعيريتي. انتظرت يون حتى أصبحنا خارج شقتها فوق السطح، ننظر إلى أسفل نحو أضواء المدينة كي تسألني أين كنتُ عندما ماتت أخت ميرو. غاص قلبي في مكانه. اندفعت قائِلًا لسبب غبيٍّ لا أعرفه: "إذًا تعرفين الآن؟"، فقالت لي: "لم أكن أعرف أن شقيقة ميرو هي يون ميراي التي انتشر خبر انتحارها". لم أمتلك الشجاعة كي أسألها إذا كانت تعرف أن الندبات على يدَيْ ميرو بسبب إمساكها بأختها. لكن بدا أن يون تخمِّن ما أفكِّر فيه؛ لأنها ذكرت الأمر قبل أن أستطيع أنا. لم يتحدث أيٌّ مِنَّا للحظة. شعرت بكتلة في حلقي. مَدَدتُ يدي نحو يد يون لكنها سَحَبتها بعيدًا. كانت تلك اللحظة هي اللحظة التي أدركتُ فيها كم تمنَّيتُ سرًّا ألّا تصبح يون وميرو صديقتين أبدًا. ومضت أضواء المدينة فوق وجه يون. قالت: "كيف حدث شيء كهذا؟" تجهَّم وجهها. بدا كأن ألم ميرو قد انتقل إليها. "كيف حدث ذلك؟" لقد سألتُ نفسي السؤال ذاته مرَّاتٍ عديدة. حبيب ميراي الذي اختفى في الليلة التي كان يفترض أن نتناول فيها العشاء سويًّا، غالبًا ميِّتٌ بالفعل. داخل المظروف الذي أعطته ميراي لميرو مُذكَّرات مُفصَّلة عن كل شيء عرفته أثناء البحث عنه. لا بُدَّ أنها قد أدركت أنه لن يعود أبدًا. ربما فعَلَت ما فعلته لأنها واجهت الحقيقة أخيرًا. قالت إنه في الليلة التي كان يفترض أن ينضمَّ إلينا فيها على العشاء، شُوهِد يستقلُّ قطارًا مع رجال غرباء أتوا للبحث عنه في الجامعة. بعد أن ماتت أختها، أخذت ميرو مهمة البحث عن حبيب أختها على عاتقها، وانضممتُ أنا إليها. هكذا اكتشفتُ اختفاء الكثير جدًّا من الأشخاص. عُثِرَ على بعض المفقودين موتى لاحقًا داخل سيارات مُحطَّمة، أو بجماجم مُهشَّمة؛ بسبب ما قيل إنه "سقطات عرضية"، أو بمَعِدَةٍ مُنتَفِخَة بالمياه في صهاريجَ، حيث لا مُبرِّر لوجودهم هناك. قالت يون إنها لا تعرف

ماذا تقول أو تفعل من أجل ميرو. "سماع الأمر مُؤلِمٌ جدًّا" قالت. "فكيف تستطيع ميرو...؟". لم تتفوّه يون بكلمة أخرى حتى رحلتُ. غادرت شقَّتَها بعد منتصف الليل، وكنتُ أسير هابطًا التل عندما هتَفَت باسمي وأتت تركض نحوي. عندما التفتُّ، ألقت نفسها بين ذراعيَّ وأخبرتني ألّا أذهب. يمكنني الشعور بصدرها يعلو وينخفض مقابل صدري. بَلَّلَت دموعها ظهرَ قميصي. وقفنا في تلك البقعة كما لو أننا لن نتزحزح من مكاننا أبدًا.

***

-2-

سألتني ميرو إذا كُنّا نستطيع الانتقال للعيش معًا.

"كما كُنّا في الماضي. لكن هذه المرة مع يون؟" سألَتني. بعد الليلة التي قضياها معًا لم يعودا يون ميرو وجونج يون بالنسبة إلى كلٍّ منهما. تَخَلَّيا عن الرسميات تمامًا، وأصبحتا: ميرو ويون فقط. أمسى وجه ميرو هذه الأيام مُشرِقًا بينما أضحى وجه يون مُتجهِّمًا. سألتُ ميرو إذا كان ذلك ما تريده حقًّا، فقالت: نعم.

"هل وافقَت يون على هذا؟" سألتها. قالت إنها تنتظر ردَّها. "في البيت نفسه كالسابق؟" أومأت. "إذا وعدتني أنك سوف تتوقَّفين عن البحث عنه" أخبرتها. "سوف أنتقل للعيش في البيت معكِ".

تَمتَمَت بشيء ما بصوتٍ لا يُسمع. كنتُ خائفًا ممَّا قد تقوله بعد ذلك.

"لقد قالت يون إنها ستساعدني في البحث عنه" قالت أخيرًا.

تحاشت النظر في عينيَّ. شعرت أنها تسألني إذا كنتُ قد نسيت أمر ميراي بالفعل. بعد كل الوقت الذي قضيناه في البحث عنه، أدرَكتُ بداخلي أنه قد مات. لا بُدَّ أن ميرو تدرك ذلك أيضًا. كيف لا تستطيع الشعور بما أشعر به؟ لقد سَكَبَت أختها الجازولين فوق جسدها وأضرمت النار في نفسها كي تبعث رسالة إلى الجميع عن اختفاء حبيبها المريب وموته الغامض. مجرَّد التفكير في الأمر يجعل كُلَّ ذَرَّة في جسدي تتوجَّع. كما لو كنت أنا مَن احترق. إذا كان هذا هو شعوري ولم أكن حتى هناك، فلا يمكنني تخيُّل كم كان الأمر أسوأ بالنسبة إلى ميرو التي شاهدت أختها تحرق نفسها حتى الموت أمام عينيها.

لا بُدَّ أن ميراي تواصل الاحتراق في ذهن ميرو طيلة الوقت. شعرت بغضب واستياء شديدَيْن نحو ميراي. ألم تكن هنالك طريقة أخرى كي تُوصل رسالتها إلى العالم؟ رغم تعاطفي مع الشعور الذي لا بُدَّ وقد انتابها- ما كان عليها الإقدام على هذا. سألت ميرو إذا كانت ترغب في أن تعاني يون مثلنا.

"ماذا تعني بـ (مثلنا)؟" قالت ميرو.

صرختُ في وجهها: "انظري إلينا! هل تعتقدين أننا طبيعيَّان؟ انظري إليكِ! إنَّكِ تُهدرين حياتكِ!".

لم تكن كلماتي مُوجَّهَةً إليها فقط، بل إلى ذاتي أيضًا.

بعد انتحار ميراي، سمحتُ وميرو لكل شيء أن ينهار. ماذا كان سيحدث لنا لولا يون؟ مجرَّد التفكير الآن في الحياة بدونها يجعلني أشعر أنني محبوس داخل كهف.

***

-3-

مـع مـرور كل يـوم، أضحـى ألم مـيراي ألمـي. لا بُـدَّ أنهـا قـد عَلِمَـت بمـوت الآخريـن الذيـن اختفـوا أيضًـا أثنـاء بحثهـا العبثـي عـن حبيبهـا المُختفـي تمامًـا كـما عرفنـا أنـا وميرو ذلـك خـلال بحثنـا. لماذا صعـد عـلى مـتن ذلـك القطـار بصحبـة أولئـك الغربـاء، عندمـا كان يفـترض بـه تنـاول العشـاء معنـا؟ متـى كان يُخطِّـط للانسـحاب مـع القـادة الآخريـن مـن تنظيمـه السـياسي؟ قـال أحدهـم إنـه قـد عُـثر عـلى جُثَّتـه عـلى سـطح جزيـرة. لكـن اتَّضَـح أنهـا ليسـت جُثَّتـه. ذهبـت مـيراي بنفسـها غالبًـا إلى تلـك الجزيـرة أيضًـا. لا بُـدَّ أنهـا عرفـت أنهـا ليسـت جُثَّتـه، لكـن ربمـا عجـزت عـن مَحـوِ صـورة جُثَّـة ذلـك الشـخص التـي انجرفـت في المحيـط، وجثـة الآخـر الـذي قيـل إنـه انزلـق وتهشَّـمَت جمجمتـه. وجُثَـث المختفين التـي عُـثر عليهـا في الصهاريـج وأثبـت التشريـح الجنـائي أن رئاتهـم وكُلاهـم وطحالاتهـم وقلوبهـم وأكبادهـم قـد امتـلأت بالعوالـق[1].

***

-4-

تـولَّى نـاك سـوجانج قيـادة جـولات المـشي في المدينـة. في اليـوم الأول مـن جولتنـا الليليـة حـول جـدار الحصـن القديـم برفقـة نـاك سـوجانج والأسـتاذ يـون، أتـت يـون مـع صديـق. قالـت إنهـما قـد كـبُرا معًـا وأنـه اسـتقلَّ قطـار الليـل مـن دون أن يخبرهـا أوَّلًا؛ لهـذا اضطـرَّت لأن تُحـضره معهـا. اسـمه داهِـن. اسـتمع داهِـن بهـدوء بينـما تُقدِّمـه يـون إلى المجموعـة.

---

(1) العوالـق: مجموعـة مـن الكائنـات الحيـة تعيـش في الميـاه العذبـة والمالحـة مثـل الأمشـاج واليرقـات وقناديـل البحـر والطحالـب وغيرهـا. تعيـش العوالـق في أغلـب الأحيـان في حالـة مُعلَّقـة، سـواء بشـكل سـلبي أو عـن طريـق السـباحة ضـدَّ التيـار.

"سوف ألتَحِق بالجيش خلال أسبوع." قال. "لهذا أتيت إلى المدينة لرؤية يون قبل ذلك".

لا أعتقد أن يون كانت تعرف أنه سيبدأ خدمته العسكرية. اتَّسعَت عيناها دهشةً. قرَّرنا أن نُداعِبَه قليلًا.

"هل اشتَرَيتَ بندقيَّة؟".

" بندقية؟" سأل.

"أجل. بندقية إم 16. انتَظِر، هل تعني أنك سوف تلتحق بالجيش ولم تَشتَرِ بندقيَّتَك بعد؟".

"أيُفتَرَض أن أفعل ذلك؟" بدا داهِن جادًّا جدًّا، لدرجة أن الأستاذ يون وميرو انفجرا ضاحِكَيْن. فقط يون مَن لم تضحك.

"يجب أن تمتلك بندقيَّة".

"يجدر بك أن تذهب وتشتري واحدة حالًا".

"أعرف مكانًا يمكنك أن تشتري منه بندقية. يمكنني إرشادك إليه".

بدأ الجميع يشارك في المحادثة. أخبروه عن نوع البندقية التي يجب أن يشتريها وأي متجر قرطاسية يبيعها بسعر رخيص. أضاف الأستاذ يون حتى، "تأكَّدْ من إضافة رصاص حيٍّ إلى صندوق غدائك".

بلع داهِن الطُّعم وحَدَّق إلينا مصدومًا وهو يقول: "حقًّا؟ حقًّا؟". لكن حين أدرك أخيرًا أننا نمزح، استرخى وجهه وضحك بدوره.

"لا تقلقوا" قال. "سوف أجد بندقيَّةً جيِّدة. انتبهوا!".

بينما نمشي، لم أستطع التوقُّف عن الالتفات والنظر إلى يون وداهِن. حتى ميرو التي كانت تتبع الأستاذ يون كظِلِّه، كانت تلتفت لتنظر إليهما من حين إلى آخر. بدا أن يون مَن تتكلم أغلب الوقت بينما داهِن يستمع إليها. سَمِعتُها تسأله: "ماذا ستفعل لتتجاوز التدريبات

العسـكرية؟ ومـاذا لـو صادَفـتَ عناكـب في العـراء أثنـاء التدريـب؟" بَـدَت قَلِقَـةً. لكـن لمـاذا العناكـب بالتحديـد؟ تملَّكَنـي الفضـول لسـماع المزيـد، لكـن أصواتهـما قـد باتـت خافتـة. أدهشـتني حقيقـة أن يـون يمكنهـا الحديـث بحريـة شـديدة مـع شـخص مـا لدرجـة أن ذلـك قـد وَتَّـرني قليـلًا.

***



-8-

قاربٌ صَغير مُنفرد

يون.

ظننـتُ أنني لـن أكتـب لأي أحـد في الخـارج حتـى أنهـي خدمتـي العسـكرية. لكـن هـا أنـا هنـا أكتـبُ إليـكِ؛ لـذا افـترض أنـه كان قـرارًا بـلا معنـى. كتبـتُ عـلى ورقـة بيضـاء اسـمَكِ بالكامـل: "جونـج يـون"، ثـم كتبـتُ اسـمَكِ الأول فقـط: "يـون"، وهكـذا دواليـك، لأكـثر مـن عـشر مـرات. الآن فقـط كتبـتُ "يـون" ثانيـةً، ثـم وضعـت نقطـة، وجلسـت وحدَّقـتُ إلى اسـمكِ لوقـت طويـل. لمـاذا أقـاوم كتابـة الرسـائل؟ يتقلَّـص الآن إحسـاسي بأننـي جنـدي في حـرب، ويغلـب علـيَّ شـعور أننـي رجـلٌ في صراع مـع رغبتـه في الكتابـة.

كتبت أختي إليّ كي تخبرني أنكِ قد سألتِها عن عنواني. منذ ذلك الحين وأنا أنتظر كل يوم أن تصلني رسالة منكِ. لا أعني ردًّا على رسالة كتبتها إليكِ، بل رسالة تُبادرين أنتِ بإرسالها أولًا.

ندعو الجميع خارج الجيش بـ"المدنيين". بمعنى آخر: أنتِ مَدنيَّة، وأنا جندي. ستضحكين غالبًا عندما أخبركِ أنني قرَّرتُ ألَّا أكتب إلى أيِّ أحد في الخارج؛ لأنني رغبت في أن أعيش كجندي حقيقي. لكن طالما أنا هنا في الخدمة العسكرية، فذلك كل ما أريده. هذا المكان هو مَنفَذي للهروب. أرغب في نسيان الجانب الرقيق منِّي، الذي عاش في الخارج هناك في المجتمع، وأن أصبح قويًّا ومُسلَّحًا من خلال النظام والتدريب. أتيتُ للقائكِ قبل أن ألتحِقَ بالجيش لأنني كنت مُصَمِّمًا ألَّا أكتُبَ إليك أو أرى وجهكِ حتى أُنهي الجيش. لكن عزيمتي ضعيفة.

استغرق الأمر مني سنَةً كي أدرك أن مشاعري نحوكِ شيء لا يمكنني التحكُّم فيه. أخشى أن أطلب منكِ في هذه الرسالة أن تأتي لزيارتي. لكن لو تَصادَفَ وكتبتُ تلك الكلمات، يجب ألَّا تستمعي إليّ وتأتي. لقد حرَّمت على أفراد عائلتي حتى زيارتي. لا أرغب في رؤية أي مدنيين في هذا المكان. أعني ذلك. لقد هَدَّدتُ أمي وأختي الكبرى أنني سأتهرَّب من التجنيد إذا حاوَلَتا أن يأتيا معي في أول يوم، أو حاوَلَتا أن يزوراني عندما أخذت أول إجازة. قلتُ إنني بهذه الطريقة سأتمكَّن من أن أؤدِّي جيدًا في تمارين التصويب، وسأكسب إجازةً؛ مُكافَأةً على ذلك، وهكذا سوف أزورهما بنفسي. لكن لم أستطع الإيفاء بذلك الوعد. اقتنص شخص آخر الجائزة، وشارك كعك الأرز الذي أعطَته له أُمُّه مع بقيتنا عندما عاد من زيارة عائلته. أراهن أنكِ تفكرين، هل سيسمحون لك بأخذ إجازة حقًّا لو كنت قنَّاصًا جيدًا؟! ربما ستضحكين وتخبرينني أن أكُفَّ عن المزاح. لكنني قد وجدت نفسي هنا يا يون. لقد اتَّضح أنني قنَّاصٌ ممتاز.

يون.

ها أنا أكتب اسمكِ ثانية وأحدِّق إليه لوقت طويل. أفكِّر كثيرًا في أصدقائك الذين قابلتهم عندما زُرتكِ آخر مرة. لقد أسعدني أن أراكِ تمتلكين أصدقاء مثلهم بجانبكِ. ولم أتصوَّر أيضًا أن الفرصة ستسنح لي بأن ألتقي بالأستاذ يون، الذي عرفته من خلال كتبه فقط. بدا كل منكم جميل جدًّا. بدا الأستاذ يون صارمًا، لكن دافئًا في الوقت نفسه. أحسدكِ لأنه أستاذكِ. ربما السبب الذي جعلني أهرب من حياتي إلى الجيش هو أنني لا أمتلك أصدقاء مثل أصدقائكِ حيث كنتُ. شعرت أنني أصبحتُ جزءًا من كيان عندما كنتُ برفقتكم. الساعات التي قضيناها في المشي مع أصدقائك بطول جدار الحصن كانت أشبهَ بحلم. لا أنتظر أي أحد يا يون، لكن أتمنَّى لو أستطيع أن أعيش ثانية تلك الليلة التي قضيناها جميعًا في التخييم طيلة الليل في خيمة نُصِبَت بجرأة وعلى نحو غير قانونيٍّ بجوار جدار الحصن الأثري. ستبقى تلك الذاكرة معي حتى أغادر الجيش. النوم في ذلك البيت أيضًا وتناوُل العشاء معكِ وميرو وميونجسو- أتمنَّى أن تظلَّ تلك الذكرى معي لبقيَّة حياتي. مَن صاحب ذلك الجيتار؟ تلك الأغاني التي غنَّيناها معًا. التفكير أنني عشت عِدَّةَ أيام مع أشخاص قد قابَلتُهم للتَّوِّ. لماذا ظلَّ ذلك البيت مهجورًا كل ذلك الوقت؟ أتذكَّر النظرة في عيون ميونجسو وميرو عندما شاهدا أننا قد هذَّبنا كل الحشائش في الفناء في الصباح التالي. أحيانًا أتساءل إذا كان أيٌّ مِمَّا حدث حقيقيًّا. على الرغم من أنني قد ذهبت إلى البيت مرَّةً واحدة فقط، فإنني متأكِّدٌ أنني سأستطيع أن أجد طريقي إليه مُجدَّدًا من دون أن أتوه، وهذا يعني أنه لم يكن حلمًا. كنتُ مُمتَنًّا جدًّا لقضاء ذلك الوقت بصحبتكم. لا أستطيع أن أصدِّق أنني أخبركِ بذلك الآن فقط.

أتساءل إذا كانت لا تزال ميرو تسجِّل كل شيء تتناوله. مازَحتُها إذا واصَلَت المشي مَحنيَّة الظهر فسوف تصبح حدباءَ مع مرور الوقت. هل لا تزال تسير بتلك الطريقة؟ ذات ليلة عندما كنَّا في ذلك البيت، استيقَظتُ وذهبت لأشرب بعض الماء. كانت مُفكِّرَةُ ميرو موضوعةً على المائدة، فاختلست النظر إليها. لم أرَ مُفكِّرَةً مثل هذه من قبل. لم أقابل من قبل أبدًا شخصًا يتحمَّل عناء تدوين كل شيء يأكله. في تلك الليلة بينما أتصفَّح القوائم التي سجَّلَت فيها كل شيء تتناوله كل يوم، داهَمَني شعور غريب. بعد بُرهَةٍ بدأت تلك القوائم تتراءى إليَّ كقصائد شعرية. كما لو كانت تصرخ: أنا ما آكله وما أكلته. من حين إلى آخر أجد قائمة حيث تنغمس ميرو في تسجيل تفاصيل كل شيء تأكله بدقَّة شديدة. كنت أتألَّم في كل مرة أصادف إحدى تلك القوائم. قرأت أيضًا تلك الأجزاء المتناثرة بين القوائم حيث تكتبون ثلاثتكم القصص معًا. أعطتني لمحة على الطريقة التي تقضون بها الوقت معًا. دخلت ميرو إلى المطبخ إذ فجأة ولمحتني أقرأ مُفكِّرتها. تعامَلَت ميرو مع الموقف بهدوء بينما كنتُ أنا مَن تفاجأ. سألتني مَن فيكم كاتِبٌ أفضل في اعتقادي؟ لكن لم أكن أفكِّر في جودة الكتابة عندما كنتُ أقرؤها، بل ما سحرني فعلًا هو حقيقة أن ثلاثة خطوط يد مختلفة يمكن أن تتناغم بمثل هذا الجمال. هل يبدو غريبًا أن أقول إنني وجدت شيئًا مُطَمئِنًا في تلك القصص المتداخلة؟ أخبرتها أنني أرغب في إضافة رسوم مُعبِّرة عن قصصكم في هوامش الصفحة، لكنها طلبت مني أن أفعل ذلك في وقت لاحقٍ حين نلتقي جميعًا ثانية في يوم ما. أحيانًا أفكِّر في ذلك الوعد الذي قطعناه أنا وهي. أن ذلك اليوم سوف يأتي. أعني أننا سنلتقي ثانية يومًا ما، وأنني سأرسم رسومًا عن القصص التي كتبتموها.

يون.

كيـف كان بإمـكاني حتـى أن أتصـوَّر أنـك سـوف تأتـين إلى منطقـة الانتظـار في مركـز التدريـب وأنـتِ تحملـين كتـاب قصائـد لإيميـلي ديكنسـون؟ عندمـا هتفـتِ باسـمي مـن عـلى مبعـدة، اعتقـدتُ أننـي أتوهَّـم. ولم تـأتِ بمفـرَدِكِ فحَسـبُ، بـل أحـضرتِ معـكِ ميونجسـو وميرو، وحتـى القطـة إيميـلي. كنتـم أمامـي فجـأة في الوقـت الـذي كنـتُ فيـه متعبًـا ومكتئبًـا مـن منعـي لأمـي وأختـي مـن زيـارتي. اعتَـدتُ عـلى أن أكـره فكـرة أن يشـاهدني أحدهـم أسـير مبتعـدًا. كرهـتُ حتـى أن أمـدَّ يـدي خـارج نافـذة سـيارة أو بـاب وألـوح لأودع شـخص مـا.

انتظـرت حتـى يومـي الأول في التدريـب كي أقـصَّ شَـعري؛ لـذا كنتـم أوَّلَ مـن يـرون قَصَّـةَ شَـعري العسـكرية القصيرة جـدًّا. كان ذلـك مُحرجًـا. أستمرُّ في تخَيُّـل وجـه ميونجسـو عندمـا سـألتُ "لمـاذا أتيتـم" وقـال: "لقـد كانـت فكـرتي!". كان وجهـه وجـهَ أخٍ كبير لا أمتلكـه.

شـكرًا أيضًـا عـلى إحضـار إيميـلي ومنحـي الفرصـة كي أحملهـا. شـعرت بالسـوء لأننـي تجنَّبتُهـا في كل مـرة اقتربـت فيهـا منـي عندمـا كنـا نمكـث في ذلـك البيـت. لم أحمـل قطَّـةً مـن قبـل أبـدًا. كانـت إيميـلي دافئـة. دافئـة جـدًّا لدرجـة أننـي لا أزال أسـتطيع تذكُّـرَ تلـك الحـرارة التـي شـعرت بهـا. لـو كنـتُ أعـرف أن القطـط دافِئَـةٌ وملسـاء هكـذا، لكُنـتُ قـد حملـت إيميـلي طـوال الوقـت الـذي قضيتـه في البيـت. أنـا نـادم عـلى ذلـك. ثـم كان هنالـك وجـودكِ، وإصراركِ عـلى أن آخـذ كتـاب القصائـد عـلى أيـة حـال، حتـى بعـد أن قُلـتُ لـكِ إنـه غير مسـموح لي أن آخـذ كتابًـا كهـذا معـي داخـل المجمـع العسـكري، لكنَّـكِ قلـتِ أن أُدخِلَـه خلسـة بطريقـة مـا. لا تتفاجئـي. الكتـاب معـي هنـا في حضنـي. أسـتخدمه كسـطحٍ أملـس أكتـب عليـه هـذه الرسـالة. بعـد أن أغـادر الجيـش، سـوف أخبركِ كيـف تمكَّنـتُ مـن الاحتفـاظ بـه طيلـة هـذا الوقـت.

يون.

أشعر كأنه قد مضى وقت طويل منذ أعطيتكِ هذا الكتاب. أخبرتني أن شابًّا ارتاد جامعتكِ، ذلك الشخص الذي يُدعى "دواسة" قد أخذ الكتاب الذي أعطيته لكِ واختفى، لكنَّكِ وجدتِ نسخة جديدة بطريقة ما. قصائد ديكنسون تلك التي وجدت طريقها إليَّ مُجدَّدًا هي قدِّيسي الراعي لي هنا. كلما أصبَحَت رغبتي في تناوُل الكيمتشي المصنوع في البيت قوية جدًّا، أو كلما صادَفتُ عنكبوتًا، أتلو قصيدة إيميلي ديكنسون من الذاكرة:

ذلك الحب هو كل ما كان،

أهو كلُّ ما نعرفه من الحب؛

يكفي هذا؛ فحمولة الحب تتناسَبُ

مع عمق الأخدود.[1]

أكرِّر "يكفي هذا" إلى نفسي مرَّتَيْن أو ثلاثًا. هذا السطر حيث يمكنني أن أشعر أن خوفي من العناكب ينحسر. بدءًا من الغد، سنبدأ التدريبات الليلية لمدة ثلاثة أسابيع. أتمنَّى ألَّا تتراجع مرتبتي.

اعتني بنفسكِ.

من الجندي داهِن إلى المدَنيَّة يون.

(1) قصيدة "ذلك الحب هو كل ما كان" لإيميلي ديكنسون، ترجمة محمد عيد إبراهيم (بتصرُّف).

أرسـل داهِـن رسـالته الأولى بعـد سـنة مـن التحاقـه بالجيـش واختيـاره في القـوات الخاصـة. كانـت أطـولَ مـن خمـس صفحـات. لم يذكـر في أي جـزء منهـا أنـه في وحـدة القـوات الخاصـة. طوَيـتُ الرسـالة ووضعتهـا فـوق مكتبـي. مـن الجنـدي داهِـن إلى المدنيَّـة يـون.. حدَّقـتُ إلى تلـك الكلـمات طويـلًا. آلمتنـي حقيقـة أنَّنـي لم أكتـب أبـدًا للـرَّدِّ عليـه. مـلأت قلـم ريشـة بالحـبر ثـم أخرجـت دفـترًا جديـدًا وكتبـت اسـمه في أعـلى الصفحـة.

داهن.

داهـن الرضيـع، داهـن الطفـل، داهـن في سـن السـابعة عـشرة، ثـم الثامنـة عـشرة، ثـم التاسـعة عـشرة، ثـم طالـب جامعـي، ثـم جنـدي. طافـت تلـك الصـور في رأسي. بعـد التحاقـه بالجيـش، لم أسـمع عنـه أي شيء لبعـض الوقـت. اتَّصَلـتُ بأختـه لأحصـل عـلى عنوانـه، فأخبرتنـي أنـه قـد عُـيِّن في وحـدةٍ للقـوَّات الخاصـة. قالـت إنهـم يخضعـون لتدريبـات متواصِلَـة كُلَّ يـوم، وأنـه أحيانًـا يضطـرُّ للبقـاء في الجبـال لثلاثـة أو أربعـة أيـام مـع قنِّينـة مـاء وحربـة فقـط. أتعرفـين كيـف أنـه في عيـد القـوات المسـلحة -قالـت لي- يقفـز الجنـود بالمظـلات في تشـكيلات؟ وحدتـه إحـدى تلـك الوحـدات المشـاركة في ذلـك. لكـن لمـاذا اختـاروا داهِـن؟ قالـت لي إنه يمتلـك التكويـن الجسـدي الـذي يؤهِّلـه للالتحـاق بالقـوات الخاصـة. "لكن يجـب أن يخضعـوا لاختبـارات كفـاءة أيضًـا؟" أمطَـرتُ أُختَـه بأسـئلتي، لكـن مـن دون أحصـل عـلى معلومـة جديـدة.

كَتبـتُ اسـمه مـرة أخـرى في مفكّـرتي. لم أسـتطع تخيُّـلَ داهِـن يقفـز بمظلّـةٍ مـن عـلى متن طائـرة. كيـف تحمَّـل الحيـاة في الجبـال بمفـرده لأيام؟ في المسـاحة بـين كلِمَتَـيْ مدنيَّـة وجنـدي، يكمـن إحسـاس البعـد الـذي يمنعنـي مـن تصـوُّرِه يُـؤدِّي المشـية العسـكرية أو تدريبـات الملاحـة في

البحر. تخيَّلتُ أنه لا بُدَّ أن وحدته تقضي الكثير جدًّا من الوقت في الجبال لدرجة أن مجرَّد ذِكر الجبال أمامه بعد أن يُصرف من الخدمة العسكرية، سوف يجعله يلتفت برأسه بعيدًا في اشمئزاز. أسرح مُفكِّرَةً أين هو الآن. داهِن الذي يمتلك رُهابًا من العناكب، في القوات الخاصة حيث يجب عليه أن يحيا بمفرده في العراء لأيام! حتى بعد أن حصلت على عنوانه، واصَلتُ الشروع في كتابة رسالة إليه من دون أن أُكملها، قبل أن أتخلَّى عن تلك الفكرة تمامًا؛ لأنني لم أستطع أن أبدأ حتى في تَخيُّل ما كان يمرُّ به. ثم وصَلَت رسالته الأولى قبل أن أنهي أي رسالة.

داهن.

لقد استَلَمتُ رسالتك. أتمنى أن التدريبات الليلية تسير على نحوٍ جيد.

أغلقت مُفكِّرتي غير متأكِّدة ممَّا يجب أن أكتبه بعد ذلك. كم مرة احتاج فيها داهِن خلال أسابيع التدريب الشاقة الثلاثة، إلى أن يتلو قصيدة ديكنسون على نفسه كي يتمكَّن من مواجهة عنكبوت؟ كنت على وشك أن أُعيدَ رسالة داهِن إلى الدُّرج، لكنَّني توقَّفتُ وتأمَّلتُ الرسائل الأخرى المكدَّسة بالداخل للحظة. أخرجتها جميعًا ووضعتها فوق المكتب. كانت تتضمَّن بطاقات رسائل وكروت بريدية عادية. عجزت عن تصديق أنني لم أكتب ردًّا إليه أبدًا على الرغم من المرَّات الكثيرة التي كتب فيها رسائل إليَّ. لفت انتباهي قصاصة ورق مُختلطة بالرسائل فسحبتها.

ابـدئي القـراءة مـن جديـد... دَوِّني الكلـمات الجديـدة وتعريفاتهـا... احفظـي قصيـدة كلَّ يـوم... لا تذهبـي إلى قَـبرِ أُمِّـكِ قبـل عطلـة التشوسـوك[1]... امـشي حـول المدينـة سـاعتين عـلى الأقـل كل يـوم.

تذكَّـرتُ أننـي في أول مـرة أتى فيهـا ميونجسـو ومـيرو إلى هنـا، جعلتهـما ينتظـران في الخـارج، ودخلـت إلى الحجـرة ونزعـت قصاصـة الـورق مـن عـلى الجـدار. لا بُـدَّ أنهـا اختلَطَـت برسـائل داهِـن. فَـرَدتُ الورقة وكدَّسـتُ الرسـائل فوقهـا.

ومضـت صـورة داهِـن في منطقـة الانتظـار أمـام عينـيَّ. لقـد وصلنـا إلى مركـز التدريـب مبكِّريـن سـاعَتَيْن، ورحنـا ننتظـره. لأننـا لم نرتـب ذلـك اللقـاء؛ فكرنـا أنـه قـد يكـون هنالـك عـددٌ كبـير جـدًّا مـن النـاس، وأننـا قـد لا نتمكَّـن مـن رؤيتـه. لم يكـن هنالـك سـوى عـدد قليـل مـن الأشـخاص سـوانا في بـادئ الأمـر، لكـن سرعـان مـا زاد العـدد إلى تجمهُـر. معظمهـم كانـوا أصدقـاء لمجنَّديـن جُـدُد. لـو لم أكـن أعلـم أننـا نقـف أمـام مركـز تدريـب عسـكري، لبَـدَا أننـا ننتظـر حفـل موسـيقي كي يبـدأ. لمـح ميونجسـو داهِـن قبـل أن أسـتطيع أنـا ذلـك. بينـما أشـخُص بعينـي بعيـدًا، نقـر ميونجسـو عـلى كتفـي وأشـار إليـه. نـادى ميونجسـو حتـى عـلى داهِـن قبـلي. صُـدِم داهِـن لرؤيتنـا. كان مـن الغريـب أن أراه بقَصَّـة شَـعرٍ قصـيرة جـدًّا لدرجـة أننـي لم أسـتطع أن أتوقَّـف عـن التَّحديـق إليهـا. بَـدَت فـروةُ شَـعرِه وتحـت ذقنـه زرقـاء حيـث حُلِـقَ الشَّـعر حديثًـا. حَـدَّق داهِـن إليَّ للحظـة ثـم أخـذ القِطَّـة مـن بـين يـدي مـيرو. أعتقـد أن قـول

---

(1) عيـد التشوسـوك: أو عيـد الشـكر الكـوري. وتعنـي الكلمـة ليلـة الخريـف أو أجمـل ليلـة مـن ضـوء القمـر الخريفـي. يحتفـل بـه الكوريـون في الفـترة مـا بـين الثلاثـين مـن سـبتمبر والثـاني مـن أكتوبـر مـن كل عـام.

وداعًا يجعلنا نتواصل مع أولئك الذين كنا نتجاهلهم في الظروف العادية. ربما نهتم بهم أكثر أيضًا عندما يحين وقت الافتراق. أجْلَسَ داهِن القطة بين ذراعيه وطاف بعينيه بيننا. كان قد تحاشى الاقتراب من إيميلي عندما كنّا نحن الأربعة نمكث في البيت القديم. لكن الآن، بدا الآن كأنها قِطَّتُه منذ البداية. لم يضعها داهِن أرضًا طوال الوقت، ولا حتى حين ذهبنا إلى مقهى استغرقنا وقتًا طويلًا كي نجده، ولا حتى حين ناولته كتاب القصائد الشعرية وأخبرته أن يُدخله سرًّا إلى القاعدة العسكرية بطريقة أو بأخرى. أخيرًا قبل أن يعود أدراجه إلى مركز التدريب، ناول داهِن إيميلي إلى ميرو. ثم مشى بعيدًا من دون أن ينظر إلى الوراء ولو مرّةً واحدة. وجَدتُ نفسي أهتف: "التَفِتْ!" تمتَمَ ميونجسو. "ذلك قاسٍ". ركَضتُ. كان داهِن يسير أمام حشد من الرؤوس الحليقة الزرقاء البشرة عندما تمكّنتُ من اللحاق به.

"سوف أكتب إليكَ" أخبرتُه. "سوف آتي لزيارَتِك، أيضًا".

أخبرني داهن ألّا أقلق بخصوص هذا، وابتسم. لاحقًا، أثناء جلوسي في الحمام في موقف استراحة في طريق العودة إلى المدينة، تصوَّرتُ داهِن وهو يختفي في الزحام من دون أن ينظر إلى الوراء؛ فاضطررت إلى إغلاق عينيَّ من الألم. ثم عندما ركبنا الحافلة ثانية، تذكَّرتُ تلك المرة قبل وقت طويل جدًّا حين اندفع قطار الليل ليتجاوَزنا في تلك الليلة التي زُرنا فيها قبر أمي، فضغطت على عينيَّ لأغلقهما بإحكام أكبر.

التقطتُ رسائله بعشوائية ورُحتُ أقرؤها.

يون.

لقد تغيَّر عنواني. هذه الرسالة التي أكتبها الآن لن تُرسل عبر خدمة البريد العسكري. لقد طلبتُ من صديق لي في قوات الدفاع المدني أن يرسلها إليكِ من مكتب بريد في البلدة. هكذا يمكنني أن أكتب إليكِ من دون القلق من الرقباء. لقد حدثت الكثير جدًّا من الأشياء لي. القوات الخاصة صعبةٌ إلى حَدٍّ ما. التدريب شاقٌّ بالقدر الكافي، لكن الحياة في الثكنات مُزرية. على الرغم من أنهم صارمون جدًّا بشأن الرُّتَب والأقدمية، لكن الكثير من الشباب كانوا في عصابات قبل الانضمام للجيش، ويتشاجرون عندما تسقط قبعة أحدهم فحسب. يقذفون بعضهم البعض بالجاروف في ثكنات السكن. وأثناء التدريبات الليلية، قد يُسقط أحدهم الجنديَّ المجاور له على حين غرة بركلة واثبة جانبية. مرة أو مرتين في الأسبوع يستدعوننا جميعًا ليُذَكِّرونا أن مثل هذه الأفعال التي تعكس سوء سلوك ممنوعة. يُوقظوننا في منتصف الليل ويجبروننا على الانحناء بأجسادنا ونحن نرتدي ثيابنا الداخلية فقط، ونحافظ على توازُنِنا لأطول وقت ممكنٍ ونحن نقف على أطراف أصابعنا أو على رؤوسنا وأيدينا وراء ظهورنا. الرقيب يضرب العريف، والعريف يضرب عسكري الدرجة الأولى، وعسكري الدرجة الأولى يضرب العسكري الذي يضرب الآخرين الأقل منه رتبة. تلك شريعة الجيش. لا يُسمح لهم بضربنا رسميًّا. العقاب الجسدي الوحيد المسموح به هو عقاب التحمُّل البدني. لكنهم يضربوننا طوال الوقت ويبرِّرون ذلك بأنه ضروري للحفاظ على النظام العسكري. لا يستطيع أصحاب القلوب الرقيقة من بين المجنَّدين الأعلى رتبة، حَملَ أنفسهم على ضربنا؛ لذا يثملون معًا أولًا ثم يضربوننا.

ذات يوم، جمعونا في منتصف الليل، لكن الهراوة التي أحضروها معهم لضربنا قد انكسرت؛ لذا جلبوا مقبض معولٍ بدلًا من ذلك. بينما أتلقَّى الضربات، هبطت الهراوة فوق أسفل ظهري بدلًا من

مؤخرتي. كان الألم مُبرحًا جدًّا، لدرجة أنني اعتقدت أنني أموت. صرخت وسقطت أرضًا لكن لَعَنَني المجندون الأعلى رتبة، ودعوني بـ "الطفل الباكي" وركلوني. في تلك اللحظة، آمنتُ حقًّا أنني سوف أموت. عندما استعدت وعيي، وجَدتُ نفسي في المشفى. بينما يفحص الطبيب عمودي الفقري، سمعته يقرقر بلسانه في صدمَةٍ، ثم قال: "أولئك الملاعين! لو عرفت الرُّتَب الأعلى بما حدث، فسوف يدفع الجميع -بما فيهم الضابط قائد الوحدة- ثَمَنًا باهظًا. وسوف يُلقى العديد من الناس داخل السجن الحربي". تأكَّد الرقيب الأول من إعفائي من أداء كلِّ التمارين، وأرسلني إلى عيادَةٍ خارج المجمع العسكري لأخضع لعلاج بالإبر الصينية. حملني جنديٌّ من نفس رُتبَتي على ظهره إلى العيادة كل يوم. بعد أكثر من شهر من العلاج، حين تمكَّنتُ أخيرًا من التحرُّك مُعتَمِدًا على نفسي، أخبرني الرقيب الأول أنني لم أَعُد مؤهَّلًا للالتحاق بالقوات الخاصَّة، وأرسلني إلى هذه القاعدة في مَهمَّةٍ مُؤقَّتة. هذا المكان ليس أفضل كثيرًا لكن مقارنة بالمكان الأخير، أشعر كأنني في إجازة.

أنا مُتمركز على الساحل الغربي قريبًا من الخط الأمامي. كانت مَهمَّتي الجديدة هي حراسة الساحل. أنام في مهجع السكن أثناء النهار، وأستيقظ في وقت متأخِّرٍ من بعد الظهر، ثم أُنقل وقت الغسق إلى إحدى نقاط المراقبة المتناثرة بطول الشاطئ. أسهر الليل بطوله، والبحر ممتدٌّ أمامي والأسلاك الشائكة ورائي. لأنني لا أقوم بأي تدريبات كتلك التي كنت أقوم بها في وحدة القوات الخاصة؛ فالأمر ليس مُرهِقًا. لكن في المقابل التضحية التي تقوم بها هي أنك لا تحصل على أي إجازة حين تتمركز في الساحل. ولا يسمحون لكِ بالحركة طيلة الليل. في هذا المنفى المنعزل، أوجِّه سلاحي إلى عدوٍّ غير مرئي قد يهاجم في أي لحظة.

أعتقد أنني تبنَّيتُ فكرةً خاطئة وتصوُّرًا مُعيَّنًا عن حياة الجيش قبل أن ألتحق به. اعتقَدتُ أنه على الرغم من أن الجيش قد يكون مُتطلِّبًا جسمانيًّا، لكن أن أصبح جزءًا من مُنظَّمة سوف يساعدني على تحرير نفسي من الخمول الذي أصاب حياتي. لكن في أول يوم لي في القاعدة العسكرية، أدركت كم كان هذا الافتراض ساذجًا. كان الرقيب المسؤول عن التدريبات والضباط الآخرون لا يكفُّون عن إلقاء الأوامر ودفعي هنا وهناك. أدركت كم كنتُ مُتوهِّمًا. (لا تزال أذناي تطنّان منذ عاملنا الضُّبّاط كأننا حيوانات وصرخوا: "ثمة جنود وثمة بشر! أنتم لستم بشرًا!")، ثم كان هنالك تدريبات القتال الفردي والجري -وأحيانًا الزحف على الأرض- من منطقة الانسحاب حتى خط إطلاق النار. كان الأمر في بادئ الأمر مُربكًا، ثم بات مُثيرًا للغضب. لكن غضبي هذا حلَّ محلَّ الاستسلام، والاكتئاب وخيبة الأمل. بعد أن نجوت "مُجنَّدًا"، ثم فردًا في القوات الخاصة، أصارع البرد والحرمان من النوم والجوع، بدأت أشعر أنني لست إنسانًا حقًّا. لم أتوقَّع أبدًا أنني سأشعر بأنني تائه هنا كما شعرت في الجامعة التي بذلت قصارى جهدي كي أنسجم فيها. أستطيع تحمُّلَ استبداد الجنود الأكبر رتبة والإرهاق الجسدي، لكن إدراك أن حقيقة أنني "أنا" -فكرة أنني ذو قيمة ما- مَحضُ تراب، ريح جوفاء، يَملؤني بآلام مُبرِّحة تنخر في جسدي من الداخل. هنا في الجيش، أتعلم من الصِّفر ثانيةً أن البشر ليسوا سوى جرذان في متاهة بلا مخرج، تجري في دوائر إلى الأبد. ربما ذلك هو سبب أنني أشعر بهذه الطريقة. في كل مرة أقف فيها أثناء مناوبة حراسة في ظلام الليل، أواجه الشاطئ الطيني الذي تتحرَّك فوقه أضواء الكشافات، والبحر الجاثم على مسافة قصيرة منه، أشعر أنني أواجه الظلام الكامن بداخلي.

تطفو وجوه في ذهني كما لو كانت خلاصي من هذا العذاب. وجوه ضاحكة تلمع كالنجوم. أصوات مُحبَّة، وابتسامات مُشرِقة،

وأحيانًا حتى وجه عابس... في كل مرة يرتطم بي نسيم المحيط البارد، أنادي أسماء أحبَّة بعيدين عني، اسمًا تلو الآخر، كما لو كنت أتلو صلاة للرب.

يون.

بعد أن أصل إلى نقطة المراقبة الخاصة بي في حدود السادسة مساء وأنصب بندقيتي في خندق المراقبة، لا يكون هناك عادة سوى القليل من الوقت المتبقِّي قبل أن تغرب الشمس تمامًا. أستخدم هذا الوقت كي أدوِّن أفكاري في عُجالَةٍ، بما في ذلك الرسائل التي أرسلها إليكِ، وأرسم رسومات للمحيط والجبال بالقلم الرصاص. يجلس جندي في نفس فرقتي داخل خندق على مبعدة، يدخن سيجارة. أشعر كأنَّ هذه اللحظة حيث لا يوجد أي جندي أكبر رتبة مني أو ضابط لأقلق بشأنه، ملكي تمامًا. أعتقد أن تلك اللحظات -حين أكون مُحاطًا بالأمواج والرياح وأكتب إليكِ- هي أسعد لحظات حياتي الآن.

قبل أيام قليلة، فجرًا، قبل أن أنهي مناوبتي وأنسحب من موقعي على الساحل، جمعنا القَشَّ الذي انتشر على أرضية الخنادق أثناء الشتاء وأحرقناه. على الجانب الآخر من الكثبان الرملية، حيث انحسر المدُّ، شاهدت الصيادين وأزواجهم في طريقهم إلى العمل. أبى القَشُّ الباهِتُ اللون الاحتراق أولًا، لكن سرعان ما التقطت بعضه النار وتصاعدت منه الحرارة ودخان حمضيٌّ. وقفت برفقة خمسة أو ستة جنود آخرين وحدَّقنا إلى النار المتوهجة لوقت طويل. في لحظة انكمش اللهب وتحوَّل إلى رماد أسود، وشعرت بجدران الحصن التي احتلَّت مكانًا بداخلي تنهار ببطء أيضًا.

استيقظتُ متأخِّرًا هذا الصباح. كان الجوُّ ضبابيًا ومُمطرًا في الخارج. وقفت في الخارج لفترة، مستمتعًا بالشعور اللذيذ لمداعبة قطرات المطر الرفيعة لبشرتي. حتى مع حلول بعد الظهيرة، كان الضباب لا

يـزال كثيفًـا جـدًّا لدرجـة أن حافـة المـاء كانـت مُجرَّدَ هيـكل باهـت بـين أشـجار الصنوبـر. غـاص البحـر والسـماء تحـت غطـاءٍ رمـادي كئيـب. لم يكـن لـديَّ أي شيء لأفعلـه ولا شيء لأقـرأه؛ لـذا قضيـت اليـوم كلـه أفكـر فيـكِ. هـل أصبـح شـاعريًّا هكـذا في كل مـرة تُمطـر فيهـا لأننـي لا أزال عالقًـا في مرحلـة البلـوغ مـن الناحيـة النفسـية؟ في أيـام الجامعـة كلَّـما أمطـرت، كنـتُ أتجـوَّل في أرجـاء المدينـة طـوال اليـوم. كان هنالـك مقهـى اعتـدت أن أذهـب إليـه حيـث كان يقـف منسـق موسـيقى يتلقَّـى طلبـات أغـاني مـن رواد المقهـى. كنـت أدلـفُ إليـه مُبلَّلًا بالمطـر، وأطلـب تشـغيل أغنيـة هادئـة الإيقـاع ومنخفضـة الصـوت مثـل: "يبـدو أنـه قـد مـضى وقـت طويـل جـدًّا يـا نانـسي" لليونـارد كوهـين[1] أو "التسـجيلات القديمـة لا تمـوت" لإيـان هانـتر[2]، أو " تحقيـق سري" لفرقـة دايـر سـترايتس[3]. أضحـى كل ذلـك الآن ذكـرى بعيـدة. كان هنالـك أغنيـة أخـرى كنـتُ أسـتمع إليهـا كثيرًا. لا أسـتطيع تَذكُّـر اسـم المغنـي لكـن كان اسـم الأغنيـة "الزمـن في زجاجـة"[4]. كـم أتمنَّـى يـا يـون لـو أسـتطيع حقًّـا أن أحفـظ الزمـن في زجاجـة وأُخرِجَـه كلَّـما احتجـت إليـه.

ليلـة الأمـس، كنـتُ في دوريَّـةٍ حدوديَّـة عندمـا أوقـف قائـد الكتيبـة سـيارته الجيـب. لحسـن الحـظ لم أكـن نائمًـا؛ لـذا ألقيـتُ عليـه التحيـة العسـكرية بالشـكل اللائـق. أجـرى تفتيشًـا وأعطـاني بضـع تلميحـات مشـجِّعَة، وكان عـلى وشـك أن يعـود إلى سـيارته الجيـب عندمـا التفـت

(1) ليونـارد كوهـين (1934- 2016): مغـنٍّ وكاتـب أغـانٍ وشـاعر وروائيٌّ شـهير، كنـدي الأصـل. تتنـاول أعمالـه موضـوع الديـن والسياسـة والعزلـة والجنسـانية والفقـد والمـوت والعشـق.

(2) إيـان هانـتر باترسـون: مغـنٍّ وموسـيقيٌّ بريطـاني اشـتهر في أواخـر السـتينات. كان المغنِّيَ الرئيـسي لفرقـة الـروك البريطانيـة "مـوت ذا هوبـل".

(3) فرقة داير سترايتس: فرقة روك بريطانية تأسَّست في لندن 1977.

(4) الزمـن في زجاجـة: أغنيـة لمغنـي الـروك الأمريـكي جيـم كروتـش. كتبهـا سـنة 1970، لكنهـا صـدرت عـام 1973 بعـد موتـه في حادثـة سـقوط طائـرة بسـبب كلماتهـا التـي تتعامـل مـع المـوت والرغبـة في امتـلاك المزيـد مـن الوقـت قبـل الرحيـل.

فجأةً وسألني، "أتمتلك حبيبةً يا مُجنَّد؟". ثمَّة قاعدة غير مُعلَنة في الجيش أنه إذا سألك ضابط أعلى رتبة أو أي أحد مضى على وجوده في الخدمة مُدَّة أطول، إذا كنتُ تمتلك حبيبة أم لا، أن تكون إجابتك دائمًا هي نعم، سواء كان ذلك صحيحًا أم لا. فكَّرتُ فيكِ وقلت: "أجل يا سيدي. أمتلك حبيبة يا سيدي!" سألني قائد الكتيبة: "هل تعتقد أنها مُخلِصَة لكَ؟". ترددتُ، ثم أعلنت بصوتٍ مُرتَفِع: "سوف تنتظرني حتى أخرج من الجيش يا سيدي!". حدَّق إليَّ لِلَحظَةٍ كما لو كان سيقول شيئًا، ما لكنه نعتني بـ "أحمق" قبل أن يقفز داخل سيارته الجيب. وقفت وراقبت السيارة حتى اختفت أضواؤها الخلفية في الظلام، وفكَّرتُ فيما قاله. لماذا سألني عن شيء طفولي وتافِهٍ جدًّا ثم نعتني بالحمق؟ هل خطرت الكلمة في رأسه فقط بينما يحاول التفكير في شيء مُطمئن كي يقوله؟ الشيء الوحيد الذي كنتُ متأكِّدًا منه أن محادثتنا المُقتضبة في الظلام أظهرت له مَن أنا حقًّا. مُجرَّد أحمق.

أمسك أحد الرجال الذين يعملون في المطبخ أربعة ثعابين قرب وحدتنا. تلك الثعابين التي تُدعى بـ "ثعبان الماموشي الصخري" أو "الثعبان الشريطي الأحمر"، تمتلك سُمًّا أصفر في ذيلها. قالوا إن الثعابين تزحف متسلِّلةً إلى داخل ثكنات النوم في الصيف. تَخيَّلي ذلك. أن ترفعي غطاءكِ وتري ثعبانًا يزحف خارجًا من تحته. عندما عُدتُ من الشاطئ هذا الصباح، أخبروني أن قائد الكتيبة وبعض الرجال الأكبر سنًّا قد شووا الثعابين وتناولوها مع مشروب السوجو. لم أشمَئِزّ من ذلك. لقد فعلتُ أشياء أسوأ في وحدة القوات الخاصَّة. إذا أخبرتكِ بما يلجأ إليه الناس كي ينجو في الجبال، فلن ترغبي غالِبًا في رؤيتي ثانية. يأكل الناس ثعابين حيَّةً لا تزال تتلوَّى بعد أن ينزعوا جلودها كما لو كانت جوارب ويُخرجوا أمعاءها... لقد شاهَدتُ وفعلت الكثير جدًّا من الأشياء الغريبة منذ التحاقي بالجيش.

كلَّـما نظـرت إلى أسـفل نحـو المحيـط مـن خـلال نظـارات الرؤيـة الليليـة، أشـعر أنني حيـوانٌ ليـليٌ. البندقيـة زَلِقَـة بـين يـديَّ. تتكـسر الأمـواج مقابـل الشـاطئ، وتتفتَّـت إلى رذاذ. حتـى الآن في أحلامـي، أجـد نفـسي أمـشي حـول أرض معسـكر التدريـب حتـى يصيـح أحدهـم: "انتباه!" فأسـتيقظ.

إذا كان الشـاطئ يبـدو مُوحشًـا جـدًا في الليـل، فإنـه يكـون جميـلًا في ضـوء النهـار. بالأمـس، تجـرَّدَت الفرقـة كلهـا مـن ثيابهـا مـا عـدا السراويـل الداخليـة وركضنـا بضعـف سرعتنـا إلى الشـاطئ وسـبحنا في البحـر. كانـت الميـاه بـارِدَةً بشـكل مـؤلم بـادِئَ الأمـر، لكـن بينـما نهتـف ونصطـدم ببعضنـا البعـض، أصبَحَـت فاتِـرَةً تقريبًـا. خطـر ببـالي أنـه ربمـا لو اسـتمرت الأشـياء بهـذه الطريقـة لفـترة أطـول قليـلًا فقـط، فسـوف أصبـح كائنًـا مسـتقرًّا وبسـيطًا، شـخصًا سـوف ينسـجم مـع وَسْـمِ جنـديٍّ أو مُجنَّـد، وسـأتمكَّن مـن العـودة إلى المجتمـع. لم أعُـد أشـعر بأننـي مُتَوتِّـرٌ كـما كنـتُ عندمـا بـدأت الجيـش. أحـب أن أتلـو سـطر الشِّـعر المبتـذل الـذي يقـول:

هذه الحياة تخدعُكَ أحيانًا،

لذا لا تحزنْ أو تُجَنَّ منها.

كل هـذا بينـما أتسـاءل أنـه ربمـا ليسـت الحيـاة مَـن تخدعنـي، بـل أنـا مـن يخدعها.

يون.

السَّـماء ملبَّـدة بالغيـوم اليـوم. التقطـت معطـف المطـر تحسُّـبًا إذا أمطـرت، مـع مُفكِّـرتي، ومشَّـطت منطقـة وقـف إطـلاق النـار ثـم شـققت

طريقـي وأنـا ألهـث، صاعـدًا إلى قمّـة الجـرف. كان وجهـي أحمـر ومتـورِّدًا حـين وصلـت إلى هنـاك. جلسـت عنـد حافّـة الجـرف ونظـرت إلى أسـفل نحـو البحـر المعتـم. رسـمت قاربًـا صغـيرًا منفـردًا عـلى مبعـدة، بـدا كأنـه يرسـم خطًّـا عـبر الميـاه بالأثـر الـذي يُخلِّفـه وراءه. أحببـتُ الرَّسـمة؛ لـذا سـوف أرسـلها إليـكِ.

بـدا أن داهِـن يقتـل وقتـه في دوريّـة خفـر السـواحل بالكتابـة إليَّ. طلـب منـي في إحـدى رسـائله أن آتي لزيارتـه. لقـد تغـيَّر كثـيرًا جـدًّا. تأمَّلتُ الرسـالة لوقـت طويـل. لم أسـتطع أن أصـدق أنـه الشـخص نفسـه الـذي رفـض أن يتلقّـى أي رسـالة أو زيـارة في بـادئ الأمـر. بـدا وحيـدًا ومنهزمًـا، وفـوق كل هـذا، مُسـتَنزَفَ القـوى. ذلـك مـا أحسسـتُه مـن كلامـه.

يون.

في الفـترة الأخـيرة، أصبـح الجيـش في حالـة تأهُّـبٍ دائـم؛ لهـذا الجميعُ تحـت ضغـطٍ عظيـم. نتلقّـى أوامِـرَ -مَـرَّةً عـلى الأقـل كل يـوم- أن نرفـع درجـات اليقظـة. كل فـرد أدنى مـن رتبـة قائـد الكتيبـة كان عصبيًّـا بشـكل خـاص بشـأن التفتيـش العسـكري الشـامل في الشـهر التـالي. وفقًـا للخطـة الأصليـة، كان مـن المفـترض أن تنسـحب كتيبتنـا مـن عـلى السـاحل وتنضـمّ إلى القـوات الرئيسـية، بينـما تُرسـل كتيبـة أخـرى إلى هنـا لتحـلَّ مَحلَّنـا، لكـن تَواصَـلَ تأجيـل هـذا. نتيجـة لذلـك؛ لم نحصـل عـلى إجـازة حتـى في أيـام الإجـازة الاعتياديـة.

يون.

هل هنالك أي احتمال أن تستطيعي القدوم ورؤيتي في أحد أيام الأسبوع القادم؟ بالطبع لأننا يجب أن نتحرّك إلى نقاط المراقبة على الشاطئ كل ليلة؛ فغير مسموح لنا بشكل رسمي أن نستقبل زوّارًا. لكن لو استطعت القدوم، فسأحاول التسلُّل إلى الخارج ليوم. سأضطر إلى التذلُّل إلى هذا الرجل الأصغر مني سِنًّا لكنه أقدم مني هنا. لكنني مستعدٌّ لإهانة نفسي، لو كان ذلك يعني أنني سوف أرى وجهكِ، حتى لو كان ذلك لثوانٍ قليلة. الجبال ورائي مُظلِمة، وأمامي يلمع سطح الماء مثل قشور السمك في ضوء القمر. حملت بندقية محشوَّةً بالرصاص، وواصَلتُ المراقبة طوال الليل وفكَّرتُ فيكِ.

وضَعتُ وجهي على المكتب. تذكَّرتُ تلك الليلة مع داهِن بوضوحٍ شديد.

فكَّرتُ مَليًّا لعدة أيام إذا كان عليَّ الذهاب أم لا. لقد تجنَّبَ التَّواصُلَ معي حتى حين كان في إجازة؛ لأنه لم يرغب أن أراه برأس حليق. وكي أصل إلى مكان داهِن، كان عليَّ أن أستقلَّ قطارًا وحافِلَتَيْن مختلفتين.

في آخر موقف حافلات، التقيت بجندي في الدفاع المدني كان في طريقه إلى مناوَبَةٍ ليلية في الوحدة على الساحل حيث كان داهِن في دورية مراقبته. رافقني طوال الطريق إلى الوحدة حيث يتمركز داهِن. اندفع داهِنٌ خارج مكمنه وبندقيته مُعلَّقة فوق كتفه، وقنابل يدوية وحربة مثبتة على حزامه العسكري. مشيت وداهن المدجَّج بالأسلحة في طريق وسط غابة تحدُّه من الجانبين أشجار صنوبر مخروطية جافة. لم يكن هنالك أي أحد حولنا. هبطنا معبرًا بطول الجرف، وتبعنا خَطَّ وقف إطلاق النار الساحلي حتى غادرنا

طريق دورية مراقبته. مشينا إلى أسفل لمسافة طويلة جدًا في ذلك المعبر المظلم بمحاذاة الشاطئ. لم يكن لديَّ أدنى فكرة أين كُنَّا. بدا أننا نسير مبتعدين عن الماء لأن صوت الأمواج المتلاطمة يزداد خفوتًا. ومضت النجوم التي تنظر إلى أسفل نحونا، كأنها قد تسقط في أي لحظة. مشى داهِن بجواري في صمت. لم أقل أي شيء أيضًا. بالنسبة إليَّ، لم يكن هنالك أي شيء أغرب من أن أشاهد داهِن وهو يرتدي كأنه قد يُرسَل إلى معركة في أي لحظة. لم أستطع أن أفكر ماذا عليَّ أن أقول لداهِن الذي لم يَعُد داهِن، الشخص الذي عرفته، بل داهن، الجندي المجهول، في زي الجيش الكاكي اللون. واصلنا المشي من دون أن نصادف أبدًا أي شخص آخر. سألني داهن فجأة:

" أترغبين في سماع شيء مُرعِب؟".

"رُؤيَتُكَ مُدجَّجًا بالأسلحة هكذا مُرعِبٌ بالقدر الكافي". ضَحِكَ.

"اعتَبِرَ الآن قد هجَرتُ موقعي" قال.

"ماذا تعني؟".

"لو اكتشفوا أنني معكِ، فسوف أُحاكم محاكمة عسكريَّةً".

"الأمر بذلك السوء؟" قلتُ بنبَرةٍ جادَّة؛ فضحك داهِن ثانيَةً.

"لا تقلقي. عندما تشتغلين في خفر السواحل وقتًا كافيًا، سوف تدركين أن الجميع يفعل ما بوسعه كي يرى عائلته أو حبيبته. نَغُضُّ الطرف جميعًا. ربما يعرف قائد الكتيبة والرقيب الأوَّلُ بلقائي لكِ. لم يُصدِّقني أي أحد عندما قلت إنَّ لديَّ حبيبة، فتراهنوا على ذلك".

" تراهَنوا عليَّ؟".

"آسِف".

"ماذا كان الرِّهان؟".

"قالوا إذا أتيتِ، فسوف يسمحون لي بقضاء الليل في الخارج".

"هذا خطير جدًّا. لا أريد أن يحدث أي شيء سيِّئ لكَ بسببي".

"سيِّئ؟ عمَّ تتحدَّثين؟ أنا سعيد جدًّا الآن. لا أستطيع أن أُصدِّقَ أنَّكِ هنا بجانبي".

كنتُ متوتِّرةً، لكن حديثي مع داهِن جعلني أشعر أنني أفضل.

"ما القصة المخيفة التي أردت أن تخبرني بها؟ المزيد من العناكب؟".

"لم أعد أخاف من العناكب بعد الآن".

لم يكن هذا هو داهِن نفسه الذي كان يرتدي كشَّافَ رأسٍ ليُرافِقَني إلى قبر أمي، داهِن الذي ارتجف خوفًا من أن يطأ بقدمه فوق عنكبوت.

أخبرني أن خوفه من العناكب قد تلاشى أثناء تواجده في القوات الخاصَّة. قال إنه بعد كل المشي والزَّحف والقفز وتسلُّق الجبال اليومي، وجد نفسه يُمسك العناكب بيديه العاريتين.

"حقًّا؟ إذًا هنالك بعض الفائدة من الانضمام إلى الجيش!" بَدَت ضحكةُ داهِن جوفاءَ. "إذًا ماذا كانت قِصَّتُكَ المخيفة؟" سألتُه ثانيةً.

أشار داهِن إلى بُقعَةٍ ما في الظلام، كان صوت الموج يأتي منها. "يوجد كشك حراسة في الأسفل هناك، بين الخنادق، حيث ينام الجنود بالتناوُبِ أثناء دورياتهم. يقولون إنَّ ثمَّة جنديًّا قد وقع في حب فتاة من إحدى القرى المجاورة. كانت الفتاة تأتي من وقت إلى آخر وتقضي الليلة معه في الكشك. كلَّما أتت للقائه، كانت تحضر معها دائمًا قِدرًا من شعيريَّة الراميون من أجله كوجبة خفيفة يتناولها في منتصف الليل. لكن عندما خرج الرجل من الخدمة العسكرية، رحل من دون أن يعطي الفتاة رقم هاتفه أو ينظر إلى الوراء حتى. كانت مُحطَّمَةَ القلب لدرجة أنها شنقت نفسها في سقف الكشك حيث كانا

يناممان معًا. اتَّضح أنها كانت حامل منذ شهور عديدة. بعد فترة، تواتَرَت الشائعات. كلما نام وافدٌ جديد داخل الكشك، حلم بامرأة شابة جميلة تفتح الباب وتبتسم وتدلف إلى داخل الكشك، وهي تحمل صينيَّةً عليها قِدرٌ يتصاعَدُ منه البخار...".

" ثم...؟".

"كان الجندي يتناول الصينية ويرفع الغطاء ليجد القِدر ممتلئًا بالراميون. راميون أحمر فاقِعٌ مَغليٌ في الدم".

صرخت وتَشبَّثتُ بذراعه. "أهذه القصة حقيقية؟" سألته. "هل رأيتَها أيضًا؟".

"بالطبع لا! إنها محض أسطورة تناقَلَها الجنود في وحدتنا. أسطورة شبح الراميون الدموية. اختلقها الجنود غالبًا ليحكوها لحبيباتهم عندما يأتين للزيارة كما هو الحال معكِ الآن. ترتعب الفتيات تمامًا كما فعلتِ للتَّوِّ، ويمسكن بيد حبيبِهِنَّ أو يرتمين بين ذراعيه".

"ماذا؟!".

إذًا فقد كان يحاول أن يخيفني أيضًا. حاوَلتُ أن أدفع ذراعه بعيدًا عني، لكنه سحبني ليُقرِّبَني منه وقال: "أنا مُمتَنٌّ لوجودكِ هنا!".

مع اقتراب صوت الأمواج منَّا عبر الظلام، عبرنا حقل ذرة ومشينا في خطٍّ، يَتقدَّمني داهِن، بطول نتوء بين حقلَيْ فلفل حتى وصلنا إلى منزل. قرَّرنا أن نسأل ساكنيه إذا كان بإمكاننا قضاء الليلة هناك، حيث إننا لن نستطيع مواصلة المشي طوال الليل. لا بُدَّ أن المرأة التي تعيش هناك معتادة على زُوَّار الليل القادمين من القاعدة العسكرية؛ لأنها قد قادتنا مباشرةً إلى حجرةٍ ضَيِّقة لها شرفة في زاوية البيت. سألها داهِن إذا كان هنالك أي شيء يمكن تناوُلُه. كانت متفاجِئَةً أننا لم نتناول أي شيء بعد، وأخبرتنا أن ننتظر للحظة. عادت سريعًا مع

صينيـة ممتلئـة بشرائـح قـرع مسـحوقة ومَقليّـة قليـلًا، وباذنجـان مُتبَّـلٍ ومطهـوٌّ بالبخـار، وكيمتـشي، وأرز، وحسـاء. وضعـت الصينيـة عـلى الشرفـة. عندمـا التفتـت لتغـادر الحجـرة، سـألها داهِـن إذا كان هنالـك أي سـوجو. همَّـت بـأن تقـول إنـه لا يوجـد أي منـه، لكـن سـألتنا بعـد ذلـك إذا كُنَّـا نريـد زجاجـة زَوجِهـا نصـف الفارغـة. شـكرها داهـن. عـادت في الحـال وهـي تحمـل زجاجـة السـوجو، وكأسي شرب، وطبقًـا صغـيرًا يحتـوي عـلى توفـو مقـليٍّ قليـلًا. أخـبرت المـرأة داهـن أن يخلـع خوذتـه العسـكرية وبندقيَّتـه. "ألا تخيـف كل هـذه الأشـياء حبيبَتَـكَ؟" مَزَحَـت ونظـرت إليَّ وهـي تضحـك. أخبرتنـا أن الحُجـرَةُ سـتدفأ خـلال لحظـات، ثـم التفتـت لترحـل. تناولنـا الطعـام في الشرفـة. كانـت الأطبـاق قديمـة، وفاحـت مـن الباذنجـان رائحـة لاذعـة وقويـة كـما لـو أنهـا قـد تُبِّلَـت حديثًـا بزيـت السمسـم. مـلأ داهِـن كأسـه بالسـوجو ونظـر إليَّ. بينـما أهـزُّ رأسي لأقـول إننـي لا أرغـب في الـشرب، لمحـت شـبكةَ عَنكبـوت تتـدلَّى فـوق الشرفـة.

"عنكبوت!".

ألقـى داهـن نظـرةً ثـم نهـض. قبـض عـلى العنكبـوت بأصابـع يـده العاريـة بينـما يزحـف فـوق شـبكته. ارتجـفَ العنكبـوت بـين أصابعـه في ضـوء الحجـرة قبـل أن يقذفـه داهِـن إلى الفنـاء.

"لا أخاف من العناكب بعد الآن" قال.

عـاود داهِـن الجلـوس واحتـسى مـشروب السـوجو. نظـر إلى الكيمتـشي والتوفـو، لكـن لم يلمـس أيًّـا منهـا. تناوَلـتُ عِـدَّة قضـمات مـن الباذنجـان، ثـم أنزلـت عيـدان الأكل الخاصـة بي. كنـتُ جائعـة، لكـن لم أسـتطع تنـاول أكـثر مـن ذلـك. بينـما يواصـل داهـن الـشرب، حدَّقـتُ إلى حذائـه العسـكري الطويـل العنـق وحـذائي الريـاضي حيـث تركناهـا أمـام الشرفـة. فـرَدتُ قدمـيَّ ودَسَسـتُهما داخـل حذائـه. كان واسـعًا. نزلـت مـن فـوق الشرفـة ومشـيت بخطـوات مُترنِّحـة في أرجـاء الحجـرة. ضحـك داهِـن

بصـوت مرتفـع. "كيـف ترتـدي مثـل هـذا الـشيء الثقيـل؟!" سـألتُه. خلعـت الحـذاء وفتحـت بـاب الشرفـة المـؤدِّي إلى الحجـرة. عـلى أرضيـة الحجـرة المغطَّـاة بمشـمَّع أصفـر، كان هنالـك غطـاءان ووسـادة مُسـطَّحة. لا بُـدَّ أن السـاعة قـد تجـاوزت منتصـف الليـل في الوقـت الـذي دخلنـا فيـه إلى الحجـرة وفردنـا المرتبـة. رقَـدَت خـوذة داهِـن عـلى الأرضيـة بجوارنـا. رقدنـا جنبًـا إلى جنـب. كان داهـن لا يـزال يرتـدي زِيَّـه العسـكري، ولا أزال أرتـدي ثيـاب الخـروج. عندمـا كُنَّـا صغيريـن، كنَّـا نذهـب إلى بيـت كُلٍّ مِنَّـا لنلعـب سـويًّا حتـى ينتهـي الأمـر بنـا وقـد اسـتغرقنا في النـوم. كانـت أختـه أو أمـي تأتيـان لتجدانـا نائِمَـيْن فتحملانـا إلى البيـت عـلى ظهريهـما.

اندفع صوت الموج عبر النافذة الصغيرة وارتطم بحافَّة أذني.

"لا بُدَّ أن المحيط قريبٌ جدًّا من هنا".

"الشـاطئ فقـط. الميـاه أبعـد مـن ذلـك. كيـف حـال مـيرو وميونجسـو؟ أهما بخـير؟".

"بـدأت مـيرو في البحـث مُجـدَّدًا عـن الرجـل الـذي اختفـى، بينـما ميونجسـو في كاتدرائيـة ميونجدونـج أغلـب الوقـت، يتظاهـر ضـدَّ الحكومـة".

"عَمَّن تبحث ميرو؟"

مـاذا كان يفـترض أن أخـبره؟ رغـم أننـي قـد ذكـرت الأمـر، لم أمتلـك الشـجاعة لأخـبره القصـة بينـما يبـدو مكتئبًا جـدًّا بالفعـل. غـيَّرتُ الموضوع.

"تعـرف البيـت الـذي مكثنـا جميعًـا فيـه لبضعـة أيـام؟ والـدا مـيرو قـد باعـاه إلى شـخص آخـر".

"إذًا لا يمكننا العودة إليه ثانية؟".

"لا... لم يَعُد بيت ميرو بعد الآن".

بعد أن تحطَّم قلبها بسبب فقدان البيت، بدأت ميرو البحث عن حبيب أختها من جديد. كانت تأتي إلى شقَّتي فجأة وهي تبدو مُحبَطَة ومُجهَدَة، وتمكث لأيام قليلة ثم تواصل بحثها. ذهبت لأبحث عنها لأرى إذا كانت ترغب في الذهاب معي لزيارة داهِن، لكنها كانت قد رحلت.

"كيف حالُكَ أنت؟" سألت داهِن عن حياته أخيرًا.

"أشعر أنني عالِقٌ في شبكة عنكبوت".

"ظَنَنتُ أنك لم تَعُد تخاف من العناكب بعد الآن".

"لا أخاف منها. لا أقصد العناكب التي تعيش في الجبال. أعتقد أنني قد وجدت عنكبوتًا أكبر بكثير". بدا حزينًا. شعرت به يتحرّك تجاهي، ثم فجأة كان وجهه فوق وجهي مباشرة.

"أمقت صوت العيار الناري. وإحساس إصبعي فوق الزناد".

ملَأَت رائحة السوجو في نَفَس داهِن أنفي. حدَّق إلى عينَيَّ بعُمقٍ. ارتعشت عيناه ثم لامَسَت شفتاه شفتيَّ. ضغط رداؤه العسكري على ثيابي وانزلقت يده إلى داخل قميصي وفوق ثدييَّ. عندما تثاقَلَت أنفاسه، دفعته بعيدًا عني. أمكنني الشعور بقوة يديه عندما أمسك بمعصميَّ.

"رجاء، يا داهِن" شعرت بأنفاسه فوق بشرتي. "لا تفعل ذلك".

حاوَلتُ أن أدفعه بعيدًا لكنه لم يتوقَّف. بينما أقاومه، لامَسَت يدي خَدَّه، وشعرت بدموعه الحارة. انضغطت شفتاه في مقابل شفتَيَّ ثانية. حاول أن يَفُكَّ أزرار قميصي.

"أنتِ المنفى الوحيد الذي رَحَلتُ عنه" قال.

كان الشيء التالي الذي عرفته هو قميصي وهو يُدفع إلى أعلى فوق صدري، ثم داهِن وهو يحاول أن يفكَّ زِرَّ بنطلوني. تلوَّيتُ مُبتَعِدَةً

عنـه، لكنـه صعـد فوقـي وثبّتنـي في مـكاني. لا أدري إذا كان سـبب ذلـك هـو دموعـه فـوق أطـراف أصابعـي، لكننـي شـعرت بالحـيرة وفقَـدتُ كل قـوة متبقيـة في جسـدي. أدركـت أن طيلـة الوقـت الـذي كنـتُ أفكّـر فيـه كيـف سـأجيب عـلى دعـوة داهـن، أننـي عَلِمـتُ في أعماقـي أن شـيئًا كهـذا سـيحدث.

"أنـتِ لا تحبيننـي" قـال داهـن أخـيراً، وانقلـب بجسـده مبتعـدًا عنـي. "هـو السـبب، أليـس كذلـك؟" سـألني. عرفـت الشـخص الـذي يشـير إليـه. ميونجسـو.

ربمـا لم ينعـم أيٌّ مِنّـا بـأي قـدر مـن النـوم طيلـة الليـل بسـبب حَرَجِنـا مـمّا حـدث. مَـدَدتُ يـدي وتحسسـت يـد داهِـن لكنـه لم يتحـرّك. عنـد نقطـة مُعيَّنـة، بـدأت تُمطـر. لـو كان صـوت المطـر قابِـلًا للعَـدِّ، لرُبَّمـا عَـدَدتُ قطـرات المطـر وسـط السـكون المطبـق الـذي سـاد بيننـا. في الصبـاح التقـت نظراتنـا بينـما نطـوي المـلاءات. كانـت عينـاه مُحتَقِنَتَـيْن بالـدم. سـلكنا الطريـق نفسـه الـذي سـلكناه في الليلـة السـابقة. شـعرت بحـزنٍ لا يمكننـي وصفـه. مشـينا فـوق أكـواز الصنوبـر التـي بلَّلهـا المطـر الـذي انهمـر في الليلـة السـابقة، وشـققنا طريقنـا بطـول طريـق الغابـة المهجـور. وقفنـا عنـد حافـة الجُـرف ونظرنـا إلى أسـفل نحـو البحـر. تحـت الشـمس السـاطعة الجاثمـة فـوق الأفـق، تهتـز البواخـر في المـوج. بـدا أن الشـمس تـشرق بسـطوع أكـبر بعـد المطـر. شـقَّ جـرّارٌ طريقـه حـول قطـع الخشـب التـي جرفهـا المـدُّ إلى الشـاطئ، وشـباك الصيـد المبعـثرة بطـول الشـاطئ. مـاذا يفعـل جـرّارٌ عـلى الشـاطئ الطينـي؟ كان مشـهدًا غـير مألـوفٍ بالنسـبة إليّ حيـث كنـت معتـادةً أكـثر عـلى رؤيـة الفلاحـين يتحرّكـون ذهابًـا وإيابًـا بـين حقـول الأرز. في كل مـرّة تَهـبُّ فيهـا الريـاح، تندفـع الميـاه وتلامـس الضفـاف الرمليـة، موجـة تلـو الأخـرى. بـدا صـوت المحـرّكات البعيـدة أشـبه بـشيء في حلـم. دار سِربٌ مـن طيـور النـورس في سـماء الصبـاح.

"بخصـوص ليلـة الأمـس" بـدأ داهِـن الـكلام، وقـد عَلَـت وجهَـه نظرةٌ مُتجهِّمَـة. سـارعت بمقاطعتـه.

"لا تقلـق بشـأن هـذا. أنـا عـلى مـا يـرام. سـننسى كل شيء بخصـوص هـذا في غضـون أيـام قليلـة".

"حسنًا" أومأ بجدِّيَّة.

"إذًا ألم تقبض على جاسوسٍ بَعدُ؟".

اندفع السؤال من فمي قبل أن أستطيع كبح نفسي.

"لم يفعـل أيُّ أَحَـدٍ في وحـدتي ذلـك. لكـن يقولـون إنَّ أحدهـم قـد اصطـاد حوتًـا قبـل عـدة سـنوات".

"حوتًا؟".

"لا تسـبح الحيتـان في البحـر الغـربي عـادَةً. لكـن مـرَّةً كُلَّ فـترة، يـشرد حـوتٌ ويعـبر البحـر الجنـوبي إلى هـذا الجانـب مـن شـبه الجزيـرة. يقولـون إنَّ الحيتـان تسـبح تجـاه السـاحل في الظـلام، فتبـدو كغوَّاصـات تَجسُّـس كوريَّـة شـمالية مُتسـلِّلة. اتَّبَـع الجنـديُّ الـذي كان يحـرس السـاحل حينهـا، الإجـراءَ المُتَّفَـقَ عليـه وأطلـق شـعلة تحذيريـة، ثـم أطلـق قذيفـة كلايمـور وفتـح نـيران بندقيَّتـه الآليـة. بعـد أن أشرقـت الشـمس وسـبحوا داخـل الميـاه ليُلقـوا نظـرة عـن قـرب، اكتشـفوا أنـه لم يكـن جاسوسًـا في النهايـة، بـل حوتًـا ضخـمًا يطفـو وبطنـه إلى أعـلى، وقـد تمـزَّق إلى أشـلاء".

"حوت مسكين".

"أشـاد العقيـد بالجنـدي وكافـأه بـإذن إجـازة سـبعة أيـام لأنَّـه أدَّى مَهـامَّ حراسـته عـلى النحـو الأمثـل مـن دون أن يغفـو أثنـاء عملـه".

بعـد قصـة الحـوت الـذي ظـنَّ الجنـديُّ أنـه جاسـوس، لم يكـن لدينـا أي شيء آخـر لنقولـه. كانـت أول مـرة نشـعر فيهـا بالارتبـاك حـول بعضنـا البعـض. سرنـا عائديـن بـين حقـل الـذرة وحقـل الفلفـل الـذي اجتزنـاه ليلة

الأمس حتى وصلنا إلى وحدة داهِن. أخبرته أنني يجب عليَّ أن أبدأ رحلة العودة إلى المدينة، والتفتُّ لأرحل. بعد بضع خطوات، حدَّقتُ إلى الوراء لأراه لا يزال يقف هناك، مُتَسمِّرًا في البقعة ذاتها، يشاهدني أرحل. بعد بضع خطوات أخرى، التفتُّ من جديد فكان لا يزال هناك. أشرت إليه بأن يذهب ويدخل وحدته، لكنه لم يتحرك. مَشيتُ لمسافةٍ أبعد، ثمَّ نظَرتُ إلى الوراء مُجدَّدًا. كان رأسه يتدلَّى إلى أسفل.

يون.

السَّماء تُمطِرُ الآن. ضباب أزرق كثيف يغطِّي غابة الصنوبر والبحر. أستمرُّ في تصوُّر الطريقة التي لم تتوقَّفي بها عن التحديق إلى الوراء نحوي في اليوم الذي غادرتِ فيه. عندما أرقد تحت غطائي، تُدَغدِغُ أنفاسُكِ وصوتكِ أذنيَّ. أتساءل ماذا تفعلين الآن. هل تنظرين أيضًا خارج النافذة نحو المطر المنهمر؟

بعد تلك الزيارة توقَّفتُ عن الرد على رسائله.

***

خفَضَت رأسي حتى كادت ذقني تلامس الورقة وشَرَعتُ في الكتابة إليه.

عزيزي داهِن،

أكـثر مـكان زُرتُـه في هـذه المدينـة هـو قـصر جيونجبوكجونـج[1] والمتحـف في شـارع سـيجونج. في البدايـة كنـتُ أسـتغرق سـاعةً وعـشر دقائـق للوصـول إلى هنـاك مـن الضاحيـة التـي أسـكن فيهـا. الآن يمكننـي الوصـول في خمسـين دقيقـة. لا أمـشي بسرعـة أكـبر، بـل أمسـيت فقـط أعـرف الشـوارع عـلى نحـوٍ أفضـل. لكـن لا أخطـو إلى الداخـل دائمًـا بمجرَّد أن أصـل إلى هنـاك. لـو كنـتُ في طريقـي إلى الجامعـة، أعـبر أمامـه وحسـب. أحيانًـا أحـب أن أمـشي حـول الجـدار الخارجـي للقـصر بـدلًا مـن أن أدخـل. أمـشي الطريـق بأكملـه حتـى سامتشـونج- دونـج في الأيـام التـي تتراكـم الأشـياء التـي لا أرغـب في التفكـير فيهـا بداخـلي وتمـلأ رأسي بالضجيـج.

الأمـر غريـب لكـن دخـول القـصر أشـبه بدخـول عـالم آخـر. في اللحظـة التـي أخطـو فيهـا عـبر البوَّابـة وأمـشي فـوق أراضي القـصر، يتـلاشى صَخَـبُ العـالم الخارجـي، والسـيارات المسرعـة، وناطحـات السـحاب. أعتقـد أن هـذا هـو سـبب ذهـابي هنـاك. عندمـا أكـون داخـل القـصر، أنـسى مَـن أكـون خارجـه. أول مـرة ذهبـت فيهـا إلى هنـاك، بـدا كل شيء مُنعشًـا وجديـدًا جـدًّا. شـعرتُ بالغبـاء لأننـي لم أدرك مـن قبـل أبـدًا كـم أعيـش قريبـة جـدًّا مـن قـصر ملـكي. هـل أخبرتـكَ عـن خطَّتـي بالمـشي في أرجـاء المدينـة ساعَتَيْن عـلى الأقـل كل يـوم؟ بـدأت أفعـل هـذا كي أتعـرَّف عـلى المدينـة، وقـد سـاعدني ذلـك حتـى الآن عـلى اكتشـاف تلـك الأماكـن. يعيـش كل سـاكني المدينـة تحـت الأجنحـة الحاميـة لهـذا القـصر؛ لـذا لمـاذا لا يزورونـه أكـثر؟ الأمـر غريـب بالنسـبة إليَّ. لأننـي فكَّـرتُ دائمًـا في بوابـة جوانجهوامـون كمجـرَّد تقاطُـع طُـرُق وليـس البوابـة الأماميـة لقـصر

(1) قصر جيونجبوكجونج: القصر الملكي الرئيسي في عهد مملكة جوسون الكورية. بُني سنة 1395.

جيونجبوكجونج، لم أُلقِ نظرةً حتى على البوابة نفسها من قبل، إلى أن دخلت إلى داخل القصر. بالطبع خطر ببالي أن القصر والمتحف هما مكانَاي المفضَّلَان في المدينة الآن، فقط بينما أكتب إليكِ هذه الرسالة.

السبت الماضي، بدأت تُمطر رذاذًا في منتصف الليل. استيقظت مبكِّرًا ومَشيتُ إلى قصر جيونجبوكجونج. حَملُ مظلَّةٍ معي بدا كعبءٍ ثقيل؛ لذا اكتفيتُ بارتداء معطفٍ ذي قلنسوة. كان رذاذ المطر خفيفًا جدًّا. حين وصلت إلى هناك، كان شَعري وثيابي مُبلَّلةً. القصر مكتظٌّ عادة يوم الأحد، لكن لم يكن هنالك أي أحدٍ تقريبًا في ذلك اليوم؛ ربَّما بسبب الطقس. لم أخطِّط للدخول إلى القصر، لكنني غيَّرتُ تفكيري لأنه لم يكن هنالك طابور عند شباك التذاكر، وبدا القصر مهجورًا ووحيدًا. لقد زرت القصر من الداخل عدة مرات وظنَنتُ أنني أعرفه جيدًا. لكن بدت المباني القديمة مختلفة تمامًا في المطر مقارَنةً بشكلها في الأيام المشمسة. حتى جبل بوجكسان الذي يمكنني رؤيته من قاعة جونجيونججون بَدَا جبلًا مختلفًا تمامًا. وسرادق هيانجوونجونج السُّداسي الشكل على سطح الجزيرة في منتصف بركة اللوتس الواسعة حيث أذهب طيلة الوقت بدا جديدًا بالنسبة إليَّ. ولم يكن ذلك كُلَّ شيء. بدا سرادق جيونجهوريو غامضًا جدًّا في المطر. كان مطرًا خفيفًا، مع هذا بدا كل شيء مختلفًا جدًّا. كلَّما تَوغَّلتُ أكثر في جنبات القصر، صادَفتُ شيئًا جديدًا. في كل مرة أذهب إلى هناك، كنتُ أحرص على الذهاب إلى سرادق جيونجهوريو؛ لذا كنتُ أعرف المنطقة حوله جيدًا. لكن هذه المرة، لمحت سلَّمًا خشبيًّا لم ألحظه من قبل. تقود السلالم إلى الطابق الثاني. كان هنالك لافتة "ممنوع الدخول"، لكنني صعدت إلى هناك على أية حال. كان السرادق مفتوحًا من كل الجوانب. صدمتني كل تلك المساحة المفتوحة الرَّحبَة. كانت الصدمة قوية جدًّا لأنني لم أُعِر اهتمامًا سوى لمحيط السقف المُثمن (ثماني الأضلاع)، والذي بدا كأنه قد يطير في الهواء في أي ثانية، وزخارف القرميد التي

نُحِتت بصلصال رطب على شكل طيور فاغرة الفَمِ قبل أن تُجفَّف وتُثبَّت في نهاية حواف السطح. كانت أعمدة الطابق الأرضي حجرية؛ لذا ما كنتُ لأتصوَّر أن أعمدة الطابق الثاني مصنوعة من الخشب. أتتذكَّر كيف كُنَّا نذهب للتزلُّج على الجليد في الشتاء؟ أعني الطريق الجليدي بجوار السد حيث ينمو البقدونس المائي بسرعة ويخضرُّ في الربيع. كنا نرمي بحجر فوق الثلج قبل أن نركب الزلاجات. كنا نفعل ذلك كي نختبر إذا كان الثلج سميكًا بالقدر الكافي كي يُدعِّم وزننا. أتتذكَّر الوقت الذي رمينا فيه حَجَرًا فتشقَّق الجليد الرفيع؟ بينما أصعد الدرج إلى الطابق الثاني للسرادق، اعتقَدتُ أنني أسمع صوت تَصدُّع الجليد في رأسي. صعدتُ بقية السلالم مُسرِعَةً قبل أن أتمكَّن من تهدئة نفسي بمجرَّد أن وصلت إلى الأعلى. كانت جبهتي تتصبَّب عَرَقًا، لكن سرعان ما سرى البرد في جسمي. وقفت هناك أشعر بالدوار. تألَّمَت عيناي من كل ذلك الجمال المحيط بها. كانت الأرضية مُغطَّاةً بألواح خشبية مختلفة الأطوال. شعرت أنني قد أمطت اللثام عن أحد أسرار المدينة. شعرت بإثارة شديدة من الانتصار الذي حقَّقتُه لدرجة أنني لم أستطع أن أكفَّ عن الضحك. أعرف الآن أنني إذا شاهَدتُ لافتة "ممنوع الدخول" في أي وقت، فسوف أدخل وألقي نظرة، ضارِبَةً بالتحذير عرض الحائط. ربما كانت تلك اللافتة هي السبب الذي جعلني لا ألاحظ أبدًا السلالم الخشبية رغم المرَّات الكثيرة التي مشيت فيها حول محيط السرادق أو جلست فيها أحدِّق إليه من مكان جلوسي فوق مقعد خشبي.

وقَفتُ هناك لوقت طويل، ثم مشيت على أطراف أصابع أقدامي بحَذَرٍ فوق الأرضية الخشبية. مَشَيتُ بأكبر قَدرٍ من الخِفَّة، أزحف إلى الأمام خطوةً واحدة في كل مرَّة. بدت بركة اللوتس خلَّابَةً من أعلى. تمايَلَت أزهار الخُزامَى الطافية فوق المياه في النسيم، وأحدَثَت قطرات الماء تَمَوُّجاتٍ، كبيرة وصغيرة، تنتشر عبر المياه حتى تتلاشى. في

الأيام الصافية، يمكنك رؤية انعكاس السرادق فوق سطح البِركَة. كنتُ قد صعدت إلى جبال إنوانجسان وبوجكسان ونامسان من قبل. التراب الذي استُخرج من الأرض عندما شُيِّدَت بِركَةُ اللّوتس قد استُخدم في بناء حديقة أميسان خلف جناح الملكة. أمكنني رؤية كل ذلك أيضًا متجسِّدًا أمام عينيَّ.

جَلَستُ بحَذَرٍ. في اللحظة التي فعَلتُ فيها ذلك، تلاشى كلُّ التَّوتُّر الذي انتابني بسبب شعوري أنني قد تسلَّلتُ من دون إذنٍ، وبدأت أسترخي. تَمَلَّكني الغضب من نفسي لأنني لم أفِ بالوعد الذي قطعته لميرو بأن أساعدها في البحث عن حبيب أختها، خاصَّةً وقد رحَلَت الآن بمفردها ثانية. لكن عندما جلست فوق الأرضية الخشبية للسرادق، بدا كأن الغضب أيضًا قد بدأ يُرخي قبضته عنِّي قليلًا. بدا كأن ألواح الأرضية الخشبية تتحدَّث إليَّ، كلماتها -المكتومة لمئات السنين- اختَرَقَت الصمت العميق وارتفعت في الهواء.

عزيزي داهن.

تتذكَّر كيف كان لبيت كُلٍّ مِنَّا حيث كبرنا شرفة خشبية ضيقة تلتفُّ حول جوانب المبنى؟ كانت أمي تبقي الخشب مُلمَّعًا دائمًا. أخبرتني أن أبي قد بنى الشرفة بنفسه، مستخدمًا أشجارًا جَلَبَها من الجبل وراء منزلنا، سقَطَت أثناء إعصار. قالت إن الخشب سوف يدوم ويحافظ على متانته لوقت طويل إذا اعتنينا به جيدًا وحرصنا على مسحه وتنظيفه وطُلِيَ بالورنيش. هل تتذكَّر كيف اعتدنا على الاستلقاء على بطنينا، نقرأ الكتب على الشرفة، وكيف كنَّا نستغرق في النوم ووجهانا ملتصقان بالأرضية الخشبية بينما نؤدي واجباتنا المدرسية أو نلعب؟

لا تضحك.

ذلـك اليـوم استيقظت في الطابـق الثـاني لـسرادق جيونجهوريـو لأجـد شـخصًا يهـزُّني. كان أحـد حـرَّاس القـصر. لا بُـدَّ أنني نِمـتُ هنـاك لأربعـين دقيقـة. بعـد أن تَخـرجَ مـن الجيـش، سـوف أخـبرك كيـف تمكَّنـتُ مـن التخلُّـص مـن ذلـك الحـارس. سـوف تكـون تلـك هـي هديتـي لـك عنـد تسريحـك مـن الجيـش.

عزيزي داهِن،

يومًا ما، يا داهِن. يومًا ما. سوف آخذُكَ إلى هناك.

توقَّفـتُ عـن الكتابـة. حدَّقـت إلى العبـارات التـي فرغـت مـن كتابتهـا للتَّـوِّ، ووجهـي يـكاد يلامـس الورقـة، ويـدي تقبـض عـلى القلـم الريشـة.

الحـروف الصغـيرة في كلمـة "يومًـا مـا" أخـذَت تكـبر وتكـبر حتـى مـلأت مجـال بـصري، وأصبَحَـت كل مـا يمكننـي رؤيتـه.

كـم تمنَّيـتُ لـو أسـتطيع أخـذ داهِـن إلى الطابـق الثـاني مـن سرادق جيونجهوريـو يومًـا مـا. لـو أتى ذلـك اليـوم الذي سـنتمكَّن فيه مـن الذهاب إلى هنـاك معًـا، فسـوف أخـبره ببقيَّـة القصـة. سـأخبره أن الحـارس قـد هـزَّني، فانتفضـت مُعتَدِلَـةً في جلسـتي حيـث اسـتغرقت في النـوم ووجهـي يلامـس الأرضيـة الخشـبيَّة. لم يكـن أوَّل شيء يخطـر ببـالي هـو "مـاذا أفعـل هنـا؟" لكـن "أيـن كنـتُ بِحَـقِّ الجحيـم؟"، ثـم تذكَّـرتُ أننـي كنـت أمـشي حـول بِركَـةِ اللوتـس تحـت المطـر المنهمـر قبـل أن أرى لافتـة "ممنـوع الدخـول" وأصعـد السـلالم إلى الطابـق الثـاني. سـوف أخـبره كيـف تواصَـلَ سـقوطُ المطـر. كيـف كانـت الأرضيـة الطينيـة لقـصر جيونجبوكجونـج مُبلَّلـةً، وكيـف غطَّـى الضبـاب جبـل إنوانجسـان. سـوف أخـبره أن الحـارس قـد رمقنـي بنظـرةٍ قاسـية ثـم وبَّخَنـي وسـألني فيـما كنـتُ أفكِّـر حـين

قـرَّرتُ النـوم في منطقـة محظـورة، وكيـف أنني قـد انهـرت عـلى ركبتـي في الحـال وأقسـمت للحـارس أننـي سـوف أدعـك وألمِّع الألـواح الخشبية بنفسـي، أنني سـوف آتي كل يـوم وألمعها حتـى تـبرق مـن جديـد. حـدَّق الحـارس إليَّ بوجـه يشـوبه النعـاس، وأطلـق ضحكـةً صافيـة مـن القلـب. قـال إنني لا أستطيع تلميـع الأرضيـة لأنـه لا يفـترض أن يصعـد الـزوار إلى هنـا مـن دون تصريـح، لكننـي لا يجـب أن أنسـى وعـدي. قـال بجدِّيَّـة: "لـو أتى ذلـك اليـوم الـذي سيُسـمح فيـه للنـاس بالقـدوم والصعـود إلى هنـا كـما يحلـو لهـم، فسـوف تَفِـين بوعـدكِ حينهـا، أليـس كذلـك؟". ثـمَّ كَـرَّر سـؤاله ثانيـة وقـد عَلَـت وجهـه نَظـرَةٌ أَرقٍ هـذه المـرة. قبـل أن أتمكَّـن مـن الإجابـة حتـى، قـال: "طالمـا لـن تنسـي وعـدكِ أبـدًا، طالمـا تعنـين كل كلمـة عندمـا تقولـين إنـك سـوف تدعكـين هـذه الأرضيـة كل يـوم، فسـوف أسـمح لـك بالذهـاب هـذه المـرة".

الكثـير جـدًّا مـن الوعـود المنسـيَّة. وعـود لم تُنفَّـذ، وتبخَّـرَت مـن الذاكـرة منـذ زمـن طويـل.

وَضَعـتُ سِـنَّ قلمـي الريشـة تحـت كلمـة "يومًـا مـا يـا داهـن. يومًـا مـا سـوف آخـذُكَ إلى هنـاك". وتأهَّبـتُ لكتابـة آخـر سـطر في الرسـالة، لكننـي جلسـت هنـاك في مـكاني مـن دون أن أتحـرك. كل مـا رغبـت في كتابتـه هـو كلمـة ختاميـة مثـل المخلصـة يـون لكـن شـعرت أننـي قـد حـشرت نفسـي في زاويـةٍ مـا مثـل شـخص يتلعثـم بحثًـا عـن الكلـمات لأنـه قـد وصـل إلى نهايـة مسـدودة لكنَّـه مُضطَـرٌ إلى قَـوْلِ شيء مـا. كتبـت، اعتَنِ بنفسِـكَ قبـل أن أشـطب عليهـا. كتبـت "ابـقَ قويًّـا". ثـم شـطبت عليهـا أيضًـا. ثـم كتبـت "سـوف أكتـب إليـك ثانيـة". ثـم شَـطَبتُها كذلـك. ومضـت آخـر صـورة لداهِـن وهـو يقـف هنـاك ورأسـه مَحنـيٌّ إلى أسـفل

فوق الحروف المشطوبة لكلماتي الوداعية الأخيرة إليه. انتشرت زُرقَةُ رأسه الحليقة في ذهني كالحبر. عَضَضتُ شفتي وشَطَبتُ كلمات: يومًا ما يا داهِن. يومًا ما سآخذك إلى هناك. كتبتها ثانية ثم محوتها ثانية. كتبتها ومحوتها ثم أَعَدتُ كتابتها. أضحت الورقة بُقعَةَ حبرٍ كبيرة من كثرة الشَّطبِ.

"يون!".

كنتُ مستغرقة في النوم على مكتبي عندما سمعت أحدهم يناديني. رفعت رأسي من فوق المفكِّرة المبَقَّعة، وأَنصَتُّ بحرص إلى الصوت القادم من خارج الباب.

"يون!".

كانت ابنةَ عمي. نهضت وفتحت الباب. بدا وجه ابنة عمي الحامل المليء بالنمش مسرورًا لرؤيتي. كانت تحمل حاوية مليئة بالكيمتشي.

"لماذا لا تجيبين على الهاتف؟" سألَتني.

هل رنَّ الهاتف؟ وضَعَت ابنة عمي الكيمتشي في المطبخ ونظرت إليّ.

"قال أبوكِ إنه قد حاول الاتصال بكِ هذا الصباح" قالت.

هل فَعَلَ حقًّا؟

اتَّصل بي أبي في وقت مُبكِّر من الصباح قبل ستة شهور ليخبرني عن داهِن. قال إنه اعتقد أن من الأفضل لي أن أسمع الأخبار منه بدلًا من شخص آخر. اعتقد أنه لا يزال يمشي إلى قبر أمي كل يوم عند شروق وغروب الشمس. عندما يشتدُّ البرد، يلفُّ القش حول قاعدة شجرة تمر حِنّة التي وضعها بجوار قبر أمي ليحميها من البرد.

وعندما يحين الربيع، فإن أول ما يفعله هو أن يزيل القشّ. تَمتَدُّ الأغصان إلى الخارج كمظلَّةٍ في الأيام المشمسة والمُمطِرَة. لا يبدو أنها قد اجتُثَّت من فناء منزلنا وأعيد غرسها، بل كأنها كانت هناك دائمًا.

"طلب مني أن آتي إلى هنا وأتفقَّدَكِ؛ لأنه يحاول الاتصال بكِ منذ يومين. أيمكنك توقُّع متى اتصل بي اليوم؟".

نظرت إليها من دون أن أجيب.

"السادسة صباحًا. لا بُدَّ أنه قد سهر الليل ينتظر شروق الشمس كي يتَّصِلَ بي. لماذا لم تَرُدِّي على الهاتف؟".

"لم أسمع رنين الهاتف".

"حاوَلتُ الاتصال بكِ بدَوْري عِدَّة مرَّات".

رفَعتُ عيني ونظرت إلى الهاتف. لقد أحضر أبي الهاتف إلى هنا بنفسه وركَّبه كي يستطيع تَفَقُّدَ أحوالي في المدينة.

"هل سِلكُ الهاتف منزوع؟" سألتني وهي تُمرِّر سلك الهاتف عبر يدها لتفحصه. "يبدو على ما يرام بالنسبة إليَّ. إذًا لماذا لم تسمعيه يَرِنُّ؟".

بعد يوم الأحد الممطر عندما مشيت على أقدامي كل الطريق حتى قصر جيونجبوكجونج ثم عُدتُ إلى البيت، مكثت في حجرتي عدَّةَ أيَّامٍ من دون أن أخرج. كلما أصبَحَت الحجرة خانقة، أخرج إلى السطح وأنظر إلى أسفل نحو المدينة. أتأمَّل طويلًا برج نامسان الذي يلمع في البقعة نفسها دائمًا كأنه رَمزٌ من نوع ما. متى آخر مرة غادرت فيها الحجرة؟ أعتقد أنه ذلك اليوم الذي انتَعَلتُ فيه حذائي الرياضي ومشيت إلى الجامعة كما أفعل دائمًا، وعرفت بشأن الأستاذ يون. ذهبت للبحث عن ميونجسو، الذي أصبح بالكاد

يـأتي إلى الجامعـة لأنـه منشـغلٌ في المشـاركة في الإضراب الجماعـي عـن الطعـام المُقـام في كاتدرائيـة ميونجدونـج. أخبرتـه أن الأسـتاذ يـون قـد تقـدَّم بخطـاب اسـتقالته إلى الجامعـة. اسـتقال بمحـض إرادتـه. السـبب الـذي أرفقـه بخطـاب الاسـتقالة هـو أنـه لا يسـتطيع مواصلـة التدريـس بينـما الكثير مـن زملائـه في الجامعـة قـد فُصِلـوا لأسـباب سياسـية. لم يَبـدُ ميونجسـو متفاجئًـا. حتـى حـين أعطيتـه نسـخة مـن خطـاب الأسـتاذ يـون -الخطـاب الـذي يبـدأ بـ "إلى تلاميـذي"- أخـذه ميونجسـو منـي بهـدوء وقـال: "أعتقـد أن مـيرو لـن تعـود إلى الجامعـة بعـد الآن". حتـى حـين أخبرتـه أن الأسـتاذ يـون سـوف يغـادر المدينـة وينتقـل للحيـاة في الريـف، كان كل مـا قالـه هـو: "يبـدو ذلـك شـيئًا قـد يفعلـه الأسـتاذ يـون". بالفعـل بعـد أن أُلغِيَـت محـاضرات الأسـتاذ يـون، توقَّفَـت مـيرو عـن القـدوم إلى الجامعـة. بعـد أن بِيـع بيتهـا القديـم، كانـت تـأتي أحيانًـا إلى منـزلي وتنظـر إلى أسـفل نحـو البيـت القديـم. ذات مـرة تَمتَمَـت: "يقومـون بإصلاحـه". افتَرَضـتُ أنهـا قـد مَـرَّت عـلى البيـت حديثًـا. بعـد أن انتقـل السُّـكَّان الجُـدُد إلى البيـت وأمـسى يُضـاء ثانيـة ليـلًا، قالـت مـيرو: "أتمنـى أن يكونـوا سـعداء هنـاك". كان مـن الغريـب أن أسـمع تلـك الكلـمات تخـرج مـن فمهـا بعـد أن تشـاجَرَت بـضراوَةٍ مـع والديهـا بشـأن بيـع المنـزل. حدَّقـتُ إلى وجههـا الـذي يلمـع في أضـواء المدينـة. بَـدَت حزينـةً. سـألتني عـن أحـوال داهِـن. أخبرتهـا: "عـلى مـا يُـرام في الأغلـب".

"مـا الخطـب يـا يـون؟" سـألتني وأنـا أحـدِّق إلى الهاتـف. بـدا أن النمـش قـد غـزا وجههـا الـذي كان أبيـضَ البـشرة، منـذ آخـر مـرة رأيتهـا فيـه. انجَذَبَـت عينـاي إلى بطنهـا الضَّخمـة.

"أنـا ضخمـة، أليـس كذلـك؟" ابتسَـمَت وأراحـت يدهـا فـوق قِمَّـة بطنهـا. "يقولـون إذا بَـرَزَت بطنُـكِ لأعـلى فالمولـود بنـت".

حرَّكَت يدها إلى أسفل لتسند بطنها بفعل غريزة الحماية التي تمتَلِكُها أيُّ أمٍّ حُبلى تجاه طفلها غير المولود بعد. لم أستَطِع أن أصدق أنها قد مشت صاعدة السلالم حتى حجرتي فوق السطح، وهي تحمل حاوية كبيرة من الكيمتشي، وتمسك بطنها، ووجهها مليء بالنمش.

"لا بُدَّ أنني كنتُ نائمة" قلتُ.

"لكن كيف استطعت النوم خلال كل هذا الرنين المتواصل؟".

"لقد مشيت كثيرًا بالأمس". الحقيقة أنني قضيت اليوم السابق في حجرتي ولم أخرج، لكن لم أعرف ماذا أقول لها غير ذلك.

"لا زِلتِ تقومين بتلك الجولات؟" بَدَت قَلِقَة. "من الأفضل أن تتَّصِلي بأبيكِ".

فعَلتُ كما أخبرتني، واتَّصلتُ به في الحال. لا أمتلك أي ذكرى عن سماع رنين الهاتف في الليلة السابقة. لا أتذكَّر حتى سماعه في الصباح حين كنتُ نائمة على المكتب. التقطت سماعة الهاتف ووضعتها على أذني واتَّصلتُ برقم أبي بِيَدٍ واحدة، بينما أغلق المفكِّرة حيث وضعت رسالتي إلى داهن بين دفَّتَيْها، باليد الأخرى. ملأت السطور المشطوبة عينيَّ. سقَطَت الرسائل على الأرضية. بينما يجيب أبي على مكالمتي، شرَعَت ابنة عمي في التقاط الرسائل ووضعها فوق المكتب. أراحت يديها فوق بطنها وحدَّقَت إلى الرسائل. لم تُزِح عينيها بعيدًا عنها.

"أنا على ما يرام يا أبي. لا بُدَّ أنني قد استغرقت في النوم ليلة الأمس، ولم أسمع رنين الهاتف. كيف حالك؟".

"أنا على ما يرام أيضًا".

تردَّد صدى تلك الكلمات بداخلي مثل جرس. لم أعتقد أبدًا أن مثل هذه العبارة العادية "أنا على ما يرام أيضًا" سوف تعصف بي بمثل هذه القوة. لو أستطيع فقط سماع الكلمات ذاتها من ميرو،

التي توقَّفَت عن الاتصال بي. لو أمكنني سماعها من ميونجسو الذي يزداد جسمه نحولًا مع مُضيِّ كُلِّ يوم. أمسكت السماعة واستمعت إلى صوت تَنفُّس أبي. لو أستطيع فقط سماع تلك الكلمات العادية من داهِن.

"يون؟ ألا تزالين هناك؟".

"أجل" قُلتُ أخيراً.

"إذا كانت الأمور صَعبَةً عليكِ، عودي إلى البيت وحسب".

فكَّرتُ في ذلك العامِ الذي قضيته في البيت برفقة أبي بعد موت والدتي.

ذلك العام الذي قضَيتُه أتجوَّل حول بيتنا الريفي. العشاء الهادئ مع أبي كل يوم. صوت أبي وهو ينادي عليَّ في طريقه إلى البوابة الأمامية. الصمت الذي يُغلِّف المنزل من جديد بعد أن أجيبه من حجرتي أو المطبخ. رغم أننا لم نفعل أي شيء مُحدَّد من أجل الآخر سوى إثبات وجودنا فقط، ربما من خلال النداء والرَّد على الآخر، إلا أنَّ كلًّا منَّا قد ساعد الآخر على أن يتقبَّل ببطء غياب أمي. عندما كُنَّا صغيرين، اعتاد داهِن على أن ينادي على اسمي من الزُّقاق قبل أن يصل إلى بوابة البيت ويخطو داخل الفِناء. كلَّما وجد داهِن طيراً ميِّتًا أو رأى ثعبانًا دهسه قطار، كان داهِن يمسك بيدي ويأخذني لرؤيته. لا بُدَّ أنني نادَيتُ على اسمه بدوري مرَّاتٍ لا حصر لها. كلما انزلَقتُ على الثلج أو سقَطتُ في حفرة، كان اسمه هو الاسم الذي أهتف به؛ لأنه كان دائمًا هناك بجانبي أو يسير أمامي.

"أموري جيِّدة يا أبي".

عندما وضَعتُ السماعة، كانت عينا ابنة عمي مثبَّتتيْن عليَّ.

"يـون". بـدت مثـل أبي تمامًـا. التقَطَـت الرسـائل برقّـة من فـوق المكتب. بـدا أنهـا تمتلـك شيئًا لتقوله أو لتسـأله. لم يتحـدّث أيٌّ مِنَّـا للحظة.

"لمـاذا لا تأتـين وتقيمـين معـي لفـترة" قالـت. "سـيطير زوجـي إلى أوروبـا." يعنـي ذلـك أن زوجهـا الطَّيَّـار سـوف يغيـب لبضعـة أيـام.

"سأكون بخير".

انحَنَـت إلى أسـفل ببـطء ثـم جلسـت عـلى الأرض. فَـرَدَت سـاقيها واسـتندت إلى الحائـط، لكـن في لحظـةٍ كانـت تتمـدَّدُ عـلى الأرضيـة. معدتهـا المسـتديرة بـارزة إلى أعـلى تجـاه السـقف. خطـر ببـالي كتـاب الشِّـعر الـذي أعطـاني إيَّـاه داهِـن في الليلـة التـي غـادَرتُ فيهـا قريتـي إلى المدينـة أوَّلَ مَـرَّة. بسـبب الاقتبـاس الـذي كتبـه في أول صفحـة -بـدأت في المـشي بنعومـة.. البـشر المسـاكين لا يجـب أن يُزعجـوا عندمـا يسـتغرقون في التفكـير- كان أول كتـاب اشـتريه في المدينـة هـو مفكّـرات لوريـدس بريجـي. الفصـل الأول مـن الكتـاب يَصِـفُ امـرأة حُبـلى تدفـع جسـدها بطـول جـدار مستشـفى. الإهـداء المكتـوب يقـول:

أجمل امرأة في العالم هي امرأة حُبلَى بحياةٍ جديدة.

اسـتمرَّت يـدا ابنـة عمـي في التحـرُّك فـوق بطنهـا. امتـدَّ نَمَشُـها فـوق خدَّيهـا وعظـام وجنتهـا حتـى صدغيهـا. لم يكـن الجـو حـارًا، لكـن تصبَّبَـت قطـرات العـرق فـوق جبهتهـا. في كل مـرة تأخـذ فيهـا نفسـها، ترتفـع بطنهـا المسـتديرة ثـم تنخفـض. ذهبـت إليهـا ورقـدت بجانبهـا. اعتدنـا عـلى النـوم معًـا عندمـا كنـتُ أعيـش معهـا. ابتسَـمَت فامتـدَّ نمشـها إلى أعـلى تجـاه أذنيهـا. أبعَـدَت يدهـا اليـسرى عـن معدتهـا ومدَّتهـا إلى الأمـام لتربِّـت عـلى خـدِّي. سرى الـدفء في وجهـي.

"أتعدينني بشيء ما؟" سألتني. نظرتُ إليها. "عِديني أنكِ لن تغطّي نافذتكِ بورق أسود ثانية".

لم أتفوّه بكلمة.

"أحببت دائمًا إقامتكِ معي، إلّا الفترة التي غَطّيتِ فيها النوافذ واعتَكَفتِ في حجرتك ولم تخرجي منها".

"كيف كنتُ أبدو حينها؟".

"كنتِ شخصًا مختلفًا. بدا كأنكِ كنت تصارعين شيئًا ما، أنكِ تائهة، أنّكِ لن تخرجي من تلك الحجرة ثانية أبدًا".

"كل ما رغبت فيه في تلك الفترة هو أن أرى أمي، التي أرسَلَتني بعيدًا عنها عندما تدهور مرضها. كل ما أردته هو التواجُدُ إلى جانبها".

"أتمنّى ألّا تغطّي تلك النوافذ ثانية". عَبَرَت نظرَةٌ قَلِقَةٌ وجهَها. "عِديني ألّا تفعلي ذلك. إذا وعدتِني، فلن أضغط عليكِ كي تأتي للإقامة معي".

"أعِدُكِ يا أختي".

حين نادَيتُها بأختي، داهَمَني النعاسُ إذ فجأةً.

"لقد وَعَدتِني!" هتَفَت.

أومأتُ، ثم وضعت يدي بِرِقّةٍ فوق بطنها التي راحت ترتفع وتنخفض مع الركلات القوية للجنين.

ملأت الأفكارُ رأسي: عليّ أن أقابل الأستاذ يون. عليّ أن أرافق ابنة عمي إلى بيتها. عليّ الذهاب إلى الجامعة. عليّ أن آخذ معطفًا إلى ميونجسو في موقع الإضراب. مع هذا طغى عليّ النعاس وعجزت عن الإبقاء على عينيّ مَفتوحَتَيْن.

***

مُذكّرات ميونجسو

المفكَرَة البَنِيّة "8"

-1-

كانت ميرو تتجادَل مع والِدَيْها كلَّ يوم منذ اكتشَفَت أن بيتها القديم قد عُرض للبيع في السوق، وأُلصِقَ إعلانُ بَيعِه فوق نافذة كل مكتب عقارات في الحي. كانت تشعر بالاستياء الشديد أيضًا لأن يون أخبرتني أنها نَدَمَت على قرارها، وقالت لو أنها كانت تعرف أن هذا سوف يحدث، ما كانت لتوافق أبدًا. تطلَّب منها الأمر وقتًا طويلًا كي تقبل دعوة ميرو بالانتقال إلى البيت، وأنها فعلت ذلك بشرط أن تكفَّ ميرو عن ارتداء تنُّورَة أختها الفضفاضة. كان شرطي أنا أن تتوقَّف ميرو عن البحث عن حبيب أختها. المنحنى الذي أخذته الأحداث تركنا جميعًا مذهولين. ظلَّ البيت خاليًا منذ موت ميراي،

لكن بِيع في غضون أيام قليلة فقط بعد أن وافَقَت يون على الانتقال إليه.

عندما ذكَرَت يون تنُّورَة ميرو، توتَّرتُ. للمحافظة على التقاليد؛ جمع والدا ميرو كُلَّ مُتعلَّقات ميراي في فناء بيتهم بعد عدَّة شهور من جنازتها، وأحرقاها. تشبَّثَت ميرو بتلك التنُّورَة بعنادٍ، وأبَت أن تتخلَّى عنها. بعد ذلك، أمست ترتديها طيلة العام ولا تخلعها أبدًا. مع هذا، أنصتت إلى ما قالته يون، وأشرق وجهها على الفور.

"ذلك هو الأمر؟" سألتها قبل أن تستطرد: "في اليوم الذي سننتقل فيه للحياة معًا، سوف أخلعها ولن أرتديها ثانية أبدًا".

كيف تستطيع النساء أن يصبحن مُقرَّباتٍ من بعضهن البعض في فترة وجيزة سيظلُّ لغزًا بالنسبة إليَّ.

توسَّلَت ميرو إلى أبيها ألَّا يبيع البيت، لكنه كان مُصمِّمًا. أخبرها أنه سوف يشتري بيتًا آخر لها. قالت إنها لا تريد سوى ذلك البيت. رفض كلٌّ منهما أن يتراجع عن موقفه. أتفهَّم لماذا باع أبوها البيت. ذلك البيت يحمل بداخله ذكريات مؤلمة خلَّفتها ميراي وراءها، وكل ما يفعله هو تذكيرهم بوجع فقدان ابنة. ما الذي يمكنه تعويضهم عن ذلك الألم؟

اتَّصل والد ميرو بي وطلب مني أن أحاول تهدئتها. لكن لم تهدأ ميرو. هاجَمَت أباها وصرخت في وجهه. صفعها أبوها، لكنها رفضت أن تخضع له. كانت صدمة بالنسبة إليَّ أن أراها عنيدةً هكذا.

بمجرَّد أن بِيع البيت، قطعت كل اتصالاتها بوالديها، وبعد أن استأنفت بحثها عن حبيب أختها، توقَّفَت عن الاتصال بي أيضًا.

***

-2-

قابَلتُ ابنة عم يون في كاتدرائية ميونجدونج.

اتَّصلَت بي في بيت عمي. لم أدرك أنها في شهور الحمل الأخيرة- بالطبع لا يمكنني معرفة هذا عبر الهاتف. بَدَت صغيرةً جدًّا.

"أَوَدُّ أن أقابلك من دون أن تعلم يون" قالت لي.

تساءَلتُ لماذا ترغب في لقائي. تحدَّثَت يون عن ابنة عمها من حين إلى آخر. أخبرتني أنها عاشت معها عندما انتقلت إلى المدينة أول مرة.

"أرجوكَ، لا تُخبِر يون" قالت.

شَعرتُ بالفزع، وسارعت إلى سؤالها إذا كان قد حدث شيء ليون. لم أرها منذ قرابة عشرة أيام.

"هل يمكننا اللقاء في كاتدرائية ميونجدونج؟" سألَتني. "لقد سَمِعتُ أنَّكَ متواجِدٌ هناك كل يوم تقريبًا. يمكنني التوجُّه إلى هناك الآن".

الآن؟ في هذه الساعة؟ تفقَّدتُ ساعتي. كانت الثامنة صباحًا. على الرغم من أنها صاغت الجملة في صورة سؤال، لكن نبرتها أوحت بوضوح أنها لم تكن تسأل حقًّا. أخبرتني أين أقابلها. لقد قَرَّرَت بالفعل بالنيابة عني: سوف تجلس في المقعد العاشر من الخلف في حرم القُدَّاس داخل الكنيسة. قبل أن أغادر للقائها، حاوَلتُ الاتصال بيون. رَنَّ الهاتف على نحوٍ متواصِلٍ، لكنها لم ترد. وضعت السماعة وغادرت إلى ميونجدونج.

عندما فتحت باب الحرم، اعتقدت أن المكان خالٍ تمامًا. ذهبت إلى المقعد الخشبي العاشر من الخلف. لمحت امرأةً حُبلى، بطنها ضخمة، تجلس في النهاية الأخرى للمقعد الطويل. لسببٍ ما، لم أدرك أنها ابنة عمِّ يون. كانت تجلس في تأمُّلٍ هادئ، لكنها نظَرَت إلى أعلى

وابتسمت إليّ عندما جلست. نَهَضَت وبدأت تمشي بطول المقعد لتقترب مني فسارَعتُ إلى الوقوف وتوجّهتُ إليها. عاوَدَت الجلوس عندما رأتني أقتَرِبُ منها.



تَرَدَّدتُ فبادَرَت هي بالكلام أولًا.

"أنت ميونجسو؟".

"أَجَل يا سيِّدتي".

"لا بُدَّ أنَّكَ تَفاجَأتَ لأنني اتَّصلتُ بكَ. أرجوك، اجلس. آسفة لأنني قد اتصلت بك في وقت مُبكِّر جدًّا. لم أنتَبِه إلى الوقت".

لم أتحمَّل الانتظار؛ فسألتُها مُجدَّدًا إذا كان قد حدث شيء ليون. نظَرَت إليّ للحظة وحرَّكت يدها من فوق ظهر المقعد إلى بطنها المستديرة.

"المشكلة لا تتعلَّق بيون، بل داهِن".

داهِن. تَنفَّستُ الصُّعَداء عندما سمعت أن يون بخير. لكن ماذا حدث لداهِن؟ لم أسمع أي شيء عنه من يون بعد أن زرناه ثلاثتنا في مركز التدريب. كلما سألتها عنه، كانت تخبرني أنه بخير غالبًا.

سَرَحتُ بأفكاري في الوقت الذي قضيناه معًا في ذلك البيت القديم. اعتادت يون أن تحدِّق إليَّ وإلى ميرو وقد عَلَت وجهها نظرة مُبهمة. حين سألتها إلى ماذا تُحدِّق، قالت: "أشعر أنكما تتشاركان شيئًا بينكما لا يمكنني أن أكون جزءًا منه". خلال الفترة التي قضيناها معًا في ذلك البيت، أدرَكتُ ما تقصده. عندما تخوض يون وداهِن محادَثةً عَميقَةً بينما يُهذِّبان الحشائش في الفناء، أو يستلقيان فوق سطح المركب القديم في الفناء يقرآن الكتب أو يحتسيان البيرة، أو يطبخان الأرز أو يُتبِّلان الخضراوات في المطبخ، لا أستطيع أنا ولا ميرو التَّدخُّل بينهما. كانا في عالم خاص بهما ويعرفان بعضهما البعض من

الداخل والخارج. بمجرّد أن أخذا يتذكّران ذكريات طفولتهما، لم أستطع وميرو متابعة نسق حديثهما. أحيانًا، أجد نفسي أنظر إلى يون وداهن بالطريقة نفسها التي تنظر يون إليّ وميرو. كانت يون تسألني إلى ماذا أنظر، وكنتُ أمنحُها الجواب نفسه: يبدو أنكما تتشاركان شيئًا لا يمكنني أن أكون جزءًا منه أبدًا.

نَظَرَت ابنة عم يون إلى أعلى نحوي والتَقَت نظراتنا للحظة. كان خدّاها هزيلَيْن، وهو ما جعل عيناها تبدوان غائِرَتَيْن أكثر. لاحَظتُ أن لديها نَمَشًا. تمتلك أنفًا مستقيمًا وشفَتَيْن مُحدَّدَتَيْن بوضوح، وبشرتها داكنة أكثر من بشرة يون، لكن ربما ذلك بسبب النمش. بالكاد تَحرَّك جانِبَا فمها، لكن زوايا عينيها الخارجية ارتفعت لترسم ابتسامة. ذكرت يون عيني ابنة عمها كثيرًا عندما كانت تتحدَّث عنها. قالت إنهما تبتسمان حتى حين تكون غاضِبَة. بَدَا وجهها كما تخيَّلتُه إلى حَدٍّ بعيد.

"أخبرتني يون الكثيرَ عنكَ". قالت وهي تستخدم نبرة رسمية: "سوف تتفاجأ يون غالبًا إذا عَلِمَت أنني قابَلتُكَ بهذه الطريقة".

أخبرتها أنها لا تحتاج إلى أن تكون رسمية جدًّا معي، لكنها أشارت أنه لقاؤنا الأول. رغم أن عينيها ظلّتا ودودتين، كان واضحًا من حركة فمها أنه من الصعب عليها أن تواصل التَّبسُّم. ثم بدا أنها قد تخلَّت عن المحاولة. اسوَدَّت عيناها، وحرّكت يديها أسفل بطنها. لا يمكننا توقُّع حدوث مثل هذه الأمور: كان من الصعب أن أصدِّق أنني أجلس الآن في الحرم المعتِم لكاتدرائية ميونجدونج، التي لم تشهد يومًا واحدًا من دون مظاهرات مؤخَّرًا... استنتجتُ أنها لا تحمل أخبارًا جيدة؛ لهذا لم أحُثَّها على الكلام. جلستُ أنظر أمامي مباشرةً مثل رجل مذنب ينتظر النُّطقَ بالحُكم عليه. ملأ صَفُّ المقاعد الطويلة عينيّ.

"أخبرونا أنهم كانوا يتمركزون على الشاطئ قرابة الرابعة صباحًا من أجل تمارين تصويبٍ حَيٍّ" بدَأت الحديث. "كان يتمركز جنديٌّ أكبر سنًّا يكاد ينتهي من خدمته العسكرية أمام بندقية آلية، وكان داهِن بجواره يُمسك ببندقية إم 16 عندما قالوا إنهم سمعوا داهِن يصرخ. سَمَّوا ما حدث (خطأ عارِضٌ في إطلاق النار أثناء تمارين تصويب ليلية)، لكن لا يبدو هذا منطقيًّا". طَأطَأت رأسَها إلى أسفل، واندفعت الكلمات خارج فمها مرَّةً واحدة كما لو كانت تُسَمِّعها.

"داهِن ميِّت" قالت.

اعتَقَدتُ أنني قد سمعت صوت باب الكاتدرائية الثقيل ينفتح بدويٍّ، ثم ينغلق ثانية بضجَّة. أحسستُ كأنَّ شيئًا أشبه بحصان أسود رفسني من الخلف، ثم قفز فوق المقاعد الطويلة الفارغة، ثم اندفع مخترقًا السقف.

"لا أستوعب الأمر. شيء يبدو غير صحيح".

الشيء غير الصحيح هو أنني قد وجدت نفسي الآن جالسًا في هذه الكاتدرائية أتلقَّى هذا الخبر. أكان هذا هو الثمن الذي علينا أن ندفعه نظير تلك الأيام الهانئة التي قضيناها في ذلك البيت قبل أن يذهب داهِن إلى الجيش؟ كان داهِن يبقى في البيت ليرسم في كراسة رسوماته كلَّما خرجتُ وميرو ويون. في كل مرة أراه فيها مُنغمسًا في الرسم، لم أكن أستطيع حَمْلَ نفسي على مُقاطَعَتِه. افتَرَضتُ -بناء على ملاحظتي لقدرته على التركيز- أنه سوف يصبح فنَّانًا ذات يوم. كان من الغريب أن أعود بالذاكرة إلى الوراء إلى تلك اللحظات الآن: داهِن يطهو شيئًا في المطبخ لنتناوله، ثم يضعه على المائدة: توفو وكيمتشي وكعك من البصل الأخضر، وخنة الكيمتشي التي يُعدُّها مستخدمًا أي شيء يَجِدُه في الثلاجة. ابتسامته المريحة. والطريقة التي كان يقول بها: "أَمزِجُ كل شيء معًا وحسب". عندما أداعبه سائلًا أي

نـوع مـن الرجـال يطهـو جيـدًا هكـذا. داهِـن وهـو يقـول: "امنحـوني سـبع دقائـق أخـرى فقـط!" كلَّـما اشـتكينا أننـا جوعـى وهـو يُخـرج الشـعيرية أو البيبيمبـاب ليطهـوه. اللحظـات التـي كان أربعتنـا نضحـك فيهـا ببهجـة ونلتهـم الطعـام حتـى آخـر قضمـة. بقـدر مـا اسـتمتعت بقضـاء الوقـت مـع مـيرو، كان الأمـر أحسـنَ عندمـا انضمَّـت يـون إلينـا، وأحسـن أكـثر عندمـا كان داهِـن متواجـدًا معنـا. هـل كان الأمـر مثاليًـا جـدًّا، وكان علينـا أن نعـاني مـن أجلـه؟

"ليسـوا مُتيقِّنـين مـن سـبب الوفـاة" تابَعَـت ابنـة عـم يـون الحديـث. "إذا كان انتحـارًا أم حادثًـا عرضيًـا، أم أنـه كان يتشـاجر مـع زميلـه في الرمايـة... الوحـدات المتمركـزة عـلى الشـاطئ تـؤدِّي تدريبـات تصويـب بشـكل منتظـم. يؤديهـا الجنـود بمفردهـم مـن دون وجـود ضابـط أو حتـى ضابـط صـفٍّ؛ لـذا يدَّعـون أن حـدوث مثـل هـذه الأخطـاء مُمكِـنٌ بسـبب الإهـمال. حتـى خطـأ بسـيط قـد يكـون مُميتًـا. عـلى الرغـم مـن أن داهِـن كان هنـاك فقـط لفـترة مؤقَّتـة، فإنهـم يقولـون إنـه كان جنديًـا مُنضبطًـا، وكان يتعامـل بـودٍّ مـع الآخريـن في وحدتـه؛ لـذا لم يَبـدُ موتـه انتحـارًا أو حادثـة مقصـودة. يقولـون إنـه مجـرد حـظٍّ عاثـر. لم يتلـقَّ قائـد الكتيبـة وقائـد الوحـدة وقائـد الفصيلـة ورؤسـاء داهِـن الآخريـن المباشريـن سـوى توبيـخٍ عـلى إهمالهـم. لكـن المشـكلة هـي موضـع وزاويـة الجـرح الـذي خلَّفَتـه الرصاصـة، والـذي لا يتوافـق مـع ملابسـات إطـلاق عيـار نـاري بالخطـأ أثنـاء تدريبـات تصويـب رصـاص حـيٍّ. أثبـت التشريـح الجنـائي أن الرصاصـة التـي أصابتـه قـد خرجـت مـن بندقيَّتـه".

لم أعـرف مـا عـليَّ قولـه. نظرنـا إلى أعـلى نحـو تمثـال المسـيح المثبَّـت إلى الصليـب. مشـت امرأتـان مُسِـنَّتان يبـدو أنهـما صديقتـان ببطء لتتجاوزانـا وتجلسـا عـلى مبعـدَةٍ عِـدَّة مقاعـد أمامنـا. وأخرجتـا حجـابَيْ مُصـلًى أبيضـين ووضعتاهـما فـوق رأسـيهما. اخـترق شـعاع مـن ضـوء الشـمس النافـذة

الزجاجيـة الملوَّنـة وانحـرف عابـرًا الكاتدرائيـة. بـدا الضـوءُ الملـوَّنُ مثـل لطخـة لا يمكـن إزالتهـا.

"أتيـتُ للقائـكَ بسـبب..." قالـت ابنـة عـم يـون. حدَّقَـت إلى الأمـام مبـاشرة ولم تنظـر إليَّ. "بسـبب يـون" قالـت أخـيرًا. "صُدِمـتُ وحزنـتُ لسـماع خـبر مـوت داهِـن. لقـد عرفتـه وعرفـت أُسرتَـه جيـدًا. رغـم قلقـي كيـف سـيتعاملون مـع الخـبر، فـإن يـون هـي أوَّلُ مَـن خطـر ببـالي. أعتقـد أن هـذه أنانيَّـةٌ منـي. لقـد مـضى سـتة شـهور بالفعـل عـلى موتـه، مـع هـذا تبـدو يـون هادِئَـةً جـدًّا بشـكل غريـب. ارتحـت في بـادئ الأمـر ظنًّـا منـي أن هـذا يعنـي أنهـا قـد تجـاوَزَت الأمـر سريعًـا. لكـن مؤخَّـرًا تتـصرَّف يـون بغرابـة. كـما لـو أنهـا قـد بـدأت تـدرك الآن فقـط أنـه قـد رحـل. أو عـلى النقيـض مـن ذلـك، تتـصرَّف كـما لـو أنهـا قـد نَسِـيَت مـا حـدث".

مـات داهِـن منـذ سـتة شـهور؟ دَعَكـتُ أذنيَّ. بـدا أن صـوت ابنـة عـم يـون قـد تضخَّـم كـما لـو أنهـا تـصرخ في أذني مبـاشرة، قبـل أن يخفـت ويتحـوَّل إلى صـدًى بعيـدٍ، ثـم أزيـزٍ، لدرجـة أننـي لم أسـتطع أن أفهـم كلمـة واحـدة. تعـرف يـون أن داهِـن ميِّـتٌ منـذ سـتة شـهور؟! توقَّفـتُ عـن دعـك أذني ورحـت أدعـك عينـيَّ بـدلًا مـن ذلـك. شـعرت كأن طبلَتَـيْ أذني تنفجـران ومُقلَتَـيْ عينـي تـبرزان إلى الخـارج. في كل مـرة كنـتُ أسـأل فيهـا يـون عـن داهِـن، كانـت تقـول: "هـو بخـير غالبًـا"، حتـى حـين سـألت إذا كان يجـب أن نـزوره، كانـت توافـق في البدايـة ثـم تـتردَّد وتُغـيِّر رأيهـا. كنـتُ أنظـر إليهـا كأننـي أقـول: "مـا ذلـك الـرَّدُّ؟" فتقـول: "لا أعتقـد أن داهـن سـيرغب في اسـتقبال أي زُوَّار". ذات مـرة أخبرتنـي أنـه لا يرغـب في رؤيـة أي مَـدَنيٍّ حتـى تنتهـي خدمتـه العسـكرية، ثـم في مـرة أخـرى وافَقَـت، وقالـت يجـب أن نذهـب لرؤيتـه. اعتقَـدتُ أنهـا لا تسـتطيع أن تسـتقرَّ عـلى قـرار وحسـب.

"لقـد مَـرَرتُ عـلى يـون قبـل عـدّة أيـام" اسـتطردت ابنـة عـم يـون، "كانـت تكتـب رسـالة إلى داهِـن. قرأتُهـا أثنـاء نومهـا. كان ردًّا عـلى رسـالة أرسـلها داهِـن إليهـا قبـل سـنة. كَتَبَـت أن عليهـما الذهـاب إلى سرادق جيونجهوريـو معًـا يومًـا مـا والصعـود إلى الطابـق الثـاني... غـاص قلبـي في مكانـه عندمـا قـرأتُ ذلـك. أعـرف مـا تشـعر بـه- لا يمكنهـا أن تتقبَّـلَ حقيقـة أنـه ميـت. لقـد شـاهدتُ كيـف كانـا مُقرَّبَيْن منـذ كانـا صغيرَيْـن. بعـض الأشـخاص يكونـون مُقرَّبـين جـدًّا مـن بعضهـم بتلـك الطريقـة".

أعرف ما تقصده.

عندمـا أتى داهِـن لـيرى يـون، واكتشَـفَت مـيرو أنـه لا يملـك أي مـكان آخـر للنـوم فيـه، فجَرَّتنـا جميعًـا معهـا إلى ذلـك البيـت القديـم. أعـرف أن صداقتهـما كانـت تمامًـا مثـل صداقتـي مـع مـيرو.

"سـوف أَلِـدُ طفـلي في أي يـوم الآن" قالـت ابنـة عـم يـون وهـي تضـع يديهـا عـلى بطنهـا ثانيـة. "أرغـب في مسـاعدتها، لكـن لا أعتقـد أنهـا ستسـمح لي بذلـك؛ لهـذا أتيـتُ لمقابلتـك. لم يكـن العثـور عـلى رقـم هاتِفِكَ سـهلًا، وقـد وجـدت صعوبـة في الوصـول إليـكِ؛ لهـذا اسـتغرق الأمـر وقتًـا طويـلًا. بمجـرد أن نجَحـتُ في تجـاوُز آلام هـذا الصبـاح، كان لقـاؤك بـأسرع وقـتٍ مُمكِـن هـو كل مـا اسـتطعت التفكـير فيـه. أنـا أكـبر قليـلًا منكـما... لهـذا أتمنَّـى ألّا تُمانِـعَ إذا تحدَّثـتُ معـك بصراحـة. أعتقـد أن النـاس يعانـون أعظـم معانـاة عندمـا لا يمتلكـون أيَّ أحـد بجانبهـم. تتشـارك يـون وداهِـن رابطـةً لا يمكـن أن تنكـسر أبـدًا، سـواء كانـا معًـا جسـديًّا أم لم يكونـا".

"ماذا يجب أن أفعل؟" كنتُ مُتلهِّفًا لسماع نصيحتها.

"لا تَترُكْ جانِبَها" قالت.

"وجودي معها يمنحني القوة".

أشرق وجهها، وانتشَرَت ابتسامة دافئة عبر خدَّيها المُنَمَّشَين. تفحَّصَت عيناها وجهي.

"أنا سعيدة لسماع ذلك" قالت. "لا بُدَّ أن سماع خبر موت داهِن مني بهذه الطريقة كان صادمًا إلى حدٍّ ما".

شَكَرتُها على إخباري. عَنيتُ ذلك. لو لم تكن ابنة عم يون برفقتي، لَكُنتُ قد غادَرتُ في الحال ورَكَضتُ لأكون بجانب يون.

***

-9-

لو عَانقنا مائةَ غَريب

إلى تلاميذي.

أخـرج ميونجسـو الخطـاب الـذي تركـه الأسـتاذ يـون لنـا قبـل أن يستقيل، وقـرأ السَّـطر الأول بصـوت عـالٍ ثـم ناوَلَـه إليَّ. وُزِّعَـت نسـخًا مـن الخطـاب المكتـوب بخـطِّ اليـد عـلى كلٍّ منَّـا. مـضى وقـت طويـلٍ عـلى آخـر مـرَّة شـاهَدتُ فيهـا خـطَّ الأسـتاذ يـون، الـذي أمسَـيتُ معتـادةً عليـه منـذ نسـختُ كتابـه "نحـن نتنفَّـس". لم أفهـم لمـاذا ناولنـي ميونجسـو الخطـاب فنظـرت إليـه.

"اقرئيه لي" قال.

"لا تزال تحمله معكَ في كل مكان؟".

" أُخرجه من جيبي وأقرؤه كلما شعرت بالتوتُّر" قال مبتسمًا.

"إذًا لا بُدَّ أنَّكَ تحفظه عن ظهر قلب الآن... لماذا تحتاج أن أقرأه لك بصوت مرتفع؟".

"لا تسنح لي الفرصة للاستماع إلى صوتكِ هذه الأيام. أرجوك، اقرئيه بصوتٍ مرتَفِعٍ من أجلي".

لا بُدَّ أنه قد قرأ السطر الأول بصوتٍ مُرتَفِع ليشجِّعَني على قراءة بقيَّة الخطاب. فردت الورقة وتصوَّرتُ عينَيْ الأستاذ يون، كيف كانتا تلمعان وراء نظاراته.

"اقرئيه" قال ميونجسو، بينما يرقد على المقعد الخشبي. أراح رأسه فوق حضني. كان طويلًا جدًّا، لدرجة أن ساقيه قد تَدَلَّتا من فوق حافة المقعد ولمست قدماه الأرض. أصاب الفزع طائِرَيْ سِمَّان يجلسان قُربَنا فحَلَّقَا بعيدًا في السماء. استغرق صعود جبل نامسان على الأقدام حتى قاعدة البرج الذي كنتُ أنظر إليه من شقَّتي فقط حتى هذه اللحظة ساعتين؛ لذا لا بُدَّ أن ميونجسو كان يشعر بالتعب. رفرَفَت بتلات زهور بيضاء من شجرة أكاسيا على مقربةٍ منَّا قبل أن تهبط فوق وجهه.

"اقرئيه" قال ثانيةً.

ارتفع حاجباه، وأغمض عينيه. نظرت إلى أسفل نحو حاجبيه السوداوين للحظة. مدَّ يده ولفَّها حول يدي بينما أمسك الخطاب. متى آخر مرة قرأت فيها أي شيء بصوت مرتفع؟ أخذ قلبي يخفق بسرعة فجأة، فأخذت نَفَسًا عميقًا، لكن لم يساعدني ذلك. شعرتُ بالخجل فأزَحتُ البتلات التي هبطت على وجهه، برِقَّةٍ. فتح عينيه للحظة كي ينظر إليَّ ثم أغمضهما ثانية. تَنَحنحتُ قبل أن أبدأ القراءة.

إلى تلاميذي،

لا شَكَّ أنكم تعلمون جميعًا بالأمر الآن، لكنني قد قرَّرتُ أن أستقيل من منصبي في هذه الجامعة حيث درَّستُ لسنوات عديدة. تلك الظروف الخانقة وصِحَّتي المتدهورة يجعلان مواصَلَتي الصعود إلى منصَّة التدريس أمرًا شاقًّا عليَّ. لقد تقدَّمتُ بالفعل بخطاب استقالتي إلى رئيس الجامعة، وبعد أن أرسلت خطابًا مُنفصلًا مقتَضَبًا إلى مجلس المُدَراء في المؤسسة التي تُموِّل الجامعة، ها أنا أكتب إليكم الآن.

بينما أغادر هذا المنصب حيث خدَمتُ لسنوات، والذي اعتبرته ندائي ورسالتي، فمن البديهي فقط أن ينتابني عددٌ من المشاعر والأفكار المتصارِعَة. لكن أكثر ما يشغل بالي في هذه اللحظة هو رأيكم جميعًا فيَّ. نظراتكم كانت تُشكِّل ضغطًا عليَّ من زاوية مختلفة عن نظرات عائلتي وأقراني. تحوي عيونكم لومًا واستهجانًا، مطالبات صامتة تَحثُّني أن أبقى قويًا، أو تُفضِّل أن آخذ خطوة للأمام وأواجه وأفعل شيئًا.

بالنسبة إليَّ، شاعر اختار أن تكون مِهنَتُه هي أن يتعامَل مع الكلمات، ويصارعها؛ فإن عصرنا هذا كان عصر معاناة ومِحَنٍ. في هذا العصر الذي فقَدَت فيه الكلمة قيمتها، هذا العصر الذي بات تسيطر عليه كلمات العنف، كلمات ضخَّمها وشَوَّهَها الجوع واليأس، فقدتُ الإرادة لقول المزيد من الكلمات. فقداني الأمل في الكلمات ليس اعترافًا بهزيمتي في الحياة. على الرغم من أنني أتنحَّى عن منصَّة التدريس، فسوف أواصل العمل بجِدٍّ والاعتناء بصحتي، والأهم من كل ذلك، سوف أتابع كتابة الشِّعر الذي انقطَعتُ عنه لوقت طويل جدًّا. أقبل بكون هذا هو المَهمَّة الممنوحة لي، وندائي ورسالتي في الحياة.

لكـن لا تفكـروا فيَّ كمحـاربٍ يَرمـي اسـتقالته كدليـل عـلى مقاومـة الوضـع الـذي آلـت إليـه الأحـداث الآن. ولا كناسِـكٍ عَدَمـيٍّ يرفـض القِيَـم العالميـة، ويزدريهـا وينطلـق في رحلـة البحـث عـن نُبـل مُنعَـزِل. رغـم أننـي أغـادر الجامعـة، فسـأبقى معكـم بروحـي، ورغـم أننـي قـد أكـون مُحبطًـا مـن لغـة هـذا العـصر، فسـوف أسـعى بـكل قـوتي لأواصـل إبـداع الشـعر. أتمنَّـى أن تأخـذوا قـراري بمغـادرة الجامعـة كعلامـةٍ عـلى رغبتـي في أن أراكـم جميعًـا يومًـا مـا في مـكان آخـر، وفي صـورة أخـرى.

بتلـك الـروح، أسـألكم أن تتأمَّلـوا مَلِيًّـا مـرَّةً أخـيرة في القصـة التـي أخبرتكـم بهـا مـن قبـل عـن عبـور القِدِّيـس كريسـتوفر النهـر.

الآن أنـا وأنتـم نعـبر نهـرًا مُظلـمًا عميقًـا. في كل مـرة يضغـط علينـا وزنٌ مهـول، وترتفـع ميـاه النهـر حتـى حناجرنـا، ونرغـب في الاستسـلام، والانزلاق تحـت سـطح المـاء، تذكَّـروا أن العـالم الـذي نمـشي فيـه لا يَقِـلُّ ثِقَـلًا عـن الحمـل فـوق كتفنـا. الكائنـات الأرضيـة لا تسـتطيع للأسـف التحـرُّر مـن الجاذبيـة. تتطلَّـب الحيـاة منَّـا تضحيـة مسـتمرَّة وقـرارات صعبـة في كل لحظـة. الحيـاة لا تعنـي عبـور فـراغ مـن العـدم، بـل اجتيـاز شـبكة مـن العلاقـات المتشـعِّبة بـين كائنـات، كلٌّ لـه وزنـه وحجمـه وشـكله. وطالمـا لا يكـفُّ كل شيء عـن التَّغـيُّر، فـإن شـعورنا بالأمـل لا يجـب أن يمـوت أبـدًا. بنـاء عـلى هـذا، أغادركـم جميعًـا بفكـرةٍ واحـدة أخـيرة: عيشـوا. عيشـوا حتـى آخـر نَفَـسٍ لكـم. اعشـقوا وقاتِلـوا واغضبـوا وتألَّمـوا، وعيشـوا.

شعَّ الـدفء مـن رأس ميونجسـو فـوق حضنـي. أعَـدتُ قـراءة السـطر الأخـير بصـوتٍ مرتفـع. حملـت الريـاح إلينـا عاصفـة مـن بتـلات زهـور الأكاسـيا. نهضنـا مـن مكاننـا وغادرنـا غابـة الأكاسـيا. بينـما نمـشي تجـاه الـبرج، تَمتَمـتُ بالجملـة الأخـيرة في رسـالة الأسـتاذ يـون إلى نفسـي عـدَّة مـرَّات.

"في فِناء البيت الذي كُبرتُ فيه" بدَأتُ أتكلَّم "كان هنالك بئر. المياه داخل ذلك البئر هي أوَّل مياه أتذكَّر أنني شربتها في حياتي".

تطرَّقتُ إلى موضوع البئر على نحوٍ مفاجئ، فاكتفى ميونجسو بالتحديق إليَّ بنظرات جامدة. مشينا أسفل المزيد من أشجار الأكاسيا. بينما نقترب من البرج، تطايَرَت المزيد من زهور الأكاسيا تجاهنا، وطَفَت في الهواء أمام عيوننا، والتصقت بوجهَيْنا.

"كان الصباح يبدأ كل يوم عند ذلك البئر" قلتُ. "تستيقظ أمي فجرًا وتسحب المياه من البئر. يغسل أبي وجوهنا ويفرش أسناننا بالقرب منه. هجرت القرية برُمَّتها الآبارَ الآن، وتحوَّلَت إلى مياه الصنبور. غُطِّيَ البئر في فناء بيتنا. لكن كلَّما عدتُ إلى البيت، كنت أرفع الغطاء وألقي نظرة داخل البئر. لا يزال ممتلئًا بالماء. يُشعرني رؤية المياه بداخله بالسعادة في كل مرة. من المطَمئِن أن أعرف أن أوَّلَ مياه تذوَّقتُها لم تَجِفَّ بعدُ".

استمع ميونجسو إليَّ بهدوءٍ بينما أتكلَّم.

"أحبُّكَ بقدر حبي النظر داخل ذلك البئر".

توقَّف في مكانه متفاجئًا من اعترافي غير المتوقَّع. أدرك متأخِّرًا أنني أحاول محاكاة قصته عن العصفور التي أخبرني بها أمام جدار الحصن منذ وقت طويل، فضحك بصوت مرتفع.

"عندما كان كلُّ بيت يستخدم مياه الآبار" قُلتُ. "كانت أنابيب الصرف مدفونَةً تحت فناء البيت كي تسحب الفائض من المياه بعيدًا عن البيت. في أي ساعة من النهار أو الليل، يمكنك سماع خرير الماء. كان الماء ينتقل عبر قنوات خارج البيوت، إلى مصرف مياه يجري خارج البوَّابات الأمامية. بسبب كل تلك المياه؛ ازدهرت زهور صفراء تشبه زهور النرجس في الأزقَّة كل ربيع. حتى بعد أن تتساقط البتلات، تُخلِّف وراءها مُستَعمَرةً كثيفة من عيدان خضراء. على مدار السنة

باستثناء الشتاء، كانت الأزِقَّةُ تعجُّ بالزهور الصفراء والعيدان الخضراء. كان بيتنا في منتصف القرية تمامًا. كانت المياه التي تفيض من بيتنا بداية مجرى المياه الصغير ذاك. بينما تتتبَّع مساره، تنضمُّ إليه المياه الفائضة من البيت التالي وهَلمَّ جرًّا. بينما تواصل تَتبُّعه، تتجمَّع المياه كلها في أخدود أكبر، يتدفَّق في النهاية داخل قناة. لكن لا تُفكِّر أن المياه كانت قَذِرَةً لأنها تخرج من كل تلك البيوت. كانت أغلب مياه البئر تُسحَبُ وتستخدم في أعمال المطبخ. لأن كل ما نفعله عند البئر هو غسل وجوهنا ونقع الخضراوات؛ كانت المياه نظيفة. قد لا تبدو كمية المياه كبيرة، لكن كان تُضاف إليها أيضًا مياه المطر المتساقط في موسم الأمطار الموسمية في الصيف. تساءَلتُ ذات مرَّةٍ: (أين تذهب المياه؟)، وحاوَلتُ أن أتتبَّعها حتى النهاية. قادتني عبر الحقول وقضبان السكة الحديدية، ثم المزيد من الحقول التي امتدَّت إلى ما لا نهاية".

توقَّف ميونجسو عن المشي والتفتَ لينظر إليَّ.

"أُحبُّكَ بقدر تلك المياه التي لا نهايةَ لها" قلتُ له قبل أن أتابع:

"اعتدت على التساؤل من أين تنبع المياه في ذلك الأخدود الضخم، فكُنتُ أسير بمحاذاة السَّدِّ لأرى إلى أين يقودني الأخدود. كان بلا نهاية حرفيًّا. لكن أينما ذهبت في القرية في رحلة بحثي تلك، لم أكن وحيدةً أبدًا. كان داهِن بجانبي دائمًا. كنَّا نسير بمحاذاة الأخدود حتى نصل إلى مكانٍ كانوا يدعونه مجرى المياه الأعلى. بدا أنه المكان حيث تبدأ المياه. عندما حدَّقنا إلى حيث تتفجَّر المياه، كل ما أمكننا رؤيته هو قناة مُعتِمَة طويلة. لم تتوقَّف المياه عن التدفُّق خارِجَةً منها. لم نستطع أن نذهب أبعد من ذلك، ولم نكتشف أبدًا مصدرَ المياه بالتحديد. لم تتوقَّف المياه أبدًا عن التدفُّق عابِرَةً قرية تلو الأخرى، ومتجاوِزَةً مصارف المياه حيث تغسل النساء الثياب فوق الصخور،

بمحاذاة حقول الأرز، حتى تصل إلى القناة حيث تُتابع الجريان من دون نهاية. أتذكّر تَتبُّعي تيار المياه بحثًا عن فردة حذاء رياضي انجرف بعيدًا في المياه فقط كي يعود إلى البيت مُجدّدًا في النهاية. تَمَلَّكني الغضب، وبكيت لأنني لم أعرف أين تنتهي المياه. رغم أنني أستطيع سماع خرير المياه بمجرد أن أخطو خارج البوابة الأمامية، لم أستطع أن أعرف أبدًا أين تبدأ أو أين تنتهي. كل ما عرفته أن المياه تدفَّقَت وتدفَّقَت من دون عائق".

قبل أن ندرك ذلك، كُنّا قد وصلنا إلى قاعدة البرج.

"في الربيع بعد أن تُنثر البذور في الحقول، ويهطل المطر، تغمر السَّعادَةُ الفلّاحين. هل شاهدت وجوه الفلاحين في تلك اللحظة من قبل؟".

"لا" قال، وابتسم آسِفًا.

"عندما يَحلُّ الجفاف في الربيع، كان الناس يصعدون إلى الجبال، حاملين حاويات المياه فوق أكتافهم، كي يرشُّوها فوق المنحدرات. كان مصدر المياه في تلك الأيام أمطارَ الربيع. عندما يأتي الربيع، يمشي الناس تحت المطر، من دون مظلّاتٍ. لا يقولون إنها تُمطِر فحسبُ، بل يقولون: المطر قد أنعم علينا. حتى الآن، حين تُمطِر في الربيع، تجتاحني رغبة عارمة كي أجمع مياه المطر. كان هذا ما نفعله كل سنة عندما كُنّا صغيرين. كلّما أعدَّت أمي صلصة الصويا، كانت تجمع مياه المطر في إناء ضخم من الفخار يَسَعُ شخصين بالغين. كانت تترك الإناء مكشوفًا عندما يكون الطقس جيدًا كي تجمع الطاقة الإيجابية وتغلقه بإحكام عندما يكون الطقس سيئًا كي تمنع دخول الطاقة السلبية. وعلى الرغم من أن الوقت كان مبكّرًا جدًّا لزراعة الشتلات في حقول الأرز، كان أبي يبني مصارف المياه حول الحقول كي

تتدفَّق إليها مياه المطر على أية حال. كان يقول إن مطر الربيع ثمينٌ جدًّا كي يدَعه يمضي هباء وحسب. حتى تعريشات العنب التي كانت تجفُّ وتبدو ميتة في ذلك الوقت من السنة، كانت تنمو منها براعم خضراء عندما تلمسها أمطار الربيع. تخضرُّ براعم الشعير، وحتى السبانخ تنمو بكثافة كالحشائش في بداية الربيع".

"ماذا كنتِ تفعلين بمياه المطر التي كنت تجمعينها؟".

"لم أكن أجمع الكثير، كمية بالكاد تكفي لترطيب لسان كلب عطشان كان يرقد تحت إحدى الشرفات".

"دعينا نجمع مياه المطر التي تتقاطر من المزاريب يومًا ما" قال مبتسمًا.

"يومًا ما؟".

"أجل، يومًا ما".

في يومٍ ما -ليس يومًا لم يأتِ بَعدُ، بل يومٌ مضى عليه وقت طويل- وضَعتُ وداهِن طست غسيل تحت المزاريب لنجمع مطر الربيع. تصوَّرتُ المشهد: داهن يروي بمياه المطر التي ملأت الطَّستَ حتى حافَّتِه، أجمة الورد وشجرة الكاكي. مياه الربيع التي أعادت أشياء بَدَت مَيِّتَةً، إلى الحياة من جديد. النُّسْغ يرتفع في الربيع- سرعان ما فهمت وداهِن تلك الكلمات. ذات مرة، قبل أن يحلَّ الربيع بشكل كامل، وقفت وداهِن أمام شجرة، ونزعنا بعضًا من لحائها، كي نعرف اللحظة التي يبدأ فيها نُسْغُ الشجرة يرتفع.

شعرت بحُمَّى تسري في وجهي إذ فجأة.

"دعنا نصعد إلى أعلى البرج" قُلتُ، ثم مشيت أمامه. ناداني ميونجسو مندهشًا. بدا صوته خافتًا.

"ما الخطب؟" سألني.

لماذا كان على داهِن أن يموت؟ اختنَقَت الكلمات بداخلي لدرجة أنني قد شعرت برغبة في الصراخ. هل يمتلك أيُّ أحدٍ إجابةً على هذا السؤال؟

وقفنا أمام الدرابزين في قِمَّة البُرج، ونظرنا إلى المدينة في الأسفل. واصل البشر الخروج من الغابة والتوجُّه إلى البرج.

"يون".

"ماذا؟".

"لَديَّ فكرة".

نظرتُ إليه، ويداي تمسكان بالدرابزين. "دعينا نقف هنا ونعد الأشخاص".

لم يكن يشير إلى طريق الغابة في الأسفل، بل إلى السلالم على الجانب الآخر.

"عندما نصل إلى الشخص رقم عشرة وعشرين وثلاثين وهلمَّ جَرًّا، دعينا نركض ونعانق ذلك الشخص".

"نعانقه؟".

"أجل".

"نُعانِقُ غُرباء؟".

"أجل".

لم أفهم إلى ماذا يرمي؛ لذا اكتفيت بالتحديق إليه.

"سيعتقدون أننا مجنونان، أليس كذلك؟" قال ما رغبت في قوله.

نظرت إلى أسفل نحو المدينة وتساءَلتُ فيمَ يفكِّر بِحَقِّ الجحيم. هل يرغب حقًّا في عناق مجموعة من الغرباء؟! شعرت في بادئ الأمر بالدهشة من اقتراحه، ثم شعرت بعد ذلك بدَفقَةٍ من الغضب تتنامى بداخلي. هل سيعيد ذلك داهِن إليَّ؟! شعرتُ برغبة في ضرب ميونجسو بقبضتيَّ. هل سيعيد ذلك داهن إلى الحياة؟! رغبت في هَزِّ الأشجار فوق جبل نامسان. أرَدتُ أن أخربش وجوه أولئك الناس المبتسمين. بينما ينفجر غضبي، شعرت ببرودة في أعماقي جعلتني أقشعرُّ.

"أنتِ بخير؟" سألني ميونجسو.

أومَأتُ. ضغطت بقدميَّ بقوة على الأرض كي أتوقَّف عن الارتجاف.

عندما أخذت إجازة من الجامعة، وعُدتُ للحياة مع أبي في المنزل، قضيت فترة في المستشفى. أصابت جسدي حُمَّى شديدة. كانت تظهر بُقَعٌ حمراء -أشبه بزهورٍ من نار- على جِلدي كل نصف ساعة. عندما تلاشت في النهاية، أعقبتها قشعريرة باردة. كان من الأصعب عليَّ أن أتحمَّل الحمى المتزايدة أكثر من نوبة القشعريرة. لم أستطع فتحَ عينيَّ، وشعرت أن أظافر أصابعي ثقيلة. تَصَبَّب العَرَقُ بغزارة من جبهتي، وكنت أتأرجح بين الوعي واللاوعي. عندما أضحت يداي أشبه بسلطعون مغلي، حملني أبي ووضعني على ظهر درَّاجَته، رغم احتجاجاتي، وقادها إلى المستشفى حيث تمَّ إدخالي. تواصَلَت دَورَةُ الحُمَّى التي تَعقُبها قشعريرة باردة داخل المستشفى. بدا جسدي ككُرَةٍ من نار، وهو مُغطًّى ببقع حمراء ضئيلة بحجم حبوب الدُّخن. في ليلتي الثانية في المستشفى، كنت مصابة بدُوارٍ شديد بسبب الحمى، وتائهة من شدَّة الألم، حين شعرت بشخص يضع يده فوق جبهتي. كانت تلك اليد باردة ومُنعشة كالثلج. قد يبدو الأمر كذبة، لكن بعد أن لمست اليد جبهتي، انحسَرَت الحُمَّى الشديدة التي دامت لأيام، في لحظة. استعَدتُ تركيزي فشاهَدتُ أبي ينام فوق كرسي قابلٍ

للطَّيّ. في الصباح سألته إذا كان قد لمس جبهتي في منتصف الليل. قال، لا. سألتُ الممرضة أيضًا وقد اعتقدتُ أنها لا بُدَّ مَن لمستني. قالت لا بدورها. لا أمتلك أدنى فكرة لمن كانت تلك اليد التي بَدَت باردةً جدًّا فوق بَشرَتي وكيف بعد أن لمستني، تلاشَت الحُمَّى والقشعريرة. لو أستطيع فقط الشعور بتلك اليَدِ فوق جبهتي مرة أخرى.

"هلّا بدأنا إذًا؟" سألني.

"تريد فِعلَ هذا حقًّا؟".

"نعم".

نظرتُ إليه في صمت.

"ربّما لو عانَقنا مائة غريب" قال "فسوف يتغيّر شيءٌ ما".

أبقى عينيه على السلالم المؤدِّية إلى أعلى البرج، وبدأ يعدُّ الأشخاص الصاعِدين: واحد، اثنان، ثلاثة... هبَّت نسمة باردة من الغابة، وشعَّثَت شَعرَه. ارتفع حاجباه الداكنان إلى أعلى في كل مرَّةٍ ينطق فيها رقمًا آخر. بعد أن وصل إلى العدد تسعة، برز طفلٌ يركض صاعدًا الدَّرَج. كانت أُمُّه تجري وراءه، مُتخلِّفَةً عنه ببضع سلالم. همَّ ميونجسو بالنهوض والاندفاع نحو الصبي. قبل أن يستطيع عدَّ الرقم عشرة، رميتُ ذراعيَّ حوله، وتشبَّثتُ به بقوَّة.

***

مُذكّرات ميونجسو

المفكرة البُنّية "9"

-1-

رنَّ الهاتـف في منتصـف الليـل. واصـل الرنـين مـن دون توقُّـف، لكـن عندمـا رفعـت السـماعة، توقَّـف.

أخبَرتُ يون عن تلك المكالمات الليلية فجحظت عيناها.

"أتلقّى مثل تلك المكالمات أيضًا" قالت.

"حقًّا؟".

قالـت إن المتصـل يضـع السـماعة بمجـرَّد أن تجيـب. تَبادَلنـا النظـرات، وتعكَّـر مزاجنـا. خيَّـم الصمـت عـلى كِلَيْنـا قبـل أن تسـألني يـون: "هـل تعتقـد أنهـا مـيرو؟".

"لماذا ستغلق ميرو السَّمَّاعة في وجهنا؟".

"هذا صحيح".

سألتني إذا كنتُ قد انقطَعتُ عن التواصل مع ميرو لوقتٍ طويل هكذا من قبل.

حاوَلتُ الاتصال بوالديها، على الرغم من أنني أعرف أنه من المستحيل أن تذهب ميرو إليهما. من النبرة التي قالت بها أمُّها اسمي، استَطَعتُ أن أستَشِفَّ أنها لم تسمع أي شيء عن ميرو أيضًا، وكانت تأمَلُ أن أحمل أنا الأخبار إليها.

***

-2-

نقف الآن في وجه العاصفة.

أصبَحتُ أنزل إلى الشارع كل يوم تقريبًا للانضمام إلى المتظاهرين. لا أستطيع أن أترك يون بمفردها؛ لذا كانت تذهب معي. مشينا في مسيرة مع المتظاهرين إلى قاعة المدينة، يتأبَّطُ كُلٌّ مِنّا ذراع الآخر، نحو مجمَّع شينسيجاي التجاري.

"عندما نعمل سويًّا بهذه الطريقة" قالت يون "أشعر أننا نستطيع أن نُحدِثَ تغييرًا، ولا يبدو الأمر غريبًا جدًّا أن نُمسك بأيدي غرباء".

كلَّما دُفعنا بعيدًا، واضطُرِرتُ إلى التخلِّي عن يد يون، أمد يديَّ بسرعة وأمسك يدها من جديد.

أرَدتُ أن أُحـدِّد قِيَمـي بوضـوح، وأن أتوقَّـف عـن الانتقـال مـن مذهـب إلى آخـر. الآن أسـتَمِدُّ قُـوَّتي مـن شـعور التَّضامُـن هـذا. عندمـا أنـزل إلى الشـوارع، يبـدو أن الضبـاب في رأسي، وحتـى هـذا اليـأس الـذي لا قـاع لـه، ينقشـع.

فلنتذكَّر هذا إلى الأبد.

***

-3-

تفوح رائحة شوكولاتة من يون.

كانـت توجـد حفـرة في السياج الخلفـي لسـور الجامعـة تكفي ليتسـلَّل شـخصٌ خلالهـا، وعـلى الجانـب الآخـر مـن السـياج ثمَّـة متجـر صغـير. لم أشـعر برغبـة في المذاكـرة؛ لهـذا فَـوَّتُّ وأصدقـائي الجامعـة، وتسـلَّلنا عـبر الحفـرة. بينـما نمـشي أمـام المتجـر، هتـف أحدهـم: "شـوكولاتة"، كان نوعًـا مـن الحلـوى لم أره مـن قبـل أبـدًا معروضًـا، كل قطعـة منهـا في مقصـورةٍ صغـيرة خاصَّـة بهـا. سـعر إحـدى قطـع الشـوكولاتة يسـاوي ثمـن كيـس كامـل مـن الحلـوى العاديـة. أحصينـا المـال الـذي معنـا، واشـترينا عـدَّةَ قِطَـعٍ منهـا، وقسَّـمناها بيننـا، ثـم تذوَّقناهـا. كُنَّـا جميعًـا مشـدودين ومتلهِّفـين لأن الشـخص الـذي لاحـظ أنهـا شـوكولاتة قـال إن مذاقهـا سـيكون رائعًـا. ذابـت الحلـوى بسلاسـة وسـهولة داخـل فمـي. لم أعـرف أي شيء في العـالم يمكـن أن يكـون لـه المـذاق نفسـه. خطـر ببـالي فجـأة أننـي سـأتحوَّل إلى حجـر في تلـك اللحظـة وفي ذلـك المـكان.

***

-4-

على متن الحافلة، تنبعث من الراديو أغنية "أمنيتي الوحيدة" لفرقة التِّنِّين الأزرق. التنين الأزرق فرقة جامعيّةٌ فازت بجائزة على هذه الأغنية بعد أن أدّت الأغنية في أحد البرامج الموسيقية التي تُعرَض على شاشة التلفاز- مهرجان موسيقى الشاطئ أو ربما مهرجان موسيقى الجامعات، شيء كهذا. عندما أتى داهِن إلى المدينة لزيارة يون، وأثناء المذاكرة معًا في البيت القديم، كُنّا نُغنّي نحن الأربعة هذه الأغنية معًا، بينما تعزف ميرو على جيتار أختها ميراي القديم. أَرَحتُ جبهتي على نافذة الحافلة وغَنَّيتُ مع الأغنية.

أمنيتي الوحيدة أن أعود إلى المحيط في سكون الغَسَق،

أن أنام بهدوء قرب الغابة.

سماء زرقاء صافية فوق بحر بلا حدود.

لا حاجة إلى أعلامٍ مُلوَّنة

ولا بيت رائع.

كل ما أطلبه هو سرير منسوج من أغصان صغيرة.

لا أحدَ يبكي تحت مخدَّتي،

وكل ما يهمس عبر الأوراق الجافّة

هو صوت نسيم الخريف.

بَدَت الأغنية رومانسيّةً وشاعِريّة عندما غنّيناها معًا في البيت القديم. لكن الآن ربما بسبب ما حدث لداهِن، ذكَّرَتني بالموت. لم أستطع مواصلة الغناء. التفكير في حقيقة أن تحت ذلك اللحن الجميل

والرقيق، يكمن الإغواء البارد للموت. أعتقد أن بوسع المرء أن يغنِّيها بجَمالٍ وحنين فقط لو لم يكن قد عرف مأساة الموت حقًّا، ولم يختبر تهديده أبدًا.

***

-5-

أنجبت ابنةُ عَمِّ يون طفلةً. سوف يحتفلون بمرور مائة يوم على مولدها قريبًا.

***

-6-

استيقظت من حلم.

لم أعرف أين كنتِ، لكنني كنت أقف بجوار نهر. كان عليَّ أن أعبر النهر للوصول إلى الجانب الآخر. كان الضباب كثيفًا جدًّا لدرجة أنني لم أستطع رؤية أي شيء. كنتُ أمشي ذهابًا وإيابًا، غير متأكِّدٍ كيف يمكنني اجتياز النهر، عندما لمحت بيتًا.

كان ثمة مركب مربوط في المسافة بين البيت والنهر. استنتجت أن مالك المركب يعيش في البيت فطَرَقتُ على الباب مبتهجًا، لكن لم يَردَّ أيُّ أحد. هتفت لكن لا مُجيبَ. دفَعتُ الباب فانفتح. دلَفتُ إلى الداخل لكن لم أشاهد أي أحد. يرقد على الأرض كتابٌ بدا كأن شخصًا كان يقرؤه. التقطته وفتحته. أعلم أنني قرأته في حلمي، لكن بعد أن استيقظت، لم أتذكَّر ما قرأته. انتظرتُ لوقتٍ طويل، لكن لم يظهر مالِكُ المركب؛ لذا صعدت داخل المركب وبدأت أجدِّف. تفرَّقَت المياه وانزلق القارب إلى الأمام. بينما أخذ المركب يعبر النهر، بدأ الضباب

ينقشع شيئًا فشيئًا. بَدَا أنني مَن يدفع الضباب بعيدًا. كان الضباب كثيفًا جدًّا لدرجة أنني كنت بالكاد أشاهد شبرًا واحدًا أمامي، لكن عندما وصَلتُ إلى منتصف النهر، انزاح الضباب كُلِّيًّا تقريبًا. كان الأمر غريبًا. بعد أن انقشع الضباب، رفض القارب أن يتزحزح من مكانه، مهما جذَفتُ بقوَّةٍ. بدا أنه قد عَلَق بسطح الماء. في تلك اللحظة سمعت هتافًا. بدا الصوت يائسًا. نظرت حولي، وشاهدت شخصًا يلوِّح لي من على المرسى. نادى عليَّ. كان الشخص بعيدًا عني؛ فلم أستطع أن أرى وجهه بوضوح، لكن الشخص راح يصيح متوسِّلًا إياي كي أساعده على عبور النهر. كنت قد قَطَعتُ نصف الطريق ولم أستطع الدوران بالمركب والعودة. لو لم يتوقَّف المركب، ما كنت قد التفتُّ إلى الوراء حتى للنظر إليه. حاوَلتُ مواصلة التجديف، لكن لا يزال المركب لا يتزحزح من مكانه. عاجزًا، توقَّفتُ عن محاولة التجديف إلى الأمام، وعوضًا عن ذلك جذَّفتُ مستسلمًا إلى الوراء لالتقط الشخص على المرسى. حينها فقط بدأ القارب يتحرك عبر التيار بسلاسة.

***

-7-

أحيانًا أتَّصِلُ بمنزل والدَيْ ميرو. مضت ثمانية شهور من دون أن أتلقَّى مكالمة هاتفية أو بطاقة بريدية منها. لا يجيب أيُّ أحَدٍ عادةً، لكن أحيانًا ترفع أُمُّها السماعة. مع هذا لا نتحدَّث أبدًا. قبل أن أستطيع قَولَ "مرحبًا" حتى، ينقطع الخَطُّ. لا بُدَّ أن ثمَّة عُطلًا ما في هاتفهما. أعيد الاتصال فينقطع الخطُّ ثانية. أنتظر قليلًا ثم أتَّصِل مُجدَّدًا، لكن الشيء نفسه يتكرَّر. ذات مرة، اتصلت بهما فظلَّ الخط يَرِنُّ ويَرِنُّ من دون أن يجيب أي أحد.

***

-8-

الشـوارع هادئـة الآن. كل الحـماس أننـا سـوف نُحقِّـق شـيئًا، قـد تلاشى. مُحاوَلَتُنـا لصُنـع تغيـير قـد وصلـت إلى طريـق مسـدود. حتـى تضامُنـنـا مـع بعضنـا البعـض قـد أمـسى مجـرَّدَ ظاهـرة أخـرى انتهـت. البـشر الذيـن سـاروا في مسـيرة معًـا، قـد تفرَّقـوا وتشـتَّتوا جميعًـا مـن دون أن يُغـيِّروا أي شيء.

***

-9-

بـدأتُ العمـل بـدوام مؤقَّـتٍ في مجلَّـةٍ حيـث كان شـقيق نـاك سـوجانج رئيـس التحريـر. تنـشر المجلـة مراجعـاتٍ للكتـب ومعلومـات عـن الإصـدارات الأدبيـة الجديـدة. أحيانًـا آخُـذ كامـيرتي وأذهـب إلى متاجـر الكتـب لأصـوِّر أغلفـة الكتـب كجـزء مـن عمـلي. مبنـى المجلـة بعيـدٌ عـن بيـت عمـي حيـث كنـتُ أقيـم؛ لـذا أبقَيـتُ حقيبـة نـوم في زاويـة المكتـب. سـألني شـقيق نـاك سـوجانج إذا كنـتُ أخطِّـط إلى النـوم هنـاك. أومـأتُ، فنظـر إليَّ بشـفقة كأنـه يقـول: "سـوف نـرى كـم مـن الوقـت ستسـتطيع احتـمال النـوم بتلـك الطريقـة"، ثـم ربَّـت عـلى كتفـي.

***

-10-

اليـوم مَـرَرتُ بقاعـة المدينـة وجلســت مـع يـون في الميـدان لبعـض الوقـت.

أشـارت يـون إلى ماسـورة صرف طويلـة مثبّتـة إلى جـدار قاعـة المدينـة وسـألتني: "هـل تتذكّـر ذلـك الرجـل الـذي تسـلّق الماسـورة؟" كنـتُ أتذكّـر ذلـك. عندمـا وصـل المتظاهـرون إلى قاعـة المدينـة ذات يـوم، كانـت الأبـواب مُقفَلـةً. لم أمتلـك أدنى فكـرة مـن ذلـك الرجـل. شـاهدت في الجريـدة في اليـوم التـالي صـورة لـه وهـو يتسـلّق الماسـورة. لم نعـرف مَـن هـو، لكـن كنـت ويـون هنـاك عندمـا حـدث ذلـك. انتَـشَرَت أجـواء مـن الإثـارة في المـكان جعلتـه يبـدو لنـا شـخصًا يمكننـا الإيمـان بـه. تسـلّق الماسـورة بمرونـة وسـط تهليـل النـاس المتجَمهِريـن في الميـدان، ثـم صعـد فـوق سـطح مبنـى قاعـة المدينـة. كتـم الجميـع أنفاسـهم. راقبنـاه بتوتُّـر شـديد. في اللحظـة التـي وضـع فيهـا قدميـه فـوق السـطح، تنفّـس الجميـع الصعـداء وهَلّلـوا بصـوت مرتفـع. هتـف الرجـل بشـعارات ردّدهـا وراءه المتظاهـرون، بمـا فيهـم أنـا ويـون، وكل الأشـخاص فـوق الجـدار الصخـري خـارج قـصر ديوكسـو، وعـلى السـلالم المؤدّيـة إلى محطـة قطـار الأنفـاق، وعـلى أغصـان أشـجار الجنكـة المزروعـة بمحـاذاة الشـوارع.

أين اختفى كل أولئك الناس؟!

***

-11-

في اللحظة التي أخبرَتني فيها يون أن والدة ميرو كانت تغلق الخَطَّ في وجهها قبل أن تستطيع الانتهاء من قول "مرحبًا"، شعرتُ كأنني قد تلقَّيتُ خبطةً على رأسي. قالت إنه من الواضح أن والدة ميرو تغلق الخط في وجهها عمدًا. كنتُ أفكِّر طيلة ذلك الوقت بأن ثَمَّة عُطلًا في هاتف والِدَيْ ميرو، أو أنهما كانا غائبين عن البيت أثناء مكالماتي. لماذا لم يخطر ببالي أبدًا أن والدة ميرو تغلق الخطَّ في وجهي عمدًا، وأنه لا يوجد أي عُطلٍ في خطِّ الهاتف؟

***

-12-

ذَهَبتُ يوم الأحد إلى الحجرة أسفل السُّلَّم التي عاشت فيها ميرو. لا أعرف لماذا استغرقني الأمر وقتًا طويلًا للتفكير في الذهاب إلى هناك. كان شخصٌ آخر قد انتقل إلى الحجرة. امرأة في الأربعين من عمرها تعرج. بدا أنها تعيش هناك بمفردها. لم تسمع المرأة -التي تمتلك الكثير من التجاعيد حول عينيها- باسم ميرو أبدًا. قالت إن الحجرة كانت فارغةً عندما أتت لتُلقي نظرة عليها، وأنها وقَّعَت على عقد الإيجار وانتقلت إلى هنا مباشرة. حدث كل ذلك في الربيع الماضي.

"هل كانت تمتلك قطة؟" سألتني.

"أجل، اسمها إيميلي".

"لا زلت أعثر على شَعر قطة في الحجرة من وقت إلى آخر" قالت.

لم يَبدُ أن ذلك يزعجها، فأخبرتها أنها كانت قِطَّةٌ كثيفة الشَّعر. بعد أن غادرتُ، صعدت السلالم ووقفت هناك، أحدِّق إلى الفراغ الممتدِّ في

بـئر السـلم. أيـن ذهبـت مـيرو مـع إيميـلي؟ كيـف أمكنهـا الرحيـل مـن دون أن تخبرنـا بكلمـة عـن الأمـر؟ شـعرتُ أنـنـي غريـبٌ عنهـا. صعـدت المـرأة إلى أعـلى ببـطء وهـي تحمـل القمامـة.

"لا تـزال هنـا" قالـت. أنزلَـت أكيـاس القمامـة وسـألت: "هـل زَرَعَـت مـيرو تلـك النباتـات؟".

أشـارت إلى سـيقان الزنبـق الخـضراء الناميـة بشـكل مُفـرطٍ في الفنـاء. كانـت في مسـتوى الأرض، لكنَّنـي زَرَعتُهـا كي تسـتطيع مـيرو رؤيتهـا مـن داخـل حجرتهـا. عندمـا انتقلـت إلى الحجـرة لأول مـرة، كان المـكان مظلـمًا جـدًّا، لدرجـة أننـي قـد قَـرَّرتُ أن أزرع الزهـور في الفِنـاء مـن أجلهـا.

"أرجـوكَ أخـبِرْ صديقَتَـكَ أنـنـي سـوف أعتنـي بزهورهـا جيـدًا. عندمـا انتقلـت إلى الحجـرة في الربيـع المـاضي، كانـت تلـك الزنابـق تـضيء الحجرة. تسـاءَلتُ مَـن زرعهـا. شـعرت بسـعادة غامـرة طـوال الفـترة التـي كانـت فيهـا الزهـور متفتِّحـة. سـألت المالِكَـةَ وقالـت إن السـاكنة السـابقة قـد زرعتهـا. إذًا هـذه هـي مـيرو!".

أومَأت المرأة بأدب إليَّ كما لو كنتُ أنا ميرو نفسها.

***

-13-

يـرنُّ هاتـف المكتـب كثـيرًا في منتصـف الليـل. أحيانًـا يوقظنـي رنينه ولا أسـتطيع النـوم ثانيـة. عندمـا أفتـح سـحَّاب حقيبـة نومـي، يـتردَّد الصـوت في أذني بصـدًى مألـوف. يواصـل الهاتـف الرنـين طـوال الوقـت الـذي أنزلق فيـه خـارج حقيبـة نومـي مثـل ثعبـان ينسـلخ مـن جلـده قبـل أن أمـشي إلى الهاتـف.

بمجرَّد أن رفعت السماعة، قال صوت أنثويٌّ شابٌ: "يجب أن أعثر على جيسو".

"اعذريني؟".

"جيسو" بدا صوتها مُستَعجِلًا "قُلتُ إن عليَّ العثور على جيسو".

لماذا تتَّصِلُ بِحَقِّ الجحيم بمقرِّ مَجلَّةٍ في منتصف الليل لتقول إنها تحتاج أن تعثر على جيسو؟ خمَّنتُ أنها قد اتصلت برقم خاطئ، لكن بدت مُلِحَّةً ويائسة للغاية، لدرجة أنني لم أستطع أن أغلق الخطَّ في وجهها. كِدتُ أخبرها أنني لا أعرف أي شخص يدعى جيسو، لكن سمعت صفير انقطاع الخطِّ. لقد وضَعَت السَّمَّاعة.

وضَعتُ سماعة الهاتف في موضعها. هَمَمتُ بالعودة إلى حقيبة نومي عندما رَنَّ الهاتف من جديد. فكَّرتُ أنه من واجبي على الأقل أن أخبرها أنني لا أعرف مَن هو جيسو. التَقَطتُ السماعة، لكن انغلق الخَطُّ على الفور هذه المرة. خمَّنتُ أن ميرو لم تكن الوحيدة. الكثير من الناس تبحث عن شخص ما. فكَّرتُ أنه ربما في أماكن أخرى، أماكن لم أسمع عنها أبدًا، ثمَّة هواتف أخرى لا تتوقَّف عن الرنين بحثًا عن شخص مفقود.

***

-14-

رنَّ الهاتف مُجدَّدًا، فاعتَقدتُ أنها المرأة ذات النبرة اليائسة- المرأة التي تبحث عن جيسو. لم أغادر حقيبة نومي، وتركت الهاتف يرنُّ. ظَنَنتُ أنه سيتوقف في النهاية، لكن لم يفعل. عبست، وانزلقت خارج حقيبة النوم، ورفعت السماعة. كانت يون.

"أيُمكِنُني القدوم إليك؟" سألتني بهدوء.

كنتُ عادة مَن يقول ذلك إليها. نظرت في ساعتي. كانت الثالثة صباحًا. أستطيع سماع صوت تنفُّسها عبر الهاتف. لم أتحدَّث معها طيلة اليوم. حاولتُ الاتصال بها بعد منتصف اليوم بضع مرات لكنها لم ترُدّ.

"هل حدث شيء ما؟" سألتُها "سوف أكون هناك".

"لا" قالت "سوف آتي إليك".

صدَمَتني كلماتها وشعرت كأن الرياح قد طرحتني أرضًا.

"لا أستطيع الإبقاء على الأمرِ سِرًّا" قالت "سوف أُخبِرَك بكلِّ شيء".

بدأت يداي تتعرّقان. لم أضطر إلى سؤالها. عرفت أنها تتّصِلُ لِتُخبِرَني عن ميرو.

***

-10-

داخِلَ النّار

تغـيَّرَت الإشــارة فعــبرتُ الشــارع. تســاقَط وابــلٌ مــن المطــر عــلى الإســفلت وقِمَــم السيارات بصـوتٍ يشـبه تهشُّـمَ الزجـاج. عـلى الجانـب الآخـر، احتشـد النـاس أسـفل مظلّـة موقـف الحافـلات. تلاشَـت النظـرات الجوفـاء عـلى وجوههـم في اللحظـة نفسـها. كـما لـو أنـه يسـخر منهـم، بعـد أن أجبرهـم عـلى الوقـوف هنـاك متجمِّديـن في أماكنهـم وقـد علاهـم التوتُّـر، هـدأ وابـل المطـر فجـأةً قبـل أن يتوقَّـف تمامًـا. أتى المطـر وذهـب في لحظـة، مثـل حلـم سريـع أثنـاء غفـوة قصـيرة. شـقَّت أشـعَّةُ شـمس الشـتاء طريقهـا إلى أسـفل مـن جديـد بـين الأبنِيَـة كأنهـا لم تمطـر عـلى الإطـلاق. لكـن لم يتزحـزح النـاس مـن أماكنهـم عنـد موقـف الحافـلات. رفعـوا عيونهـم إلى أعـلى نحـو السـماء في شَـكٍّ، ورمقـوني بنظراتهـم بينـما أعـبر أمامهـم.

كانت الجامعة خاليةً. بدأت عطلة الشتاء وكان الطقس باردًا جدًّا. كان ميونجسو هناك بالفعل، ينتظرني أمام قاعة المحاضرة. لا بُدَّ أنه يرتجف بردًا، لأن وجهه كان شاحبًا كالموتى. لم يكن يرتدي وشاحًا أو قفازات.

"هل حصَلتَ عليه؟" سألتُه.

أومأ. "لكن لماذا نحتاج مفتاح مكتب الأستاذ يون؟".

"أحضَرتُ مُفكِّرة يوميات ميرو".

كان يسارع عادة إلى الابتسام في وجهي، لكن هذه المرة نظر إليَّ نَظرةً مُجرَّدة من أي تعبير. استجمَعتُ قوَّتي. لقد وَعدتُ نفسي ألَّا أتلجلج عندما أخبره عن ميرو.

"دعنا نذهب إلى مكتب الأستاذ يون أوَّلًا".

بدأ يمشي أمامي، لكنَّني تَعلَّقتُ بذراعه. لم يستطع أن يخرج يديه من جيوبه. خلعت قفازي ووضعته في حقيبتي، ودَسَستُ يدي في جيب معطفه. عندما أمسَكتُ يده، بدا أنه قد جفل.

"اتَّصلتُ بكِ ثانيةً ليلة الأمس، أليس كذلك؟" سألني.

ضَغَطتُ على يده بدلًا من أن أجيبه. أردت أن أخبره أنه لا بأس في ذلك، لكنني قد قلتُ له تلك الكلمات مرَّات عديدة من قبل. لا بأس أنه قد اتَّصل بي. يمكنه أن يتَّصِل بي في أي وقت، وفي أي ساعة من النهار أو الليل طالما أعرف المكان الذي يتصل بي منه. لكن عندما أسأله أين هو، كثيرًا ما لا يستطيع ميونجسو الإجابة. أحيانًا يبدو لي أنه سوف يقول شيئًا ما لكن ينقطع الخَطُّ فجأةً. متى سنصبح بخيرٍ ثانية؟ كانت يدي صغيرة جدًّا كي تلتفَّ حَولَ يده.

في طريقنا إلى مكتب الأستاذ يون، التفت ميونجسو ونظر إلى الوراء نحو شجرة الزلكوفا. التفتُّ إلى الوراء بدوري. وقَفَت الشَّجرةُ -التي

كانت عادةً مُحاطَةً بالطُلّاب- وحيدةً في هواء الشتاء. تذكَّرتُ اليوم الذي وقفتُ فيه في هذه البقعة ذاتها ونظرت إلى الوراء لأرى ميرو تمشي تحت الشجرة، وحقيبتها فوق كتفها، وكتاب في يدها. كانت تسير محنيَةَ الظهر، وكتفاها إلى الداخل كما لو كانت تحدِّق إلى قلبها. معطفها القطني الأبيض وتنُّورتها الفضفاضة المزخرفة بزهور بيضاء فوق خلفية زرقاء داكنة. ومضت في رأسي ذكرى تنُّورتها الطافية إلى أعلى في النسيم، فضغطت على يد ميونجسو بشدَّة. ربما كان يفكِّر فيها في تلك اللحظة أيضًا.

أبقَيتُ يدي داخل جيبه حتى وصلنا إلى مكتب الأستاذ يون، واحتاج أن يُخرج المفتاح. على الرغم من أنني أعرف أن المكتب فارغ، طرَقتُ على الباب على أيَّة حال بينما يضع ميونجسو المفتاح داخل القفل.

عندما خَطَونا داخل المكتب، ارتطَمَت بنا رائِحةٌ عَفِنَة. غَمَرَنا هواءُ الشتاء البارد والرطوبة في بادئ الأمر. أغلق ميونجسو الباب وأضاء النور. كما لو أن ستارةً قد انزاحت عن نافذة، أُضيئَت الحجرة القاتمة، واتَّضَحَت معالم الكتب. حدَّقَت الكتب إلينا بنظرات جوفاء. رفَعتُ عيني نحو مكتب الأستاذ يون على الجانب الآخر من كومة الكتب. لا زِلتُ أستطيع سماع صوته يقول: "ادخلي"، بالنبرة نفسها التي قالها لأوَّل مرة حين طرَقتُ فيها على باب مكتبه قبل وقت طويل. لو فقط أطلَّ الأستاذ يون في تلك اللحظة برأسه إلى الخارج من وراء الجانب الآخر من الكتب وقال: "اجلسي على المقعد هناك...". لو.

"لا أحد هنا" تَمتَمَ ميونجسو رغم معرفته ذلك فور دخولنا المكتب.

مشيت إلى المكتب. المكتب الذي كان مُغطًى بالكتب المفتوحة والمخطوطات عادَةً، فارِغٌ تمامًا الآن. تصوَّرتُ الأستاذ يون يعدِّل أشياءه،

ثـم مَـرَرتُ يـدي فـوق سـطحه. غطّـى الغبـار كَفّـي. قصـدت أن ألمـس المكتـب وحسـبُ، لكننـي شرعـت أنفـض الغبـار عنـه بـدلًا مـن ذلـك. لم يكـن هـذا كافيًـا، فالتقطـت منديـلًا ورقيًـا. تصاعَـدَت سُـحُبٌ مـن الغبـار مـن داخـل علبـة المناديـل. ذهـب ميونجسـو إلى الحـوض المثبـت في إحـدى زوايـا المكتـب وفتـح الصنبـور. صرَّ الصنبـور غـير المسـتَعمَل منـذ مـدة طويلـة. أغلـق ميونجسـو الصنبـور ثـم فتحـه ثانيـة بقـوة أكـبر. تفجَّـرَت الميـاه خارجـه. تراجـع ميونجسـو إلى الـوراء، وهـو يمسـح قطـرات الميـاه التـي تناثـرت عـلى ثيابـه، وانحنـى بجسـده. أسـفل الحـوض يوجـد دلـو يحتـوي عـلى قطعـة قـماش جافَّـة بداخلـه. أمسـك ميونجسـو القماشـة تحـت الصنبـور المفتـوح، ثـم عـصر الميـاه منهـا، وأتى إلى مـكاني. مـن دون أن يتفـوَّه بكلمـة، راح يمسـح المكتـب الـذي كنـتُ أنفـض عنـه الغبـار بيـديَّ.

"أَعطِها لي" قُلتُ "سأقوم أنا بذلك".

تجاهلنـي، وركَّـز عـلى تنظيـف مكتـب الأسـتاذ يـون، كأنـه قـد أتى خصِّيصًـا كي ينظِّـف المكتـب. راقبتـه بينـما تصبـح قطعـة القـماش البيضـاء مُغـبَرَّةً تمامًـا، ثـم أمسَـكتُ مصرعَـيْ النافـذة لأفتحهـا. اندفـع نسـيم بـارد بهديـر مكتـوم.

"من الجيد أنهم قد تركوا مكتبه من دون أن يلمسوه" قُلتُ.

"قد يعود يومًا ما" قال "سمعت أنهم لم يقبلوا استقالته بعد".

يومًا ما... تمتمتُ بالكلمة إلى نفسي.

انتهـى مـن تنظيـف المكتـب ونـزع بطانـة المقعـد ونظفـه أيضًـا. نفض الغبـار عـن البطانـة ثـم أعادهـا فـوق المقعـد قبـل أن يـضرب عليهـا بكَفِّـه عـدَّةَ ضربـات قويـة. بـدا مُنهـكًا. اتَّصَـلَ بي ليلـة الأمـس، بعـد السـاعة الرابعـة صباحًـا. لا بُـدَّ أنـه كان ثمِـلًا؛ لأننـي بالـكاد فَهمـتُ كلامـه. سـألته أيـن هـو، لكـن لم أسـتطع اسـتيعاب إجابتـه. تكـرَّرَ الـشيء نفسـه كثـيرًا في

الآونة الأخيرة. لم أكُن أستطيع حمل نفسي على سؤاله في اليوم التالي، ماذا حدث. أحيانًا كان يقول فقط إن آخر شيء يتذكّره هو صعوده على متن قطار الأنفاق، وأنه لا بُدَّ قد استغرق في النوم.

"ألا تشعرين بالبرد؟".

"جدًّا".

بعد أن فرغ من مسح الغبار عن مكتب ومقعد الأستاذ يون، أغلق النافذة التي فتحتها منذ لحظات واختلس نظرة من بين الستائر. لا أحد هناك في الخارج.

سألني وظهره يواجِهُني: "لماذا أحضرتني إلى هنا؟".

"كي أضع مُفكّرة ميرو على رَفِّ الكُتُب".

فتَحتُ حقيبتي وأخرجت مُفكّرة ميرو السميكة، وذهبت إلى رَفِّ الكتب، حيث وُضِعَت الكتب وظهرها يواجه الداخل. حرَّر الستائر من بين يديه ونظر إليّ.

أول شيء جذب انتباهي عندما زُرتُ المكتب لأول مرة كانت تلك الكتب العتيقة التي بدا كأن ورقها سيتفتّت مع أقل لمسة. كُتبٌ لكُتّابٍ ماتوا في عُمرٍ صغير، قبل الثالثة والثلاثين. مَرَّرتُ يدي فوق الكتب بينما أمسك بمفكّرة ميرو. لا تزال مرصوصةً وظهرها إلى الحائط بحيث لا يمكن رؤية اسم المؤلف أو عنوان الكتاب. شعرت كأنَّ الكتب تتحدَّث إليّ، لكن ما استطعت فهمَ أي كلمة ممّا تقول. تذكّرتُ كيف سألني الأستاذ يون ذاك اليوم: "هل تتساءلين لماذا رَصَصتُ الكتب بتلك الطريقة على رَفِّ الكتب؟". التفتُّ غريزيًّا لألقي نظرة على المكتب الفارغ. وقف ميونجسو هناك وعيناه عليّ، ووجهه جامد من البرد.

"هل ترغب في القيام بذلك؟" سألته.

تحرّكت نظراته نحو مفكّرة ميرو في يدي.

"كانت معكِ طيلة الوقت؟".

"ذهبت إلى بيت جَدَّة ميرو. تتذكَّر حين حاوَلتَ الاتصال بي في منتصف الليل ولم أكن في البيت. ذهبت إليه في ذلك اليوم".

"كيف وَجَدتِ البيت؟".



"لقد قابَلتُ والدة ميرو وذَهَبتُ برُفقَتِها".

وقف هناك هادئًا.

"آسفة لأنني لم أُخبِركَ". لم أستطع أن أخبره بذلك؛ لذا ذَهَبتُ للقائها بمفردي. بعد أن عُدتُ من زيارتي لبيت جدَّة ميرو، جلست أمام الهاتف حتى وقت متأخِّر من الليل قبل أن أستسلم وأتصل به أخيرًا. كان ميونجسو وميرو مثل توأمَيْن. لقد فقدتُ داهِن، وفقد هو ميرو الآن.

أتى إليّ وأخذ مُفكِّرَتَها. ربما كان كلانا يتخيَّل يديها في ذهنه. يداها المشوَّهتان بالندبات اللتان سَجَّلَتا ما كانت تأكله ميرو بدقَّةٍ متناهية من دون أن تنسيا أي شيء. تخيَّلتُ نفسي كأنني كائنٌ آخر كلِّيًّا، أحدِّق بافتتان إلى ميرو وهي تكتب في مفكِّرتها، أنا التي لم أرَ من قبل أبدًا أي شخص يُدوِّن كل شيء يأكله بمثل هذا التفاني. كل تلك الأيام التي قضيناها في كتابة القصص في يومياتها. كلما كُنَّا معًا، كانت وجوهنا تتورَّد بالحب الذي يُكِنُّه كلٌّ مِنَّا للآخر. عندما بدأت ميرو تملأ صفحات مفكِّرتها بقصص أشخاص مختفين، كان يجدر بنا أن نولي الأمر اهتمامًا أكبر. كانت تلك القصص هي صرخات الألم الذي يعذِّب ميرو.

تصفَّح ميونجسو المفكِّرة بسرعة، ومَرَّر يده فوق صفحاتها قبل أن يعيدها إليّ.

"افعلي أنتِ هذا" قال.

لا بُـدَّ أن مفكـرة مـيرو كانـت السـببَ الـذي دفـع والـدة مـيرو إلى عـدم إغـلاق الخـطّ في وجهـي ذلـك الصبـاح الـذي اتَّصلـتُ فيـه بهـا. كانـت تغلـق السـماعة عـادةً في اللحظـة التـي أنطـق فيهـا اسـم مـيرو. لم يُحجِمنـي هـذا عـن الاتصـال ببيـت والـدَيْ مـيرو كلـما خطَـرَت مـيرو ببـالي. أعـرف أن والديهـا لا يرغبـان في الحديـث مـع أي أحـد عـن ابنتهـما، لكـن لم أعـرف مـاذا يجـب أن أفعـل غـير مواصلـة الاتصـال بهـما. ثـم ذات صبـاح بعـد عـدَّة شـهور مـن آخـر محاولـة فاشـلة للاتصـال بهـما، حاوَلـتُ ثانيـة. في اللحظـة التـي سـمعت فيهـا صـوت والـدة مـيرو تقـول مرحبًـا، سـارَعتُ قائِلَـةً: "لا تُغلِقـي الخَـطَّ!".

"أرجـوكِ لا تغلقـي الخـط" تَوَسَّـلتُ إليهـا. خـلال الصمـت الـذي تبـع ذلـك، شـعرتُ كأن أصابعـي تتفـكَّك.

"مَن معي؟".

قطَعَت والدة ميرو الصمت أخيرًا.

"اسمي جونج يون".

"جونج يون؟".

"نعم" قُلتُ بسرعة.

"إذًا أنتِ جونج يون".

جلَسـتُ عـلى ركبتـي، وأنـا أمسـك سـماعة الهاتـف بـين يـدي. "لقـد قـرأتُ يومياتكـم التـي كَتَبَهـا ثلاثَتُكـم" قالـت. أشـارت إلى اليوميـات بــ "يومياتكـم" لا "يوميَّـات مـيرو".

"لقد وَجَدتُها في بيت جَدَّتِها" أضافَت.

"أرجوكِ، دعيني أتحدَّث مع ميرو".

خارت قواي كلها. بدا كأنني أعرف بداخلي بالفعل أنني لن أسمع صوتَ ميرو ثانية أبدًا.

"أرجوك، أعطي السماعة إلى ميرو" تَرَجَّيتُها.

تنهَّدَت أُمُّها تنهدةً عميقة.

"أين هي؟" سألتها. ساد الصمت على الطرف الآخر من الخَطِّ.

"أرجوكِ، لا تغلقي الخطَّ".

"ميرو ميِّتَة".

لم أَعِ كلماتُها في البداية.

"لقد جَوَّعَت نفسها حتى ماتت".

أخيرًا استَوعَبتُ الحقيقة.

"هل تسمعينني؟" قالت "لقد رَحَلَت إلى الأبد".

حدَّقتُ بتعبيرٍ جامد خارج النافذة إلى برج نامسان على مبعدة.

شعرت كأن البرج ينهار فوقي. قالت والدة ميرو إنها لم تمتلك أدنى فكرة أن ميرو قد ذهبت للعيش في البيت المهجور الذي تَرَكته جدَّتُها لها. انشغلتُ وميونجسو في سُعار التظاهرات الذي اجتاح الشوارع، عن معرفة أين كانت ميرو. وبينما كنَّا نسأل الجميع إذا كان أي أحد يعرف أي شيء عن ميرو، كانت وحدها في بيت جدَّتها. أردت أن أسمع المزيد، لكن قالت أمها: "أصبح كل شيء جزءًا من الماضي الآن"، ثم أغلَقَت الخط. بعد عِدَّة أيام، اتصلت والدة ميرو بي. عندما أجبت على الهاتف، خاطبتني بحنانٍ لا اصطناعَ فيه. أخبرتني أنها سوف تذهب إلى بيت جدَّة ميرو، وسألتني إذا كنت أرغب في مرافقتها. ذهبت إلى المحطة في المدينة حيث تعيش أسرة ميرو كما أرشدتني أُمُّها. أتى إليَّ رَجلٌ بدا أنه سائقٌ خاصٌ وسألني إذا كنتُ جونج يون.

تَبِعتُـه إلى حيـث كانـت والـدة مـيرو تجلـس داخـل سـيارة فضيـة اللـون. كانـت ترتـدي ثيابًـا سـوداء بالكامـل. هَمَمـتُ بالجلـوس في المقعـد الأمامي، لكنَّهـا طلبـت منـي الانضـمام إليهـا في المقعـد الخلفـي. تَمـدَّدَت إيميـلي على لوحـة السـيارة الخلفيـة، لكـن لم يَبـدُ عليهـا أنهـا تتذكَّـرني. لم أَقُـل ووالـدة مـيرو أي كلمـة في الطريـق إلى الريـف. فقـط عندمـا دارت السـيارة في منحنـى حـاد، نظَـرَت والـدة مـيرو في عينـي. قـد تكـون ثيابهـا سـوداء، لكـن وجههـا شـاحب. أمسَـكَت بيـدي- كنـتُ أتشـبَّث بقـوة بمقعـد السـيارة كي أمنـع جسـدي مـن الانـزلاق في كل مـرة تسـلك السـيارة منعطفًـا آخـر. كان وجههـا مُجـرَّدًا مـن أي تعبـير، لكننـي اسـتطعت أن أستشـعر الـدفء والقـوة وهـي تحـاول أن تحمينـي. حدَّقَـت إلى الأمـام مباشرة. رغـم أننـي لم أحـدِّق إليهـا مبـاشرة، أمكننـي أن أرى ملامـح مـيرو في جانـب وجههـا الـذي يمكننـي رؤيتـه مـن موضعـي: نفـس الأنـف والجبهـة والشـفتين. العنـق الهيفـاء الطويلـة. بـدا كأننـي ألقـي نظـرة عـلى نسـخة أكـبر في السـن مـن مـيرو. عندمـا اسـتقام الطريـق الجبـلي كثـير المنحنيـات أخـيرًا، حـرَّرتُ يـدي برقـة. تأمَّلَتنـي بـين الفينـة والأخـرى، لكـن معظـم الوقـت كانـت تَشـخَص ببصرهـا خـارج النافـذة حتـى وصلنـا إلى بيـت جـدَّة مـيرو.

كان البيـت يربـض عنـد قـدم جبـل. القريـة صغـيرة جـدًّا- لا تحـوي سـوى ثلاثـة بيـوت متناثـرة.

"أعتقـد أنهـا رغبـت في الحيـاة هنـا مثـل جَدَّتِهـا" تحدَّثَـت والـدة مـيرو لأول مـرة منـذ غادرنـا المحطـة. "أخـبرني أحـد الجـيران أنهـم شـاهدوها ترتـدي قبعـة وبنطلونًـا فضفاضًـا، وتحمـل جاروفًـا، وتعمـل في الفنـاء وبسـتان الخـضراوات. صُدمـوا في البدايـة؛ اعتقـدوا أنهـا شَـبَحُ جَدَّتهـا".

كان البيـت كـما وصفتـه مـيرو تمامًـا. كان مألوفًـا لي كأننـي كنـتُ هنـا مـن قبـل. في الفِنـاء تقـف أشـجار الـكاكي والبرقـوق وشـجرة الكـرز، وفي الخزانـة توجـد الأطبـاق والملاعـق وعيـدان الأكل النحاسـية. في السـقيفة،

رُتِّبَت مُعدَّات وأدوات الفِلاحة بنظام، وعُلِّق على الجدار كل الأشياء التي استخدمتها أو ارتدتها جَدَّةُ ميرو أثناء حياتها: قُبَّعتها وحذاؤها المطاطي طويل الرقبة، ومعطف المطر الخاص بها. هذا هو البيت الذي شيَّدَته جدَّةُ ميرو عندما أتت إلى الجنوب أثناء الحرب وهي تحمل على ظهرها والدة ميرو حديثة الولادة آنذاك. البيت الذي بدا أشبه بمنزل طفولة لم تستطع أن تعود إليه ميرو أبدًا. البيت حيث جرحت شقيقة ميرو الكبرى ميراي رُكبَتها وعجزت عن الرقص ثانية بعدها. وحيث قضت ميرو أيامها الأخيرة وحدها. حدَّقتُ إلى جذع شجرة البرقوق. هناك حيث أمسكت شقيقة ميرو بغصنٍ، وتظاهرت أنه قضيب باليه ورقصت رقصتها الأخيرة في يوم الحادث.

"سوف يُهدم البيت" طَفَا صوت والدة ميرو الأجوف في الهواء. "لهذا طلبتُ منكِ أن تأتي. أردت أن تريه لأن ميرو قضت أيامها الأخيرة هنا".

تخيَّلتُ ميرو الطفلة وهي تضع كل جسم مُدبَّبٍ تستطيع العثور عليه في فتحة القفل وتهتف: افتح، افتح، افتح!

فتحت والدة ميرو الباب الأمامي للبيت الفارغ، والتَفتَت لتنظر إليَّ. بينما أبعد ناظرَيَّ عن شجرة البرقوق، وأبدأ في المشي نحوها، خَطَت والدة ميرو إلى الداخل.

"عانت ميرو من اضطرابٍ في الأكل" تَمتَمَت والدة ميرو "لم تَكفَّ ميرو عن لوم نفسها على حقيقة أن أختها صارت عاجزة عن ممارسة الباليه. أصابها اضطرابُ فقدان الشهية لأول مرة عندما امتنعت عن تناول الطعام حتى تخرج أختها من المستشفى".

تخيَّلتُ كيف كانت ميرو تُدوِّن كل شيء تتناوله.

"بمجرَّد أن يبدأ اضطراب فقدان الشهية، لا يمكنكِ أن توقفيه. حتى حين أصبحت ميرو رفيعةً كعود البامبو، كانت تشرع في البكاء

والصراخ من دون توقُّف، رافِضةً أن تتناول أي طعام. لا أعرف من أين استمدَّت القوة. كان صراخها يرجُّ الجدران. كانت تتحسَّن لفترة ثم يداهمها المرض من جديد. حتى بعد أن دخلت المدرسة المتوسطة، كانت لا تزال تخضع للعلاج. أحيانًا كنَّا نُطعمها بالإكراه عبر أنبوب من خلال أنفها حين كانت ترفض تناول الطعام. عندما بلغت سن الخامسة عشرة، توقَّفت عن الانتكاسة؛ فظَنَنَّا أنها قد شُفِيَت".

صُدِمتُ. لم أملك أيَّ فكرة عن مرضها. أضحى لكل شيء بُعدٌ آخر. تساءلت إذا كان تسجيل كل ما تتناوله هو طريقتها لمحاربة ذلك الجزء منها الذي رفض الطعام. خَطَت والدة ميرو داخل حجرة في الجانب البعيد من حجرة المعيشة. ألقيتُ نظرة داخلها. الأرضية مليئة بالخدوش، وورق الحائط ممزَّق، وخزانة الثياب متصدِّعة، وعتبة النافذة مكسورة.

"هنا"، جَثَت والدة ميرو على رُكبَتَيْها وتتبَّعت بأصابعها آثار الخدوش.

"فعلت إيميلي هذا".

سرى الخَدَرُ في جسدي، غير قادرة على استيعاب ما حدث لميرو، لكن حين أشارت أمها إلى آثار مخلب القطة، انفجرت باكية. هل كانت إيميلي كل ما امتلكته ميرو بينما تحتضر بمفردها هنا؟ خَطَوتُ داخل الحجرة وتحسَّستُ خزانة الثياب المخدوشة. بعض الآثار واضحة وغائرة، والبعض الآخر باهتة. بعضها طويلة جدًّا، والبعض قصيرة تكاد لا تُرى. تصوَّرتُ مخالب القطة الضئيلة. إيميلي. كَفكَفتُ دموعي بسرعة ووقفت بجوار والدة ميرو. حدَّقنا إلى أسفل نحو الأرضية المليئة بالخدوش.

"لم نمتلك أدنى فكرة أن ميرو قد تكون هنا في هذا المكان المُهمَل. اقترفتُ خطأً. ما كان عليَّ أن أبيع ذلك البيت في المدينة. توسَّلَت ميرو

إلينا كي نسمح لها بالعيش هناك معكما. لم نفكِّر حينها أنه سيكون في صالحها. اعتقدت في ذلك الوقت أنها إذا انتقلت للعيش في ذلك البيت ثانية، فلن تتمكَّن أبدًا من تجاوُزِ ما حدث لأختها. كنت في ألمٍ شديدٍ، لدرجة عجَزتُ معها عن استجماع شتات نفسي. لم يتبقَّ لديّ أي قوة للاعتناء بميرو. بعد أن بِعنا البيت، لم تتكلم ميرو معنا أبدًا... قلتِ إن اسمك جونج يون؟".

بَدَت عينا والدة ميرو زائِغَتَيْن. استخدمت اسمي بالكامل كأنها قد عَرَفَت اسمي لأول مرة الآن، ولم تخاطبني به بحنان كما فعلت عندما هاتفتني.

" أجل" قلتُ.

"لقد كنتُ أمًّا سيئة. خاصة لميرو" اعتَرَفَت لي.

فتحت خزانة الثياب، وأنزلت صندوقًا من فوق الرَّفِّ.

"هذا الصندوق ملكٌ لميرو".

يحوي الصندوق مفكِّرَةً يوميَّاتها وحزمة من الرسائل المطوية مُغلقَة بقصاصات من شريط لاصق. "نزعنا كل شيء ألصقته ميرو على الحائط".

كانت رسائل كتبتها ميرو إليّ وإلى ميونجسو والأستاذ يون ولم ترسلها إلينا أبدًا.

"هَلَّا أخذتِها؟" رمَقَتني والدة ميرو بنظرات هادئة. عَضَضتُ على شفتي وأومأت. لم يَكُن بوسعي فعل أي شيء سوى الوقوف هناك ومشاهدة والدة ميرو وهي تلفُّ الصندوق في حقيبة قماشية.

في طريق رجوعنا إلى المدينة، قالت والدة ميرو فجأة: "أحرقنا جُثَّتها ونثرنا رمادها هناك".

استمرَّت في ربط وفكّ عُقدَة الحقيبة القماشية. لم أستطع أن أستنتج أين "هناك". أخبرتني أن جسد ميرو عندما اكتشفوا جُثَّتها كان قد أضحى شديد النحافة لدرجة أن جسدها كان بالكاد يشبه جسد إنسان. التفتُّ لأنظر خارج النافذة. لم يكن هنالك أي شيء في الأفق سوى الجبال.

"كان جسدها خفيفًا كنُدفَة ثلج" قالت. أضحى صوتها خافتًا في أذني. صارت رؤيتي ضبابيَّةً وتَشوَّشَت صورة الأشجار على جانبي التلال. بينما كانت ميرو وحيدة في ذلك البيت الفارغ، بينما كانت ترفض تناول الطعام، بينما كانت إيميلي تخدش الأرضية، ماذا كنتُ أفعل؟ عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء الآن، أتذكَّر أنني كنتُ أجري في شوارع المدينة مع ميونجسو كل يوم، خدَّاي أحمران من الإثارة، تائهة وسط بحر من ملايين البشر. بينما نمتزج بالغرباء، نتأبَّط أذرع بعضنا البعض ونغني ونمشي في مسيرةٍ نحو قاعة المدينة، كانت ميرو هَشَّةً كورقة شجر، ووحيدة في هذا البيت الفارغ عند قدم الجبل، تكتب الرسائل إلينا من دون توقُّف، وتلصقها على الجدران.

عندما وصلنا إلى المحطة مُجدَّدًا، لم تترجَّل والدة ميرو من السيارة. لم تنظر إليَّ حتى. نزلتُ من السيارة، غير قادرة على سؤالها إذا كان بإمكاني أخذ إيميلي معي. قرَّبت الصندوق الذي يحوي مفكرة ميرو من صدري وتوجَّهتُ إلى المحطة، لكنني واصلت النظر إلى الوراء نحو السيارة المتوقِّفة. لم تُظهر أي إشارة على أنها ستغادر مكانها. مشيتُ بضع خطوات أخرى قبل أن ألتَفت مُجدَّدًا. كانت لا تزال هناك. خطر ببالي وجهُ أمي في تلك اللحظة. أمي التي شعرت بالأسف لأنها ستموت. أمي التي أرسلتني بعيدًا عندما اكتشفَت أنها مريضة جدًّا. التفتُّ وركضتُ عائدة إلى السيارة، وأنا أتعثَّر بسبب استعجالي للوصول إليها، قَلِقَةً من أن تنطلق قبل أن أتمكَّن من بلوغها. طرقتُ

على نافذة السيارة. فقط حين أخذ زجاج النافذة ينزلق إلى أسفل، بدأت أتنفَّس من جديد.

"أرجوكِ، افتحي الباب" قلتُ.

نظَرَت والدة ميرو إليّ بعينيها الخاويتَيْن.

"أرجوكِ" قلتُ. دفعت الباب لتفتحه. وضعتُ الصندوق على الأرض ثم انحَنَيتُ إلى الداخل وعانَقتُها. لامس خَدُّها الجافُّ خدِّي.

"أنا متأكِّدة أن ميرو كانت آسِفةً جدًّا" قُلتُ "أنا متأكِّدَة أنها كانت ستخبركِ بذلك لو استطاعت".

"شكرًا" ربَّتَت على ظهري "شكرًا لأنكِ لم تسأليني لماذا هَجَرتها هناك؟".

عَضَضتُ على شفتي. لم يكن من حَقِّي أن أطرح عليها ذلك السؤال. لقد هَجَرتُ ميرو أيضًا.

"اذهبي الآن" دفَعَتني بعيدًا "دعينا لا نرى بعضنا البعض ثا...".

تحَشرَجَت حنجرتها ولم تستطع أن تُكمل آخر كلمة. صارعت كي تستعيد قدرتها على الكلام. دخلتُ السيارة وأغلقت الباب ورائي. أحزنني التفكير في أنه هناك بعض العلاقات مثل هذه. علاقات مثل العلاقة بيني وبين والدة ميرو حيث نعجز عن فعل أي شي سوى أن نقول "دعينا لا نرى بعضنا البعض ثانية". رغم أننا التقينا اليوم لأول مرة فقط. جلسنا داخل السيارة لوقت طويل، عاجِزَتَيْن عن الافتراق. عندما لم أغادر السيارة، استعاد السائق الصندوق الثقيل من بين يدي. تجاهَلنا النظرات المنزعجة للمارة الذين اضطرُّوا للمشي حول السيارة التي تسدُّ الطريق إلى المحطة. أخيرًا كسَرَت والدة ميرو الصمت وسألتني: "هلَّا أخذتِ القطة؟".

تنَحنَحـتُ ثـم ضغطـت الكتـب معًـا لأصنـع مسـاحة عـلى الـرف. هَمَمـتُ بِـدَسّ المفكـرة بـين الكتـب عندمـا قـال ميونجسـو الـذي كان يقـف هنـاك يراقبنـي: "انتظـري يـا يـون".

توقّفـتُ ونظـرتُ إليـه. أخـرج شـيئًا مـن داخـل جيـب معطفـه. كانـت رسـالة مطويـة.

"دعينا نضع هذه الورقة داخل المفكّرة أيضًا".

حدّقـتُ إلى الرسـالة. هـل أرسـلت مـيرو رسـالة إليـه؟ قـال وقـد بـدا أنـه خمّـن مـا يـدور في رأسي: "أنـا مـن كتبهـا".

فكّرتُ كيـف أننـي قـد كتبـتُ رسـالة إلى داهِـن بعـد معرفتـي بموتـه بسـتة شـهور. في الرسـالة، دَعَـوتُ داهِـن لمشـاهدة السـرادق في قـصر جيونجبوكجونـج معـي. لم يَقُـل ميونجسـو أي كلمـة عـن مـيرو بعـد أن عـرف بموتهـا. كل مـا فعلـه مؤخّـرًا هـو الثمالـة إلى أن يغيـب عـن الوعـي في أماكـن عشـوائية قبـل أن يتصـل بي مـن هاتـف مدفـوع الثمـن في منتصـف الليـل. شـعرت ببعـض الارتيـاح لأنـه كتـب رسـالة إليهـا. فتحـتُ المفكـرة كي يسـتطيع ميونجسـو وضـع رسـالة وداعـه إلى مـيرو بداخلهـا.

"أتودّين قراءتها؟" سألني.

"لا". لا بُـدّ أننـي بَـدَوتُ حازمـة جـدًا. حـدّق إليّ للحظـة. "لقـد كتبـتَ الرسـالة إلى مـيرو" قلـتُ.

"مـا هـذه؟" بعـد أن دسّ رسـالته داخـل مُفكّرتهـا، نظـر إلى الرسـائل الملصوقـة فـوق صفحـات المفكـرة. كانـت ملصوقـةً في بـادئ الأمـر عـلى جـدران الحجـرة في بيـت جـدّة مـيرو. رسـائل كتبتهـا إلينـا لكـن لم تُرسـلها أبـدًا. رسـائل ألصقتهـا رسـالة تلـو الأخـرى داخـل صفحـات مفكّـرة مـيرو الفارغـة. كانـت الصفحـة التـي فتحهـا بشـكل عشـوائي تحتـوي عـلى بطاقـة بريديـة مُوجّهـة إلى الأسـتاذ يـون. أُلصِقَـت بالغـراء ورقـة واحـدة باهتـة

على ظهر البطاقة البريدية. يظهر خيال الصورة فوق البطاقة البريدية عبر الورقة. أمعن ميونجسو النظر إلى خطِّ يد ميرو.

"لا يجدر بك قراءتها" قُلتُ. نظر ميونجسو إليَّ. "كانت لترسلها إلينا إذا كانت ترغب أن نقرأها".

فكَّرتُ مَلِيًّا قبل أن ألصق كل رسالة وبطاقة بريدية كتبتها ميرو خلال تواجُدِها في ذلك البيت، داخل صفحات مفكِّرتها. في بادئ الأمر بدا أن التصرُّف الصحيح هو أن أعطي الرسائل إلى ميونجسو والأستاذ يون، وأن أقرأ الرسائل الموجهة إليَّ. لكن فكَّرتُ أنها لم ترسلها أبدًا، وبات من المستحيل الآن أن أعرف إذا كانت ميرو قد قصدت أن نقرأها أم لا. تركت الصندوق الذي أعطته والدة ميرو لي فوق مكتبي لشهر. من حينٍ إلى آخر، كنت أُمرِّر يدي فوق البطاقات البريدية والرسائل التي كتَبَتها إلى ثلاثتنا. ثم في وقت متأخِّر من إحدى الليالي قرَّرتُ أن أضمَّها إلى المفكِّرة التي كانت ميرو تحملها معها في كل مكان، وألصقت الرسائل فوق الصفحات الفارغة. بينما أفعل ذلك، عرفت أن عليَّ أن أضع المفكرة في النهاية فوق رَفِّ كُتُب الأستاذ يون، الرَّفِّ الذي يحمل مجموعة الكتب التي كتبها كُتَّابٌ شُبَّان ماتوا قبل عمر الثالثة والثلاثين. كان من الصعب عليَّ ألّا أقرأ الرسائل بينما ألمس كل واحدة منها بالتتابع كي ألصقها. حامت عباراتها أمام عيني. أعتقد أنني قد لمحت شيئًا عن زراعة بذور البطاطس في الأرض. احتوت الرسائل الموجَّهة إليَّ على اسم داهِن. كنتُ أبدأ في القراءة لا إراديًا قبل أن أشيح بوجهي بعيدًا بسرعة، وأفرد الغِراء فوق ظهر الرسالة ثم ألصقها على الصفحة. مع هذا، قرأتُ بالصُّدفَة عبارة "أنا آسفة لأنني لم أحافظ على وعدي"، وعبارات قليلة عن الأيام التي قضيناها نتجوَّل في أرجاء المدينة. أشارت رسالة تبدأ بـ "عزيزي ميونجسو"، إلى ركوب زلَّاجة ذات شتاء والسقوط داخل نهر. شاهدت سطورًا بدا أنها مقتبسة من كتب قد قرأتها.

"كانت حياته اليومية معاناة شخص يحب دواخل النفس. الكتابة شكل من أشكال الصلاة من أجل الخلاص". كافكا.

"ألقِ نظرة باردة/ على الحياة، وعلى الموت/ أيُّها الفارس، امضِ في طريقك". ييتس[1].

"عِشتُ، وكتبتُ، وعشقتُ". ستندال.

كُتِبت على إحدى البطاقات البريدية قصيدة لچول سوبرفييل[2]:

خلف ثلاثة جدران وبابين/ لا تفكِّري فيَّ أبدًا./ لا الحجارة ولا الحرارة ولا البرد/ ولا حتى أنتِ تستطيعين أن تُوقفيني،/ بينما أهدمكِ وأعيد تشكيلكِ/ كما أشاء، عميقًا بداخلي،/ تمامًا كما تشكِّل الفصول الغابات،/ على سطح الأرض.

كانت إحدى الرسائل أشبهَ باعتذار إلى الأستاذ يون.

وضع ميونجسو رسالة وداعه إلى ميرو داخل مفكِّرتها بهدوءٍ ومن دون أي كلمة. أغلقتُ المفكِّرة ووضعتها على الرَّفِّ بين الكتب الأخرى، وظهرها إلى الخارج. ربَّتَ ميونجسو على المفكرة. وقفنا هناك للحظة

---

(1) ويليام ييتس (1865- 1939): شاعر إنجليزي وكاتب مسرح. عُرِفَ عنه إيمانه بالأشباح والجِنِّيَّات والسحر. حاز على جائزة نوبل في الآداب سنة 1923.

(2) چول سوبرفييل (1884- 1960): شاعر وكاتب أوروجويَّاني فرنسي. رُشِّح لجائزة نوبل عدَّة مرَّات.

نظـر إلى مفكّـرة مـيرو التـي اختلطـت بالكتـب الأخـرى. وضـع يـده في جيبـه. وضعـت يـدي في جيبـي بـدوري. رفـع يـده اليـسرى ليحـكّ رأسـه. رفعـت يـدي اليـسرى وحَكَكْـتُ رأسي. نظـر إلى الأرض وداس عـلى الأرض بقدَمِـه مَرَّتَيْن. نظـرت إلى الأرض ودسـتُ عـلى الأرض بقدمـي مرتـين. نظـر إليّ أخـيراً.

"لماذا تُقلِّدينني؟" سألني.

"كي أُضحِكَك" لكنه لم يضحك، واكتفى بالتحديق إليّ.

"جونج يون" قال "لا تحاولي أكثر من اللازم".

"لا، يجب أن نحاول" قلتُ بإصرار "علينا أن نحاول".

وقف وظهره إلى رَفّ الكتب. وقفت وراءه وظهري إلى الرَّفّ أيضًا.

"انتقل للعيش معي" قلتُ.

هامـت كلـماتي وسـط رفـوف الكتـب ثـم عـادت إليّ كصـدًى. لم يَقُـل أي شيء.

رنَّ هاتفـي في الثالثـة صباحًـا قبـل ليلتـين. روَّع اهتـزاز الهاتـف إميـلي التـي كانـت تسـتلقي بجـوار الهاتـف، وسـارعت إلى الاختبـاء تحـت المكتب. كانــت المكالمــة مــن ميونجســو. ســألتُ أيــن هــو، فقــال إنــه لا يعــرف. كان ثمِـلًا وكان مـن الصعـب فهـم مـا يقـول. مـن دون أن أقصـد ذلـك، صرَخـتُ في وجهـه كي يفيـق ويعـثر عـلى مبنـى أو مَعلَـمٍ قريـب في الجـوار. آخـر شيء سـمعته يقولـه هـو "جامعـة هونجيـك". طَبَّقـتُ بعـض الثيـاب وكنــتُ في طريقــي إلى خــارج الحجــرة عندمــا تَبِعَتنــي إميــلي إلى البــاب. أخبرتهـا أننـي سـوف أعـود سريعًـا ودفعتهـا إلى الداخـل. أمكننـي سـماع خربشـتها عـلى البـاب بينـما أنحنـي وأحكِـم ربـط ربـاط الحـذاء. كانـت درجـة الحـرارة تحـت الصفـر، والريـاح بـارِدَةٌ بِشـدَّة. لَفَفـتُ الوشـاح حـول عنقـي وارتديـت قفّـازيَّ وهبطـت الـدَّرَج. أوقفـت سـيارة أجـرة. افترضـت

أنه اتَّصل من مكان قرب حرم الجامعة. طَلَبتُ من السائق أن يقود ببطء حول الطريق الرئيسي أمام الجامعة. كانت الحانات لا تزال مفتوحةً. أنوارها متوهِّجة، والناس يمشون بتخبُّطٍ خارجين إلى الشوارع قبل أن يوقفوا سيارات أجرة. لماذا ذهب ميونجسو إلى هناك؟ لم أستطع أن أعثر عليه في الشارع الرئيسي؛ لذا ترجَّلتُ من سيارة الأجرة. اخترت منطقة معيَّنة وبدأت أسير في كل زُقاقٍ. لكن حتى بعد أن بحثت في كل زقاق مضاء بنور ساطع، لم أستطع أن أجده. تجوّلتُ في الشوارع وأنا أهتف باسمه بينما قطط الزقاق تجري وتختبئ عند سماعها صوت خطوات أقدامي تقترب منها، والقمامة تتطاير في كل مكان بفعل الرياح.

لا بُدَّ أنني مشَّطتُ تلك الشوارع لأكثر من ساعة. عثرت عليه أخيرًا وراء بئر سلم معتم قرب مسرح سونووليم. كان هنالك كابينة هاتف. مشيت حتى وصلت إليه، لكنه لم يتعرَّف عليَّ. ثمَّة دَمٌ على جبهته كما لو كان قد ارتطم بشيء ما، وظهر يده مجروح. كان من المستحيل أن يثمل هكذا بمفرده، مع هذا كان هناك وحيدًا. لم أمتلك أدنى فكرة كيف نجح في الاتصال برقمي بحالته هذه. كان جسمه متجمِّدًا من شدة البرد، مع هذا استطاع الاستغراق في النوم. بئر السلم مُغطًّى بطبقة سميكة من الجليد. تَدَلَّت كتل الثلج فوق رأسه. بدا كأنه قد يغيب عن الوعي ولا يستيقظ أبدًا. كان عليَّ أن أساعده على النهوض بطريقة ما وركوب سيارة أجرة، لكن الزقاق مُختَفٍ عن الأنظار، وميونجسو يتمدَّد على الأرض؛ وهو ما جعل التعامل معه صعبًا. فكَّرتُ كيف عثر عليَّ ذات يوم حافية القدمين في وسط المدينة. وقد فَقَدتُ حذائي وحقيبتي خلال عاصفة المظاهرات، وحملني بسهولة على ظهره. خلعت وشاحي ولففته حول عنقه ثم غطَّيتُ جسده بمعطفي. دَعَكتُ يديه الباردتين كي أمنعهما من

التجمُّد، ثم انتظرت مرور أي شخص كي أطلب مساعدته. بينما أنتظر، فكَّرتُ: يجب أن نبقى سويًّا ولا نفترق أبدًا، ولا حتى ليلًا.

نجَحتُ في إعادته إلى حجرتي، لكنه لم يفق من ثمالته مع حلول بعد الظهر حتى. أعطَيتُه شيئًا ليتناوَلَه لكنَّه تَقيَّأه على الفور. التفَّت إيميلي ككُرَةٍ وأبقت عينيها علينا. لم يستعد رُشدَه قبل المساء. سألني ماذا يفعل في حجرتي. بدلًا من أجيبه، قلتُ له: "انتَقِلْ للعيش معي". تذكَّرتُ ما قلته لميرو عندما طلَبَت مني أن أعيش معها. أخبرتها أنني أحتاج إلى بعض الوقت للتفكير في الأمر. تخيَّلتُ نظرة الإحباط التي عَلَت وجهها. حدَّق ميونجسو في ظهر يده المجروحة ولم يَقُل شيئًا.

***

خطا ميونجسو بعيدًا عن رَفِّ الكتب.

"دعينا نخرج من هنا" قال.

"ونذهب إلى أين؟".

"نذهب لرؤية الأستاذ يون".

"الآن؟".

"لقد طلب منَّا أن نأتي لرؤيته".

عندما بدأ يسير مبتعدًا، أمسكت بذراعه. استند على رَفِّ الكتب من جديد. مفكرة ميرو وراءنا تمامًا. صعد أحدهم السلالم في الرواق في الخارج ومشى بسرعة متجاوِزًا المكتب. استمعنا لوقع حذائه يبتعد. مهما كان هذا الشخص، لم يكن يعلم أنني وميونجسو نقف داخل مكتب الأستاذ يون المغلق. ولا أن مفكِّرة ميرو قد وُضِعَت على رف الكتب هناك.

"انتَقِلْ للعيش معي" قُلتُ مُجدَّدًا.

نظر إلى يدي الممسكة بذراعه.

"يجب أن نعيش معًا" قُلتُ بإصرار "علينا ذلك".

كتم أنفاسه.

"دعنا نعيش معًا. فلتَعِش إميلي معنا أيضًا. نتناول الطعام معًا... نُفرِّش أسناننا معًا... نستيقظ في الصباح معًا... نقرأ معًا... نخلد إلى النوم معًا...".

واصَلتُ حديثي. بينما أذكر الأشياء التي يجب أن نفعلها سويًا، ومضت ذكريات الأيام الخالية أمام عيني. تلاشت كل القوة في يدي. أمسك ميونجسو بيدي أثناء سقوطها. لقد حدثت تلك الأيام لنا بالصُّدفة من دون إنذار ومن دون توقُّعات. بدا أنه يفكر أيضًا في تلك الأيام التي قضيناها معًا في ذلك البيت الفارغ بصحبة داهِن وميرو. كتب داهِن أن ذكرى تلك الفترة ستبقى معه إلى الأبد، وأنه سيستطيع دائمًا أن يجد طريقه إلى البيت ثانية من دون أن يتوه. وأن هذا دليلٌ على أنها لم تكن حلمًا. قال أيضًا إنه اتَّفق مع ميرو كي يرسم رسومات تُعبِّر عن القصص في مُفكِّرتها.

أحيانًا أفكِّر في ذلك الوعد الذي قطعته وميرو على نفسينا. سوف يأتي ذلك اليوم. أعني يومًا ما. يومًا ما عندما نلتقي مُجدَّدًا، سوف أرسم رسومات للقصص التي كتبها ثلاثتكم.

غادرنا الجامعة ومشينا إلى شارع جونجنو -3 كا؛ كي نلحق بالحافلة إلى بيت الأستاذ يون. سِرنا في صمت. عندما هَبَّت علينا نسمة باردة، أخرج يده من جيبه وعدَّل وضعية وشاحي، ثم دعَكَ كَفَّيه معًا ليبث الدفء فيهما، ثم أحاط بهما خدَّيَّ.

عندما وصلنا إلى محطة تشونجنيانجني، انتقلنا إلى حافلة مُتَّجِهة إلى ديوكسو حيث وجدنا مقعَدَيْن في نهاية الحافلة. بدأ ثلجٌ خفيفٌ في الهطول.

"لا أستطيع انتظار مرور السنين يا جونج يون" قال بصوتٍ أجوف "لا أطيق انتظار أن أشيخ، لا أطيق انتظار الوقت الذي سوف أفهم فيه حتى لو لم أستطع أن أغفر وأسامح. لا أستطيع الانتظار الوقت الذي سوف أصبح فيه قويًّا".

***

مُذكّرات ميونجسو

المفكّرة البُنّيّة "10"

كانت القرية -حيث عاش الأستاذ يون- بيضاءَ وقد كساها الثلج، أشبه بصورة على بطاقة معايدة بالكريسماس. لا بُدَّ أنَّ الثلج قد هطل طيلة الوقت الذي كنتُ وميونجسو على متن الحافلة، وتوقَّف قبل لحظات فقط من نزولنا منها. بدأنا نسير إلى القرية حين بدأ الثلج ينهمر مُجدَّدًا. لم يكن هنالك أي آثار أقدام على الثلج. تأبَّطت يون ذراعي وسألتني إذا كنتُ أعرف أين يعيش الأستاذ. حصَلتُ على وصف للطريق إليه من كلا من ناك سوجانج والأستاذ يون عبر الهاتف، لكن كانت أول مرة أذهب إلى هناك. ساوَرَ القَلَقُ يون إذا كنَّا سنتمكَّن من العثور على البيت وسط كل ذلك الثلج. انسحق الثلج تحت أقدامنا مع كل خطوة. وعدتها أننا سنعثر عليه، فابتسمت.

"ينسحق الثلج حقًّا" قالت وهي تدوس عليه لتسمع الصوت الذي يُحدِثُه كما لو كانت لم تَمشِ فوق الثلج من قبل. "استمع... انسحق! انسحق! انسحق!". مشت أمامي كي أستطيع سماعه، تسير آثار أقدامها وراءها في الثلج قبل أن تتوقَّف وتنتظرني لألحق بها.

"انظر" قالت. كانت تشير إلى آثار الأقدام التي خَلَّفناها وراءنا للتَّوّ. آثار أقدامي ضخمة بينما آثار أقدامها صغيرة. أحببتُ المشي في الثلج معها وترك آثار أقدامنا عليه. لا مانع لديَّ في أن أسير معها في أي مكان في العالم. مع تَردُّد صوت انسحاق الثلج في أذنينا، شَقَقنا طريقنا نحو معبرٍ ملتوٍ. تراكَمَت كومة كثيفة من الثلج فوق شجرة عتيقة سقطت أرضًا خلال العاصفة الأخيرة. حلَّقَت الطيور التي حطَّت فوق الأغصان المُثقلة بالثلج، مُرَفرِفَةً بأجنحتها بعيدًا، عند اقترابنا منها.

"أشعر كأننا نتوغَّل أكثر داخل الجبال فحسب" قالت يون.

كنتُ أفكر للتَّوّ في الشيء نفسه، لكنني طَمأنتُها قائِلًا: "البيت أبعد قليلًا من هنا".

بينما ندور حول منعطف آخر، بدأ القلق يتسلَّل إليَّ أيضًا. لكن حينها تجلَّت القرية تحتنا. بدا بقية الطريق كأن أحدهم قد أزال الثلج عنه حديثًا. كانت القرية مُحاطةً بالجبال ومُغطَّاة تمامًا بالثلج. لم يكن هنالك سوى القليل من البيوت. تحوَّل العالم برُمَّته إلى الأبيض. تواصل الطريق كخَطٍّ يَمتَدُّ فوق خريطة. تتبَّعناه بعيوننا. كان الطريق يتلوَّى بطول الجبل ثم إلى داخل القرية، يتَّسِع ثم يضيق مُجدَّدًا. برز الطريق الممسوح حديثًا بجَلاءٍ مقابل المنظر الثلجي. انتهى الطريق أمام بيت.

"هذا هو" قالت يون "لا بُدَّ أنه يعيش هنا".

سِرنا في الطريق إلى أسفل الذي يقود إلى القرية. تمامًا كما توقَّعَت يون، كان البيت في نهايته هو بيت الأستاذ. البوَّابة الأمامية مفتوحة

والأستاذ يقف في فناء البيت. تراكَمَت طبقة سميكة من الثَّلج داخل الفناء أيضًا. ارتفعت الأشجار المغطَّاة بالثلج والتي تساقطت أوراقها، فوق رؤوسنا. في الجانب الداخلي من البوابة، وقفت مقشَّة متينة من البامبو. لا بُدَّ أنها المقشة التي استُخدِمَت لكنس الطريق الذي مشينا فوقه منذ لحظات. راقَبَنا الأستاذ في صمتٍ بينما ندنو منه. عندما أصبحنا أمامه، أتى كلب مندفعًا من بيت كلاب على الجانب الآخر من الفناء. كان كلبًا أصفرَ ضخمًا. قبل أن تحيي الأستاذ حتى، مدَّت يون يدها ومسَّدَت ظهر الكلب الذي راح يهزُّ ذيله. خفض الكلب أذنيه وتحرك ليقف بجانب الأستاذ.

"إنه ودودٌ جدًّا رغم ضخامته".

مَدَّ الأستاذ يده وربَّت على كتف يون، لكنها انهارت فوق الثلج فجأة. ظنَنتُ في بادئ الأمر أنها قد تعثَّرت في شيء ما. ارتجف كتفاها قبل أن تنفجر باكية. حاولتُ مساعدتها للنهوض وقد صدمني ما حدث. قال الأستاذ: "دَعْها".

ذات مرة منذ فترة طويلة، (الآن وأنا أكتب تلك الكلمات "منذ فترة طويلة"، تبدو لي الذكرى قديمة جدًّا) في إليونج، شاهَدتُ يون تبكي. بدا كأنها قد غمست وجهها في النهر منذ قليل. بمجرَّد أن تبدأ دموعها في التدفُّق، كان يصعب على يون أن تتوقَّف عن البكاء، لدرجة تجعلني أتساءل كيف استطاعت حبس هذه الدموع كل هذا الوقت. انتفخت عيناها في لحظة.

كان الأستاذ يعرف ما حدث لميرو بالفعل. لم أتكبَّد عناء سؤاله كيف عرف. أتمنَّى لو أن كل ما حدث لنا كان من قبيل الأشياء التي يمكن أن تُطرَح فيها أسئلة "كيف" و"لماذا". قال إنه تلقَّى رسالة من والدة ميرو. رفضت والدة ميرو لقائي. أخَذَت يون إلى بيت جدَّة ميرو، وكتَبَت رسالة إلى الأستاذ، لكنها لم تتَّصِل بي حتى.

عندمـا اتَّصَلـتُ بـه لأحصـل عـلى مفتـاح مكتبـه، لا بُـدَّ أنـه كان يعـرف حينهـا بمـوت مـيرو، ولا بُـدَّ أن ذلـك هـو السـبب الـذي دفعـه لأن يطلـب منـي القـدوم للقائـه وأن أُحـضر يـون معـي. حـين توقَّفَـت يـون عـن البـكاء ودلفنـا داخـل البيـت، كان الظـلام قـد أخـذ يَعـمُّ. أُثِّـث بيـت الأسـتاذ ببسـاطة: مقعـد ومنضـدة قهـوة في حجـرة المعيشـة، ومائـدة وأربعـة مقاعـد في المطبـخ، ومكتـب ومقعـد في حجـرة النـوم.

جلَسـتُ عـلى المقعـد الخشـبي الطويـل أسـفل النافـذة، ونظـرت إلى الخـارج نحـو آثـار أقدامنـا في الفنـاء المغطَّـى بالثلـج. ذهـب الأسـتاذ إلي المطبـخ، وأحـضر تُرمسًـا وسـكب كوبًـا كبـيرًا مـن شـاي السـفرجل ليـون وكوبًـا آخـر لي. ألقـى نظـرةً خـارج النافـذة ثـم سـأل يـون إذا كانـت قـد فرغـت مـن البـكاء. أحاطـت يـون الكـوب بيديهـا وأومـأت.

"أحـضَرَت لي تلـك الشـجرة" قـال الأسـتاذ. اسـتنتجتُ أنـه يتحـدَّث عـن مـيرو. "زرعناهـا معًـا. قالـت إنهـا شـجرة تفـاح بـرِّيٌّ".

خطـر ببـالي أن الأسـتاذ يـون ربمـا آخـر شـخص قـد قابَلَتـه مـيرو قبـل أن تذهـب إلى بيـت جدَّتهـا.

"تتفتَّـح الزهـور في الربيـع" قـال "وبعـد أن تتسـاقط الأوراق، تبـدأ ثمـار التفـاح في الظهـور. إذا كانـت الشـجرة لا تـزال حيَّـةً مـع نهايـة الصيـف، فسـوف نـرى بعـض التفـاح الـبرِّيِّ الأحمـر قبـل الخريـف".

جلَسـتُ ويـون متجاوريـن ونظرنـا نحـو الشـجرة في الخـارج. لمـع الثلـج فـوق فروعها.

"عندمـا كنـت في عشرينـاتي، حـين كنـت في مثـل عمركـما الآن" قـال الأسـتاذ "تلقَّيـتُ رسـالة...". اسـتند بظهـره عـلى الأريكـة، وعيناهـا مثبتتـان عـلى نـدف الثلـج التـي تتـدلَّى مـن شـجرة التفـاح الـبرِّي خـارج النافـذة. "كانـت الرسـالة مـن امـرأة كنـت أعرفهـا".

التفت لينظر إلينا. ارتعشت عيناه الصلبتان للحظة. أنزلت يون كوبها فوق المائدة.

"كان يوجد مفتاح داخل المظروف. لم أر تلك المرأة منذ سنوات عديدة؛ لهذا كنت محتارًا جدًّا. لُفَّت قطعة ورق حول المفتاح. فردتها لأجد تاريخًا وخريطة مرسومة باليد. كان هذا في منتصف الشتاء مثل الآن. لم أتعرف على الموقع على الخريطة. في ذلك الوقت، كنت قد أنهيت خدمتي العسكرية في الجيش، ثم سافرت إلى أمريكا لعدَّة أشهر لألتحق ببرنامج كتابة في جامعة هناك. بعد عودتي، كنت أقضي الشتاء في بيت والديَّ في الريف. لم يمتلك الجميع هاتفًا في ذلك الوقت. لم أمتلك أي فكرة عن مغزى المفتاح والرسالة. رحت أفكر مليًّا في الأمر لعدة أيام. أعتقد أنني قد كتبت حتى ردًّا يعجُّ بالأسئلة، لكن الثلج كان كثيفًا جدًّا فمنعني من الوصول إلى مكتب البريد وإرساله. في تلك الأثناء أتى التاريخ في الرسالة، وذهب. فقط بعد عدَّة أيام من توقُّف الثلج، أدركت أنه كان عليَّ أن أذهب للقائها في ذلك التاريخ. عُدتُ إلى رُشدي، وشقَقتُ طريقي عبر الطريق المغطَّى بالثلج، وركبت القطار إلى المدينة. قادتني الخريطة إلى أوكسو- دونج. لم أذهب إلى ذلك الجزء من المدينة من قبل. تجوَّلتُ في الأرجاء لفترة، محاولًا العثور على البيت المحدَّد على الخريطة. كانت الأرض متجمِّدَةً والهواء قارِسَ البرودة. لا أتذكَّر عدد المرات التي تعثَّرتُ فيها فوق تلك الشوارع الزَّلِقة شديدة الانحدار. عند نقطة معيَّنة، لم أشعر بقدمي تحتي، وسقطت على ظهري. غاص قلبي في مكانه. تساءَلتُ لماذا تعيش في مثل هذه الضاحية الفقيرة؟ عندما قابَلتُها أول مرة، كانت تعيش في ضاحية هاننام- دونج الثرية. دعتني إلى منزلها ذات مرة. بعد ذلك بدأنا نفقد اهتمامنا ببعضنا البعض. لأكُن صادقًا، كانت لا تزال تُحبُّني، لكنني مَن فَقَدتُ الاهتمام بها. لا يمكنني أن أشرح السبب بالتحديد. أعتقد أنني فكَّرتُ أننا ننتمي إلى عالَمَيْن مختلفين. عندما

بـدأت تجنيـدي في الجيـش، لم أهتـم بإخبارهـا. لم أردَّ أيضًـا عـلى أيٍّ مـن رسـائلها. حاوَلَـت أن تـزورني مـرة عندمـا كنـت في الخدمـة، لكننـي كنـت في إجـازة. بعـد بضـع محـاولات فاشـلة للقـائي، انقطعـت أخبارهـا عنـي. لـذا كان مـن المحـزن أن أكتشـف أنهـا تعيـش في أحـد تلـك الأحيـاء الفقـيرة عـلى جانـب تـلٍّ شـديد الانحـدار. بـدأت أسرع في بحثـي. تمكَّنـتُ أخـيرًا مـن أن أعـثر عـلى البيـت الموجـود عـلى الخريطـة. كانـت بنايـة سـكنية صغـيرة مكتظَّـة بالعائـلات في نهايـة زقـاق ضيـق في قمـة التـل. ضغطـت عـلى جـرس البـاب ثـم طرقـت عليـه لكـن لم يُجِبنـي أي أحـد. أخرجـت المفتـاح مـن المظـروف ووضعتـه في فتحـة القفـل- تطابـق المفتـاح مـع فتحـة القفـل. فتحـت البـاب وألقيـت نظـرة في الداخـل. رُصَّـت الأحذيـة بنظـام بجانـب البـاب، وكل شيء آخـر في مكانـه، لكـن لم يَبـدُ أن أي أحـد في المنـزل. لم يـرد أيُّ أَحَـدٍ عـلى نـدائي؛ لـذا خلعـت حـذائي ودلفـت إلى الداخـل. ناديـت مجـدَّدًا.

تَـردَّد صـدى صـوتي في أرجـاء البيـت الفـارغ. جرَّبـتُ فتـح كل الأبـواب، بابًـا تلـو الآخـر. كان هنالـك حجرتـان، كبـيرة وصغـيرة. فتحـت بـاب الحـمام، الـذي بـدا كأنَّـه لم يُسـتعمل منـذ فـترة. لا أحـد هنـا. البيـت فـارغ تمامًـا مـا عـدا الـبرد القـارس في الهـواء. لم أسـتطع أن أواصـل التجـوُّل في بيـت غريـب أكـثر مـن هـذا فغـادرت. أقفَلـتُ البـاب خلفـي وخرجـت إلى الزُّقـاق. كان الطقـس شـديد الـبرودة، لكننـي بـدأت أتصبَّـب عرقًـا بـاردًا وقـد خطـر شيء ببـالي. فكَّـرتُ أن ذلـك مسـتحيل. ركضـت عائـدًا صاعـدًا الزقـاق. انزَلَقـتُ طـوال الطريـق محـاولًا الحفـاظ عـلى تـوازُني، وأنـا أدعـو أن أكـون مُخطِئًـا".

توقَّـف الأسـتاذ عـن الـكلام. عينـاه حمـراوان ومنتفختـان. بـدا أنـه لا يرغـب في إنهـاء القصـة. حـدَّق إلينـا مَلِيًّـا، قبـل أن يومـئ ويواصـل الحديـث.

"عُدتُ إلى البيت وفتحت الباب بالمفتاح، لكن كل ما أردت أن أفعله هو الرحيل. وقفت عند مدخل البيت للحظة وحدّقت إلى باب الحجرة الكبيرة. عندما فتحت باب الحجرة من قبل، بدا مختلفًا عن الأبواب الأخرى. لم يُفتح بشكل كاملٍ كأنَّ شيئًا ما خلفه يعوق فتحه. كنت أمدُّ رأسي داخل الحجرات وألقي نظرة سريعة من دون أن أدخلها. لم أكن متأكِّدًا أنه بيتها حتى، ولم تكن حقيقة أن المفتاح الذي أرسلته إليَّ قد فتح قفل الباب تعني أنني أستطيع اقتحام حجرة نوم شخص آخر. تساءلتُ ثانية إذا كان ينبغي عليَّ الرحيل. اعتراني الخوف. تَنحنَحتُ وخطَوتُ داخل حجرة النوم بخطوات متثاقلة من دون أن أخلع حذائي. لم يفارقني التردُّد لحظةً. لكن أخيراً وكي لا أتراجع عن ذلك، دَفَعتُ الباب بسرعة لأفتحه وأنظر وراءه. كنتُ مُحِقًّا؛ فقد ارتطم الباب بشيء ما. لا أستطيع تصديق أنني أخبركم بهذا لكن كانت هي على الجدار خلف الباب مباشرة، وقد شنقت نفسها".

لم يَقُل أيُّ أحد أيَّ شيء للحظة. شاهدنا فناء البيت المغطى بالثلج يُظلِم. استطرد الأستاذ يون.

"لن أنسى أبدًا ما شاهدته ذلك اليوم. أعتقد أن ذلك كان السبب الذي جعلني لا أتزوَّج أبدًا. بهتت الذكرى لكن لم تختفِ أبدًا. لهذا لن أخبركما أن تتجاوَزَا الأشياء التي مررتما بها. عليكما أن تفكِّرا فيها ثم عندما تَفرغان من التفكير، فكِّرا فيها أكثر. فكِّرا فيها حتى لا تستطيعا التفكير فيها بعد الآن. لا تَكُفَّا عن مساءلة ما هو ظالم ومُحيِّر. ربما لو ذهَبتُ إلى هناك في التاريخ الذي كتبته في الرسالة أو قبله، لكنتُ أنقَذتُها. لكن مجددًا ربما كانت قد خطَّطَت للانتحار قبل ذلك، وكل ما أرادته أن أجد جُثَّتها. البشر غير مثاليين. نحن مُعقَّدون ولا يمكن تفسير سلوكنا وفقًا لأي معيار أخلاقي أو مقولة

حكيمـة. تأنيـب الضمـير، تسـاؤلي الدائـم عـن الخطـأ الـذي ربمـا قـد ارتكبتـه، سـوف يلاحقنـي طـوال حيـاتي كظـلّي. كلـما أحبَبـتُ شـخصًا أكـثر، كلـما زاد ذلـك الشـعور بالذّنـب قُـوَّةً. لكـن لـو لم نَقنَـط ونُحبَـط بسـبب الأشـياء التـي فقدناهـا فـما معنـى كل هـذا؟ لكـن... لكـن لا أوَدُّ أن يُدمِّـر ذلـك القنـوطُ والإحبـاطُ روحَيْكـما".

خـرج الكلـب مـن بيتـه إلى الفنـاء وجلـس في الثلـج أسـفل النافـذة. فتـح الأسـتاذ النافـذة ومـدّ يـده ليربـت عـلى عنـق الكلـب. لمسـته رقيقـة. ثـم جلـس معتـدلًا كـما لـو أن شـيئًا مـا قـد خطـر ببالـه. قـال: "انهضـا. دعونـا نذهـب إلى الجبـال".

انتـشر الغسـق. لمـاذا الجبـال في تلـك السـاعة المتأخّـرة؟ نظـرت إليّ يـون نظـرة جانبيـة. بـدا أنهـا تتسـاءل عـن الـشيء ذاتـه. التقـط الأسـتاذ بعـض العِـصيِّ الطويلـة التـي كانـت مسـنودةً عـلى الجـدار بجـوار البوابـة الأماميـة. أعطـى كلًّا مِنّـا عصًـا. التقـط عصًـا لنفسـه، ثم قـاد الطريـق. بينما نمـشي خـارج البوابـة الأماميـة نحمـل العِـصيّ، بدونـا مثيريـن للضحـك، لكن مُصمِّـمين. القريـة برُمّتهـا مُغطّـاة بالثلـج. ربـض عـددٌ قليـل مـن البيـوت الفارغـة هنـا وهنـاك. في الطريـق خـارج القريـة وإلى الجبـال، لم نشـاهد أي إشـارة عـلى وجـود أي إنسـان في الخـارج. غاصـت سـيقاننا عميقًـا داخـل الثلـج بينـما نتبـع الأسـتاذ. توقّـف الأسـتاذ في منطقـة مـن الغابـة مليئـة بأشـجار الصنوبـر العتيقـة. لم أرَ شـيئًا كهـذا مـن قبـل. وقفـت الأشـجار المغطّـاة بالثلـج في الظـلام أشـبه بأشـخاص ترمقنـا بنظراتهـا. كان مشـهدًا خلّابًـا جـدًّا، لدرجـة أننـي شـعرت برغبـة في الركـوع أمامـه. نفّـض الأسـتاذ الثلـج عـن فـرعٍ مُلامِـس لـلأرض. وقفـت يـون أسـفل شـجرة عجـوز ارتفاعهـا أطـول مـن ذراعـين، ثـم أمالـت رأسـها إلى الـوراء لتنظـر إلى أعـلى.

"سـاعِداني عـلى إزاحـة الثلـج" قـال الأسـتاذ "منـذ بـدأت أقـضي الشـتاء هنـا، تعلّمـتُ أنـه إذا هطـل الثلـج ثانيـةً والأفـرع لا تـزال مُغطّـاة بالثلـج،

فلـن تتحمَّـل الأفـرع ثِقَـلَ الثلـج فوقهـا وسـوف تنكـسر في الحـال. دعونـا نعمـل سـويًّا لإزالـة الثلـج عـن الأفـرع قبـل أن يهطـل الثلـج مجـدَّدًا".

بعـض الأفـرع كانـت مُحطَّمـة بالفعـل. رفـع عصـاه ليحـرِّك غصنًـا متدلِّيًـا. عـلى الرغـم أنـه بالـكاد هـزَّه بعصـاه، تدفَّـق الثلـج إلى أسـفل وسـقطت نـدف الثلـج فـوق رؤوسـنا. حَـذَوتُ ويـون حَـذوَه ورفعنـا عصوينـا نحـو الأفـرع لنُسـقط الثلـج عنهـا. تحرَّكنـا بـتردُّدٍ في بـادئ الأمـر، لكـن سرعـان مـا انغمسـنا في المَهمَّـة. انسـدل الظـلام تمامًـا، مـع هـذا كان الثلـج يعكـس قـدرًا مـن الضـوء يكفـي لأن نـرى. في كل مـرة ننتهـي مـن إزالـة الثلـج عـن إحـدى أشـجار الصنوبـر الشـابَّة، كانـت الأفـرع المَرِنَـة ترتـدُّ إلى أعـلى وقـد تحـرَّرَت مـن ثقلهـا. بعـض الأفـرع أسـقطت الثلـج عـن الأفـرع الأعـلى عنـد ارتدادهـا. وهكـذا عـلى الرغـم مـن الـبرد، أخـذ العَـرَقُ يَتصبَّـب عـلى جبهتـي وينحـدر عـلى جانبـي وجهـي.

أخـذ الأسـتاذ يجمـع الأفـرع المتكـسِّرة المدفونـة في الثلـج. شَـقَقتُ طريقـي إلى الأمـام خطـوةً تلـو الأخـرى منهمـكًا في العمـل حتـى اختفـت يـون مـن مجـال بـصري. عندمـا التفـت إلى الـوراء، وجَدتُهـا تعمـل بجـدٍّ، تَهـزُّ الأفـرع وقـد نَسِـيَت وجـودي. واصـل الأسـتاذ العمـل خلفنـا لفـترة قبـل أن يتوقَّـف ويكتفـي بمراقبتنـا في الظـلام. تَبلَّـل جسـدي كلـه بالعَـرَق. لم أمتلـك أدنى فكـرة كـم مـضى عـلى عملنـا هنـا. ارتفعـت الأشـجار التـي كانـت مُنحَنِيَـة تحـت ثِقَـل الثلـج في سـماء الليـل. كانـت يـون تلهـث مـع هـذا واصلـت التحـرُّك مـن شـجرة إلى أخـرى. رَدَّدَت الجبـال صـدى عملنـا. توقَّفـتُ لأنظـر إلى أعـلى. ومضـت النجـوم في سـماء الليـل المتجمِّـد.

كـم مـضى عـلى رفعـي عينـيَّ إلى أعـلى لأنظـر إلى النجـوم؟ لا بُـدَّ أن الوقـت قـد تجـاوز منتصـف الليـل. أبعـدت عينـيَّ عن السـماء فلم أشـاهد الأسـتاذ. نظـرت حـولي ولم أره. توقَّفـتُ وهبطـت التَّـلَّ وقـد سـاورني القلـق. عمـودي الفقـري لَـزِجٌ بسـبب العـرق. وجـدت الأسـتاذ يـون يجلـس تحـت

شـجرة صنوبـر عجـوز نُفِّـض الثلـج عنهـا، سـألته إذا كان بخـير. ابتسـم بشـحوب. جلسـت بجانبـه، واسـتمعت إلى صـوت تنفُّـس يـون الثقيـل القـادم مـن بعيـد وهـي تهـزُّ الأفـرع المثقلـة بالثلـج. تَـردَّد صـوت عصاهـا وهـي ترتطـم بالشـجر في جنبـات الجبـال.

همَمتُ بأن أنادي عليها لكن أوقفني الأستاذ.

"دعها" قال "سوف تتوقَّف عندما تكون مُستَعِدَّة".

***

الخاتِمَة

سأكونَ هُناكَ

هل يستطيع أي أحدٍ أن يخبرني

ما أبعد مَدًى يمكن أن تصله حياتي؟

هل سأظلُّ أَتجوَّل في العاصفة

وأعيش كمَوجَةٍ في بِركَة؟

هل سأظل مُجرَّدَ شجرة بتول شاحِبة

متجمِّدة في برد بداية الربيع؟

رينيه ماريا ريلكه (حياتي- من كتاب الساعات).

"أرغبُ في أن أخبركم بقصة رجل يُدعَى كريستوفر".

أرفعُ نظاراتي إلى أعلى وأطوف بعينيّ في أرجاء قاعة المحاضرة داخل كنيسة الجامعة. عيون الطالبات المتَّقِدة مُثبّتة جميعًا عليّ. دُعيتُ لألقي محاضرة في كنيسة جامعة نسائية. خلعت نظاراتي ووضعتها فوق المنضدة. تشوَّشَت صورة عيونهن المتَّقِدَة أمامي. استحالت الطالبات في الصف الأخير إلى مجرَّد ظلال. يمكنني أن أستَشِفّ أنّهنّ يتساءلن "مَن كريستوفر هذا؟"، تمامًا كما تساءلنا جميعًا حين أخبرنا الأستاذ يون بالقصة. تأمّلتُ الوجوه الحائرة وابتسمت إلى نفسي. أشعر أنني أشيخ كلّما سحرني الشباب. لكن أن يشيخ المرء أمرٌ ليس سيّئًا. أن أشيخ يعني أن الحسد المستتر الذي أشعر به نحو الأشخاص الذين يجتازون مرحلة الشباب، وموجات الفقد التي تغمرني عندما أرى الطريقة التي يبدو أنهم يتوهّجون بها، سوف تنحسر ولا تُخلِّف وراءها سوى الأمل في أن يشقُّوا طريقهم الخاص إلى الأمام بحرية من دون أن يعوقهم أي شيء.

"هل سمع أي منكم عن القديس كريستوفر؟".

التقطت نظاراتي من فوق المنضدة وارتديتها ثانية. مَلَأَت العيون اللامعة عينيَّ من جديد.

عندما اتصل ميونجسو ليخبرني أن الأستاذ يون يحتضر، لم أذهب إلى المستشفى لثلاثة أيام. كنتُ مستعدّة لمغادرة البيت عندما رنَّ الهاتف ثانية. كان ناك سوجانج. سافر ناك سوجانج بعد التخرج من الجامعة إلى أمريكا لدراسة الهندسة المعمارية في جامعة في بنسلڤانيا، حيث يقع بيت المياه المتساقطة الأصلي. بعدها عاد إلى البلاد وأضحى يدير شركة تَصميمٍ معماريٍّ غير بعيدة عن منزلي. لا بُدَّ أنه

قد سمع عن الأخبار الخاصة بالأستاذ يون من شخصٍ آخر واتَّصل ليخبرني بها. لا بُدَّ أن هواتف الجميع -أولئك الذين ترابطت حياتهم من خلال الأستاذ يون- قد رنَّت من دون توقُّف. عندما سمعتُ أن الأستاذ يون يحتضر مُجدَّدًا من ناك سوجانج، استوعبت الخبر أخيرًا. اقترح ناك سوجانج أن نذهب معًا إلى المستشفى، وعرض عليَّ أن يَمُرَّ عليَّ ليصحبني بسيارته، لكنني أخبرته أن ضيفًا قد أتاني في اللحظة التي كنت أستعدُّ فيها للمغادرة إلى المستشفى، وأنني سوف أذهب في وقتٍ لاحق. همَّ بالسؤال عن "ضيفي"، لكن بدلًا من ذلك قال إنه سيراني هناك. بعد أن انتهت المكالمة، جلست على مكتبي فيما تبقَّى من الليل. حدَّقتُ إلى السطح النظيف للمكتب لبرهة قبل أن أفرد الوثائق التي جمعتها منذ وقت طويل كي أرسلها إلى شقيقة داهِن الكبرى. تصفَّحتُها عن كثب. كانت من مُنظَّمَةٍ غير حكومية تتولَّى التحقيق في حوادث الموت المريبة. القراءة عن أشخاص ماتوا قبل أوانهم كان مؤلمًا. كيف يمكن تقبُّل حقيقة أن الكثير جدًّا من الأشخاص قد لقوا حتفهم بطريقة مُفاجئة وغامضة؟ التقطتُ الوثائق المتعلِّقة بحالات الموت غير المُفسَّرة في الجيش، وقَضَيتُ اليوم التالي في تصويرها لأرسلها إليها. كانت خُطَّتي أن أقنع عائلة داهِن الذين عجزوا حتى الآن عن تجاوز صدمة وألم فقدانه، ولا يزالوا يرفضونَ الحديث عن موته، أن يكتبوا التماسًا لإعادة فتح التحقيق في موته.

على الرغم من أن تأجيل زيارتي لرؤية الأستاذ يون في المستشفى لن يُغيِّرَ أي شيء، تجنَّبتُ الذهاب على أية حال. لم يَبدُ الأمر لي أنه في المستشفى يحتضر، بل كأنَّه يناولني ورقة بيضاء ويسألني: "ماذا سوف تفعلين بحياتكِ؟". قَمَعتُ إحساس الذنب الذي تنامى بداخلي، وفَعَلتُ كل شيء بوسعي كي أؤجِّل زيارته. عرفت أنني في اللحظة التي سأذهب فيها، سأقبل أن موت الأستاذ يون حقيقة محتومة. لا يزال الثلج ينهمر خارج النافذة. أردت أن يدير الأستاذ يون ظهره للموت

ويعـود إلينـا، بالطريقـة نفسـها التـي أدَرتُ ظهـري في انهـزامٍ بينـما أشـقُّ طريقـي عـبر عاصفـة ثلجيـة لأزوره. قضَيـتُ يومـين مقتنعـة بذلـك. في اليـوم الثالـث، بـدأت أعصـابي المشـدودة تتراخـى وسرى بداخـلي إحسـاسٌ غريـب بالارتيـاح. ثـم في مسـاء اليـوم الرابـع، تلقَّيـتُ اتصـالًا آخـر كان بمثابـة محاولـة لهزيمـة رغبتـي في السـماح للوقـت بـأن يمـضي مـن دون أن أسـمع أن الأسـتاذ يـون قـد مـات. بمجـرَّد أن رن الهاتـف، عرفـت أنـه ميونجسـو، وعرفـت مـاذا سـيقول.

"لن ينجو الليلة. سيموت غالبًا قبل صباح الغد".

قـال الأسـتاذ يـون ذات مـرة إن معرفـة أنـك حـيٌّ تعنـي معرفتـك بأنـك سـوف تتحـوَّل قريبًـا إلى صـورة مختلفـة. لا يكـفُّ الإنسـان عـن التغـيُّر، وذلـك هـو مصـدر أملنـا. كل الكائنـات مـن البـشر -حتـى أتفـه الكائنـات- تمـرُّ بلحظـة مـن التوهُّـج بـين الـولادة والمـوت. لحظـة نسـمِّيها "الشـباب".

عندمـا اتَّصـل بي ميونجسـو للمـرة الثانيـة خـلال ثمانيـة أعـوام وأخـبرني أن الأسـتاذ يـون لـن ينجـو الليلـة، عندمـا نطـق اسـمي ثـم لا شيء بعـد ذلـك، اندفَعـت إليَّ ذكـرى تلـك الكلـمات التـي نسـيتها منـذ زمـن طويـل، دعينـا نتذكَّـر هـذا اليـوم للأبـد، مثـل قطيـع مـن أسـماك السـلمون تسـبح إلى أعـلى ضـد التيـار وسـط شـلال.

ركبـتُ المصعـد إلى العنـبر حيـث أُدخِـل الأسـتاذ يـون، ومشـيت نحـو حجرتـه، يـتردَّد وَقـعُ خطـوات أقدامـي بصـوت مرتفـع في الـرواق. بمجـرد أن بـدأت أنتبـه إليهـا، أخـذت طَقطَقـة حـذائي عـلى الأرض تتعـالى حتـى مـلأت أذنيَّ، ولم أسـتطع سـماع أي شيء آخـر. كان الأمـر لا يُطـاق لدرجـة أننـي اضطـررتُ إلى التوقُّـف في مـكاني للحظـة. عـلى الجانـب الآخـر مـن الـرُّواق، اسـتند شـخص عـلى الجـدار. اعتـدل في وقفتـه عندمـا رآني. كان

ميونجسو. تعرَّفتُ عليه على الفور حتى من على مبعدة. خَطَوتُ تجاهه خطوة واحدة قبل أن أتردَّد وأحدِّق إليه بدلًا من ذلك. حدَّق إليَّ بدوره. بدأنا في المشي ببطء تجاه بعضنا البعض، حتى وقفنا وجهًا لوجه في منتصف الرواق.

"لقد أتيتِ" قال.

كان يرتدي بدلة. عيناه مُثبَّتتان على وجهي. بادلته النظرات. عَبَر شريط ذكريات لقائي الأول به بسرعة أمام عينيَّ، فاعتدلت في وقفتي أكثر، ومَرَّرتُ عينيَّ على ربطة عنقه وقميصه البيج وقد أغلق زِرَّه العلوي، الذي ارتداه تحت معطف البدلة الأزرق الغامق. الصور التي شاهدتها له في الجرائد والمجلات تُظهِره دائمًا مُمسِكًا بكاميرا. أصبح ميونجسو مُصوِّرًا صحفيًّا. عَلِمتُ -سواء من صحيفة مُشتَرِكة فيها أو من مقالة صادَفتُها عشوائيًّا في مجلة- أنه قد دخل مجال التصوير بدلًا من الكتابة. كان هنالك لقاء صحفي معه عن رحلة بالقطار قام بها برفقة فنان تنصيبي[1] عبر الساحل الشمالي للولايات المتحدة الأمريكية. في الصورة المرفقة باللقاء، ركع ميونجسو على ركبته وهو يلتقط صورًا. بجانبه حقيبة ظهر بحجم طفل صغير. قال الصحفي إنه حاول رفع حقيبة ظهر ميونجسو، لكنها كانت ثقيلة جدًّا عليه كي يرفعها. وصف الصحفي كيف ركض ميونجسو بسرعة نَمِرٍ، صاعدًا أرضًا مرتفعة وهو يحمل حقيبته الثقيلة على كتفيه كي يتمكَّن من التقاط صورة لقطار قادم أثناء انطلاقه. تذكُر المقالة حتى أن الندبة على ركبتيه والتي تكوَّنَت بسبب سنوات من ملامسة ركبتيه الأرض أثناء التقاطه الصور، كانت صلبةً كطبقة سميكة من الطين. لم أستطع أن أُبعِدَ عَينيَّ عن الصفحة أوَّلَ مَرَّة صادَفتُ فيها صورته في الجرائد،

(1) الفن التنصيبي أو فَنُّ التجهيز في الفراغ: أحد تيارات الفن المعاصر، حيث يقوم الفنان بتنظيم مكان أو غرفة، سواء برسمه أو تزيينه أو إضافة مواد جاهزة بوضعها أو تغليفها في الفراغ، ويستطيع المُشاهِدُ الدخول إلى المكان والتجوُّل فيه كما لو كان جزءًا منه.

لكـن مـع مـرور الوقـت، اعتـدت عـلى رؤيتـه. في صـوره، يبـدو ميونجسـو دائمًـا كأنّـه في حالـة حركـة مسـتمرّة؛ وربمـا لهـذا بـدا غريبًـا جـدًّا بالنسبة إليّ أن أراه الآن يرتـدي بدلـة.

"دعينا نذهب" قال ميونجسو.

تقدَّمَنـي. عندمـا انعطفـت عنـد الزاوية، رأيـت وجوهًـا مألوفـة لأصدقاء قدامـي، وقفـوا جميعًـا في أزواج أو مجموعـات، بينـما وقـف أحدهـم بمفـرده، شـاردًا في أفـكاره، ويحـدِّق إلى حذائـه. رحـب بي معظمهـم بإيماءة، بينـما امتـدَّت أيـدي الآخريـن لتربِّـت عـلى كتفـي. سـألني أحدهـم لائمًـا: "لمـاذا اسـتغرقتِ كل هـذا الوقـت لتـأتي؟". اسـتمرّ ميونجسـو في المـشي أمامـي، يُرشِـدُني إلى حجـرة الأسـتاذ يـون. التفـت أمـام البـاب لينظـر إليّ. أخـرج يديـه مـن جيوبـه وأراحهـما عـلى كتفـيّ.

"جَهِّزي نفسكِ".

بـدأ يتحـدَّث أنـه سـينتظر خـارج البـاب قبـل أن يُغـيِّر رأيـه ويقـترح أن ندخـل معًـا. في اللحظـة التـي دخلـت الحجـرة، فهمـت لمـاذا. أمسـكت بِيَـدِ ميونجسـو. كان جسـد الأسـتاذ يـون مُغلَّفًـا داخـل رئـة حديديـة، أحـد جانبيهـا مـن الزجـاج. يرقـد وجهـه وذراعـاه خـارج الزجـاج. تتـدلّى أنابيـب التَّنفُّـس والتغذيـة مـن أنفـه وحنجرتـه. جسـمه منتفـخ جـدًّا لدرجـة تـلاشى معهـا كلُّ أثَـرٍ لصـورة الأسـتاذ يـون القديمـة، الـذي كان دائمًـا رفيعًـا كهيـكل عظمـي مـن البلاسـتيك. حدَّقـتُ إلى ذراعيـه اللَّتَـين ترقـدان خـارج جسـمه المنتفـخ، وإلى يديـه السـاكنتين في نهايَتَـيْ ذراعَيْـه وقـد امتـلأت بآثـار الحقـن، لدرجـة لم يتبـقَّ أي مـكان يصلـح لإدخـال إبـرة. فقـط يـداه كانتـا كـما أتذكّرهـما. بـشرة يديـه خشِـنَة، لكـن في الضـوء كانـت شـفَّافةً كبـشرة طفـل. أصابعـه رفيعـة. تلهَّفَـت يـدي لملامسـة يـد الأسـتاذ يـون، لكـن بـدلًا مـن ذلـك وَجَـدتُ نفسـي أتشـبَّث بِيَـدِ ميونجسـو بقـوّة.

"تحدَّثي إليه" قال ميونجسو وعيناه مثبَّتتان على وجه الأستاذ. "يستطيع الاستماع إليكِ".

لا يزال يستطيع أن يفهمنا بحالته هذه؟ لم أتحرك، لكن ميونجسو ذهب إلى جانب الأستاذ يون وقال: "جونج يون هنا يا أستاذ". لم تَبدُر عن الأستاذ أي ردَّة فِعلٍ، وظلَّ وجهه جامدًا. من الصعب تصديق أنه يتنفَّس حتى. عيناه اللتان كانتا حادَّتَيْن، لكن طيِّبَتيْن ذات يوم، ظلَّتا مُغمَضَتيْن. دفع أحدهم الباب برفق وأشار إلى الممرضة بجانب الأستاذ يون. غادَرَت الممرضة وأضحينا نحن الثلاثة وحدنا في سكون حجرة المستشفى الهادئة. مَدَدتُ يدي وأمسكت بيد الأستاذ يون. مَلمَسُها ليِّنٌ ودافئ.

"افتحي كفَّكِ" قال ميونجسو بهدوء.

اعتقدت أنني قد شعرت بأصابع الأستاذ يون تتحرك. فَعلتُ كما قال لي ميونجسو، وفتحت يدي تحت يد الأستاذ يون الذَّابِلَة. تلوَّت أصابِعُه وتحرَّكَت برقَّةٍ فوق كفي. كل... الأشياء... يجب... جحظت عيناي وحدَّقتُ في أصابعه التي تحوَّلَت إلى قلم يكتب على يدي. كتب على كفِّي: كل الأشياء يجب أن تنتهي.

أتى المزيد من الأصدقاء القدامى إلى المستشفى لرؤية الأستاذ يون، ومكثوا في المستشفى بدلًا من العودة إلى بيوتهم. مكثت وميونجسو أيضًا. استقللت سيارة أجرة إلى البيت في المساء لأعيد ملء صحون الطعام والماء الخاصة بإميلي ثم عدتُ بسرعة إلى المستشفى، لكن ميونجسو لم يغادر حدود حجرة الأستاذ يون ولو للحظة. تناوَبتُ بين البقاء بجانب ميونجسو، والانضمام إلى الآخرين الذين تجمَّعوا في كافتيريا المستشفى ومقهى بالقرب منها. أبقيتُ يَديَّ في جيوبي،

وتمنَّيتُ أن يبدأ أحدهم في الحديث ولا يتوقَّف. طلبنا طعامًا وتركناه حتى برد، واحتسينا الكحول على معدة فارغة.

بعد ثلاثة أيام، مات الأستاذ يون. كانت السماء مُلبَّدةً بالغيوم ذلك اليوم، وهَبَّت عاصفة ثلجية قرب الغَسَق. غطَّت نُدَف الثلج قُبَّعات وأكتاف زائري المستشفى. وقفت خارج حجرة المستشفى مع ناك سوجانج الذي كان يمرُّ كل صباح ومساء لتفقُّد حالة الأستاذ يون، عندما أخبرونا أن الأستاذ يون قد رحل. مشيتُ في الرواق الطويل بعيدًا عن حجرته، كعبا حذائي يطقطقان، وركبت المصعد إلى الطابق الأرضي، ومشيت خلف مبنى المستشفى. شعرت بأن رُكبَتيَّ قد تنهاران في أي لحظة. وقفت في بقعة بعيدة عن عيون الناس، ثم استندت على الجدار وحدَّقت إلى حذائي. علمت أن الأستاذ يون لم يسمح لأي أحد بالاقتراب منه خلال السنوات الثلاث الأولى من مرضه، ثم بعد ذلك حين استشعر الأستاذ يون أن موته وشيكٌ اتَّصل بشقيقته الكبرى وطلب منها أن تأخذه إلى المستشفى. قالوا إنه حتى بعد أن دخل المستشفى، أراد أن يبقى وحيدًا. فقط بعد أن بات من الصعب جدًّا عليه أن يتحدَّث، سمح بأن يتمَّ إخطارنا بمرضه. على الرغم من أنه نصف واعٍ فقط، استطاع أن يترك رسائل على أكُفِّ جميع مَن زاره.

كتب: تمامًا كما أتيتُ إلى الوجود، يجب أن أمضي خارجه، على يَدِ الشخص الذي رآه قبلي. و"هناك حيث النجوم". على يد ناك سوجانج، "ألا تتفتَّح الزهور وتذبل؟" على يد الشخص الذي حاول زيارة الأستاذ في بيته ذات ليلة، لكنه قاد سيارته في دوائر بدلًا من ذلك، وأنها تتلألأ دائمًا هناك، على يد ميونجسو. ماذا كان ليكتب على يد ميرو وداهِن لو كانا هناك؟ كانت آخر كلماته التي رسمها بأصابعه هي: ادفنوا رُفاتي تحت الشجرة.

بعد أن استقال الأستاذ يون من منصبه في الجامعة، لم يَعُد للتدريس أبدًا. خَمَّنَّا أنه قد استمر في كتابة الشِّعر، لكن لم يُنشر له أي شيء. قضى وقته في بيته الريفي يعتني بالأشجار في الجبال، ويزرع أشياء في الأرض، ويقدِّم لنا الفاكهة التي زرعها بيده كلما زرناه. كان طلبه الأخير هو أن يُدفَن "تحت الشجرة"، لكنه لم يَقُل أي شجرة، ولم يُحدِّد حتى نوع الشجرة. نتيجة لذلك؛ أكثر ما تحدَّثنا فيه في آخر ثلاثة أيام من حياته كان لدهشتنا جميعًا هو الأشجار. ذُكِرَت في النقاش شجرة بلوط شرقية في يولجين على الساحل الشرقي، وشجرة صنوبر بيضاء عمرها ستمائة سنة في هيوجا- دونج في سول. أخبرنا ناك سوجانج أن تلك الشجرة لم تَعُد هناك؛ سقطت في إحدى السنوات خلال عاصفة. قال إن الناس في الحي قد بذلوا قصارى جهدهم لإنقاذ الشجرة، لكن من دون جدوى. بعد أن أُزيلت الشجرة، زُرِعَت أشجار صنوبر أخرى حول المكان الذي كانت تحتلُّه طوال تلك السنوات. عدَّدنا قائمة بأسماء حدائق الأشجار حول العالم. كان لدى كل شخص شجرة مميزة بالنسبة إليه: شجر الصنوبر وشجر البلوط وشجر الكرز البري، وشجر التورية اليابانية، وشجر المظلَّة الصينية. تهامَسنا بأسماء الشجر، شجرة تلو الأخرى طيلة الجنازة. وصف شخص شجرة ماجنوليا فضِّيَّة عملاقة تنمو في حقلٍ يُطلُّ على المياه في قرية صغيرة في نامهي على الساحل الجنوبي. ذات يوم، قبل خمسمائة سنة، اصطاد صيَّادٌ من القرية أضخمَ سمكة يمكن أن يراها أي أحد. وجد الصياد بذورًا داخل أحشاء السمكة، ومن دون أن يعرف نوعها، زرعها في تربة مجاورة للمياه. في الربيع، نَمَت البذور إلى شجرة الماجنوليا الفضية الضخمة. كلما تَحدَّثنا أكثر عن الأشجار، كلَّما اكتشفنا أننا نعرف الأشجار نفسها لكن بأسماء مختلفة حسب مكان ولادتنا وتَرَعرُعِنا. عندما ذكر ذلك الصديق الماجنوليا الفضية، قال ناك سوجانج: "هل تقصد شجرة ماجنوليا يابانية؟". أحضر حتى كتابًا ليُجادِلَه. أشجار

الماجنوليا الفضية شائعة قُربَ المدينة الجنوبية التي نشأ فيها ذلك الصديق. أولئك الذين زرعوا شجرًا من قبل لكن لم يَرَوا شجرة ماجنوليا فضية من قَبلُ أضافوا للحيرة التي سَرَت بيننا بأن نادوها ماجنوليا يابانية أيضًا. انغمسنا في النقاش لدرجة أننا نسينا أننا في جنازة. بعد أن ذكر أحدهم شجرة بلوط شرقية في يولجين، ذكر آخر شجرة بلوط شرقية في إندونج. قال إنه إذا حطَّت بومة فوق هذه الشجرة في إندونج في الربيع ونعبت، فإن ذلك تبشيرًا بموسم حصاد جيد في ذلك العام، وقال آخر إن شجرة البلوط الشرقية في يولجين قد نَمَت من سيف غرسه چنرال من مملكة جوريو القديمة في الأرض بعد أن خسر معركة. كانت جنازة الأستاذ يون أشبه بمحاضرة عن الأشجار تعجُّ بالتلاميذ. استمرَّ النقاش: شجرة جنبة الرباط، وشجرة التوت البري، وشجرة الطقسوس اليابانية والتنُّوب الكورية. تخيَّلتُ شجرة التمر حِنَّة بجانب قبر أمي. امتدَّت أفرع الشجرة الطويلة لتتجاوز قبرها، وعندما تتفتَّح زهورها القرمزية، تستطيع أن تحدِّد المكان الذي دُفِنَت فيه أمي من على مسافة بعيدة حتى.

في النهاية دُفِن الأستاذ يون في الجبال قرب بيته الريفي حيث قضى أيامه الأخيرة. كان لكلٍّ مِنَّا رأيٌ مختلف، لكن هذه هي البقعة التي اتفقنا عليها. دفَنَّاه تحت شجرة صنوبر عمرها يزيد عن المائتي عام. ربما كانت إحدى تلك الأشجار التي أزلت وميونجسو الثَّلجَ عنها حتى انهار كِلانا من شِدَّة الإرهاق. حينها، كان الوقت مُظلِمًا جدًّا كي أرى أي شيء، لكن عندما طُفتُ بعيني في وضح النهار، لاحظتُ أن الغابة تُطِلُّ على نهرٍ يقود إلى بحر. في المؤخِّرة، يحيط بالمنطقة مثل جدار، صفٌّ كثيف من أشجار الصنوبر الكورية وقرانيا يابانية. دُفِنَت الجَرَّة التي تحوي رفات الأستاذ يون في التربة تحت الشجرة. تناوَبنا على نثر حفنات من التراب فوقها. عندما حان دوري، في اللحظة التي

أغلَقتُ يـدي عـلى حفنـة التربـة البـاردة، خَذَلَتنـي كل الكلـمات، فلـم أجـد شـيئًا لأقولـه سـوى: وداعًـا.

بعـد انتهـاء مراسـم الدفـن، اجتمعنـا في حانَـةٍ حتـى الفجـر، نحتـسى الـشراب بـلا هـدف. بدأنـا في تجميـع الكلـمات التـي تركهـا الأسـتاذ يـون عـلى أكُفِّنـا. تَجادَلنـا حتـى وقـتٍ مُتأخِّـر مـن الليـل حـول أي العبـارات يجـب أن تسـبق الأخـرى، وأيهـا يجـب أن تـأتي لاحقًـا. سـقط أحدهـم نائمًـا في مكانـه في الحانـة ووجهـه يلامـس المائـدة. عندمـا وضعنـا كلـمات الأسـتاذ يـون الأخـيرة بالترتيـب، كانـت كالآتي:

أيُّهـا القِدِّيسـون كريسـتوفر، شـكرًا لأنكـم كنتـم جـزءًا مـن حيـاتي. لا تبكـوني. كل شيء يجـب أن ينتهـي- الشـباب والألم والشـغف والفـراغ والحـرب والعنـف. ألا تتفتَّـح الزهـور وتذبـل؟ تمامًـا كـما أتيـت إلى الوجود، يجـب أن أمـضي خارجـه. انظـروا إلى السـماء. هنـاك حيـث النجـوم. إنهـا تتـلألأ هنـاك دائمًـا، سـواء حدَّقنـا إليهـا أو نسـينا ذلـك، وسـتظل تتـلألأ طويـلًا بعـد موتنـا. أتمنَّـى أن يصبـح كلُّ واحـد منكـم أحـدَ تلـك النجـوم المتلألئـة.

عندمـا انتهيـت مـن حكايـة قصـة القديـس كريسـتوفر، رفَعَـت إحـدى الطالبـات يدهـا. لأن الوقـت المتـاح لي قصـيرٌ؛ لم أخطـط لاسـتقبال أي أسـئلة، وكنـتُ أسـتعدُّ للنـزول عـن المنصـة. مـع هـذا ارتديـت نظـاراتي ثانيـة وأومـأت إلى الطالبـة التـي رفعـت يدهـا.

"شـكرًا عـلى مشـاركة القصـة معنـا. إذًا هـل هـذا يعنـي أننـا القدِّيـس كريسـتوفر أم أننـا الطفـل الـذي يحملـه؟".

سألنا الأستاذ يون السؤال نفسه منذ زمن بعيد. كلَّما وَجَدتُ نفسي في إحدى تلك اللحظات حيث يبدو أن الماضي يكرِّر نفسه في الحاضر؛ أتوقَّف عن التفكير في الزمن كشيء يتحرّك في خطٍّ مستقيم. جلست يوسيون بنت ابنة عمي بجوار الفتاة التي طرَحَت السؤال. عندما كان ثلاثتنا نتناول العشاء يوم الأحد الماضي، توقَّفَت يوسيون أثناء التقاط ورقة بيريلا بعَصوَيْ أكلها وقالت:

"هنالك إعلان في جامعتنا أنَّكِ ستحلِّين ضيفةً لتُلقِي محاضرة في كنيسة الجامعة. أهذا صحيح؟".

قالت ابنة عمِّي: "إذا أعلنوا ذلك، فإنه صحيح بالطبع!".

أمالت يوسيون -التي كانت نسخةً طبق الأصل من ابنة عمي- رأسَها جانبًا. استطعت أن أستَشِفَّ أنها لم تُصدِّق أن عمَّتها -التي تذهب إلى الحمَّام العمومي معها، وتُفوِّت مواعيدها مع طبيب الأسنان؛ لأنها تكره الذهاب، وتتلقَّى مكالمات هاتفية من الممرضة باستمرار، وتسارع دائمًا إلى التقاط آخر قطعة فاكهة متبقية في الطبق عندما نتناول الطعام معًا- قد دُعِيَت للحديث في كنيسة جامعتها. قالت يوسيون: "ذلك غريب. يدعون عادةً المشهورين فقط..."، ثم أضافت: "أكره الذهاب إلى الكنيسة. عادةً أُفوِّت الذهاب إلى الدروس هناك. أتمانعين إذا لم أذهب؟"؛ لهذا افترضتُ أنها لن تكون هناك. عندما رأيتها تجلس هناك، وقد اتَّقَدَت عيناها في تركيزٍ بجوار الفتاة التي سألتني ذلك السؤال، شعرت بقليل من الحرج. بالنسبة إليها، كنتُ مُجرَّدَ عَمَّةٍ تُصفِّف شعرها من أجلها، أو تتقايض معها الثياب. الفتاة التي تعثَّرَت وانزلقت فوق المشمَّع أثناء هرولتها لمساعدتي في تشذيب مخالب إيميلي، قد بدت ناضِجةً جدًّا وهي تجلس وسط طالبات الجامعة الأخريات. بالحُكم على الطريقة التي ابتسمت كلُّ

منهما في وجه الأخرى؛ افترَضتُ أنها والفتاة التي طرحت الأسئلة، صديقتان.

اعتَدَلتُ في وقفتي أكثرَ، واستعددت للإجابة.

اليوم الذي ذهبت فيه برفقة ميونجسو والأستاذ يون إلى الجبال لإزاحة الثلج من الشجر، هطل الثلج مُجدَّدًا في وقت ما من الليل. غادَرتُ وميونجسو القريةَ في الصباح التالي لأجد أن الأشجار في الجبال التي أزلنا عنها الثلج ليلة الأمس، قد أضحت مغطَّاةً بالثلج مُجدَّدًا. على متن حافلة العودة إلى المدينة، قال ميونجسو إنه سوف ينتقل للعيش معي. عندما عدتُ إلى البيت، نَقَلتُ أشيائي لأصنع مساحة من أجله ليضع فيها حاجياته. لكنه لم يأتِ أبدًا. توقَّف حتى عن الاتصال بي في منتصف الليل كلَّما ثمل وانهار أثناء تجواله في المدينة كما كان يفعل. عندما سَئِمتُ من انتظار أن يتَّصِل بي، وذهبت إلى مقرِّ المجلة حيث كان يعمل بدوامٍ جُزئيٍّ، أتى مسرعًا إلى الخارج للقائي. لم تظهر عليه أي علامة اعتذار بالنسبة لشخص لم يتَّصل ولم يَفِ بوعده. كانت البناية التي تضمُّ مَقرَّ المجلة التي يعمل فيها هي أول بناية من عشرة طوابق تُشيَّد في جانجنام، الحي الجديد جنوب نهر الهان. في هذه الأيام، مبنى من عشرة طوابق لم يَعُد شيئًا استثنائيًا، لكن في ذلك الوقت كان أطولَ مبنى في الأنحاء. بالقرب من المبنى، كانت هنالك مقبرة مَلكيَّة مُحاطة بأشجار الصنوبر. اتَّصَلتُ به من كابينة هاتف عند مدخل المبنى. ظهر بسرعة جدًّا، لدرجة أنه كان من الصعب أن أقول إذا كنت قد وضعت السَّمَّاعة وخرجت من الكابينة أولًا، أم أنه خرج من المبنى وهتف باسمي من على مبعدة أولًا. ألقى ذراعيه حولي قبل أن تصبح الأمور مُحرِجَةً بيننا. مشينا حول المقبرة

الملكيـة ثـلاث مـرات. لم أتطـرّق إلى الأمـر، لكنّـه كـرّر وعـده بالانتقـال للعيـش معـي. قـال إنـه سـيجلب أغراضـه خـلال ثلاثـة أيـام.

مضـت الثلاثـة أيـام ولم يـأتِ أبـدًا. قـال أربـع مـرات إنـه سـوف ينتقـل للعيـش معـي، فقـط كي يُخلِـفَ ذلـك الوعـد. في كل مـرة أذهـب إلى مبنـى المجلّـة، ينـدفـع خارجًـا ويعانقنـي. يطـول عناقـه لي في كل مـرة. في الليلـة التـي أخلَـفَ فيهـا وعـده آخـر مـرة، أتى إلى شـقتي. تلـك المـرة لم يعانقنـي. اكتفـى بالتحديـق في صمـتٍ إلى قدميـه. تأمّلنـا معًـا بـرج نامسـان الـذي يلمـع كالعـادة عـلى مبعـدة. فكّـرتُ أن أسـأله عـمّا يُخيفـه. تفاجـأت مـن إجابتـه.

"لـو عشـنا معًـا، فسـوف نجـرح بعضنـا البعـض فقـط. وسـيصبح الأمـر قبيحًـا".

فَهِمـتُ مـا قصـده بأننـا قـد نجـرح بعضنـا البعـض، لكـن لم أعـرف مـا قصـده بـ "قبيحًـا". فكّـرتُ أننـي قـد أخطَـأتُ السـمع، وطَلَبـتُ منـه أن يُكـرّر مـا قالـه.

"لـو بدأنـا بهـذه الطريقـة، فلـن تَصِـلي إلى أي مـكان أبـدًا، ولـن تُحقّقي أي شيء أبدًا بسـببي".

"لا أفهم" قلتُ.

"سـوف أعزلـكِ عـن الآخريـن. سـوف تصبحـين مثـل جزيـرة منفصلـة عـن الآخريـن. سـوف ينتهـي بي الأمـر وقـد فعَلـتُ ذلـك بـكِ لدرجـة أن النـاس لـن يسـتطيعوا أن يعرفـوكِ إلا مـن خـلالي. لـن أرغـب في أن تمتلـكي أي علاقـات أخـرى وسـوف أبـذل كل مـا بوسـعي لأُبقيـكِ بجانبـي، وسـوف يُشَـوِّهُنا ذلـك".

"إذًا لماذا وافَقتَ على الانتقال للعيش معي؟".

"لأنني أرغب في العيش معكِ أيضًا". ارتجَفتُ من البرد وحدَّقتُ إلى أضواء البرج. حينها لم أفهم، ولم أرغب في فهم ما كان يقوله لي.

كلَّما أشَرتُ إلى زمن مُحدَّد بـ "منذ وقت طويل"، أشعر كأنني أمشي في مكان ما. ربما تلك الأشياء التي ندركها فقط بعد مرور الكثير من الوقت ونَصِفها بـ "منذ وقت طويل" هي التي تُشكِّلُنا حقًّا.

في تلك الليلة منذ وقت طويل، بدا الفتى الذي ظَنَنتُ أنني أعرفه أكثر من أيِّ أحد آخر غريبًا عني تمامًا. شعرتُ كأنه قد رحل وأمسَيتُ أقف وحيدة. عَضَضت على شفتي وأدركت أنني لن أستطيع أبدًا أن أسبر أغوار قلبه. شعرت بالبؤس. كنتُ أعتقد أنه كلُّ ما أحتاج إليه. نطق باسمي، لكنَّني لم أَرُدَّ. مَدَّ يَدَه إليَّ لكنني لم أمسكها. هل كان يحاول أن يقول لي إن وجوده معي قد صار قبيحًا بالفعل؟ تصدَّع قلبي وتشكَّلَت طبقةٌ من الجليد فوقه.

أدارني لأنظر إليه بينما أحدِّق إلى البرج، وحاول أن يقول شيئًا ما لي، لكن لم أستمع إليه. غادَرته فوق السطح البارد العاصف بالرياح ودخلتُ إلى داخل حجرتي. مَن كان منَّا مُحِقًّا؟ سمعته ينادي على اسمي ويطرق على الباب، لكنَّني بذلت ما بوسعي لأتجاهَله. جلست على المكتب وقاوَمتُ الرغبة في الذهاب إلى الخارج. يرقد كتاب القصائد الذي وجدناه في المتجر الذي لُذنا إليه هربًا من رجال شرطة مكافحة الشغب خلال مظاهرة، مفتوحًا ومقلوبًا على المكتب. أدرته وقلَّبتُ في صفحاته غير مُكتَرِثة بصوت طَرقِه على الباب. قرأتُ القصائد شطرًا تلو الآخر، التي كنتُ قد حفظتها عن ظهر قلب بعد قراءات كثيرة. قرأتها بصوتٍ عالٍ لأُغطِّي على دويِّ صوته. لم أعرف



متى رحل أخيرًا. استغرَقتُ في النوم ورأسي فوق المكتب، وقد سقط كتاب القصائد على الأرض.

خَطَرَ ميونجسو ببالي فور استيقاظي. عندما فَتَحتُ الباب وخطوت إلى الخارج، كان السطح مُغطًى بالثلج. فكَّرتُ أنه قد رحل.

عندما أدركت أنه قد رحل، كادت ركبتاي تنهاران. نظرت حولي بحثًا عن أي أثر له. وجدت آثار أقدامه مُتداخِلَةً فوق بعضها البعض أمام الباب. لا بُدَّ أنه مشى ذهابًا وإيابًا أمام الشَّقَّة بينما واصل الثلج الهطول. وضعت قدمي داخل آثار أقدامه المنسحقة وتتبَّعتُ الآثار. قادتني عبر السطح إلى السلالم. عند مدخل البناية، تتداخل آثار أقدامه مُجدَّدًا. انخفض سطح الثلج وأصبح صلبًا ولامعًا كما لو أن ميونجسو قد مشي فوقه ذهابًا وإيابًا لفترة طويلة. استمرَّت خطوات الأقدام بطول التَّلِّ بالأسفل. قادتني في اتجاه بيت ميرو القديم. قرب البيت، تقاطَعَت آثار أقدامه مُجدَّدًا قبل أن تستدير مبتعدة. ربما وقف هناك سارحًا في أفكاره أو حدَّق مَليًّا إلى البيت الذي بات يشغله الآن أشخاص آخرون.

وقَفتُ فوق آثار أقدامه ونظرت إلى أعلى نحو البيت في ضوء الصباح، ثم استدرت كما فعل. ظَنَنتُ أنني إذا تتبَّعتُ آثاره حتى النهاية، فسوف أستطيع أن أجده، لكن أصبح من المستحيل تَتبُّعها بعد فترة. كانت آثاره الوحيدة في الطريق في بادئ الأمر لكن مع تقدُّم الصباح، بدأ أشخاص آخرون يتركون آثارهم أيضًا، حتى مرَّت شاحنة قمامة أخيرًا، ومَحَتها كلها بآثار إطاراتها. حدَّقتُ طويلًا إلى البقعة حيث محت الشاحِنَةُ آثار أقدامه، ثم توجَّهتُ عائدة إلى البيت. في البيت، قذفت بعض الأغراض في حقيبة واستقللت القطار إلى منزل أبي في الريف. قضيت ما تبقى من الشتاء هناك بجانب أبي.

لكن لم يَنتَهِ الأمر بيني وبين ميونجسو بعدُ.

في أحد الأيام حيث تراكم الثلج الذي واصل الهطول لأكثر من أسبوع من دون توقُّف، ليصل إلى ارتفاع رَجُلٍ بالغ، أتى ميونجسو إلى منزل أبي. مشى الطريق كله من المدينة إلى هناك. كانت أصابع أقدامه مُتورِّمَة من شِدَّة الصقيع، وخدَّاه متَقرِّحَيْن. سألته: "لماذا فعلتَ ذلك؟"، تَلقَّى توبيخي من دون أي كلمة. "يمكنك أن تسير كل هذه المسافة لتراني لكنك لن تنتقل للعيش معي؟" لم يُجِب. مَكَثَ معنا في بيت أبي لثلاثة أيام. ذهب إلى الجبال ليزيح الثلج عن أشجار الصنوبر تمامًا كما فعلنا في الجبال قرب بيت الأستاذ يون الريفي، ولعب الجانجي[1] مع أبي، ورافَقَه حتى إلى قبر أمي. عندما غادر، اشتريتُ تذكرة قطار له ورافقته حتى المحطة خوفًا من أن يحاول أن يمشي عائدًا إلى المدينة. نادى ميونجسو الذي لم يتفوَّه بكلمة طوال الوقت الذي جلسنا فيه في حجرة الانتظار، على اسمي من مكان وقوفه عند الباب الدَّوَّار حيث يتفقَّد الموظف تَذكَرَته. نظرت إليه، فقال لي إنه بعد أن أعود إلى المدينة، يجب أن ننهي ما بدأناه فوق برج نامسان. سألته ماذا يقصد، فتمتم، " نعانق الغرباء...".

ذات يوم بعد أن مضى الشتاء وأتى الربيع، شاهدته يقف أمام كاتدرائية ميونجدونج. كان يُمسك لافتةً مكتوبٌ عليها "عناقٌ مَجَّاني". لم أتصوَّر أنه سوف يذهب بعيدًا هكذا لدرجة أن يصنع لافتة. رتَّبنا لِلِّقاء هناك، لكنني لم أستطع حمل نفسي على الاقتراب منه. كانت خُطَّتنا أن نعانق مائة غريب أوَّلًا، ثم نعيد التفكير فيما سوف نفعله بحياتنا. اتَّفقنا على أن نبدأ عند كاتدرائية ميونجدونج. ذهَبتُ إلى

---

(1) الجانجي أو الشطرنج الكوري: لعبة لوح استراتيجية كورية.

هناك مرّاتٍ عديدة للبحث عنه من قبل خلال إضرابه عن الطعام. انتظَرتُ وراقبته من على مبعدة. حتى اليوم، لا أستطيع أن أفسِّر لماذا تردَّدتُ بدلًا من أن أُسرِعَ وأنضَمَّ إليه. بماذا يجب أن أُسمِّي المقاومة الغريبة التي سَرَت بداخلي عندما شاهَدتُ لأول مرة لافِتَةَ "عناق مجاني"؟ رَمَقَ الناس ميونجسو ولافتته بنظرات جانبية بينما يمشون بجانبه. توقَّف البعض حتى، وحدَّقوا إليه. لم يعانق ميونجسو أيَّ أحَدٍ فقط بل شعر أيضًا بالارتباك، لدرجة أنه لم يعرف ماذا يفعل. مشى أجنبيٌّ -كان قد تجاوَزَه- عائدًا إليه وعانقه. عندما عانقه الرجل، ظلَّ ذِراعَا ميونجسو مُتَدلِّيَتَيْن بجانبه بشكل أخرق. وقف ميونجسو في البقعة نفسها لثلاث أو أربع ساعات. بعد الأجنبي، لم يقترب منه أيُّ أحد، ولم يقترب هو من أيِّ أحد. لكن لم يَبدُ عليه أنه ينتظرني. عندما شاهدته يُنزل لافِتَته في انهزام، رَحَلتُ.

كم كنتُ أتمنَّى بشدة أن يخبرني أحدهم أنني سوف أتمكَّن يومًا ما من تَقبُّل كل شيء حدث لنا، من دون ألم.

حتى بعد أن زارني في منزل أبي، لم ننفصل بشكل مباشر. واصَلنا إعطاء الوعود، والتخطيط لرؤية بعضنا حتى قبل ثمانية أعوام. كما لو أننا لم نستطع التوقُّف عن إعطاء الوعود. الكثير جدًّا من الوعود، التي لم نُنفِّذها أبدًا، ولا نتذكرها. وعد يُقطَع بخمولٍ فوق كومة من الوعود التي لم تُنفَّذ. ببساطة كُنَّا نؤجِّل انفصالنا بأن نُكرِّر وعدنا لبعضنا البعض بأننا سنلتقي مُجدَّدًا.

بعد أن اكتشف ميونجسو ما حدث لميرو، استأنف عادَةَ الاتصال بي في منتصف الليل وهو لا يعرف أين هو وكيف وصل إلى هناك.

كنتُ أتلقَّى مكالمات منه كل ليلة. أعتقد أن أول شيء كنتُ أسأله عليه في كل مرة هو "أين أنت؟". مرة واحدة فقط، ذكر اسم بلدة معروفة بنموِّ أشجار التفاح فيها. توجَّهتُ إلى موقف الحافلات وانتظَرتُ أول حافلة تغادر المدينة كي أستطيع الإسراع إلى حيث كان ميونجسو. هناك استأجرنا درَّاجتَيْن وقدناهما في طريق ضيق بجانب بستان تفاح. مَدَدنا أيدينا لنقطف ثمار التفاح المُبلَّلَة بندى الصباح. قضمنا ثمار التفاح الطازجة وضحكنا. ذلك اليوم، لم نعبأ بأيِّ شيء كما لو أننا سنمضي دائمًا إلى الأمام معًا. لكن لم يَدُم ذلك. لم يَمضِ وقت طويل قبل أن يعود إلى عجزه عن تحديد المكان الذي يتَّصِل منه. كنت أخرج للبحث عنه. أحيانًا أجده وأحيانًا لا أجده. ذات يوم حين وجدته بصعوبة، جعلته يضحك عندما أخبرته أن مَن يتَّصِل في الرابعة صباحًا لا بُدَّ أنه جاسوس كوري شمالي. ثم ذات يوم تلقَّيتُ مكالمة ليست منه، بل من رجل غريب. قال الرجل عبر الهاتف إن ميونجسو قد تسلق سور بيته واستغرق في النوم في فناء البيت. قال إن ميونجسو لا يبدو خطِرًا؛ لهذا هَزَّه ليوقظه وطرح عليه عدَّة أسئلة حتى استطاع أن يحصل على رقم هاتف منه. قال إنه حصل على رقمي بهذه الطريقة. قال إنني لو لم آتِ وآخذ ميونجسو في الحال، فسوف يضطرُّ إلى الاتصال بالشرطة. سألتُه أين يعيش. كان يعيش في بيت ميرو القديم. ركَضتُ في هواء الفجر لأحضر ميونجسو. عندما وقَعَت عيناه عليَّ، ناداني بـ "ميرو". رغم أنني لا أستطيع تذكُّر ذلك، لكنني متأكِّدة أنه ثمَّة مرَّات كُنتُ أناديه فيها بـ "داهِن" أيضًا عندما أنظر إليه. ربما كانت تلك الليلة هي الليلة التي توقَّفنا فيها عن إعطاء المزيد من الوعود لبعضنا البعض. الليلة التي توقَّفنا فيها عن قول: سأكون هناك.

قبل عِدَّة أيام، ذهبت لزيارة أبي في دار المُسنِّين. على متن الحافلة في الطريق إلى محطة القطار، كان الشخص الجالس بجواري يُمسك بجريدة مفتوحة على صفحة بها صورة ميونجسو. كانت مقالَةً عن أحد معارض صوره. لأنني لم أستطع أن أبعد عينيّ عن الجريدة؛ ناوَلَني الشخص الجريدةَ عندما نزل من الحافلة. فتحتها وغمغَمتُ: "تلك صور عظيمة يا إيميلي" كما لو كانت القطة جالِسةً بجواري مباشرة. عنوان المعرض هو عانِقْ شبابَكَ". كانت الصور لشُبّان يتعانقون في دول في كل أنحاء العالم، بما في ذلك مارّة في شارع أربات في موسكو. تذكر المقالة أنه قضى ثلاثة شهور على الطريق ليلتقط ألفَ صورةٍ لشُبّان يتعانقون. لا بُدَّ أنه غادر مباشرة بعد جنازة الأستاذ يون. ردًّا على سؤال الصحفي: "لماذا اخترت أن تُصوِّر الشُبّان يتعانقون من بين كل الأشياء؟"؛ أجاب ميونجسو: "أحيانًا تطاردني نزعةٌ لتدمير الذات، لكن رؤية الشباب يتعانقون يساعدني على التَّغلُّب على مثل تلك الأفكار". أضاف أن سُكَّان موسكو أقلُّ الناس ميلًا للابتسامة من بين كل شعوب العالم لكن حتى سُكَّان موسكو لم يستطيعوا مُقاوَمَة الابتسامة عندما شاهدوا الشباب يتعانقون في شارع أربات، وأنه نفسه قد عانق مائة شاب لم يعرفهم في ذلك الشارع أيضًا.

هل أحسَّ بالشعور نفسه مثلي؟

أحيانًا أشعر أنني أنهار كما لو أنني سأنفجر. أدفع الخوف جانبًا، وأشقُّ طريقي ببطء إلى مكتبي وأكتب كي أحارب التوتُّر الغامض الذي يشلُّ حواسي. أحدِّق إلى صورته في ذاكرتي، صورته وهو يقول إنه سوف يُعانِقُ مائة غريب. وتحدِّق إليَّ أشباحُنا من الماضي، ونحن نتسكَّع في أرجاء المدينة حامِلين معنا وحدتنا، وأحلامنا بـ "يوم ما".

ذلك اليوم في كنيسة الجامعة، رفعت طالبة أخرى يدها. سألتني: "عندما تنظرين إلى الوراء إلى عشريناتِك، ما أكثر شيء ترغبين في قوله إلينا نحن اللاتي نخوض عشريناتنا الآن؟".

تلاقت عيناي للحظة بعينَيْ يوسيون التي تجلس وسط الطالبات الأخريات بينما أنظر إلى الطالبة التي طرَحَت السؤال. لا بُدَّ أنها كانت خجولًا؛ لأن صوتها كان يرتعش. قلتُ من دون أن أحتاج إلى التفكُّر في الإجابة حتى: "أتمنَّى أن تمتلكن جميعًا شخصًا يجعلكنَّ تَرغَبنَ دائمًا في أن تَقُلن: (فلنتذكَّر هذا اليوم إلى الأبد)". تعالَت آهات الإعجاب من الطالبات قبل أن يضحكن من رِدَّة فعل بعضهنَّ البعض. شارَكتُهنَّ الضحك. "وأتمنَّى أيضًا..." ظَنَنتُ أنني قد أنهيتُ إجابتي، لكنهنَّ سَكَتنَ مُجدَّدًا. "أتمنَّى أيضًا ألَّا تَترَدَّدنَ في قول: (سأكون هناك)".

في اليوم التالي لليوم الذي أخبرتني فيه الطبيبة البيطرية، أن إيميلي التي كانت عجوزًا جدًّا وبالكاد تستطيع الحركة، تعاني من سرطان في المعدة غير قابل للاستئصال بالجراحة، أيقظني في منتصف الليل الصوت الخافت لرنين الهاتف. بدا أن الرنين الخافت يتعالى، كما لو كان يحفر داخل طبلتي أذنيّ. مدَدتُ يدي وقرَّبت السَّمَّاعة من أذني. سألني صوت غير مألوف إذا كانت جونج- مين هناك. قلتُ لا، لكنَّ الرجل الشاب قد انفجر باكيًا إذ فجأةً، وترجَّاني أن أعطي السماعة إلى جونج- مين. أنزلت السماعة من دون أن أُغلِقَ الخَطَّ. بعد بُرهَة، التَقطتها من جديد، وكان الشاب لا يزال يبكي. لم يَبدُ أنه يهتم إذا كنتُ أستمع إليه أم لا. احتاج فقط أن يبكي في الهاتف. بمجرَّد أن يتوقَّف عن البكاء، فسوف يشعر بشيء من التحسُّن حيال الموقف مع جونج- مين. نَهَضَت إيميلي حيث كانت تلتفُّ حول نفسها ككُرَةٍ فوق وسادة نومها، وتسلَّقَت ببطء فوق معدتي، وتمدَّدَت. بات

تنظيفها والاعتناء بشعرها حتى صعبًا عليها. عندما سألتُ الطبيبة البيطريَّة إذا كان هنالك أي احتمال أن تنجو إميلي من الجراحة، قالت إن إميلي قد عاشت بالفعل حياةً طويلة بشكل مُدهِش بالنسبة لقطة، ثم سألتني، إذا كانت هنالك ضرورة لوضعها خلال كل ذلك؟ فأخَذتُ إميلي إلى البيت. مَسَّدتُ مؤخَّرَة عُنُقِها حتى سمعت صفير الهاتف -إمَّا أن الشاب قد توقَّف عن البكاء أو أن الخَطَّ قد انقطع- فوَضعتُ السماعة في موضعها. لم أستطع العودة إلى النوم؛ لذا عملت على مكتبي لبرهة قبل أن أفتح الدرج السفلي. أخرجت مظاريف ومطبوعات مختلفة وقاموس حروفٍ صينية، حتى وصلت إلى الصندوق في قاع الدرج الذي يحتوي على يوميات ميونجسو. كنتُ قد وضعت اليوميات داخل ذلك الصندوق بينما أحاول تَقبُّلَ غيابه. فتحت الصندوق وأخرجت يومياته.

كم تمنَّيتُ لو اتَّخذتُ قرارات مختلفة. دفقات من الندم -ماذا لو- قد طارَدَتني عند كل منعطف في الحياة. الفهم المفاجئ لمشاعر قديمة في ظروف غير متوقَّعَة وغير مرتبطة بها. أشياء سوف تظلُّ غيرَ مفهومَةٍ ومن دون أجوبة، بغضِّ النظر عمَّا ينتظرني في المستقبل.

هل سيأتي اليوم الذي سأستطيع فيه أن أخبر ميونجسو أنني قد ذهبت أخيرًا إلى بازل، وبيرو؟ أنني قد وَقَفتُ أمام لوحة جزيرة الموتى الأصلية لأرنولد بوكلن في متحف الفن في بازل، وهَمَستُ باسم ميرو أمامها، والتفتُّ حولي بجنون لأنني أعتقدت أنني سمعتها تقول، نعم؟

حُفِرَت أشكال هندسية مُبهَمَة على الأرض في سهول صحراء نازكا أسفل جبال الأنديز في بيرو، لا يمكن رؤيتها في مستوى العين البشرية. يمكن رؤيتها فقط من السماء. عليك أن تكون على ارتفاع ثلاثمائة متر في الهواء كي تتمكَّن من رؤيتها على نحو كامل. يُقال إن تلك الصور

قد رسمها سُكّانُ نازكا الأصليُّون قبل ألف وخمسمائة سنة. لأنهم لم يستأنسوا أيّ حيوان، نحت سُكّانُ النازكا تلك الرسوم الرمزية كلها بأيديهم فقط من دون أي مساعدة. تتضمّن الأشكال مئات الخطوط الطويلة التي تشكّلَت عن طريق إزالة قِطَعٍ من الحصى لتعرية الرّملِ الأَخَفِّ تحتها: طيور عملاقة مُجنّحة، أجنحتها ضخمة جدًّا، لدرجة أنها بدت نابِضَةً بالحياة، كما لو كانت تُحلّق. غطّت ظلالُ كائنات غريبة وبديعة -لا يمكنني التعرُّف عليها- مُعظَمَ مساحة السهل. كانت منحوتة في السهل مثل شفراتٍ خَربَشَتْها أصابِعُ شخص ما. كيف ترك سكان النازكا تلك الرسوم الضخمة قبل أن يُخترع أي شيء يمكّنهم من الارتفاع في الهواء والنظر إلى أسفل؟ يُعتقد أن الصور التي عمرها ألف وخمسمائة سنة، استطاعت البقاء كل هذا الزمن؛ لأن المنطقة رغم وجودها على ارتفاع قد تتوقّع معه وجود نباتات استوائية وفيرة فيه، كانت على خلاف المتوقّع، جافّة جدًّا. لم تُمطر السماء هنا في آخر عشرة آلاف سنة. لم أستطع استيعاب تلك الفترة الزمنية. كانت كلمة "جافّة" قليلة لوصف مكان لم يَرَ المطر منذ عشرة آلاف سنة. شاهدت ورفقاء رحلتي، تلك المنحوتات من على ظهر هيلوكوبتر: خطوط مُتعرِّجة ونجوم ونباتات، وقضبان بأحجام لا يمكن قياسها، ودوائر ومُثلّثات ومُربّعات وأشباه منحرف- استمرّت الرسومات من دون نهاية. لم تُغَطِّ فقط سهول النازكا الشاسعة والمنعزلة، بل امتدّت لما أبعد من ذلك عبر الجُزُر، متجاوزة أودِيَةً عميقة وجداول مياه، وملتفّة حول منحنيات جبال الأنديز. مئات ومئات الخطوط المتّصِلَة. ثمّة مُثلّثٌ عملاقٌ رأسه مبتورة، وطائر بدا كأنه يطير جنوبًا. ثم لفت انتباهي بشكل خاصّ نحتٌ يُجسّد عنكبوتًا طوله خمسون مترًا منحوتًا في الرمال.

هل كنت لأخمّن من قبل أنني يومًا ما سأحدّق إلى أسفل نحو عنكبوت عمره ألف وخمسمائة سنة مرسومٍ في الصحراء؟ أمام رسمة

العنكبوت في سهل النازكا في جبال الأنديز التي وصلتُ إليها بعد رحلة طيران لثماني ساعات، ثم تغييري الطائرة في لوس أنجلوس، وركوبي طائرة أخرى لنحو عشرين ساعة أخرى، عادت صورة داهِن إليّ، نابِضَةً بالحياة كأي شيء آخر. داهِن الذي رافقني ذات مرة طوال الطريق إلى قبر أمي رغم رُهابه من العناكب. في تلك اللحظة تشقّقَت زاوية في قلبي كانت مُظلِمَةً وباردة كالثلج إذ فجأة، واندفع شعاع ضوء من نجم صباحي داخلي وأضاءها. شعرت بالدفء. همست باسمه بهدوء بحيث لا يسمعني أي أحد. طفا وجه داهِن فوق العنكبوت ذي الألف وخمسمائة سنة المنحوت في أرضية الصحراء. تمتمتُ إلى نفسي: "لا تخافي"، ثم هَمَستُ: "لن أنساك أبدًا". حينها أدركتُ أخيرًا أنني لست مصنوعةً من ذاتي فقط. كل شيء أراه وكل شيء أشعر به كان جزءًا منه داهِن، وجزءًا آخر منه ميرو. وجزءًا ثالثًا هو زمنهما غير المنتهي الذي أعيشُه أنا.

امتدَّ ضوء النهار فوق مكتبي بينما أقلِّب صفحات يوميات ميونجسو. استجمَعَت إميلي قوّتها لتقفز فوق المكتب، وتلتفَّ حول نفسها بجواري بينما أقرأ. غمغمتُ: "لا تقلقي يا إميلي" غير متأكِّدَة ما الذي أخبرها ألّا تقلق منه، ثم داعَبتُها خلف أذنها. حدَّقَت إليّ للحظة ثم تمطَّت مثل بِركَةٍ صغيرة فوق المكتب. ظلَّت يوميات ميونجسو موضوعة داخل الصندوق المغلق أغلب الفترة التي كنّا فيها مُنفَصِلَيْن. بدا كل شيء جديدًا. رغم أنني قرأتها كثيرًا لدرجة أنني ظَنَنتُ أنني قد حفظت صفحاتها عن ظهر قلب، شعرت كأنني أقرؤها أول مرة. قلَّبتُ الصفحة الأخيرة وأخرجت المفكِّرة البُنِّيَة من غلافها الأسود المُترب. ذكرى آخر مرة فعلت فيها ذلك -حين أغلقت المفكرة ووضعتها في الصندوق قبل ثمانية أعوام تقريبًا- لا تزال واضحة في ذاكرتي. دَسَستُ داخل الغلاف الرسائل التي أرسلها داهِن إليّ، والردود التي كتبتها بعد موته ولم يكن بمقدوري إرسالها إلى أي مكان،

وكُتيِّب قصائد فرانسيس چيمس الذي قرأته وميونجسو معًا ذات يوم في متجر كتب أثناء مظاهرة اجتاحت الشوارع. لم يتَّسِع الغلاف لكل ذلك. أخرجت الكتاب، وفَرَدتُ الرسائل، وبدأت أدسُّها بين صفحات اليوميَّات بدلًا من ذلك، لكن بعد لحظة، جلست هناك وحسب، وقد داهَمَتني الحيرة. تساءَلتُ أين مُفكِّرة ميرو التي وضعتها على الرَّفِّ في مكتب الأستاذ يون مع كتب الكُتَّاب الذين ماتوا قبل الثالثة والثلاثين، الآن؟ مَن يقرأ كتاب قصائد إيميلي ديكنسون الذي سرَّبه داهِن إلى داخل القاعدة العسكرية؟ كل ما أعرفه أنها في مكان لا أستطيع أن أجدها فيه. أغلَقتُ يوميات ميونجسو كي أعيد وضعها داخل الغلاف المُترِب قبل أن أتوقَّف. كان ثمة شيء مكتوب في آخر اليوميات، لم ألحظه من قبل. اعتَدَلتُ في جلستي بينما أقرأ المكتوب: أرغب في أن أشيخ مع جونج يون. كان خطَّ يد ميونجسو. هل كانت هذه الجملة مكتوبةً هنا طوال هذا الوقت؟ لقد انغَلَقَت اليوميات على تلك الكلمات خلال السنوات الثماني الماضية. وضَعتُ اليوميات على المكتب وجلستُ ساكِنَةً بينما تنهي أشعة شمس الصباح رحلتَها عبر مكتبي. فتحت إيميلي عينيها ونظرت إليَّ. لا تزال عيناها زرقاوين رغم كِبَرِ سِنِّها.

"لا تقلقي يا إيميلي..." تَمتَمتُ وأنا أملأ قلمي الريشة بالحبر وأردُّ على الجملة التي استغرقني العثورُ عليها ثمانية أعوام:

ساكون هناك.

***



تعقيبُ الكاتبة

سأكون هناك قصّة عن شباب يعيشون في زمن مأساوي. وهي أيضًا قصة أشخاص يجدون أنفسهم متفرّقين، رغم الحب الذي يُكِنُّه كلٌّ منهم إلى الآخر؛ لأنهم يحملون بداخلهم جروحًا عميقة جدًّا كي يتجاوزوها. أشخاص يصارعون كي يكونوا معًا ثانية. تدور قصتهم في فترة الثمانينات وأوائل التسعينات في كوريا الجنوبية، وهي الفترة نفسها التي كنت أخوض فيها غمار عشريناتي وأوائل الثلاثينيات. انهارت ديكتاتورية "بارك تشونج هي" التي دامت طويلًا، لكن ما حَلَّت مَحلَّها لم تكن الحُرِّيَّة، بل ديكتاتورية جديدة يقودها الجنرال تشون دو هوان. في تلك الفترة، تظاهر شباب كوريا الجنوبية بما في ذلك طُلَّابُ الجامعة في الشوارع، حيث هُوجِموا بقنابل الغاز المسيل للدموع كلَّ يوم تقريبًا في سعيهم من أجل الديمقراطية والحرية. دامت تلك الفترة من الاضطرابات قُرابَةَ العشر سنوات. يخرج الشباب للتظاهر ضد الحكومة ذات يوم فقط كي يختفوا بشكل غامض في اليوم التالي، بينما ينتحر آخرون في الشوارع للتعبير عن احتجاجهم. مات

شُبَّان قادوا المظاهرات بشكل مثيرٍ للريبة في الجيش أثناء أدائهم التجنيد الإلزامي. لولا تضحية هؤلاء الشبان -الذين قاتلوا وكافحوا من أجل التغيير- ما كانت كوريا الجنوبية ما هي عليه الآن. هذا التاريخ هو ما شكَّل أجواء رواية "سأكون هناك".

لكن في هذه الرواية، تعمَّدتُ ألّا أكشف الحقبة التي تدور فيها أو أستفيض في شرح ملابسات الموقف السياسي الكوري في ذلك الزمن. كان قرارًا مُتعمَّدًا مني ككاتبة؛ لأنني أؤمن أن ما يحدث لشخصيات "سأكون هناك" لا يقتصر على كوريا الجنوبية. كل شيء يحدث في هذه الرواية قد يحدث في أي بلدٍ وفي أي جيل. أؤمن أنه مهما أضحى العالم قاسيًا، سيكون هنالك دائمًا مُعلِّمون وطُلَّاب يتعلَّمون من بعضهم البعض، وأنه حتى حين تعوق قوى العنف والوحشية حريتهم، سيكون هنالك دائمًا حب أول صادق ومُفعَمٌ بالعاطفة، وصداقات تُولد من رحم الحياة. بينما أكتب هذه الرواية، ركَّزتُ وانغمست في مَنحِ صوتٍ لتلك اللحظات. أؤمن أن تلك اللحظات هي التي تُحدِّد حياتنا. قد نكون ضحايا مأساتنا، لكننا في الوقت نفسه أبطال تجاربنا الأكثر جمالًا وإثارة.

كيونج سوك شين



نبذة عن الكاتبة

كيونج سوك شين:

إحدى أشهر الكاتبات الكوريات الجنوبيات. وُلِدَت سنة 1963. كتبت أكثر من سبعة عشر كتابًا. فازت بالعديد من الجوائز الأدبية: جائزة المان بوكر الآسيوية 2011 عن رواية "أرجوك اعتَنِ بأمّي"، وجائزة المانهي، وجائزة "دونج- إن" الأدبية، وجائزة "لي سانج"، وجائزة أفضل رواية مترجمة إلى الفرنسية عن روايتها "حجرة اسمها الوحدة"، وجائزة "هو- إم" في الفنون عن مُجمَلِ أعمالها؛ لمساهمتها في تعزيز الثقافة والفنون الكورية. تُرجِمَت أعمالها إلى أكثر من ثلاثين لغة، وباعت أكثر من مليون نسخة.

نبذة عن المترجم

محمد نجيب:

طبيب ومُتَرجِم عن الكورية والإنجليزية وكاتب مصري من مواليد المنصورة عام 1992.

من أعماله المتَرجَمَة:

- الكتاب الأبيض لهان كانج
- أفعال بَشَرِيَّة لهان كانج
- أرجوك اعتَنِ بأمي لكيونج سوك شين
- حجرة اسمها الوحدة لكيونج سوك شين
- راقصة البلاط لكيونج سوك شين
- دماغ مُشتَعِل لسوزانا كهالان

سأكون هناك

"الآن أنا وأنتم نعبر نهرا مظلما عميقا. في كل مرة يضغط علينا وزن مهول، وترتفع مياه النهر حتى حناجرنا، ونرغب في الاستسلام، والانزلاق تحت سطح الماء. تذكروا أن العالم الذي نمشي فيه لا يقل ثقلا عن الحمل فوق كتفنا. الكائنات الأرضية لا تستطيع للأسف التحرر من الجاذبية. تتطلب الحياة منا تضحية مستمرة وقرارات صعبة في كل لحظة. الحياة لا تعني عبور فراغ من العدم، بل اجتياز شبكة من العلاقات المتشعبة بين كائنات، كل له وزنه وحجمه وشكله. وطالما لا يكف كل شيء عن التغير، فإن شعورنا بالأمل لا يجب أن يموت أبدا. وعلى هذا، أغادركم جميعا بفكرة واحدة أخيرة: عيشوا.. عيشوا حتى آخر نفس لكم.. اعشقوا وقاتلوا واغضبوا وتألموا، وعيشوا"

" سأكون هناك رواية ستجبرك على قراءتها حتى النهاية. موهبة شين في السرد استثنائية"

New York Times—
Book Review

الغلاف عمر مصطفى


ISBN 978-977-313-845-5



